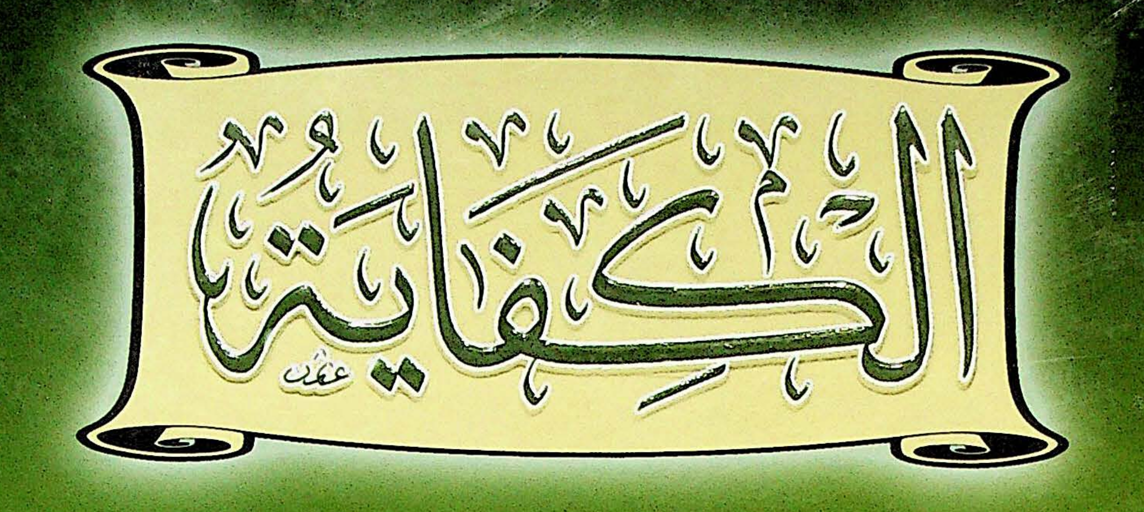


شرح بداية الهداية

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

تأليف

الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهي

(٩٢٠-٩٩٨)

عناية وتعليق

الشيخ الدكتور محمد ياسر بن محمد خير القضماني



الكفاية

شرح بداية الهداية

الكفاية

شرح بداية الهداية

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

تأليف

الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهي

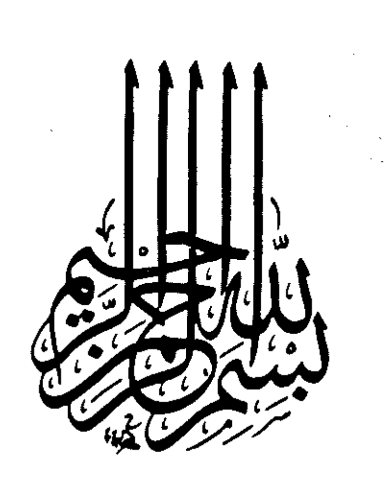
(٩٣٠-٩٩٨)

عناية وتعليق

الشيخ الدكتور محمد ياسر بن محمد خير القضماني

دار الضياء

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

أهدي هذه العناية على البداية لسيدي الإمام القدوة

الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبوبكر بن سالم

راجي دوام العناية

محمد ياسر القضماني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني بالشرح

الحمد لله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، والصلاة والسلام علىٰ صاحب الشفاعة وإمام أهل الهداية سيدنا محمد وعلىٰ آله المُرَجَّين عند العماية، وصحابته المنجِّين من الضلالة وعلىٰ التابعين ومن تبعهم من أهل الرعاية والعناية وعنَّا معهم بفضلك وجودك يا رب العالمين.

وبعد:

فقد شاءت عناية الله تعالىٰ أن يلهم أخي وصديقي الأستاذ فالح الفضلي حفظه الله تعالىٰ صاحب دار الضياء في الكويت أن يعرض عليَّ العناية والتعليق علىٰ شرح الإمام الفاكهي المكي لبداية الهداية لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي وهو المسمىٰ بالكفاية في شرح بداية الهداية، وأن أستعين بالشرح الكبير للإمام نفسه والذي أسماه نفحات العناية بشرح بداية الهداية، لأن الإمام كثيراً ما يحيل في شرحه الصغير علىٰ الكبير.

وقد ألفيت (الكفاية) في غاية النفع، ويحسن إعادة طباعتها وبخاصة أن الطلاب يصورونها وليست لائقة للقراءة، و (نفحات العناية) مخطوطة.

ولا يعرف قدر هذا الكتاب إلا المخالط له دراسة وعملاً!

وفيما يلي أسوق لكم قصة أربعة اجتمعوا علىٰ العمل به فنفعهم غاية النفع، جاء في (العرف العاطر) للسيد العلامة أبي المراحم عبد الرحمن ابن مصطفىٰ بن شيخ العيدروس – رحمة الله عليه –:

قال السيد أحمد بن علي با هارون الجنيد في شرح قصيدة مدهر: لما دخل الحبيب عبد الرحمن بن مصطفىٰ العيدروس إلىٰ المدينة والحبيب شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن الجفري والحبيب أبو بكر بن حسين بن عمر بلفقيه صاحب آشي والمعلم الشيخ محمد ابن عبد الله با غريب تعاهد هؤلاء الأربعة أن يقرؤوا (بداية الهداية) لحجة الإسلام الغزالي ويعملوا بما فيها فأبرموا العهد عند قبر النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – ووقع لكل منهم فتوح ومنوح، وظهرت لهم أحوال ومقامات وتجلت لهم حقائق وكرامات.

قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس في تذكير الناس: ثم ورد لهم الإذن من الحضرة المحمدية بالتفرق، فأما الحبيب شيخ بن محمد الجفري فأمره صلىٰ الله عليه وآله وسلم بالتوجه إلىٰ مليبار، وأما الحبيب أبو بكر بلفقيه أمره بالتوجه إلىٰ آشي (جزيرة من جزر جاوة) وأما الحبيب عبد الرحمن بن مصطفىٰ العيدروس فأمره بالتوجه إلىٰ مصر.. أما المعلم محمد بن عبد الله با غريب طرقته جَذْبَةُ رحمةٍ فخرج إلىٰ تريم يكاشف بالمغيبات وهو ذاهل (ص ٢٩-٣١ من العرف العاطر).

كيف لا يكون لهذا الكتاب قدرٌ وشأن وما كتبه الإمام حجةُ الإسلام إلا بعد كتابة الإحياء؟! و (الإحياء) إن كان الزبدة فالذي بين أيدينا زبدة الزبدة، ونقاوة النقاوة بحق!!

* وجوه العناية بالكتاب:

- ضبط المشكل.
- شرح الغريب.
- تخريج الآيات.
- العناية ببعض الآثار اللافتة للنظر.
- نقل نقاش وفوائد وتعليقات نافعة من الشرح الكبير المخطوط عند الإحالة عليها.
- المقابلة مع النسخة التي اعتنت بها دار المنهاج وطبعتها عام ١٤٢٥هـ ورمزت لها بـ (م)، وأشكر لأهلي التي أعانت علىٰ المقابلة.

وبإثبات المستحسن من النسختين يتضح نفاسة النسخة التي بين أيديكم وهذا من توفيق الله وفضله.

- أشير عند التعليق بالهامش إلىٰ المرجع والمصدر دون تفصيل الطبعة والسنة، لأني جعلت الحديث عن ذلك مفصلاً في قسم: المراجع والمصادر.
- جعلت ترجمتين في البداية: الأولىٰ للمصنف حجة الإسلام الغزالي، والثانية مختصرة للشارح الإمام الفاكهي.
- صَوَّرت أول الشَّرحين وآخرهما لتتبين للقارئ حالة الشرحين.

وقد كانت مُدّةُ العناية والتعليق في غضون سبعة أشهر مع وظائفي والتزاماتي، وأسأل الله تعالىٰ أن ينفع بها الكاتب والقارئ والناشر وكل من يعين علىٰ العمل بمضمونها.

وما كان من صواب فمن الله وتوفيقه وإن كان غير ذلك فمني ومن

الشيطان ورحم الله من سَدَّدَ وبَصَّر، وأرشد وذكَّر.

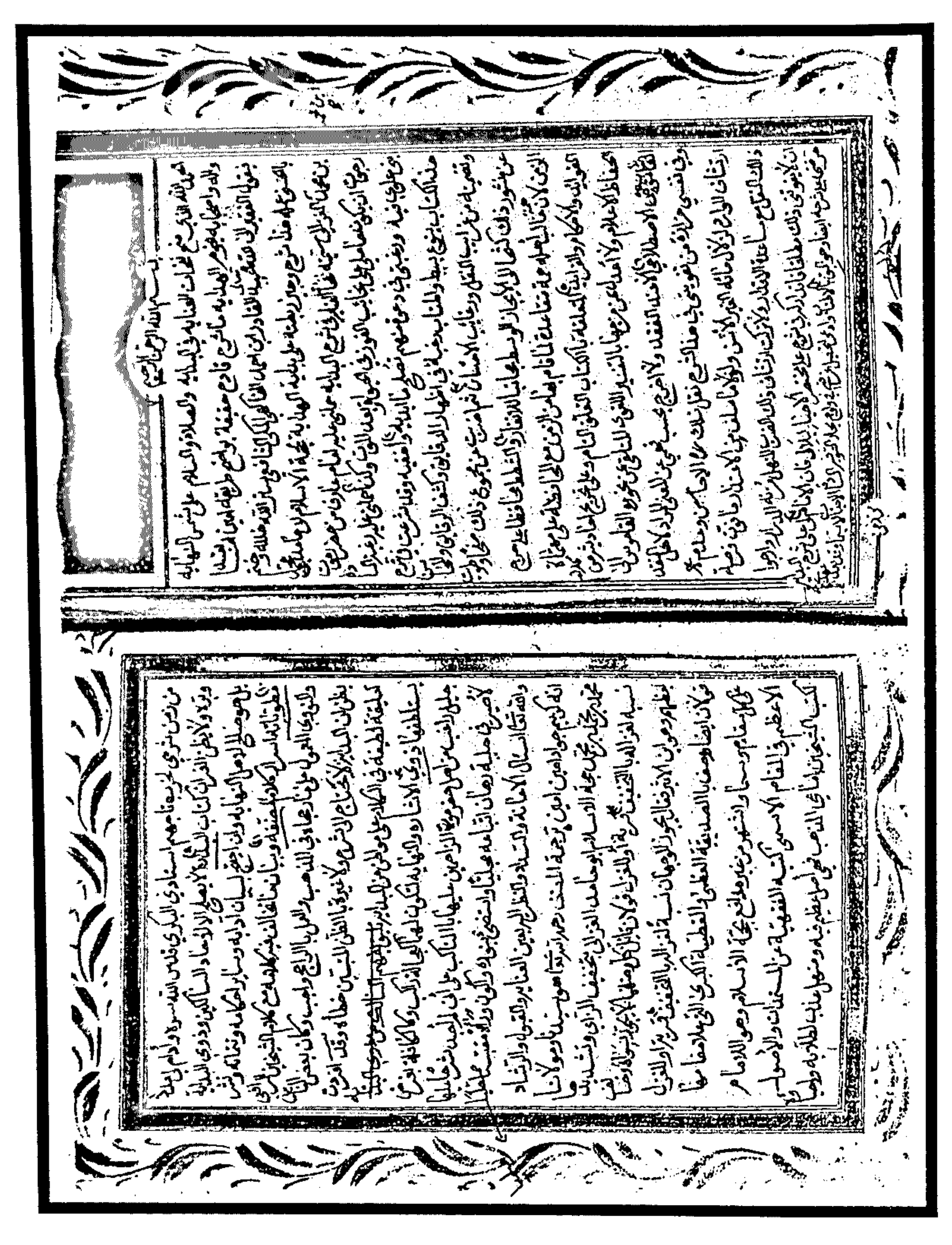
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ويُتقرَّب إليه بوجوه المحامد وألوان الطاعات، تقبل رَبِّ بوجاهة خير البريات وسيد السادات، واختم لنا بالحسنىٰ وكمالها عند الممات آمين آمين آمين.

كتبه المعتني طالب رضىٰ الغني

محمد ياسر القضماني

الاثنين ٧ من ربيع الأول الأنور ١٤٢٨هـ

الموافق لـ ٢٦/٣/٢٠٠٧ م



الصفحة الأولىٰ من مخطوط الشرح الكبير للفاكهي علىٰ بداية الهداية

واسمه : نفحات العناية بشرح بداية الهداية


وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين كذا في بعض نسخ البداية
ختام بالحمد والتصلية والسلام على خير الانام صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله تم الكتاب والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الرحيم

وقد كان الفراغ من شرح البداية الكبير المسمى نفحات العناية
على يد الحقير سليمان ابن محمد بن مصطفى بن محمد الميداني البعلبكي
مولداً في ... في ١٠٢٣ سنة في شهر جمادى الاول
نهار الجمعة عند صلاة الظهر عفى الله عنه وعن والديه
وعن صاحبه وقاريه والمسلمين أجمعين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
آمين آمين
آمين

هذه من روايات مسلم
اللهم اجعل في بصري نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً وفي
لحمي نوراً وفي دمي نوراً وفي شعري نوراً وفي بشري نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً
وفوقي نوراً وتحتي نوراً وامامي نوراً وخلفي نوراً واجعل في نفسي نوراً وعظم لي نوراً اللهم
اعطني نوراً وفي قبري نوراً رواية الطبراني والترمذي والبيهقي كذا في هذا الشرح

الصفحة الأخيرة من : نفحات العناية

شرح الإمام العلامة والحبر البحر الفهامة الشيخ
عبد القادر بن أحمد الفاكهي
المسمى الكفاية في شرح بداية
الهداية لحجة الإسلام
الغزالي نفع
الله بهما
آمين

وبهامشه شرح عقيدة الإمام الغزالي أيضا لزبدة العالم العامل المحقق أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الشهير بالشيخ زروق الفاسي الشاذلي ثم يتلوه في الهامش أيضا شرح عقيدة الإمام اليافعي للعلامة المحدث محمد بن عمر الشهير بالشيخ بحرق الحضرمي نفع الله بالجميع في الدنيا والآخرة

[الصفحة الأولىٰ من الشرح الصغير للإمام الفاكهي علىٰ بداية الهداية
واسمه : الكفاية في شرح بداية الهداية، وهو كتابنا المعتنىٰ به]

(لتعلمن ما تظن) بظنك الفاسد (أنه يوصلك إلى بغيتك) فإن تعلم أهل الحق
منك لا يجدى بحيث لم ينفع فيك ما أسلفنا في البداية أو ودعنا في الاحياء
الذي هو النهاية (ثم اعلم) مع هذا (أنك قط) أي أبدا (لا تصول الملك) أي
منه لو فرضنا أنك ملك (في محلتك فضلا عن قريتك و بلدك) والمحلة كالحارة
والساحة ذات الدور المتقاربة والقرية أكبر منها والبلد أكبر من القرية
والمصر أكبر من الكل والقطر أكبر منه (ثم تفوتك به) بذلك الملك ملك المحلة
أو القرية أو البلد (الملك المقيم) في الدار الآخرة (والنعيم الدائم في جوار رب
العالمين) نعيم الجنة والشهود والخلود وما أحسن هذا الختام بهذا الخطاب
وفي نسخة زيادة (والحمد لله رب العالمين) قال بعض المتأخرين وهي
أكمل صيغ الحمد (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين) كذا في بعض نسخ
البداية الختام بالحمد والتصلية والسلام
على خير الانام صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم والحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كا
لنهتدي لولا
أن هدانا
الله
(نيم)

أن لو كنت طفلا ولا أعرف
الله تعالى كذا نقله في
المنهاج فانظره ثم قال رضي
الله عنه (ولا بد من تقويته
واثباته في نفس الصبي
والعامي) يعني بما يصح
ثبوته من دلائل الصنع
العامة وشواهد الحق
الواضحة في المعرفة
والتصريف وذكر المعجزات
والآيات وما في معنى ذلك
بوجه تقريبي (حتى يرسخ)
أي يثبت ثباتا لا يتغير معه
ولا يتحول (ولا يتزلزل) ولا
يقبل التزلزل لتمكنه وهذه
أدنى درجات المعرفة التي
ينال العبد ما ناله معها في
جناب الله تعالى ويكون
ايمانه قريبا من عيانه كما
وقع للسحرة حين توعدهم
بعد ما آمنوا بالله إذ قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا فاقض ما أنت
قاض انما تقضي هذه
الحياة الدنيا انا آمنا بربنا
الآية فافهم

الصفحة الأخيرة من : الكفاية

أبو حامد الغزالي

(٤٥٠-٥٠٥)

■ **اسمه ونسبه :**

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام وزين الدين.

■ **مولده وشيء عن نشأته :**

ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس فلما حضرته الوفاة أوصىٰ به وبأخيه أحمد إلىٰ صديق له متصوف من أهل الخير، وقال: إن لي تأسفاً عظيماً علىٰ تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين فأقام بهما، وعلمهما الخط، وأدبهما إلىٰ أن فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعذر علىٰ الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من أهل التجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما وأصلحُ ما أرىٰ لكما أن تلجآ إلىٰ مدرسة ؛ فإنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما علىٰ وقتكما ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما، وعلو درجتهما.

وكان الغزالي يحكي هذا، ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله! (إتحاف الزبيدي ١/٧).

■ **شيوخه :**

١) في الفقه :

في صباه قرأ ببلده (طوس) علىٰ الشيخ أحمد بن محمد الراذكاني.

ثم سافر إلىٰ جرجان فقرأ علىٰ الإمام أبي نصر الإسماعيلي وعلق عنه (التعليقة) في الفقه.

ثم سافر مع مجموعة من الطلبة إلىٰ نيسابور فلازم إمام الحرمين، ومن زملائه في الدراسة عليه: الكيا الهراسي (ت ٥٠٤) وأبو المظفر الخوافي (ت بطوس ٥٠٠).

٢) في الحديث :

أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي.

الحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي.

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري.

محمد بن يحيىٰ بن محمد السجاعي الزوزني.

الحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني.

نصر بن إبراهيم المقدسي (علىٰ قول الذهبي، وقال غيره: لم يدركه).

٣) في التصوف :

الإمام الزاهد أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي (من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة توفي بطوس سنة ٤٧٧هـ).

ومن مشايخه أيضاً يوسف السجاج. (الإتحاف ١/١٩).

- **من ثناء شيوخه :**

كان إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (المولود في ١٨ من المحرم ٤١٩هـ والمتوفىٰ في ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٤٧٨ هـ) يصف تلامذته فيقول: الغزالي بحر مغرق، والكيا أسد مخرق، والخوافي نار تحرق.

■ **من تلامذته :**

عَدَّ العلامة الزبيدي في ترجمة الإمام الغزالي في إتحاف السادة المتقين ١/٤٤-٤٥: ستة وعشرين ممن انتفعوا بالإمام كانوا ممن أفاد ودرس.

من أشهرهم :

١) الإمام أبو سعيد محمد بن يحيىٰ بن منصور النيسابوري، وقد شرح كتابه البسيط، استشهد في رمضان ٥٤٨هـ.

٢) الأستاذ أبو طالب عبد الكريم بن علي بن أبي طالب الرازي، تفقه علىٰ الغزالي ببغداد، وكان أبو طالب يحفظ الإحياء سرداً علىٰ القلب، توفي بمرو الرُّوذ سنة ٥٢٨هـ.

٣) أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي بن مقلاص الدينوري من كبار تلامذة الغزالي في الفقه، روىٰ عنه ابن عساكر توفي سنة ٥٣٣هـ.

٤) أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان كان حنبلياً ثم انتقل وتفقه علىٰ الشاسي وأبي حامد الغزالي والكيا، وكان يدرس في النظامية في أنواع العلوم، وكان يدرس لهم في الإحياء في نصف الليل.

٥) جمال الإسلام أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد بن علي

السلمي لازَمَ الغزالي مدة مقامه بدمشق وأخذ عنه.

يُحكىٰ أن الغزالي قال بعد خروجه من الشام: خلَّفت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن! يعني جمال الإسلام هذا. فكان كما تفرَّس فيه؟ وممن روىٰ عنه الحافظ بن عساكر والحافظ السِّلَفي وغيره.

■ رحلاته ووظائفه:

- عام ٤٧٨هـ خرج بعد وفاة شيخه إمام الحرمين إلىٰ المعسكر - ميدان فسيح بجوار نيسابور أقام فيه نظام الملك معسكره - فناظر الأئمة وقهرهم، ولقي التعظيم من نظام الملك.

- ٤٨٤هـ (في جمادىٰ الأولىٰ) توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك.

- ٤٨٨هـ (في ذي القعدة) ترك التدريس في النظامية وتزهد، واستناب أخاه أحمد للتدريس بالنظامية.

(قصة التزهد والسياحة)

قال الزبيدي (الإتحاف ١/٨): ورأيت في بعض المجامع أن سبب سياحته وزهده أنه كان يوماً يعظ الناس فدخل عليه أخوه أحمد فأنشده:

أخذتَ بأعضادهم إذا وَنَوا ... وخلَّفكَ الجَهْدُ إذ أسرعوا

وأصبحت تَهدي ولا تهتدي ... وتسمع وعظاً ولا تسمع

فيا حجَرَ الشعر حتىٰ متىٰ ... تسنُّ الحديد ولا تقطع

وقال المناوي (طبقات الصوفية ٢/٢٩٣): رآه بعضهم في البرية، وعليه مرقعة، وبيده ركوة وعكاز بعد أن كان رآه يحضر مجلسه ثلاثمائة مدرِّس ومائة من أمراء بغداد، فقال: يا إمام أليس تدريس العلم أولىٰ؟

فنظر إليه شزراً، وقال: لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة وجَنَحَت شمس العقول إلىٰ مغرب الوصول:

تركتُ هوىٰ ليلىٰ وسُعدىٰ بمعزل وعدتُ إلىٰ مصحوب أول منزل

ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوىٰ رويدَك فانزل

أقول: وكلُّ أَحَدٍ في حاجة لخلوة ومحاسبات ورعايات لهذه النفس، وبخاصة من تكثر مخالطاتهم ومعاشراتهم، وفَرْقٌ أن يهجر الإنسان العلم وبين أن يهجر التصدُّر فترة لعائدة أكبر، وفائدة أجدىٰ، وقد مَرَّ معنا من تلامذة الإمام الغزالي من انتفع به في الشام في فترة المحاسبات والرعايات.

- ٤٨٩هـ قدم دمشق وأقام بها يويمات يسيرة.

ثم توجه إلىٰ بيت المقدس فجاور به مدة قال في الأنس الجليل ١/٢٩٩: (مجتهداً في العبادة والطاعة وزيارة المشاهد، والمواضع العظيمة، وأخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس فيقال إنه صنف في القدس إحياء علوم الدين (المشهور أنه بدأ فيه ؛ ولكن الإتمام في دمشق) وأقام بالزاوية التي علىٰ باب الرحمة المعروفة قبل ذلك بالناصرية شرقي بيت المقدس فسميت الغزالية نسبة إليه، وقد خربت ودثرت. اهـ

وقد كتب في القدس: الرسالة القدسية في قواعد العقائد لأهل بيت المقدس وضمنها في (الإحياء).

ومن القدس توجه إلىٰ الخليل لزيارة مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –.

- ٤٨٩هـ في أواخرها عاد إلىٰ دمشق من رحلته إلىٰ القدس والخليل واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع الأموي وكان يغلق بابها علىٰ

نفسه، واستمر في دمشق إلىٰ ذي القعدة سنة ٤٩٠هـ وصحب الفقيه نصر ابن إبراهيم، وأتم كتاب الإحياء.

- ٤٨٩هـ (ذي الحجة أو أواخر ذي القعدة) تحركت فيه داعية الحج فسافر إلىٰ الحجاز.

- ٤٩٠هـ (في الشهور الخمسة الأولىٰ منها) مَرَّ ببغداد في طريقه إلىٰ خراسان، وهنا اجتمع به أبو بكر بن العربي في جمادىٰ الآخرة، ولم يُطل في بغداد بل مضىٰ إلىٰ خراسان ودرس مدة في طوس، ثم ترك التدريس والمنَاظرة، واشتغل بالعبادة وآثر العزلة قرابة ٩ سنين.

- ٤٩٨هـ عين حاكمُ مدينة نيسابور (سنجر) في ربيع الآخر فخرَ الملك علي بن نظام الملك وزيراً له في خراسان فألح علىٰ الغزالي في معاودة التدريس فعاد إلىٰ التدريس في نظامية نيسابور.

- ثم عاد حجة الإسلام إلىٰ بيته واتخذ في جواره مدرسة للطلبة وخانقاه للصوفية، ووزع أوقاته علىٰ وظائف الحاضرين: مِنْ ختم القرآن، ومجالسة ذوي القلوب.

- ٥٠٥هـ (يوم الإثنين ١٤ من جمادىٰ الآخرة الموافق لـ ١٨ ديسمبر سنة ١١١١م توفي أبو حامد الغزالي بطوس، ودفن بظاهر قصبة الطابران ولم يُعقِّب إلا البنات. وقبره إلىٰ شرقي ضريح الإمام الرضا وقبر الفردوسي (ر: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي ٢١-٢٥).

- **من ثناء الأعلام علىٰ حجة الإسلام :**

- قال ابن الجوزي (المتوفىٰ ٥٩٧هـ) في كتابه المنتظم ١٧/١٢٤-١٢٥ :

برع في النظر في مدة قريبة، وصنف الكتب الحسان في الأصول

والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها، حتىٰ إنه صنف في حياة أستاذه الجويني، فنظر في كتابه المسمىٰ بالمنخول فقال له: دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتىٰ أموت؟.

• وقال ابن الصلاح (المتوفىٰ ٦٤٣هـ) في كتابه طبقات الفقهاء الشافعية ١/٢٤٩:

الإمام الفقيه المتكلم النظار المصنف الصوفي.

• وقال النووي (المتوفىٰ ٦٧٦هـ) في كتابه بستان العارفين ص ١٩٦:

سمعت شيخنا البتليسي - حفظه الله - مرات يقول: أحصيت كتب الغزالي - رحمه الله تعالىٰ - التي صنفها ووزعت علىٰ عمره فخصت كل يوم أربع كراريس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

• وقال الذهبي (المتوفىٰ ٧٤٨هـ) في كتابه سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢-٣٢٣:

الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين.. صاحب التصانيف، والذكاء المفرط.

• وقال صلاح الدين الصفدي (المتوفىٰ ٧٦٤هـ) في كتابه الوافي بالوفيات ١/٢٧٤:

حجة الإسلام زين الدين.. لم يكن في آخر عصره مثله.

• وقال تاج الدين السبكي (المتوفىٰ٧٧١هـ) في كتابه طبقات الشافعية الكبرىٰ ٦/١٩١-١٩٣:

حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلىٰ دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم.

جرت الأئمة قبله بشأو، ولم تقع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبداية.

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

حتىٰ أخمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السُّها، وأخمد نيران البدع كل ما لا تستطيع أيدي المجالدين مَسَّها.

كان ـ رضي الله عنه ـ ضرغاماً، إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارىٰ، وبدراً تماماً إلا أن هداه يشرق نهاراً، وبشراً من الخلق، ولكنه الطود العظيم، وبعض الخلق، لكن مثل ما بعض الحجر الدُّرُّ النظيم.

جاء والناس إلىٰ ردِّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء، وأفقر من الجدباء إلىٰ قطرات الماء، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاء مقاله ويحمي حوزة الدين، ولا يلطخ بدم المعتدين حدَّ نضاله، حتىٰ أصبح الدين وثيق العرىٰ، وانكشفت غياهب الشبهات، وما كانت إلا حديثاً يفترىٰ.

هذا مع ورع طوىٰ عليه ضميره، وخلوة لم يتخذ فيها غير المطالعة سميره، وتجريد تراه به وقد توحّد في بحر التوحيد وباهىٰ:

ألقىٰ الصحيفة كي يخفف رَحْله   والزاد حتىٰ نعلَه ألقاها

ترك الدنيا وراء ظهره، وأقبل علىٰ الله يعامله في سرِّه وجهره.

• وقال جمال الدين الأسنوي (المتوفىٰ ٧٧٢هـ) في كتابه طبقات الشافعية ٢/١١١:

إمام باسمه تنشرح الصدور، وتحييٰ النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس.

• وقال ابن كثير (المتوفىٰ ٧٧٤ هـ) في كتابه البداية والنهاية ١٢/١٧٣-١٧٤:

برع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته حتىٰ أنه درس بالنظامية ببغداد في سنة ٨٤ (أي ٤٨٤) وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل وهما من رؤوس الحنابلة فتعجبوا من فصاحته واطلاعه.

• وقال ابن قاضي شهبة (المتوفىٰ ٨٥١هـ) في كتابه طبقات الشافعية ١/٢٩٣:

الإمام حجة الإسلام زين الدين، أخذ عن الإمام (أي إمام الحرمين) ولازمه حتىٰ صار أنظر أهل زمانه، وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف.

• وقال المناوي (المتوفىٰ ١٠٣١هـ) في كتابه الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٢/٢٩١-٢٩٥:

بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وحَبْر سَمَا علىٰ السَّما وأين للسما مثل ماله من الأزاهر انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الإسلامية، وانتظمت بدُرّه النظيم ثغور الشرعة المحمدية فغاص من العلوم في بحار عميقة، وراض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة وناهيك بشهادة العارف أبي العباس المرسي – رضي الله عنه – في حقه بقوله:

إنا لنشهد له بالصديقية العظمىٰ.

وقال العارف أبو الحسن الشاذلي – رضي الله عنه – لأصحابه: إذا عَرَضتْ لكم إلىٰ الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالي – رضي الله عنه –.

وقال الشيخ الأكبر ابن عربي – رضي الله عنه –: حجة الإسلام الغزالي من رؤساء أهل الطريق.

وكان شديد الذكاء، عجيب الفطنة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غوَّاصاً علىٰ المعاني الدقيقة، عالي الرتبة، زائد الحشمة، تضرب بكماله الأمثال، وتشد إليه الرحال، حتىٰ عزفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه، وترك ذلك وراء ظهره، وأقبل علىٰ قدم الفقر والتجريد بعد الحج والتقديس.

قال العارف الشاذلي – رضي الله عنه – رأيت المصطفىٰ – صلىٰ الله عليه وسلم – في المنام باهىٰ عيسىٰ وموسىٰ – عليهما السلام – بالغزالي، وقال: هل في أُمَّتكما مثله؟ قالا: لا.

- وقال ابن العماد الحنبلي (المتوفىٰ ١٠٨٩هـ) في كتابه شذرات الذهب ٦/١٨-١٩:

زين الدين حجة الإسلام أحد الأعلام، صنف التصانيف مع التصوُّن والذكاء المفرط والاستبحار في العلم وبالجملة ما رأىٰ الرجل مثل نفسه.

- وقال الزبيدي (المتوفىٰ ١٢٠٥هـ) في إتحاف السادة المتقين ١/١٠:

يروىٰ عن بعضهم قال: الأقطاب ثلاثة: قطب العلوم كحجة الإسلام الغزالي، وقطب الأحوال كأبي يزيد البسطامي، وقطب المقامات كعبد القادر الجيلاني.

نقلته من كتاب: القصد والسداد في مناقب القطب السيد عبد الله باحداد، وفيه أيضاً من كلمات المترجَم – قدس سره –:

هذا الثوب نَسَجَهُ الغزالي وقصره عبد القادر الجيلاني أو قال الشعراني أو هما ونحن خيطناه ونقشناه وأين من يلبسه؟.

وقال محمد بن يحيىٰ النيسابوري تلميذ الغزالي: لا يعرف الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله.

- وقال السيد الشريف أحمد بن زين الحبشي باعلوي (المتوفىٰ١١٤٥هـ) في كتابه شرح العينية ص ٨٥-٨٦:

الإمام حجة الإسلام، عالم العلماء الأعلام، وارث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حسنة الدهور والأعوام، زين الملة والدين، مجدد طريقة سيد المرسلين، مقتدىٰ الأمة أجمعين، حظي من الله في جميع أحواله، من حسن التصانيف وجودتها، وجزالة العبارة وسهولتها، وحسن الإشارة، وكشف المعضلات، ومن التبحر في جميع العلوم، ورسوخ القدم فيها، مع ما خصه الله سبحانه وتعالىٰ به من حسن السيرة، وطهارة السريرة، وكمال الاستقامة، وحقيقة الزهد، والعزوف عن الدنيا، والإعراض عن جاهاتها، مع تيسيرها واطراح حَشَمها، ومن علو المراقي العرفانية، والتغلغل في العلوم الحقّانية والإشراف علىٰ غايات الغايات من العلوم العقلية، والمذاهب المختلفة الفاسدة والحقيقية.

- من ثناء المعاصرين وجهودهم في التعريف بالإمام الغزالي:

عقدت في الشرق والغرب مؤتمرات كثيرة وبحوث ورسائل علمية للتعريف بشخص الإمام حجة الإسلام الغزالي ومنزلته وعلومه ومعارفه، ومن هذه المهرجانات المهرجان الذي أقيم في دمشق في الذكرىٰ المئوية التاسعة لميلاده في المدة من ١١ إلىٰ ١٥ من شوال سنة ١٣٨٠ الموافقة ٢٧ إلىٰ ٣١ من مارس سنة ١٩٦١، وكان أن توجهت دعوات إلىٰ دول عديدة وجامعات ومجامع في الشرق والغرب ولبعض المستشرقين وطبعت

الكلمات في (٨٦٤) صفحة ؛ أقبِسُ لكم جملة:

جاء في ص (٤١١) يقول المستشرق الكبير مكدونالد بعد أن درس الغزالي دراسة جدية: إن المسلمين لَمَّا يفهموا حقيقة الغزالي!

يقول الأستاذ علي أبو بكر (معلقاً): فناهينا بهذا اللفظ اعترافاً منه بأن أبا حامد من أكبر مجددي العالم.

يقول الأستاذ أنور الجندي – رحمه الله – في كتابه الجباه العالية ص ٦٢:

وقد لفتت كتابات الغزالي أنظار الباحثين والمستشرقين فتناولوها بالدراسة منهم (دي هامير) في ترجمة كتاب (أيها الولد)، وترجم (شمولدرز) نصَّ رسالة (المنقذ من الضلال).

وقد نقلت كتبه إلىٰ اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر.

أقول: المطلع علىٰ الدراسات علىٰ كتب الإمام يجد ترجمات للغات كثيرة، وقد ترجم الإحياء مثلاً – إلىٰ الألمانية والإسبانية والفارسية والتركية والأردية، وهناك ترجمات لبعض الكتب بالعبرية.

■ **مصنفات الإمام حجة الإسلام:**

مَرَّ معنا أنه أُحصيت كتب الغزالي – رحمه الله – التي صنفها ووزعت علىٰ عمره فخصت كل يوم أربع كراريس نقل ذلك الإمام النووي عن شيخه البتليسي! – رحمهما الله –!

ولما أحصىٰ الإمام الزبيدي كتب الإمام علىٰ حروف الهجاء بلغت عنده ثمانين كتاباً. انظرها في الإتحاف ١/٢٧-٤٤.

وقد كتب الأستاذ عبد الرحمن بدوي كتاباً مفرداً في مؤلفات الغزالي وجعل قسماً: للكتب المقطوع بصحة نسبتها إلىٰ الإمام وقسماً: للمشكوك

في نسبتها وقسماً: للمرجَّح أنها ليست له، وقسماً: للمنحولة له وغير ذلك، فلنشر هنا من دراسته للثابت منها.

○ **الكتب الثابتة للإمام – رحمة الله عليه – :**

- المنخول في الأصول.
- البسيط في الفروع.
- الوسيط.
- الوجيز.
- خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر (أصغر تصانيفه في الفقه).
- المنتحل في علم الجدل.
- مآخذ الخلاف.
- لباب النظر.
- تحصين المآخذ (في علم الخلاف).
- كتاب المبادئ والغايات (في أصول الفقه).
- كتاب شفاء الغليل في القياس والتعليل.
- فتاوىٰ الغزالي.
- فتوىٰ في شأن يزيد بن معاوية (تنفي ما نسب للإمام من رائحة التشيع).
- غاية الغور في دراية الدَّور (في المسئلة السريجية وخلاصتها: أن يقول الرجل لزوجته: إن طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثاً ثم يقول: أنت طالق فقال ابن سريج: إنه لا يقع شيء بسبب الدور، وقال الغزالي بعدم وقوع الطلاق ثم رجع وأفتىٰ بوقوعه بعنوان:

- غور الدور في المسئلة السريجية.
- مقاصد الفلاسفة.
- تهافت الفلاسفة.
- معيار العلم في فن المنطق.
- محك النظر في المنطق.
- ميزان العمل.
- كتاب المستظهري في الرد علىٰ الباطنية.
- قواصم الباطنية.
- الاقتصاد في الاعتقاد.
- الرسالة القدسية في قواعد العقائد.
- المعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية. وورد بعنوانات مختلفة: المعارف العقلية والأسرار الإلهية والمعارف العقلية والحكم الإلهية.
- إحياء علوم الدين.
- كتاب في مسئلة كل مجتهد مصيب (وذكر أنه أَلَّفه في دمشق).
- جواب الغزالي في دعوة مؤيد الملك له لمعاودة التدريس بالنظامية في بغداد.
- جواب مفصل الخلاف.
- جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية بهمدان من الشيخ الأجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. (نشرته مجلة المنار في عدد ٢٩ شعبان ١٣٢٦ الموافق لـ ١٩٠٨/٩/٢٥.

- المقصد الأسنىٰ بشرح أسماء الله الحسنىٰ.
- بداية الهداية.
- جواهر القرآن.
- الأربعين في أصول الدين (وهو القسم الثالث من كتاب (جواهر القرآن) يفرد أحياناً علىٰ حدة بهذا العنوان.
- كتاب الدرج المرقوم بالجداول (ذكره الغزالي في المنقذ وجعله من بين ما كتبه ضد الباطنية).
- القسطاس المستقيم (ذكره الغزالي في المنقذ وقال عنه: وهو كتاب مستقل بنفسه).
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.
- القانون الكلي في التأويل وبعنوان: القانون الكلي.
- كيمياىٰ سعادت (فارسي) أشار إليه الغزالي في المنقذ، ويقال إنه ترجم فيه كتاب الإحياء.
- أيها الولد (رسالة فارسية) عربها بعض العلماء، وسمي أيضاً: الرسالة الولدية ونصيحة التلميذ، وطبع بعنوان: خلاصة التصانيف في التصوف.
- نصيحة الملوك (أصله بالفارسية) وله عدة عناوين: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، التبر المسبوك في نقل نصيحة الملوك، خريدة السلوك في نصيحة الملوك.
- زاد آخرت (بالفارسية) قال في مقدمته لمن يعرف العربية يكفي ما ذكرنا في بداية الهداية.

- رسالة إلىٰ أبي الفتح أحمد بن سلامة الدِّممي بالموصل وتسمىٰ باسم الوعظية و الرسالة الوعظية ومواعظ الغزالي.

- رسالة إلىٰ بعض أهل عصره (أورد نصها السبكي في طبقاته ج ٦ ص ٢٦٠-٢٦٨).

- مشكاة الأنوار وطبع باسم مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار وكاشف الأنوار ومصفاة الأسرار ويخلط بعضهم بينه وبين: مشكاة الأنوار في لطائف الأخيار للشهير بابن الفقيه الحافظ المتوفىٰ سنة ٨٧٧هـ.

- تفسير ياقوت التأويل (ذكره الزبيدي وغيره).

- الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين.

- تلبيس إبليس (وذكر حاجي خليفة عنوان: (تدليس إبليس) فلعلهما كتاب واحد.

- المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال (وذكر أنه ألفه بعد أن تولىٰ التدريس بنظامية نيسابور وبعد أن بلغ الخمسين).

- تهذيب الأصول (يميل إلىٰ الاستقصاء والاستكثار علىٰ حد تعبير الغزالي واقترح أن يُكتب كتاب دونه وفوق (المنخول) لميله إلىٰ الإيجاز والاختصار.

- حقيقة القولين (يدافع فيه عن الشافعي).

- كتاب أساس القياس (ذكره في المستصفىٰ وهو يتحدث عن البسملة وهل هي من القرآن).

- المستصفىٰ من علم الأصول.

- الإملاء علىٰ مشكل الإحياء (ويسمىٰ الإملاء في إشكالات الإحياء

والإملاء في مشكلات الإحياء والإملاء علىٰ مشكل الإحياء والأجوبة المسكتة علىٰ الأسئلة المبهتة). وهو مؤلف لطيف أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه في كتابه.

- الاستدراج (ذكره الغزالي في كتاب الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة).
- الدُّرَّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة.
- أسرار معاملات الدين (ذكره الغزالي في كتاب منهاج العابدين).
- رسالة الأقطاب.
- إلجام العوام عن علم الكلام، وله عنوان: رسالة في مذهب أهل السلف وذكر أنه فرغ من تأليفه أوائل جمادىٰ الآخرة سنة ٥٠٥ أي قبيل وفاته بقليل.
- منهاج العابدين إلىٰ جنة رب العالمين.

■ **ذكر فتوىٰ من فتاواه غير ما تضمنته فتاويه المشهورة:**

في إتحاف الزبيدي ١/١٤-١٥: سئل ما قوله فيمن يغتاب كافراً أيأثم بذلك أم لا؟ وهل يفترق الحال بين الذمي والحربي، وفيمن يغتاب مبتدعاً بغير بدعته أيحرم أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق:

الغيبة المنهي عنها: هي أن يذكر المغتاب بما يكرهه إذا سمعه؛ وإن كان صادقاً، وهو في حق المسلم محذور لثلاث علل: إحداها ما فيه من الإيذاء إن سمعه، أو يضيق بسببه إن لم يسمعه، والثانية: أن فيه تنقص ما هو فعل الله تعالىٰ، فإن الله عز وجل هو خالق الخلق وهو خالق صفاتهم

وأفعالهم وأخلاقهم، حتىٰ يُنهىٰ بسبب هذا عن مذمة الأطعمة الرديئة وتنقصها والثالثة: أنه يضيع الوقت بما لا يعني، وهو جار في النطق بما ليس فيه غرض صحيح، والعلة الأولىٰ تقتضي التحريم، فإن إيذاء المسلم حرام، والثانية تقتضي الكراهة وهو يطَّرد في الأطعمة والحيوانات، والثالثة: يقال إن تركه أولىٰ وهو رتبة دون الكراهة، فُهم ذلك من قوله — صلىٰ الله عليه وسلم -: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ؛ فإذا فهم هذا في المسلم فالكافر: إن كان حربياً فإيذاؤه ليس بحرام، إذ لا عصمة له فتزول علة التحريم ويبقىٰ أنه تنقص لما هو من خلق الله تعالىٰ، فإن كان ذلك تعرضاً لذميم أخلاقه لا لنشأة خلقته، وانضم إليه الإشعار، وقال ذلك من أثر ضلاله وكفره تنفيراً عن الكفر وتحقيراً له ببيان إنه مما ينتج الأخلاق السيئة فهذا لا كراهية فيه، وإن لم يكن علىٰ هذا القصد، ولا مع هذا الإشعار ولم تكن فيه فائدة التنبيه من تحذير وتحقير فالكراهة فيها أخف وإنما لا تستشعر النفس فيها كراهة لأنه يسبق إليها أن مذمته مذمة الكفر وإشارة إليه، وقد سبق أن ذلك لا بأس به، وهذا بأن يكون مندوباً أشبه من أن يكون مكروهاً. وأما التعرض لبشرة خلقته فالكراهة فيها أخف من التعرض للأطعمة والبهائم، لأنه مما استحق إيذاؤه، ويمكن أيضاً أن يوهم أن ذلك من شؤم ضلاله، وأنه عذاب له علىٰ كفره.

وأما الذمي: فهو كالمسلم فيما يرجع إلىٰ المنع من الإيذاء؛ لأن الشرع عصم عرضهم كما عصم دمهم وأموالهم.

وأما المبتدع: إن كفر فهو كالحربي، وإن لم يكفر فهو كالمسلم، وأما ذكره ببدعته فليس مكروهاً، وكذا ذكر أخلاقه في معرض التعليل بشؤم البدعة فلا بأس به، فأما ذكر خلقته فلا وجه له.

والله أعلم كتبه الغزالي

■ **من غرر كلام حجة الإسلام :**

لا ينقضي عجب المتأمل في كلام الإمام الغزالي – رحمة الله عليه – فهو البحر المقتدر علىٰ التفنن في ضروب الكلام ومناحيه في العلوم والمعارف، ورأيت أن أقبس شيئاً من كلامه من بعض كتبه كغيض من فيض فإليك بعضها:

- قال – رحمة الله عليه-:

أرباب البصائر ماراأوا شيئاً إلا رأوا الله معه، وربما زاد علىٰ هذا بعضهم فقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، لأن منهم من يرىٰ الأشياء به، ومنهم من يرىٰ الأشياء فيراه بالأشياء. وإلىٰ الأول الإشارة بقوله عز وجل: (أو لم يكف بربك أنه علىٰ كل شيء شهيد) (فصلت /٥٣)، وإلىٰ الثاني الإشارة بقوله عز وجل: (سنريهم آياتنا في الآفاق) (فصلت /٥٣) فالأول صاحب مشاهدة، والثاني صاحب استدلال بآياته عليه، والأول: درجة الصديقين، والثاني: درجة الراسخين، وليس بعدهما إلا درجة الغافلين المحجوبين .

(مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار ص ٤٩)

- ومن قوله الماتع:

واعلم أنه لو خلق فيك شوق إلىٰ لقاء الله، وشهوة إلىٰ معرفة جلاله أصدق وأقوىٰ من شهوتك للأكل والنكاح لكنت تؤثر جنة المعارف ورياضها وبساتينها علىٰ الجنة التي فيها قضاء الشهوات المحسوسة. (جواهر القرآن ص ٥٠)

- ومن كلامه في شرح أسماء الله تعالىٰ:

القابض الباسط هو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات،

ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء، يبسط الرزق على الأغنياء حتى لا يبقي فاقة، ويقبضه عن الفقراء حتى لا يبقي طاقة، ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله، ويبسطها بما يتقرب إليها من برّه ولطفه وجماله.

(المقصد الآسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ ص٨٨)

- ومن كلامه في الرسالة الوَلَدِيَّة وطبع باسم خلاصة التصانيف في التصوف ص ٩٨:

يا ولدي: اسمع كلمة واحدة وتأمل في حقيقتها واعمل بها تجد فيها خلاصك ونجاتك البتة.

إن أخبرت أن السلطان قاصد زيارتك في هذا الأسبوع مثلاً، فأنا أعلم أنك لا تشتغل في هذا الأسبوع بشيء غير إصلاح ما تعلم أن عين السلطان تقع عليه، إذا علمت ما ذكرناه تحققت بالأولىٰ أنه لا ينبغي لك إلا أن تشتغل بإصلاح ما تعلم أنه محل نظر الله تعالىٰ وهو القلب.

- ومن كلامه في التوحيد الخالص واستشعار العبودية:

أؤمن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإني لم أتحرك لكنه حركني وإني لم أعمل لكنه استعملني فأسأله أن يصلحني أولاً ثم يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه.

(المنقذ من الضلال ص ٤١).

- إثارة الشهوة بالمطعومات القوية، والأسباب الباعثة، تضاهي إثارة

سباع ضارية، وبهائم عادية.

(ميزان العمل ص ٣١٧)

- ومن كلامه في الأربعين في أصول الدين ص ٢٥١:

العارف لا يحب إلا الله تعالىٰ، فإن أحب غيره فيحبه لله عز وجل؛ إذ قد يحب المحب عبد المحبوب وأقاربه وبلده وثيابه وصنعته وتصنيفه، وكل ما هو منه وإليه نسبته.

وكل ما في الوجود صنع الله عز وجل وتصنيفه، وكل الخلق عباد الله تعالىٰ، فإن أحب الرسول أحبه لأنه رسول محبوبه وحبيبه، وإن أحب الصحابة فلأنهم محبوبو رسوله، ولأنهم محبوه وعبيده والمواظبون علىٰ طاعته.

وإن أحب طعاماً فلأنه يقوي مركبه الذي به يصل إلىٰ محبوبه، وأعني البدن، وإن أحب الدنيا فلأنه زاده إلىٰ محبوبه، وإن أحب النظر إلىٰ الأزهار والأنهار والأنوار والصور الجميلة فلأنها صنعة محبوبه، وهي دلالات علىٰ جماله وجلاله، ومذكِّرات لصفات المحامد التي هي المحبوبة في ذاتها، وإن أحب المحسن إليه والمعلم إياه علوم الدين، فيحبه لأنه واسطة بينه وبين محبوبه في إيصال علمه وحكمته إليه ويعلم أنه الذي قيضه لتعليمه وإرشاده، والإنفاق عليه من ماله، وأنه لولا تسليط الدواعي إليه واضطراره بسلسلة البواعث والأغراض إلىٰ إرشاده والإنفاق عليه لما فعله.

- ومن فتاواه المنشورة – رحمه الله –:

هل يمنع المحبوس من صلاة الجمعة، والاستمتاع بزوجته، ومحادثة أصدقائه؟

الجواب: إن أصل الحبس إلزام مكان واحد، والمنع من التردد في الأغراض، وذلك إما أن يجب إرهاقاً إلىٰ قضاء حق القدر المحبوس عليه، أو تعزير بعض الجناة إذا رأىٰ القاضي التعزير بالحبس.

والرأي إلىٰ القاضي في تأكيد الحبس بالمنع عن الاستمتاع ومحادثة الأصدقاء، ولا يمنع عن الجمعة إلا إذا كانت المصلحة في منعه من الخروج رأساً، فيجوز المنع منها إذا رآه القاضي.

(الفتاوىٰ لحجة الإسلام الغزالي ص ١٤٧)

- ومن كلامه - رحمة الله عليه - في بدايه الهداية:

من أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين به علىٰ الآخرة فالدنيا مزرعته، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته (ص٢٢٨)

وتحقق أن لهذه البداية نهاية، ووراءها أسرار وأغوار وعلوم ومكاشفات، وقد أودعناها كتاب (إحياء علوم الدين) فاشتغل بتحصيله (٢٦٥).

- ومن كلامه في الإحياء وهو بحور متلاطمة فلا تعرف بحق جواهره ولآلؤه إلا للغوَّاصين، وقد سنح لي أن أذكر لكم منه هذه الرَّشفة يقول في كتاب الحلال والحرام ٢/٢٤٢: وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء ؛ فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقلَّ فساد الملوك خوفاً من إنكارهم.

وقال: لا قرب إلا ويبقىٰ وراءه قرب لا نهاية له؛ إذ سبيل السلوك إلىٰ الله تعالىٰ غير متناه، والوصول إلىٰ أقصىٰ درجات القرب محال (كتاب آداب السماع والوجد ٢/٤٦٢).

- وقال - رحمة الله عليه -: ليس الورع في الجبهة حتىٰ يقطب، ولا

في الخد حتىٰ يصعَّر، ولا في الظهر حتىٰ يُجنَأ، ولا في الرقبة حتىٰ تطأطأ، ولا في الذيل حتىٰ يضم، إنما الورع في القلوب، أما من تلقاه ببشر فيلقاك بعبوس، يمنُّ عليك بعمله فلا أكثر الله في المسلمين من مثله.

- وقال: مهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتعاونون ولا يتآنسون فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فهم خاسرون. (طبقات المناوي ٢/٢٩٧-٢٩٨)

وفي طبقات المناوي من روائع كلامه ما يبهج (٢/٢٩٥-٣٠٦) وكذلك في إتحاف الزبيدي (١/٢١-٢٤) جملة صالحة من الكلمات المنثورة البديعة التي تقف علىٰ عقل الغزالي وحكمته وسعة مداركه وفقهه.

■ من شعر الإمام – رضي الله عنه –:

له قصيدة جليلة الفوائد، عظيمة المقاصد ذكر فيها أسراراً جمة للفاتحة منها:

إذا ما كنتَ ملتمساً لرزق	ونيل القصد من عبد وحرٍّ
وتظفر بالذي ترجو سريعاً	وتأمن من مخالفة وغَدْر
ففاتحة الكتاب فإن فيها	لما أمَّلت سراً أيُّ سِرًّ
تلازم دَرْسها عقبىٰ عشاء	وفي صبح وفي ظهر وعصر
وعقبىٰ مغرب في كل ليل	إلىٰ التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عزٍّ وجاه	وعُظْم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالي	بحادثة من النقصان تجري
وتوفيق وأفراح دواماً	وتأمن من مخاوف كلٍّ شر

ومـــن عـــري وجـــوع وانقطـــاع ومـــن بطـــش لـــذي نهـــي وأمـــر

(في طبقات المناوي ٢/٣٠٦)

ومن شعره – رحمه الله رحمة الأبرار–:

مما أنشده الغزالي ببغداد في أثناء درس الإحياء، ورواه عنه أبو سـعيد النوقاني:

وحَبَّـبَ أوطـارَ الرجـال إلـيهمُ مَـآربُ قَضَّاها الفـؤادُ هنالكـا

إذا ذكـروا أوطـانهم ذكَّـرتهمُ عهود الصِّبا فيهـا فحنّـوا لـذلكا

(إتحاف الزبيدي ١/٢٥)

■ **الغزالي مُجَدِّدُ قرنه:**

روىٰ أبو داوود في الملاحم والحاكم في الفتن وصححه والبيهقـي في كتاب المعرفة كلهم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –: إن الله تعـالىٰ يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها.

قال العراقي وغيره: سنده صحيح أي يقيض لها علـىٰ رأس كـل مائـة من الهجرة أو غيرها رجلاً كان أو أكثر من يـبين السـنة مـن البدعـة ويكثـر العلم وينصر أهله ويذل أهل البدعة، قـالوا ولا يكـون إلا عالمـاً بـالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، فكان في المائة الأولىٰ عمر بن عبد العزيز والثانية الشافعي والثالثة الأشعري أو ابن سريج والرابعة الإسفراييني أو الصعلوكي أو الباقلاني والخامسة حجة الإسلام الغزالي.

قال في جامع الأصول: قد تكلموا في تأويل هذا الحديث فكـلٌّ أشـار إلىٰ العالم الذي هو في مذهبه، وحمل الحديث عليـه، والأولىٰ العمـوم؛ فإن (من) يقع علىٰ الواحـد والجمـع، ولا يخـتص أيضـاً بالفقهـاء؛ فـإن

انتفاع الأمة أيضاً يكون بأولي الأمر وأهل الحديث والقـراء والوعـاظ لكـن المبعوث ينبغي أن يكون مشاراً إليـه في كـل مـن هـذه الفنـون. ففـي رأس الأولىٰ من أولي الأمر عمـر بـن عبـد العزيـز ومـن الفقهـاء محمـد البـاقر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله والحسن وابن سيرين ومن القراء ابـن كثير ومن المحدثين الزهري... وهكذا يقال في بقية القرون.

وفي كلام النووي ما يشير إلىٰ ذلك، وأيده الحافظ ابن حجر في الفتح (ر: إتحاف الزبيدي ١/٢٦-٢٧).

■ **حجة الإسلام في يومه الأخير :**

قال أحمد أخو الغزالي: لما كـان يـوم الإثـنين (قـال فخـر الـدين بـن عساكر الرابع عشر مـن جمـادىٰ الآخـرة سـنة خمـس وخمسـمائة) وقـت الصبح توضأ أخي وصلىٰ، وقال: عليّ بالكفن فأخذه وقبله ووضـعه علـىٰ عينيـه، وقـال: سمعـاً وطاعـة للـدخول علـىٰ الملـك، ثم مَـدَّ رجليـه، واستقبل، وانتقل إلىٰ رضوان الله تعالىٰ قبل الإسفار، طيـب الثنـاء، أعلـىٰ منزلة من نجم السماء لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق ولا يسـومه بالسـوء إلا من كان في قلبه ريب، أو حاد عن سواء الطريق.

(نقله الزبيدي في الإتحاف ١/١١ من كتـاب الثبـات عنـد الممـات لابن الجوزي)

■ **مما قيل في رثائه :**

قال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافىٰ:

بكيتُ بعين واجـمِ القلـب وَالِـهِ ... فتىٰ لم يوالِ الحقَّ مـن لم يُوالـهِ

وسيَّبتُ دمعاً طالما قـد حبسـتُه ... وقلــتُ لجفـني والِـهِ ثم والِــهِ

أبا حامد محيي العلوم ومن بَقىٰ　　لشَدَّ عـرا الإسـلام وَفـق مقالـه
(الإتحاف ١٢/١)

■ **من كراماته – نور الله مرقده –:**

أخرج اليافعي عن ابن المَيْلق عـن يـاقوت العرشـي عـن أبي العبـاس المرسي عن أبي المحاسن الشـاذلي أن الشـيخ ابـن حـرازهم خـرج علىٰ أصحابه ومعه كتاب، فقال: أتعرفونه؟ قالوا: هذا (الإحيـاء) وكـان الشـيخ المذكور يطعـن في الغـزالي، وينـهىٰ عـن قـراءة (الإحيـاء) فكشـف لهـم المذكور عن جسمه، فإذا هو مضروب بالسياط، وقال: أتـاني الغـزالي في النوم ودعاني إلىٰ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فلما وقفنا بين يديه، قال: يا رسول الله، هذا يزعم أني أقول عليك مـا لم تَقُـل. فـأمر بضـربي، فضربت.　　(طبقات المناوي ٢٩٤/٢)

– كتاب الإحياء عند السادة الأكابر آل أبي علوي – أمتع الله بهم –:

مادمنا نتكلم عن كرامات الإمام حجة الإسلام الغزالي فلماذا لا نتكلم عن عين ما أكرم به وهو لعمري كتابه الإحياء!!

وما وجدنا عناية بهذا الكتاب تدريساً وتذوقاً وحثّاً عليه كمـا كـان مـن السادة باعلوي وقد نقل السيد العلامـة الحبيـب أحمـد بـن زيـن الحبشـي باعلوي شيئاً من تعظيم آلِهِم لهذا الكتاب، يحسـن بي أن أذكـر منـه فممـا قال – رحمة الله عليه –:

وأما تعظيم ساداتنا، السادة الأشراف الأكابر، آل أبي علوي – رضـي الله عنهم – مشائخ أوليـاء الله المقـربين عبـد الله العيـدروس يكـاد يحفظـه نقلاً، ويحث عليه، وعلىٰ التـزام مطالعتـه، والعمـل بـه، بقولـه وفعلـه، ويقول:

عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة أعني الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية، وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي.

واعلموا أن مطالعة الإحياء تُحضِرُ القلب الغافل في لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزّاج والعفص والماء، وتأثيرها ظاهر مجرب عند كل مؤمن..

ومن كلامه ـ أعني العيدروس -: أنا أشهد سراً وعلانية أن من طالع كتاب الإحياء فهو من المهتدين.

ومن كلامه: السرُّ كله في اتباع الكتاب والسنة، وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين بَخٍ بخ بخ لمن طالع الإحياء أو كَتَبه، أو سمعه...

(شرح العينية ٩١-٩٣)

قلت: وقد رأيتُ حين زيارتي لتريم شدة العناية به، وسمعت عمن يقرأ الكتاب كله في أربعين يوماً كأنه وِرْد، فالكتاب أربع أرباع كل ربع عشرة كتب، فتستتمُّه بقراءة كتاب واحد كل يوم!

وكيف تصير أفئدة وجوارح من يمرُّ علىٰ هذا الإرث العظيم كل أربعين يوماً أو كل مدة؛ وبخاصة إن كانت القراءة علىٰ مباركين منورين أسوة؟ فكيف إذا كانوا قدوة من آل البيت الطاهر إذاً سيتضاعف النور، وستتضاعف البركة؟!

بقي أن نقول كلمة: إن النَّيلَ من (الإحياء) بحجة أن فيه الكثير من الأحاديث الواهية أو الموضوعة انتهض له الإمام الزبيدي فإنه يفيض عند الآثار بحشد الطرق والمرويات التي تثبت وجاهتها، ومعلومٌ التسمُّحُ في

الأسانيد في ذكر الفضائل والدعوة إليها في اصطلاح أهل الحديث، وتقديمُ العلماء المعاصرين للغزالي وجلوس المئات في حلقته تسليمٌ برسوخه وتبحره.

وإذا حصل التسليم برفض بعض الروايات أو غيرها هل تعكَّرتْ قيمة الكتاب وشرفه ونفعه وشيوعه في الدنيا علىٰ ألسنة المعلمين والمربين والوعاظ؟!!

■ **كلمة في من طعن علىٰ حجة الإسلام:**

قديماً قيل: من ألّف فقد استُهدف! وإذا كان الإمام حجة الإسلام من مشاهير مصنفي الإسلام في العلوم وأبرزها الأصول والكلام والفقه فكيف لا يتعرض للوم أو انتقاد؟!

قال الزبيدي في الإتحاف ١/٥١-٥٢: وقد أشار لذلك ابن عبد البر في كتاب العلم واستدل أن السلف تكلم بعضهم في بعض بكلام منه ما حَمَل عليه التعصب والحسَد، ومنه ما دعا إليه التأويل، واختلاف الاجتهاد، كما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه، وقد حمل بعضهم علىٰ بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً... وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظائرها إلا كما قال الأعشىٰ:

كناطحٍ صخرة يوماً ليَفلِقها ... فلم يَضِرْها وأوهىٰ قرنَه الوعِلُ

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه ... أشفق علىٰ الرأس لا تشفق علىٰ الجبل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

حسـدوك لمـا رأوك فضَّـلك الله[1] بمـا فُضِّـلت بـه النجبـاء

ثم قال الزبيدي: وفصل الخطاب فيه أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعته علىٰ معاصيه، ومادحوه علىٰ ذاميه، ومزكوه علىٰ جارحيه؛ إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل أن ذلك من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية، كما يكون بين النظراء فلا يلتفت إلىٰ كلام ابن أبي ذئب في مالك وابنُ معين في الشافعي والنسائي في أحمد بن صالح؛ لأن هؤلاء مشهورون صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي علىٰ نقله فكان القاطع قائماً علىٰ كذبه.

* * * * *

---

(١) لفظ الجلالة بين الشطرين للوزن.

■ **خاتمة :**

مهما قيل فسيبقىٰ الإمام الغزالي هو الذي إن قيل: حجة الإسلام ما انصرف اللقب إلا إليه ؛ ألا يكفي هذا؟!

إنك ذاكرٌ عند ذِكْره جُملةً من العلوم والفنون ففي الغزالي تذكر الفقه والأصول والمناظرة والمنطق بل وقبل كل شيء تذكُرُ غوصه علىٰ حكم التشريع، وأخذه بمجامع القلوب حين الكلام عن النفس وأدوائها وما يرقِّيها في معارج القرب.

والمطالع في كتب التزكية والسلوك ووعظ النفوس لا يجد مثل كتبه:

الإحياء والأربعين ومنهاج العابدين وبداية الهداية، ولو لم يخلف إلا هذه لكفته.

أخيراً: أستعير كلمات أختم بها ترجمة الإمام الغزالي قالها الداعية السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله - في حق الإمام الغزالي - رحمة الله عليه -:

لاشك أن الغزالي من نوابغ الإسلام، وعقوله الكبيرة، ومن كبار قادة الفكر الإسلامي، ورجال الإصلاح والتجديد الذين لهم فضل كبير في بعث الروح الدينية، وإيقاظ الفكر الإسلامي، والدعوة إلىٰ حقائق الإسلام وأخلاقه، وفي مقاومة الغزوات العقلية التي كانت تجتاح المجتمع الإسلامي والفكر الإسلامي، ومهما قيل فيه، وقيل عنه، فإن إخلاصه أسمىٰ من أن يشك فيه.

وإن علو همته في جميع العلوم والنبوغ فيها، ثم علو همته في طلب الحقيقة واليقين، ثم علو همته في طلب الآخرة وتحقيق غاية الوجود، لا

يزال موضع استغراب وتقدير وإكبار من الجميع، وإن ما خلفه من آثار وتراث علمي ثروة علمية إسلامية لا يستهان بقيمتها، ولا ينكر فضلها في عصر من العصور.

سلام الله علىٰ هذه الروح الزكية والهمة العالية والعقل الإسلامي الكبير!

(رجال الفكر والدعوة ١/٢٣٤)

هذا وبالله التوفيق وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

وكتبها محمد ياسر القضماني

الإثنين ٧ من ربيع الأول الأنور ١٤٢٨ هـ

الموافق لـ ٢٦/٣/٢٠٠٧

مراجع الترجمة :

المنتظم لابن الجوزي ١٧/١٢٤-١٢٥

طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/٢٤٩

بستان العارفين للإمام النووي ص ١٩٦

سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/٣٢٢-٣٢٣

الوافي بالوفيات للصفدي ١/٢٧٤

طبقات الشافعية الكبرىٰ لتاج الدين السبكي ٦/١٩١-١٩٣

طبقات الشافعية للأسنوي ٢/١١١

البداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٧٣-١٧٤

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢٩٣

الكواكب الدرية للمناوي ٢/٢٩١-٢٩٥

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٦/١٨-١٩

إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١/٦-٥٣

شرح العينية للشريف أحمد بن زين الحبشي باعلوي ص ٨٥-٨٦ و ٩١-٩٣.

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لأبي اليمن الحنبلي ١/٢٩٩

مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي ص٢١-٢٥ والقسم الأول من مؤلفات الغزالي.

بحوث مهرجان الذكرىٰ المئوية التاسعة لميلاد الإمام الغزالي بدمشق ص ٤١١

الجباه العالية لأنور الجندي ص ٦٢.

رجال الفكر والدعوة في الإسلام للندوي ١/٢٣٤

إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٢٤٢ و٤٦٢.

الأربعين في أصول الدين للغزالي ص ٢٥١.

بداية الهداية للغزالي ص ٢٢٨ و ٢٦٥.

المنقذ من الضلال للغزالي ص ٤١.

الرسالة الولدية للغزالي ص ٩٨.

الفتاوىٰ للغزالي ص ١٤٧.

المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ٨٨.

مشكاة الأنوار للغزالي ص ٤٩.

جواهر القرآن للغزالي ص ٥٠.

* * * * *

(ترجمة الشارح)

(٩٢٠-٩٨٩)

هو الفقيه المشارك عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي.

- **مولده : بمكة في شهر ربيع الأول عام ٩٢٠**

- الثناء عليه: قال سميُّه محيي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروس – في الثناء علىٰ غزارة تصانيفه –: ومصنفاته كثيرة لا تنحصر، ورأيت منها جملة عديدة في فنون شتىٰ، ولعمري إنه يشبه الجلال السيوطي في كثرتها.

- من دلالاته: سئل عن حكمة ما يقع أيام الموسم من حدوث الهمّ والتشاغل لمن لا عيال له ولا دين يثقله ويهمّه؟ فقال: إن السرَّ في ذلك – والله أعلم – هو اشتغال أكثر الناس واهتمامهم بمعاشهم ونحوه فيَسْري ذلك منهم ولغيرهم كما جاء في الحديث (المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ بعضه شكىٰ البعض الآخر).

- **أشهر كتبه :**

- شرحان علىٰ بداية الهداية للإمام الغزالي.
- الشرح الكبير اسمه: نفحات العناية بشرح بداية الهداية.
- الشرح الصغير (هو الذي بين أيدينا) واسمه: الكفاية في شرح البداية
- المسلك الأبذخ في توضيح كلام البيضاوي في (ما ننسخ) فرغ منها سنة ٩٦٣.
- شرح منهج القاضي زكريا.

- شرح قصيدة الصفي الحلي. التي مطلعها: خمدت لنور ولادك النيران

- كتاب في زيارة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم

- كتاب في فضائل شيخه ابن حجر الهيثمي

- مناهج الأخلاق السَّنِيَّة في مباهج الأخلاق السُّنِّيَّة.

- القول النقي. رسالة في سيرة معاصر له.

- عقود اللطائف في محاسن الطائف (خ) رآه الأستاذ خير الدين الزركلي في الطائف في (١١) كراساً وفيه نقص يسير.

- **من أشعاره:**

إن كان رفضي في محبة حيدر ... وبنيه قاطبة فإني رافض

حسبي اقتدائي بالإمام مقلدي ... الشافعي بحر العلوم الخائض

ومراد الإمام الفاكهي ـ رحمه الله ـ قول الإمام الشافعي ـ رحمة الله عليه ـ:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي[1]

ومن شعره في القهوة:

اشرب القهوة صرفاً ... تجد الصفو مزاجا

---

(١) قال البيهقي: قال الشافعي ذلك من نسبة الخوارج له إلىٰ الرافضة حسداً وبغياً. ر: ديوان الشافعي ص ٧١.

واذكـــــر الله عليهـــــا تشـــهد الأنـــس ســـراحا

وكان الفقيه الصالح محمد بن عبد الرحيم باجـابر – رحمـه الله – قـد اجتمع به بمكة سنة ٩٧٠ وأنشده هذين البيتين من لفظه وذكر أنهما لجده:

بادر إلىٰ طلب العلم العزيـز وإن ضاقت ولم تصف أقوات وأوقات

ولا تؤخـر لصفوٍ ورجـا سعـــة فهـــم يقولون: للتـأخير آفـات

* وفاته:

تـوفي بمكـة ـ رحمـه الله رحمـة واسـعة ـ سـنة ٩٨٢ هــ، وبعضـهم جعلها: ٩٨٩هـ.

* * * * *

- **مراجع الترجمة :**

- تاريخ النور السافر للعيدروسي (ص٣٥٣-٣٥٤).
- البدر الطالع للشوكاني (١/٣٦٠).
- الأعلام للزركلي (٤/٣٦).
- معجم المؤلفين لكحالة (٢/١٨٤).
- كشف الظنون للمعروف بحاجي خليفة (٥/٤٨٢).

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي مَنَحَ مِنْ نفَحات العناية للكفاية في البداية، ومن الفتوحات المكيَّة غايات الهداية في النهاية، والصلاةُ والسلام علىٰ سيدنا محمد إمامِ الشُّهودِ، سُرَادِقِ[1] مَدَدِ المَمدودِ في المبدأ والغاية، وعلىٰ آله وصحبه أئمةِ القُرْب والرِّعَاية، ما أشرقتْ شمسُ "الإحياء" للقلوب، وانشقَّ قمرُ الإعجاز في أُفُق الإيجاز عن مواهب علاَّم الغيوب، وكان أعظم آية.

أما بعد :

فيقول العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ عبدُ القادر بنُ أحمدَ الفَاكِهِيُّ المَكِيُّ الشافعيُّ: هذا شرحٌ لطيف جداً علىٰ "بداية الهداية" لحُجَّةِ الإسلام أبي حامدٍ محمدٍ الغزاليِّ، لخَّصته من شرحِي الكبيرِ عليها، وخلَّصته من كثائفِ الإطناب التي لم تَدْعُ الحاجةُ إليها، وأودعته لطائف الإيجاز الذي تتوجه النفوس إليه، وتُعَوِّلُ في غالب الأحوال عليه، وضمَّنْتُه ضِمْنَ مَزْجِ العبارة لطائفَ الإشارة، إلىٰ معان تُسْتَجلىٰ عرائسُها من شرحي الكبير لكتاب البداية؛ كتابٌ غَزُرَ علماً، وإن

(١) فهو صلىٰ الله عليه وآله وسلم الواسطة لكل فتح ومدد فيارب أمدَّنا وافتح علينا بحرمته.

صَغُر حجماً، وأَصْلٌ استَحق شرحاً، وعَظُم فَتْحاً، يَعلَمُ ذلك علمَ يقينٍ مَنْ مُنِحَ فيه فَهْماً، وعينَ يقينٍ أو حقَّ يقين مَنْ وَقَفَ علىٰ شرحه وألقىٰ له سَلْماً[١]، عاملاً بالإنصاف نافياً عنه وَهْماً.

وحيث أَطلقتُ الشرحَ فمرادي الشرحُ المذكور، وكثيراً ما أعزو إليه للحاجة، والمحتاجُ معذور، فإنه شرحٌ أَخَذَ من محاسن الفوائد بأَطْواقِها، ومن أحاسن الفرائد بنِطَاقها، ولم يَدَعْ من مُهمَّاتِ التوضيح للعبارة كبيرةً ولا صغيرة إلا بادَرَها وقَادَها، ولا من مُلمَّات التصريح بالإشارة نادَّةً ولا شاذَّة إلا صادَرَها وصادها، لكنْ حسب[٢] الطاقةِ وجُهدِ المُقِلِّ، والتَّحاشي عن الإطناب المُمِلِّ، علىٰ أنني لم أقف علىٰ شرح للبداية أستضيء بمَنَارِه، ومِنْ ثَمَّ ألتمس العفو عن تقصير القلمِ وعِثَاره، فإن الكريم يُقيل العثَراتِ، ويستُر الهفوات، ويَلحَظُ حالَ غيرِ المعصوم، وما هو من العُذْر شهيرٌ معلوم.

وقد ذكرتُ في الشرح المذكور ترجمةَ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ بنوع من الاستيعاب، مع أنها أُفردتْ بتصنيف حاز منها لُبَابَ اللُّباب، وأنا ممن أَفرَدها بذلك، وسَلَكَ فيها أحسن المسالك، في رسالة سميتُها: «المنهج العالي إلىٰ ترجمة الغزالي» وها أنا أذكر نبذة منها في هذا الشرح، مع مزيد علىٰ ما في أصله ليعود يُمْنُها في شرحي

---

(١) الدّلو بعروة واحدة، كدلو السَّقَّائين ج: أَسْلُم وسِلام (القاموس المحيط / السلم) والمراد هنا: الوقوف وبذل الجهد لفهم كلام الشارح.

(٢) بفتح السين وقد تسكّن. (القاموس / حسب).

للكتاب، وسميتُ هذا الشرح «الكفاية في شرح البداية» وأصله الكبير «نَفَحاتُ العناية بشرح بداية الهداية» كما دلت علىٰ التسمية المذكورة براعةُ الاستهلال، من خطبة هذا الشرح، كما لا يخفىٰ علىٰ ذي دراية، فأقول آخذاً من كلام الأَسْنَوِيِّ[(١)] واليافِعِيِّ[(٢)] وغيرِهما:

هو الإمام حجةُ الإسلام زينُ الدين أبو حامد محمدُ بن محمد بنِ محمد الطُّوسي[(٣)] مولداً، الغزالي بتخفيف الزاي وتشديدها وهو المشهور، وإن قيل خطأ - نِسبتُه إلىٰ الغَزْل؛ لأنه والله أعلم كان يَغزِل الصوف ويبيعه، ويَصرِفُ ثمنه علىٰ أهل الله، أو إلىٰ قرية تسمىٰ

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ١/١٥٤: إسنا بالكسر ثم السكون والمشهور: ما قال السيوطي في لبِّ اللباب ١/٥٩: بفتح أوله والنون إلىٰ أسنا بلد بصعيد مصر الأعلىٰ. والمقصود هنا: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي نزيل القاهرة أبو محمد المولود في ٧٠٤ والمتوفىٰ ٧٧٢هـ ودفن قرب مقابر الصوفية بالقاهرة. (رَ: ترجمته في الشذرات ٨/٣٨٣-٣٨٤).

(٢) هو عبد الله بن أسعد بن علي الملقب عفيف الدين أبو محمد اليمني ثم المكي الشافعي واليافعي نسبة إلىٰ يافع قبيلة من قبائل حمير، ولد قبل السبعمائة بقليل توفي بمكة ٧٦٨ ودفن بمقبرة باب المعلاة جوار الفضيل بن عياض. (رَ: ترجمته في الشذرات ٨/٣٦٢-٣٦٣ وآخر ترجمة في طبقات الشافعية للإمام جمال الدين الأسنوي).

(٣) نسبة إلىٰ طوس: مدينة بخراسان فتحت في أيام عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بها قبر علي بن موسىٰ الرضا وبها أيضاً قبر هارون الرشيد. (رَ: معجم ياقوت ٣/٢٧٢).

غَزَالة[١] وهو الأصح، إمام باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر الأقلام والمحابر وتهتز الطُّرُوس[٢]، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس، وفي محبته تَهيم الأرواح وتُدار عليها الكؤوس، وُسِمَ بأنه الشافعي الثاني وبالصِّدِّيقيَّة العظمىٰ، ومقام القُطْبية الأسمىٰ، وبأنه مجتهد زمانه وأنه لم تر العيون مثله، بَحْرٌ مُغْرق تَوَحَّدَ في بحر التوحيد وتناهىٰ، ألقىٰ الدنيا وراء ظهره حتىٰ نَعْلَه ألقاها، طِبُّه للقلوب في الإحياء طِبٌّ مَنْ تخلق بالأسماء وتعلق بمقدَّس حضرة المُسَمَّىٰ، حتىٰ قال النووي في إحيائه: كاد الإحياء أن يكون قرآناً. وأبو محمد الكَازَرُوني[٣]: لو انمَحَتِ العلوم لاستُخرجت منه.

ضُربت به الأمثال وشُدت إليه الرحال، وطار اسمه كمؤلفاته في الآفاق، وانعقدت عليه كلمة الاتفاق، واتفق له من مجاراة الخصوم اللُّدِّ[٤] ومناظرة الفحول، ومناطحة الكبار ذوي المنقول والمعقول؛ ما لم يتفق لغيره، وكان له من شدة الذكاء، وإفراط الإدراك، وشرف النفس عن رذائل الدنيا ورفضها، والإقبالِ علىٰ العبادة والسياحة، وتوظيفِ الأوقات بحيث لا تمضي له ساعة في غير طاعة من تلاوة

---

(١) قال الزبيدي في التاج مادة / غزل: غزالة كسحابة: قرية من قرىٰ طوس، قيل: وإليها نسب الإمام أبو حامد الغزالي، كما صرح به النووي في التبيان.

(٢) ج الطِرس: الصحيفة.

(٣) كازَرُون: مدينة بفارس.

(٤) واللُّداد ج الألَدّ وهو الخصم الشديد الخصومة.

وتدريس ونظر في الأحاديث خصوصاً البخاريِّ، وإدامةِ صوم وتهجد ومجالسةِ أرباب القلوب، وحَسْبُك بمداومة مجالستهم ما لا يمكن أن يُنكَر، وما هو غني عن أن يُشْهر.

قال الأسنوي في طبقاته: إلىٰ أن انتقل وهو قطب الوجود، يَتقرَّبُ به كل صدِّيق ولا يطعن فيه إلا زنديق، وبركته شاملة لكل موجود [١].

وقال السيد الشريف أبو الحسن الشَّاذِلي [٢]: من كانت له إلىٰ الله

---

(١) سيق الكلام بتصرف وفي الأصل: ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق. انظر ترجمته: ٢/١١١-١١٣.

(٢) شيخ الشاذلية علي بن عبد الله بن عبد الجابر، نزيل الإسكندرية، وهو نسبة لشَاذِلَة: قرب تونُس ويقال شادلة، ولد رضي الله عنه في سنة ٥٩١ ويقال: سنة ٥٩٣ بقرية غُمَارة من قرىٰ إفريقية بالقرب من سَبْتَة ثم انتقل إلىٰ تونس وسكن شادلة وتوفي بصحراء عَيْذاب سنة ٦٥٦ في شهر ذي القعدة، أو شوال. وقال بعضهم الشاذُلي بضم الذال، لأنه خوطب يوماً فقيل له: يا عليّ أنتَ الشَّاذُّ لي، أي أنت الفرد في خدمتي. وقد أفرده الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة. وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ ومن كلامه: ارجع عن منازعة ربك تكن موحداً، واعمل بأركان الشرع تكن سنياً، واجمع بينهما تكن محققاً. وكان يقول: إذا لم يواظب الفقير علىٰ حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأن به. رَ: طبقات الشعراني ٢/٨-١٩ومادة شدل من تاج العروس للزبيدي، وممن مدحه البوصيري بقوله من أبيات:

أما الإمام الشاذلي طريقه ... في الفضل واضحة لعين المهتدي

ر: أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص ٨٢.

حاجة فليتوسَّل بالغزالي.

وقال جماعة: هو مجدِّدُ المائة الخامسة.

وقال بعضهم: الناس في فَضْلة علوم الغزالي[١].

وقال بعض آخر من أهل الكَشْف: روحانية الغزالي تحضُرُ عند قراءة مصنفاته وبعضهم ذكر ذلك عنه عند بعضها.

وقال إسماعيل الحَضْرمي[٢] الشهيرُ: الغزالي سيدُ المصنفين. ولهذه العبارة والتي قبلها مَحْمَلٌ عند أهلها واضح مبِينٌ.

وقال الأَسْنَوي وغيره: شاركه في الاشتهار بالغزالي والتكنِّي بأبي حامد: عمُّه أبو حامد أحمد الغزالي، وهو غير أخيه أحمد المشهور، وكان لكلٍّ من الثلاثة من الجلالة في العلم والتصوف ما لا يُنكَر.

وُلد محمدٌ المذكور صاحبُ الترجمة في سنة خمسين وأربعمائة وتوفي صبيحةَ يوم الإثنين رابع عشر جمادىٰ الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) القائل في الشرح: بعض علماء المالكية، ومعناها: أنهم يستمدون منها، أو من مدده.

(٢) هو إسماعيل بن محمد قطب الدين العارف الشهير شيخ الشافعية ومربي الصوفية رفعت إليه فتيا فيها: هل يجوز قراءة كتب الغزالي ؟ فكتب: إنا لله وإنا إليه راجعون محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، ومحمد بن إدريس سيد الأئمة ومحمد ابن محمد سيد المصنفين. وكراماته بلغت التواتر له عدة مؤلفات في عدة فنون، مات في حدود سنة ست أو سبع وسبعين وست مئة. (ر: طبقات الصوفية للمناوي ٢/٣٩٠-٣٩٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

الحمد لله حقَّ حَمْده والصلاةُ علىٰ محمدٍ رسولِه. . . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

قال بعد البسملة (الحمد لله حقَّ حَمْده) أي: واجبَه وما ينبغي له (والصلاةُ) من الله: الرحمةُ المقرونة بتعظيم، ومن الملائكة: استغفار، ومن الآدمي: تضرع ودعاء، وفي نسخة: والسلامُ، لكراهة إفرادها عنه (علىٰ محمدٍ) كثيرِ الخصال الحميدة المسمىٰ به سيدُ الخلق قبل خلقهم بألفَي عام، المكتوبِ علىٰ ساق العرش، وبين أعين الملائكة وفي السماء والجنة وغير ذلك علىٰ ما بينتُه في الشرح[1] (رسولِه) الموحىٰ إليه للعمل والتبليغ، المرسلِ للخلق كلهم حتىٰ الملائكة ونفسه صلىٰ الله عليه وسلم فورَدَ: وأشهد أني رسول الله، بل قيل حتىٰ الجمادات بعد إيجاد إدراكٍ فيها حتىٰ تخضع له

---

(١) فقد أضاف: وعلىٰ كل سماء وعلىٰ كل قصر وغرفة في الجنة وعلىٰ بابها وعلىٰ نحور الحور وشجرة طوبىٰ وأوراق شجر الجنة والسدرة وغيرها.

وعبدِه وعلىٰ آله وصحبِهِ مِنْ بعده أما بعد: فاعلم أيها الحريصُ علىٰ اقتباسِ العلم المظهرُ من نفسه صدقَ الرغبة فيه وفَرْطَ التعطُّش. . . . .

(وعبدِه) الكامل في العبودية التي هي أشرف الصفات العَلِيَّة (وعلىٰ آله) مؤمني بني هاشم والمطلب أو المؤمنين أو الأتقياء[1] (وصحبِه) نجومِ الاهتداء المجتمعين بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم مؤمنين، ومات صلىٰ الله عليه وسلم عن مائة ألف صحابي وأربعةَ عشرَ ألفاً وروىٰ عنه ألفٌ وخمسمائة وقيل أربعةُ آلاف، وحَجَّ معه مائة ألف وعشرون ألفاً[2] (مِنْ بعده) أي والصلاة علىٰ الآل والصحب كائنة من بعده (أما بعد) الحمد والصلاة (فاعلم) يا (أيها الحريصُ) أي المنبعث والطالب بشدة لنَيْلِ ما يهواه (علىٰ اقتباسِ العلم) النافعِ الذي هو نور يَحجُبه ظُلْمةُ المعصية (المظهرُ من نفسه) أي قلبه أو حقيقته أو همَّته ولو أسقط قوله من نفسه لحصل أصل المقصود، لكن أثبتُّه لحكمة ذكرتها في الشرح[3] (صدقَ الرغبة فيه) أي صدق الطلب والإرادة (وفَرْطَ التعطُّش) أي التشوُّق وعبَّر بالتعطش لحكمة ذكرتها في

---

(١) قال في الشرح: أقوال ذهب الشافعي – رحمه الله تعالىٰ – والجمهور إلىٰ الأول.

(٢) وقيل غير ذلك.

(٣) قال: ليصح إرادة كل منها. أي المعاني الثلاثة المذكورة هنا.

إليـه أنك إن كنت تقصِدُ بطلب العلـم المنافسةَ والمباهـاةَ والتقـدمَ علىٰ الأَقْـران واستمـالةَ وجـوه الناس إليك وجَمْعَ حُـطَام الدنيا فأنتَ ساعٍ في هَدْمِ دينك وإهلاكِ نفسِك..........

الشرح[1] أيضاً (إليه) أي إلىٰ العلم أو اقتباسه (أنك) بفتح الهمزة (إن كنت تقصِدُ) - بكسر الصاد أو ضمها - تنوي علىٰ سبيل الجزم (بطلب العلم) الذي أظهرتَ صدق الرغبة فيه ونحوها (المنافسةَ) المذمومة وهي الرغبة علىٰ وجه المماراة أو هي الحسد المذموم (والمباهاةَ) أي المفاخرة المذمومة (والتقدمَ علىٰ الأَقْران) جمع قِرن بالكسر[2] الجامع لهم قَرن بالفتح مائة سنة؛ علىٰ الأصح من أقوال عشرة فيه أقلها عشرة وأكثرها مائة وعشرون (واستمالةَ وجوه الناس) أي طلب ميل أعيانهم ذوي الأقدار (إليك) وإنما كانوا وجوهاً لتوجه وجوه المحتاجين أو الوُجْهات إليهم (وجَمْعَ حُطَام الدنيا) أي مُحَطِّمها بمعنىٰ مُكَسِّرِها؛ لأن الحَطْمَ الكَسْرُ وفيها تحطيم لصاحبها حالاً ومآلاً (فأنتَ) بسبب قصدك (ساعٍ) أي عامل علىٰ سبيل الإسراع (في هَدْمِ دينك) الذي هو بناء معنوي أشير إليه في حديث: «بني الإسلام علىٰ خمس» (وإهلاكِ نفسِك) المنهي عن إهلاكها في قوله

---

(١) أي إشارة إلىٰ أنه كالماء قوام الحياة.

(٢) وهو المشهور.

وَبَيْعِ آخرتك بدنياك فصفقتُك خاسرةٌ وتجارتُك بائِرَةٌ..............

تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة /١٩٥. ومن الإلقاء فيها عدم التحرز عن أسباب الهلاك، وجِماعُ هذه الأسباب اتِّباعُ الهوىٰ، ومنه قَصْدُ المنافسة والاستمالة وجَمْعُ الحطام وغير ذلك من أسباب الآثام الكثيرة المشار إلىٰ بعضها بل إلىٰ كلها بقوله: (وَبَيْعِ آخرتِك بدنياك)

ونفائسُ الشخص:

١- دِينه

٢- ونَفْسه

٣- وآخرته

وهذا السعي المتسبب عما ذكره المصنِّف رحمه الله تعالىٰ ورضي الله عنه يفوِّت هذه الثلاث النفائس، بل هذا البيع في كلام المصنِّف يفوِّتها. والبيع شرعاً: مقابلة شيء بشيء علىٰ وجه مخصوص. والآخرة ضَرَّةُ الدنيا، والدنيا: ما علىٰ الأرض قبل الساعة. وقيل غير ذلك.

والمراد بها في كلام المصنف مالا يَتعدىٰ نفعه إلىٰ الدار الآخرة ونحو ذلك (فصفقتُك) أي بيعتك للآخرة بالدنيا (خاسرةٌ) لأن الآخرة باقيةٌ ودار عَمَار، والدنيا فانية ودار خراب، فمقابلة تلك بهذه خسران، وقد ورد في ذَمِّه في الكتاب والسنة وكلام العقلاء ما لا يُحتاج إلىٰ بيان (وتجارتُك) الناشئة عن القصد السابق (بائِرَةٌ) كاسدة

ومعلِّمُك مُعينٌ لك علىٰ عصيانك وشريكٌ لك في خسرانك وهو كبائعِ سيفٍ من قاطِعِ طريقٍ ومَنْ أَعَانَ علىٰ معصية ولو بشَطْر كلمة كان شريكاً فيها وإن كانت. . . . .

(ومعلِّمُك) هذا العلم الذي حَرَصت[1] علىٰ اقتباسه (مُعينٌ لك علىٰ عصيانك) المسبَّب عنه كلٌّ من الثلاثة: الهدم والإهلاك والبيع؛ لكن لا يكون معيناً آثماً علىٰ إعانته إلا إن عَلِمَ أو ظن قَصدَك المُؤثِّم، وفي الشرح هنا كلام نفيس ينبغي الوقوف عليه طَويته رعاية للاختصار[2] (وشريكٌ) بحسب إعانته (لك في خسرانك وهو) أي المعين لك (كبائعِ سيفٍ) قاطعٍ (من قاطعِ طريقٍ) مسلوكة، وواضحٌ أنَّ قطع الطريق كبيرة (ومَنْ أَعَانَ) بوجه مّا (علىٰ معصية) كبيرة أو صغيرة (ولو) كانت الإعانة (بشَطْر كلمة) ولو غير نَحْوية كأُقْ من اقتُلْ إذا فُهم المعنىٰ من الشطر؛ وهو لِمَعَانٍ منها البعض كما هنا (كان شريكاً) مُناصَفَةً كما هو المتبادِر، أو بحسب الإعانة وهو الظاهر (فيها) وفي المعصية وفي الشرح أيضاً هنا كلام نفيس طويته لطوله (وإن كانت

---

(١) من باب ضرب ومن باب تعب: لغةٌ (المصباح المنير / مادة حرص)

(٢) ومما ذَكَر: أنه لا ينبغي تعليم من يغلب علىٰ الظن سوؤه، وأنه يستعمل العلم في مذلَّة الأحرار، والتوصل للحيل المذمومة، ومَنْ يضع الحكمة في غير موضعها كان كمن يعلق الدُّرَّ واليواقيت علىٰ الخنازير!

نيتُك وقَصْدُك فيما بينك وبين الله تعالىٰ مِنْ تَعَلُّمِ العلم الهدَايةَ دونَ مجرَّدِ الرِّوايةِ فأَبْشِر فإنَّ ملائكةَ السماء تبسُط لك أجنحتَها إذا مشيتَ. . . . .

نيتُك) المعبر عنها بالقصد في قوله آنفاً إن كنت تقصِد وقوله الآن (وقَصْدُك فيما بينك وبين الله تعالىٰ) المطلعِ علىٰ القصد والنية: وهي قصد الشيء مقترناً بفعله. فهي أخص وقد يُطلق أحدهما علىٰ الآخر (مِنْ تَعَلُّمِ العلم) النافع، فَمِنْ متعلقةٌ بقَصْدُكَ إن كانت علىٰ بابها، أو بمعنىٰ الباء أي بتعلم العلم (الهدَايةَ) التي هي ثمرة العلم النافع. والهدايةُ: الدّلالةُ، أو الدلالة الموصلة، أو الإيصال أو الاستقامة: أقوال، والكلُّ هنا صحيح (دونَ مجرَّدِ الرِّوايةِ) التي ليس ثوابها كثواب الهداية، أو لا ثواب لها مطلقاً (فأَبْشِر) بشرىٰ خير (فإنَّ ملائكةَ السماء[1]) والأرضِ وفي نسخة صحيحة: فإن الملائكة (تبسُط) تضع (لك أجنحتَها) الكثيرةَ، البالغةُ أجنحةِ بعضها ستّمائةٍ (إذا مشيتَ) مشياً حقيقياً كما قيل به، أو هو مثال، والوضعُ الوارد في الحديث المعبَّر عنه في كلام المصنِّف بالبسط هو كناية عن تعظيمها أو عن المعونة والتيسيرِ للسعي في الطلب أو عن إطلاق الأجنحة أو عن

---

(١) قال في الشرح: قال صاحب الإحياء: وأي منصب يزيد علىٰ منصب من تشتغل الملائكة في السماوات بالاستغفار له ؟!

وحيتانَ البحر تستغفرُ لك إذا سعيتَ ولكنْ ينبغي لك أن تَعْلَمَ قبل كُلِّ شيء أَنَّ الهدايةَ التي هي ثمرة العلم لها بدايةٌ ونهايةٌ وظاهرٌ وباطن ولا وصول إلىٰ نهايتها إلا بعد إِحكام بدايتها ولاعُثُور

جعل أجنحتها له وِطَاءً إذا مشىٰ، والظاهر: أن المشي ليس بقيد بل ذُكِرَ مقابَلَةً للسعي في إذا سعيتَ، وللإشارة إلىٰ أن المشي في طلب العلم أفضلُ من الركوب (وحيتانَ البحر) كلُّها (تستغفرُ لك إذا سعيتَ)[1] عَدْواً أو مشياً أو ركوباً بل يطلق السعي علىٰ العمل والتصرف، والمراد هنا ما يعُمُّ الكُلَّ، ودليل هذا: الاستغفار، والوَضْعُ؛ وحكمةُ الأول والثاني استوفيته في الشرحِ (ولكنْ ينبغي لك) يُندب أو يجب بمعنىٰ لابد منه (أن تَعْلَمَ قبل كُلِّ شيء) مما يتعلق بما أنت فيه من السعي في تحصيل الكمال (أَنَّ الهدايةَ) السابقَ بيانها بما يطابق قوله (التي هي ثمرة العلم) الشرعيِّ أو علمِ القلوب خلاصتُه (لها بدايةٌ) أي ظاهر التقوىٰ (ونهاية) أي باطن التقوىٰ (وظاهرٌ) أي الأحكام الشرعية (وباطن) أي أسرار الحقيقة العلية (ولا وصول) لطالب ومريد (إلىٰ نهايتها) المذكورة (إلا بعد إِحكامِ بدايتها) المذكورة (ولا عُثُور) بالمثلثة أو الموحدة والأول أرجح كما بينته في

---

(١) قال في الشرح: وحكمة استغفارها له أنها تنتعش بالمطر النازل عليها في البحر، ونزوله متسبب عن طلب العلم.

علىٰ باطنهـا إلا بعـد الوقوفِ علىٰ ظاهرهـا وهـا أنا مشـيرٌ عليـكَ ببداية الهداية لتُجرِّبَ بها نفسَك وتَمتحنَ بهـا قلبكَ فـإنْ صـادَفْتَ قلبَـــك إليهـــا مـــائلاً ونفسَـــك بهـــا مطاوِعَـــةً ولهـــا قابلـــةً

الشرح أي لا وقوف (علىٰ باطنها) السِّرِّ المَرْعيِّ (إلا بعد الوقوفِ علىٰ ظاهرها) ظاهرِ الحكمة الشرعي ولا ينافي هذا ما ذكره المصنِّف رحمه الله في كتاب: «ميزان العمل»[1] من أنه قد يَصِلُ قوم إلىٰ النهاية قبل سلوك طريق تعلم الأحكام الظاهرة بنحو الجوع والذكر؛ لأن ذلك نادر والعَطَبُ فيه أقرب علىٰ أنه إذا أُريد بهم الوصول عُلِّموا الأحكام والأصول ثم وَصَلُوا في لَمْحَة وما ذلك علىٰ الله بعزيز (وها أنا) هنا (مشيرٌ) علىٰ سبيل النصيحة (عليكَ بـ)هذا الكتاب المسمىٰ بكتاب (بداية الهداية) المطابقِ اسمُه مسماه (لتُجرِّبَ بها) بالبداية، وفي نسخة فيها (نفسَك) الأَمَّارة أو اللَّوامة أو المطمئنة فلا يكشفها إلا التجرِبة[2] (وتَمتحنَ) تختبر (بها قلبكَ) مضغتك التي بها صلاح جسدك، والقلب محل الاختبار الذي هو مَحَكُّ الأخيار (فإنْ صادَفْتَ قلبَك إليها) إلىٰ البداية (مائلاً) ميلاً عظيماً (ونفسَك بها) بالبداية، وفي نسخة نفسَك إليها (مطاوِعَةً) منقادة (ولها قابلةً) غيرَ معرضة بـل

---

(١) انظر الطريق المجمل في تهذيب الأخلاق في كتابه هذا. (ص٢٥٨-٢٦١)

(٢) ضم الراء من الأخطاء الشائعة، والجمع تجارِب لا تجارُب.

فـدونَك التطلُّعَ إلىٰ النهايات والتَّغَلْغُلَ في بحار العلوم وإن صَادَفْتَ قلبَك عند مواجهتِك إياه. . . . .

راضية (فدونَك التطلُّعَ) بالنصب علىٰ الإغراء، وفي نسخة صحيحة: والتطلع بالواو، والمعنىٰ: عليك ودونك ذلك مع التطلع يعني: عليك بالتطلع والوصول (إلىٰ النهايات) للعلم والعمل أو النهايات إلىٰ بواطن التقوىٰ لقوله فيما سَلَفَ أن النهاية هي باطن التقوىٰ (و) دونك (التَّغَلْغُلَ) الدخول (في) وسط[1] (بحار العلوم) الشرعية للغوص علىٰ جواهر العلوم اللُدنية.

ولله دَرُّ القائل[2]:

يَغوصُ البحرَ من طلب اللآلِي

وحَسْبُك في الإشارة من طَرْف خَفِيٍّ في كلام المصنف والتحريضِ علىٰ هذا الغوص قصةُ موسىٰ والخضر[3] في مجمع البحرين. أو المراد من قوله: فدونك إلىٰ آخره أي دونك ذلك، واحذر معه التطلعَ والتغلغل المذكورَين علىٰ ما بينته في الشرح، وفَهِمَه بعضُهم (وإن صَادَفْتَ قلبَك عند مواجهتِك إياه) أي الكـتاب،

---

(١) بفتح السين والسكون فيه، لغة (المصباح / مادة وسط).

(٢) ما وقفت علىٰ قائله.

(٣) في تاج العروس مادة / خضر: بفتح الخاء وكسر الضاد، وبكسر الخاء وتسـكين الضاد، وبفتح الخاء وسكون الضاد وانظر ص (٤٥٥).

مُسَوِّفاً بهـا وبالعمل بمقتضاها مماطلاً فاعلم أنَّ نفسك المائلَة إلىٰ طلب العلم هي النفس الأمَّـارة بالسوء وقـد انتهضَتْ عاصـيةً لربهـا مطيعـةً للشيطان اللعينِ لـيدليك بحَبْل غُـروره ويَستدرجَك بمكيدته إلىٰ غَمْرَةِ الهلاك. . . . .

وفي نسخة إياها أي البداية (مُسَوِّفاً) مماطلاً مؤخراً (بها) بالبداية (وبالعمل بمقتضاها مماطلاً) سبق ما فهم منه معنىٰ المِطَال[1] (فاعلم) بعد هذا التسويف والمِطال (أنَّ نفسك المائلَة إلىٰ طلب العلم) الكاذبَة في ميلها باعتبار انتفاء الإخلاص (هي النفس الأمَّارة بالسوء) لا الَّلوَّامة ولا المطمئنة (وقد انتهضَتْ) بذلك التسويفِ والمطال (عاصيةً لربها مطيعةً للشيطان) أي العاتي المتمرد الخبيث المبعد، وكلُّ متمرِّد من جِنٍّ وإِنس وحيوانٍ شيطانٌ (اللعينِ) أي الطريد عن الرحمة. وجنودُ الشيطان الأكبر مِلءُ السَّهْلِ والوَعْر كما جاء في الخبر والأثر؛ ولذلك جُعل للإنسان حَفَظَة من ملائكة الرحمن من جهاته السِّتِّ، حتىٰ ورد: أن لكل إنسان ثلثمائة وستين حافظاً (ليدليك) بتخفيف اللام الثانية وتشديدها[2] وهو أبلغ (بحَبْل غُروره) أي خِدَعِه وإطماعه بالباطل (ويَستدرجَك) يَجذِبك قليلاً قليلاً حتىٰ كأنك دَرَجْتَ بنفسك (بمكيدته) مكْـرِه وخُبْـثه وحيلــته (إلىٰ غَمْرَةِ الهلاك)

---

(١) والامتطال والمماطلة: واحدٌ.

(٢) وهو من إدلاء الدلو (مختار الصحاح / مادة د ل ا).

وقَصْدُه أن يُـروِّج عليك الشرَّ في مَعْـرِض الخير حتىٰ يُلحِقَكَ بالأخسرين أعمالاً الــذين ضَلَّ سعيُهم في الحياة الـدنيا وهــم يَحسَبون أنهم يُحـسنون صنعـاً وعـند ذلـك يتلو علـيك الشيطان فَضْلَ العلم ودرجةَ العلماء وما وردَ فـيه من الأخبار والآثار . . . .

وسط الشدائد (وقَصْدُه) مراده ونيته الفاسدة (أن يُروِّج عليك الشرَّ) يلبِّسه عليك حتىٰ تظنه خيراً وذلك الترويج (في مَعْرِض الخير) مَحَلِّ عُروضه (حتىٰ يُلحِقَكَ بالأخسرين) الذين هم أتباعه (أعمالاً) لأن منشأ الخسران من حيث الأعمال (الذين ضَلَّ) ضاع وبَطَل[1] (سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يَحسَبون) أي يظنون (أنهم يُحسنون صنعاً)[2] عملاً صالحاً، والأخسرون في الآية الكافرون، يناسب في كلامه التعبير بالإلحاق (وعند) تحقق (ذلك) الإلحاق والإِذْلاء والإِدْراج والترويج (يتلو عليك الشيطان فَضْلَ العلم و) فضل (درجةَ العلماء) في الدنيا والمحشر والجنة (وما وردَ فيه) في الفضل (من الأخبار) الأحاديث التي تزيد علىٰ خمسمائة[3] (والآثار) عن الصحابة والتابعين

---

(١) من باب دخل، فسد (ر: المصباح والمختار / بطل).

(٢) إشارة إلىٰ الآية (١٠٣) و(١٠٤) من سورة الكهف.

(٣) انظر الباب الأول من كتاب العلم في إحياء الغزالي - رحمة الله عليه - ففيه جملة وافرة مباركة.

ويُلْهيك عن قوله صلىٰ الله عليه وسلم: من ازداد علماً ولم يَزدَدْ هدىٰ لم يَزدَد من الله تعالىٰ إلا بُعداً. وعن قوله صلىٰ الله عليه وسلم إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه اللهُ بعلمه. كان صلىٰالله عليه وسلم يقول كثيراً في الدعاء: أعوذ بك من علمٍ لا يَنفع وقلبٍ لا يخشع وعملٍ لا يُرفع ودعاءٍ لا يُسمع.

ولا تكاد تنحصر (ويُلْهيك) يَشغَلُك (عن) تدبُّر (قوله صلىٰ الله عليه وسلم) والعمل به في حديث الديلمي بسند ضعيف: (من ازداد علماً ولم يَزدَدْ هدىٰ) ثمرته (لم يَزدَد من الله تعالىٰ إلا بُعداً) عن رحمته وحَضْرته والهدىٰ والهداية والرشد: بمعنىٰ. (وعن قوله صلىٰ الله عليه وسلم) في حديث الطبراني والبيهقي وضعفه: (إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه) وفي لفظ: لا ينفعُه (اللُه بعلمه) وفي بعض نسخ البداية هذا الحديث: (كان صلىٰ الله عليه وسلم يقول كثيراً في الدعاء) تشريعاً وتعليماً (أعوذ بك من علمٍ لا يَنفع) لا يزيد هدىٰ (وقلبٍ لا يخشع) لا يخضع ويَحْضُر وتَسْكُنُ جوارحه (وعملٍ لا يُرفع) لا يُقبَل أو لا يُرفع علىٰ يد الملك رَفْعَ كرامة وهو معنىٰ عدم قبوله (ودعاءٍ لا يُسمع) لا يستجاب. روىٰ هذا الحديث أحمد وابن حبَّان والحاكم ومسلم؛ لكن في رواية بعضهم: إسقاطُ بعض كلمات، وبعضٍ آخر تقديمٌ وتأخير، وبعض آخر زيادةٌ وجميع ألفاظ

وعن قوله صلىٰ الله عليه وسلم : مررتُ ليلة أُسري بي إلىٰ السماء بأقوام تُقرضُ شِفاهُهم بمقاريضَ من نار فقلتُ : من أنتم فقالوا كُنّا نَأمر بالخير ولا نأتِيه وننهىٰ عن الشر ونأتِيه . فإياك يا مسكينُ أن تُذعِنَ

الروايات استوفيتها في الشرح، وهذا الاستيفاء مما يُتبين به احتياج البداية إلىٰ الشرح (وعن قوله صلىٰ الله عليه وسلم) في حديث ابن حِبَّان: (مررتُ ليلة أُسري بي) أي ليلة المعراج (إلىٰ السماء) كما في الرواية وإن سقط من نسخة (بأقوام) من هذه الأمة، والسياق يقتضي أنهم علماءُ السُّوء (تُقرضُ شِفاهُهم) لأنها طريقُ المعصية التي عَصَوا بها، وفي رواية: ألسنتُهم وشفاههم (بمقاريضَ) بلا تنوين، آلاتُ القطع؛ لأن القرض القَطْعُ (من نار) هي جنهم لأنها أشد النيران (فقلتُ: من أنتم فقالوا) أقوام (كُنّا نَأمر) الناسَ (بالخير ولا نأتِيه) لا نفعله (وننهىٰ) الناسَ (عن الشر ونأتِيه) نفعله، وفي رواية أبي نعيم: رأيتُ ليلة أُسري بي رجالاً تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلتُ: يا جبريل من هؤلاء. قال: الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبرِّ ثم تلا الآية إلىٰ تعقلون[1] (فإياك يا مسكينُ) الحريص علىٰ اقتباس العلم، المظهرُ صِدْقَ الرغبة فيه (أن تُذعِنَ) تَخضع وتنقاد

---

(١) البقرة /٤٤.

لتزويره وتتدلَّىٰ بحَبْل غُروره فويـلٌ للجاهـل حيـث لا يـتعلم مـرةً واحدة، وويلٌ للعالِم حيث لم يَعمل بما عَلِمَهُ ألفَ مرة واعلـم أن الناس في طلب العلم علىٰ ثلاثة أحوال:

(لتزويره) المعبر عنه في السابق بمكيدته (وتتدلَّىٰ) بتاءين أو واحدة علىٰ سبيل اختلاف النسخ وكلاهما صحيح (بحَبْل غُروره) خِدَعه وأطماعه (فويلٌ) توبيخٌ أو وادٍ أو جُبٌّ في جهنم[١] (للجاهل) المقصر بجهله (حيث لا يتعلم)[٢] في عمره كله (مرةً واحدة، وويلٌ) بالمعنىٰ السابق (للعالِم) غير العامل (حيث لم يَعمل) في عمره كلِّه (بما عَلِمَهُ) من العلم (ألفَ مرة) مثلاً، ويحتمل أن يراد ويل ألفَ مرة للعالم المذكور، وويل مرة واحدة للجاهل المذكور وفي الشرح كلام أبسط[٣] من ذلك (واعلم) أيها الحريص السابقُ ذكرُه، والخطاب في جميع الكتاب معه (أن النّاس) الطالِبين للعلم (في طلب العلم علىٰ ثلاثة أحوال) فالطالبون باعتبار هـذه الأحوال ثلاثةَ

---

(١) وذكر في الشرح معان أخرىٰ لكلمة ويل: يقال لمن وقع في الهلاك أو استحقه أو الحزن أو مشقة العذاب.

(٢) في نسخة (م) حيث لم يتعلم أقول: وهكذا نشير إلىٰ أهم ما في نسخة (م) مما سيأتي في مواضعه؛ مما هو قريب أو أفضل أو أصوب يدريه المتأمل.

(٣) أي أوسع من ذلك، من البَسْط: السعة. ويستعمل النـاس اليـوم (أبسـط) بمعنىٰ أيْسَر خلاف المشهور في اللغة.

رجلٌ طَلَبَ العلمَ ليتَّخذه زادَه إلىٰ المعاد ولم يَقصِد به إلا وَجه الله تعـالىٰ والدارَ الآخرَة فهـذا من الفائزين ورجلٌ طلبـه ليسـتعينَ بـه علىٰ حياته العاجلة وينالَ به العِزَّ والجـاهَ. . . . .

رجال: (رجلٌ طَلَبَ العلمَ) النافع (ليتَّخذه زادَه إلىٰ المعاد) الدار الآخرة وإنما كانت معاداً؛ لأن الناس يُعادُون بعد الفناء أي يُرجعون إليها، والسفر إليها هو السفر الذي يَحتاج حقيقة إلىٰ الزاد، وخير الزاد التقوىٰ، ولا يَتِمُّ إلا بالعلم ولا يتم إلا بالعمل (ولم يَقصِد به إلا وَجه الله تعالىٰ) أي امتثال أمره لا رغبة في جنة، ولا رهبة من نار، ولا رياء ولا سُمْعَة (والدارَ) أي أو الدار (الآخرَة) قصورَها وحورها ونعيمها أو المراد قَصْدُ الدار والوجه معاً، أو المراد بقصد الوجه قصدُ الدار الآخرة فعَطَفَها عطفَ بيانٍ وتفسير، كلٌّ ذلك تحتمله العبارةُ (فهذا من الفائزين) علىٰ كل تقدير وإن تفاوت الفائزون في مراتب الفوز، وفي الشرح كلام يحتاج إلىٰ تطويل طويته هنا لذلك[١] (ورجلٌ طلبه ليستعينَ به علىٰ حياته العاجلة) حياة الدنيا فإن الجاهل فيهـا كالبهيمة (وينالَ به العِزَّ) الدنـيوي والشرف (والجاهَ) أي القـــدر

---

(١) قال في الشرح: الأكمل: من قصد الوجهَ وحده بأن طلب العلم امتثـالاً لأمـر الله وتوسلاً به لأداء حق عبوديته لا رغبة في الدار الآخرة ولا رهبة من أهوالها.

والمـالَ وهــو عالــمٌ بـذلك مستشـعرٌ في قلــبه ركَاكـــَة حالـه وخِسَّةَ مَقْصَدِه فهـذا مــن المخاطرين فـإنْ عاجَلَـهُ أجلُــه قـبل التــوبة خِيفَ علـيه سـوءُ الخاتمـة وبَقِـي أمــرُه في خَطَر المشيئة وإن وُفِّق للــتوبة قَـبْلَ حُلــولِ الأجـل، وأضــاف إلىٰ العلـم العمَل وتَدَارَكَ ما فرط من الخَلَـلِ. . . . .

والمنزلة (والمالَ) الميَّالَ (وهو عالمٌ بذلك) أي بقبحه (مستشعرٌ) ذو شعور (في قلبه) مضغته أو عقله أو لطيفته المدرِكة (ركَاكَة) أي ضعف (حاله) الحائل (وخِسَّةَ مَقْصَدِه) بفتح الصاد وكسرها فإن العلم شريف؛ فإذا قصد به هذا المقصد السخيف كان المقصد خسيساً لا يحتاج إلىٰ توصيف، وكان قاصده علىٰ خطر عظيم فلذا قال (فهذا من المخاطرين) بين الرجاء والخوف الذين هم علىٰ شَفَا حفرة من النار (فإنْ عاجَلَهُ) قَدَرُه، وسَبَقَه (أجلُه) موته (قبل التوبة) النافعة (خِيفَ عليه سوءُ الخاتمة) نسأل الله العافية (وبَقِي أمرُه) حيث لم يَتُبْ (في خَطَر) أي تحت خطر (المشيئة) لله تعالىٰ، إنْ شاء غفر له وإن شاء عذبه، والكلام فيمن مات مسلماً (وإن وُفِّق للتوبة) النافعة وهي ندم وإقلاع وعزم علىٰ أن لا يعود إلىٰ المعصية (قَبْلَ حُلولِ الأجل، وأضاف) مع التوبة (إلىٰ العلمِ العمَل) الصالح (وتَدَارَكَ ما فرط) بتخفيف الراء وتشديدها في عمره (من الخَلَلِ) والظاهر أن المراد بهذه

التَحَقَ بالفائزين فإن التائبَ من الذنب كمن لا ذنبَ له ورجلٌ ثالثٌ استحوَذَ عليه الشيطانُ فاتَّخذَ علمه ذريعةً إلىٰ التكاثر بالمال. . . .

الإضافة والتدارك قدرٌ زائد علىٰ ما يُعتبر في التوبة من رَدِّ الظُّلامة ونحوه.

وحاصلُ هذا القَدْر يرجع إلىٰ الجِدِّ في العمل، فإن الجِدَّ يَحْصُلُ به التدارُك المذكور والإضافة المذكورة فلا تغفل (التَحَقَ بالفائزين) وإنما جعله ملتَحِقاً بهم لا منهم أَصالةً؛ لما أشار إليه من تفريطه وخَلَلِه وأوضحه بقوله الوارد معناه في حديث ابن ماجة والبيهقي وغيرهما: (فإن التائبَ من الذنب كمن لا ذنبَ له) ولفظ الحديث: التائب إلىٰ آخره (ورجلٌ ثالثٌ) للرجلين، قد طلبه لكنْ (استحوَذَ) غَلَبَ واستولىٰ (عليه الشيطانُ) حتىٰ أنساه ذكرَ الله تعالىٰ (فاتَّخذَ علمه) الذي سماه الجَهَلَةُ به عالماً (ذريعةً) سبيلاً متَّسِعةً مُوصِلةً (إلىٰ التكاثر بالمال) المُلْهِي المُرَهَّبِ منه بقوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ الآيـة[1] والمُرَهَّبِ عن التقصير في زكاته بقـوله

---

(١) الأولىٰ من سورة التكاثر.

والتفاخرِ بالجاه والتعزُّزِ بكثرة الأَتْباع يَدخُلُ بعلمه كلَّ مَدْخَل رجَاء أن يقضيَ من الدنيا وطَرَه وهو مع ذلك يُضمِرُ في نفسه أنه عند الله بمكانٍ. . . . .

تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾. الآية[١] وغير ذلك مما لا يَخفىٰ علىٰ ذي دِراية (والتفاخرِ بالجاه) المُضَايِقِ في زكاته أَتم مما قبله (والتعزُّزِ بكثرة الأَتْباع) التلامذة والفقراء التي لا يتعزز بها أهلُ المعرفة الأئمةُ الكبراء بل تُوْرِثُ صاحبها في البرزخ وما بعده تذللاً وتقهقراً (يَدخُلُ بعلمه) الضارِّ (كلَّ مَدْخَل) ضَيِّقٍ كتعليمِ الظلمة وأهل السوء والترخيصِ لهم والأعذار ونَصْبِ شَرَكِ الحيل وحبائلَ الأضرار (رجَاء أن يقضيَ من الدنيا) الدنيئةِ الزائلة كالظِّلِ (وطَرَه) غرضه (وهو مع ذلك يُضمِرُ) يخفي (في نفسه أنه عند الله بمكانٍ) أي مكانة. هذا معتقدُه الفاسد، وسنده فيه المَائِد[٢] ركونُه إلىٰ معلوماته ونحو ذلك مما سيذكره المصنف في وصف حالاته، فإن قلتَ هذا له سَنَدٌ في الجُمْلَةِ فما سَنَدُ جَهَلَةِ مشايخ الزوايا ومتصوِّفةِ العصر الـذين ليس لهم

---

(١) ٣٥ من سورة التوبة.

(٢) من مَادَ الشيء يميد مَيْداً وميداناً تحرك، وزاغ وبابه باع (ر: القاموس والمختار/ مادة ميد) والمراد هنا: عدم استقامته.

من التصوف والمشيخة إلا الاسمُ والرَّسْمُ في تقدُّم أحدهم في محراب الإمامة، وتَجَاسُرِهِمْ علىٰ تكلمهم في علم الغيب، وتقدمهم في المجالس علىٰ أهل العلم والديانة.؟!

قلتُ: سألتَ عن أمر أَمِرٍ[1] ما المسئول عنه بأعلمَ من السائل! والسندُ لا يَخفىٰ علىٰ عاقل- بل يقال علىٰ سبيل المبالغة والادعاء- ولا غافل جاهل فهم قوم دعواهم المعرفة وهم في المعنىٰ كالنكرة تعرفهم بسيماهم، وبالجملة: فحالهم من البلاء المُنْزَل والداء المُعْضِل، ومن أعظم البلايا قارئ يقتدي بواحد منهم أمّياً مقصِّراً في التعلم، أو واحدٍ منهم لا يَعرف ركناً في الصلاة فإنها ناقصة أو باطلة، وأجيادها[2] من جواهر الصِّحَّةِ أو الكمال عاطلةٌ، كما يؤخذ ذلك من كلامهم، وقولُهم كلُّ من قَدِمَ علىٰ عبادة وهو لا يعلم حُكْم الله فيها فهي باطلة، أي وإنْ صادَفَ شرطَ الصحة في نفس الأمر. فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأله أن يعافينا وإياهم بمنِّه وكرمه آمين.

(لاتِّسامِه بسِمَةِ العلماء) أي علامتهم (وتَرسُّمِه برسومهم في الزِّيِّ) والهيئة لأن كـل طائفة لهـا زِيٌّ وهيئة حتىٰ العلماء، بـل يندب

---

(١) أَمِرَ الأمر: اشتدَّ.

(٢) ج جِيْد: العُنُق، وتجمَع علىٰ جُيُود. (القاموس/ الجيد).

والمَنْطِقِ مع تكالبه علىٰ الدنيا ظـاهراً وباطنـاً فهـذا مـن الهـالكين والحمقىٰ المغـرورينَ. . . . .

لهم ذلك كما بينته في كتابي: "فَصْلُ الخطاب في فضل العمائم والثياب" المستوفي أحكامَها فيه حسب الطاقة (والمَنْطِقِ) الفصيح الفخيم فإن منطقه فصيح، وقانونَه قويم صحيح (مع تكالبه) شدة حرصه وطلبه (علىٰ الدنيا) حطامها (ظاهراً) بحيث لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ إدراك (وباطناً) باعتبار القرائن وشهود أهل البصائر، وما أحسن الإشارة إلىٰ هذا التكالب في قول إمامنا الشافعي:

.... عليها كلابٌ همُّهنَّ اجتذابُها[1]

(فهذا) الرجل الثالث باعتبار أوصافه (من الهالكين) حقيقة أو المراد علىٰ مَدْرَجَةِ الهلاك (والحمقىٰ) الذين أنفعُ حالِ أحدهم أنه يريد أن ينفعك أو ينفع نفسه فيضرك أو يضرها كما ذكره المصنف في آخر الكتاب (المغرورينَ) وأهلُ الغرورِ بغاية الكثرة، والحمقىٰ نوع منهـم وفي الحديث: " وكـم مـن ظـريفِ اللسان جميل المنظر عظيم

---

(١) هذا عجز بيت وصدره: وما هي إلا جيفة مستحيلة وبعده:

فإن تجتَنِبْها كنتَ سِلْماً لأهلها وإن تجتـذِبْها نازعتْـكَ كلابهـا

ومطلع القصيدة:

خَبَتْ نارُ نفسي باشتعال مَفَارِقي وأظلَـم لَيْلـي إذ أضـاء شِـهابُها

(ديوان الشافعي ص ٢٩-٣٠)

إذ الرجاء منقطعٌ عن توبته لظنِّه أنَّه من المحسنين وهو غافلٌ عن قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ . . . .

البيان هالكٌ غداً يوم القيامة.. الحديث ".

وقد أفرد المصنف أهلَ الغرور بباب في الإحياء بل بكتاب مؤلَّف مستقل[1]، وذَكَرَ لكلٍّ طائفة من الناس حتىٰ كثير من أرباب الجلالة والفخامة والبسالة- غروراً خَصَّه ودسائسَ مَشُوبةً بالغرور مختصَّة، جزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً، وأفرغ علىٰ جَدَثه وقبره من الشهود حبوراً وسروراً.

ولما كان هذا الرجل الثالث معلولاً ناسب أن يُعلِّل بقوله؛ (إذ الرجاء منقطعٌ عن توبته) فلا يُتوقع حصولها عن قُرْب (لظنِّه) الفاسد (أنَّه من المحسنين) في عمله وعلمه، وقد ذم الله تعالىٰ قوماً ظنوا أنهم يحسنون صنعاً في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤﴾ الكهف/١٠٤.ولا سند لهم إلا ظنهم الفاسد كهذا الرجل الثالث (وهو) مع هذا الظن المتبيَّن خطؤه (غافلٌ عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾) الآية الصف/٢.

ومن شأن العالم أن لا يغفل عن هذه الآية وأمثالها وتدبرها والعمل بمقتضاها، والجَرْي علىٰ منوالها؛ فـإن فيهـا التحريض علىٰ

---

(١) هو كتاب: الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين. وهو من نفيس تآليف الإمام الحجة.

وهو ممن قال فيهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنـا مِـنْ غـيرِ الدَّجَّال أخوفُ عليكم من الدجال فقيل وما هـو. . . . .

مطابقة القولِ الفعلَ، وقد عَمَّ الابتلاء بخلاف ذلك لاسيما ممن يدَّعي العلم (وهو ممن قال فيهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) في حديث أحمد من روايةِ أبي ذر بإسناد جيد: (أنا مِنْ غيرِ الدَّجَّال أخوفُ عليكم من الدجال) الكذابِ الأعور الأحمر الجسيم الأجلح[1] الشبيه بعبد العُزَّىٰ كما جاءت بهذه الأوصاف فيه الأخبار، بل الوارد فيه بين أذنَيْ حِمَارِ الدجال أربعون ذراعاً، وخَطوةُ حماره مسيرةُ ثلاثة أيام، يخوض البحر كما يخوض أحدكم الساقية، ويقول: أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبِسَها ؟ فيقولون: نعم. فيحبسُ الشمس حتىٰ يُجعل اليوم كالشهر والجمعة[2]، ويقول: أتريدون أن أُسيِّرها ؟ فيقولون: نعم فيجعل اليوم كالساعة. والوارد فيه علىٰ ما في أثرٍ أنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان، والوارد فيه في أثرٍ أيضاً أنه إنسيٌّ أمه جنية (فقيل وما هو[3]) وكان القياس: ومن هو؟ لكـن نُزِّل مـنزلة غير العاقل فقيل: وما هو؟ ولأن المسؤول عـنه كلمة

---

(١) الأجْلَح من الناس: الذي انحسر الشعر عن جـانبي رأسـه. (النهايـة لابـن الأثـير مادة: جلح، وفي القاموس: جلح: كفرح.

(٢) الصواب من الشرح: اليوم كشهر والجمعة كسنة.

(٣) في نسخة (م) ومن هم... قال: علماء السوء.

يا رسول الله ؟ قال : العلماء السُّوء. وهذا لأن الدجال غايتُه الإضلال

غير فيقال: وما هو؟ وإن كان المسؤول عنها باعتبار معناها (يا رسول الله ؟ قال: العلماء السُّوء) المراد علماء السوء لكن التعريف فيها أبلغ كرجل عَدْل والسوء بضم السين وفتحها، والدجالُ في هذا الحديث، والمنعوتُ بتلك النعوت هو الدجالُ الأكبر الخارجُ آخر الزمان؛ وهو غير ابن الصَّيَّاد علىٰ المعتمد عند المحققين ولوْ صح أنه ليس بإنسان لم يبق للخلاف في ابن الصياد محل[1]. والدَّجَّالون كثيرون؛ ففي الحديث لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج ثلاثون دجالاً وفي رواية سبعون وفي أخرىٰ سبعة وعشرون (وهذا لأن الدجال غايتُه الإضلال) أي الإدخال في الضلال بمعنىٰ الكفر، أو أعم منه، والرجل الثالث شاركه في هذه الغاية وزاد عليه بالتلبيس علىٰ الناس، وباعتبار أن نبينا صلىٰ الله عليه وسلم خاف علينا منه ومن أمثاله أكثر من خوفه علينا من الدجال الذي حَذَّرَنا منه واستقرت صفاته عندنا بحيث لا يروج ويلبس أحواله علينا وفي الشرح كلام بسيط يتضمن تقريرَ إشكالٍ في هذه العبارة وجوابَه، وغيرَ ذلك من الفوائد والفرائد والأدلة والشواهد؛ فراجعه فإنه مهم، وإلىٰ مثل الزيادة علىٰ الغاية أشير بقوله

---

(١) من التحقيقات النفيسة فيه ما قاله الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه لباب: ذكر ابن صياد من كتاب: الفتن وأشراط الساعة. من: صحيح الإمام مسلم.

ومِثْلُ هذا العالمِ إِنْ صَرَفَ الناسَ عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داعٍ لهم إليها بأعماله وأحوالِهِ ولسانُ الحال أنطقُ من لسان المقال وطباعُ الناس إلىٰ المساعدة في الأعمال أميلُ منها إلىٰ المتابعة في الأقوال فما أفسد هذا المغرور بأعماله أكثرُ مما أصلحه بأقواله

(ومِثْلُ هذا العالمِ) السوء عالم اللسان لا عالم القلب وهم أربعة كما في الشرح (إِنْ صَرَفَ الناسَ) أي أكثرهم لأن الكلام في المقبلين علىٰ الدنيا (عن) حُبِّ (الدنيا) الغارَّة (بلسانه ومقاله) في مقام وعظه باعتبار فصاحة لفظه المنضمةِ إلىٰ ترسُّمه واتِّسامه بسَمْتهم ورسومهم (فهو داعٍ) صارفٌ (لهم إليها) إلىٰ الدنيا (بأعماله) التي هي أبلغ من أقواله (وأحوالِهِ) التي هي أعم منهما، حتىٰ أنه لو لم يقل ولم يعمل كان حاله صارفاً لهم إليها ولذا قال (ولسانُ الحال أنطقُ من لسان المقال) وأنطق هو بمعنىٰ قولهم أبلغ، وللشعراء البلغاء في ذلك إشاراتٌ بليغة (وطباعُ الناس) السليمة (إلىٰ المساعدة في الأعمال) أعمال الجوارح ما عدا جارحة اللسان (أميلُ منها إلىٰ المتابعة في الأقوال فما أفسد هذا المغرور) الهالك الأحمق المخطئ في ظنه أنه محسن (بأعماله) الصارف بها الناس إلىٰ الدنيا (أكثرُ مما أصلحه بأقواله) التي إصلاحها كلا إصلاح؛ لأن زَلَّة عمله زَلَّ بها الناسُ. وقد ورد أن زلة العالم مثلُ غرق السفينة يغرق معها غيرها، وزلة العالِم يزِلُّ بها عالَم. وانظر إلىٰ المسئلة السُّرَيجِيَّة والمسئلة التي أخطأ فيها نحو ثلاثمائة قاضٍ علماء.

إذ لا يَستَجْرِئ الجاهل علىٰ الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلمـاء فقد صار علمه سبباً لجراءة عباد الله علىٰ معاصـيه. . . . .

قال الزَّركَشِيُّ: المسألة السُّرَيجِيَّة[١] زَلَّةُ عالِم وإن كان في مقالته هذه مبالغة باعتبار جمع أجلاء علىٰ المسئلة السريجية منهم من بالغ فاستأنس برؤية نبوية علىٰ صحتها، وعكَسَ آخرُ (إذ لا يَستَجْرِئ) بمعنىٰ يتجرأ (الجاهل) جهلاً مركباً أو بسيطاً (علىٰ الرغبة في الدنيا) حباً وطلباً والمراد الدنيا الدنيئة التي ليست سبيلاً ولا سبباً للآخرة العلية (إلا باستجراء العلماء) أي علماء السوء. وفي الشرح هنا تنبيه حسن ينبغي الوقوف عليه[٢] (فقد صار علمه) الضار (سبباً) قريباً (لجراءة عباد الله) الجهال (علىٰ معاصيه) والجهـل تـارة يكون عذراً،

---

(١) منسوبة إلىٰ الفقيه أحمد بن عمر، أبو العباس بن سريج الإمام الشافعي الشـهير، وصورتها: إذا قال لزوجته: إن طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثاً، ثم قـال لهـا: أنـت طالق، هـل يقـع الطـلاق أم لا ؟ فيهـا خـلاف بـين الأصـحاب، وصـنف فيهـا كثيرون، منهم الإمام حجة الإسلام الغزالي صنف فيها رسالتين: قـرر في الأولىٰ وقوع الطلاق ثم رجع عنه في الثانية وقرر عدم وقوعه وعنوان الثانيـة: الغَـوْر في الدَّوْر (ر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن صلاح ١/ ٨٥-٨٦).

(٢) مفاده أن لا ينبغي أن يظن ظانٌّ أن الإمام يحطُّ من رتبة العلـم وصـاحبه حاشـاه؛ ولكن ليحذَّر من ضرر من لا يدعوه علمه للتقوىٰ!.

ونفسُه الجاهلةُ مــع ذلك تمنِّيه وتُرَجِّيه وتَدعــوه إلىٰ أن يمُـنَّ علىٰ الله تعـالىٰ بعلمه وتُخيـِّلُ إليـه نفسُه الأمــارة أنــه خــير من كثير من عباده المؤمنين. فكُنْ أيهــا الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثاني..................

وتارة لا؛ إذا نُسب صاحبه إلىٰ تقصير في التعلم علىٰ ما هو مقرر في كتب الفقه (ونفسُه الجاهلةُ مع ذلك) أي هذا المغرور (تمنِّيه) والتمني ما كان في مستبعَد الحصول بل (وتُرَجِّيه) والترجي ما كان في متوقَع الحصول لكن ما تَرَجَّاه مستبعد، ولعل المصنف أراد أنه متوقع في معتقَدِ هذا العالم السُّوء (وتَدعوه) بحسب ما سوَّل له فيها إبليس قَرينُها (إلىٰ أنَ يمُنَّ علىٰ الله تعالىٰ بعلمه) والحالُ أن المِنَّة في الحقيقة لله، وهي من العبد في حَقِّ الخَلْق مذمومةٌ فكيف منه في حق الخالق تعالىٰ وتقدس، خالقِ الأشياء كلِّها (وتُخيِّلُ إليه نفسُه الأمارة) ودائرةُ التخيل واسعة (أنه خير من كثير من عباده المؤمنين. فكُنْ أيها الطالب) للعلم الحريص علىٰ اقتباسه (من الفريق الأول) وهو مَنْ طَلَبَ العلم ليتخذه زاداً لمعاده المعبر عنه بالرجل الأول من الثلاثة، والمراد كن الفريق الأول (واحذر أن تكون من الفريق الثاني) وهو مَنْ طلب العلم ليستعين بــه علىٰ حــياته إلىٰ آخر ما سبق وصفه المعبر عنـه بالرجـل

فكم مِنْ مُسَوِّف عاجَلَه الأجلُ قبل حلول التوبة فخَسِرَ وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلِكَ هلاكاً لا يُرجىٰ معه فلاحُك ولا يُنتظر صلاحُك فإن قلتَ فما بدايةُ الهداية لأجرِّب نفسي بها

الثاني، والمراد لا تَكُنْهُ (فكم مِنْ مُسَوِّف) مماطل مؤخر مطيته سوف أفعل كذا (عاجَلَه الأجلُ) الموت (قبل حلول التوبة) النافعة (فخَسِرَ) لأن تجارته بارت، وفي قوله فكم إلىٰ آخره إشارة إلىٰ كثرة من يَصْدُرُ عنه هذا التسويف (وإياك ثم إياك) التكرير لزيادة التحذير (أن تكون من الفريق الثالث) أي الرجل الثالث وهو من استحوذ عليه الشيطان (فتهلِكَ)[1] فإنك إن تكنه تهلك (هلاكاً لا يُرجىٰ) لك (معه) أي الهلاك (فلاحُك) أي الخير كله؛ لأن الفلاح كلمة جامعة له (ولا يُنتظر صلاحُك) بوجهٍ؛ فإن الصلاح القيم بحقوق الله وحقوق العباد والصالح القائم بهذا (فإن قلتَ) أيها الحريص أو الفريق الثاني والثالث أو الثالث فقط أو من يشمل[2] الجميع (فما بدايةُ الهداية) التي أشرتَ بها في أول الكتاب للتجـرِبة والامتحـان (لأجرِّب نفسي بها) وأمتحنَ

---

(١) من أبواب: منع وعلم وضرب (القاموس / هلك).

(٢) من باب تعب ومن باب قعد لغة. (المصباح / شمل).

فاعلـم : أن بدايتهـا ظـاهر التقـوىٰ ونهايتـها بـاطن التقـوىٰ، ولا عاقبةَ إلا للتقوىٰ ولا هُـدىٰ إلا للمتقين والتقوىٰ عـبارةٌ عن امـتثال أوامر الله تعالىٰ واجتنابِ نواهِيه فهما قسمان : . . . .

بها قلبي؟ قلتُ هذا جوابك (فاعلم أن بدايتها) هي (ظاهر التقوىٰ) وسيأتي بيان جُمَلٍ مختصرة من ظاهرها (ونهايتها باطن التقوىٰ، ولا عاقبةَ) حينئذ (إلا للتقوىٰ) وعَدَلَ عن قوله ولا عاقبة إلا لها الأخصر، وعن قوله العاقبة للتقوىٰ التي هي لفظ الآية، وعن قوله والعاقبة للمتقين التي هي لفظ الآية الأخرىٰ - لنُكتةٍ ذكرتها في الشرح[1] (ولا هُدىٰ) رشداً ووصولاً وإيصالاً ودلالة (إلا للمتقين) المؤمنين أو خواصهم (والتقوىٰ) شرعاً (عبارةٌ عن امتثال أوامر الله تعالىٰ) جميعِها حتىٰ مندوبها وظاهره أنه لو أَخَلَّ بمندوب واحد لم يكن متقياً، ويتعين حمله علىٰ الكامل(واجتنابِ) محارِمه و(نواهِيه) كلها حتىٰ المنهي عنه تنزيهاً. وفيه ما تقـدم (فهما قسمان:) أوامـر ونــواه، وكلٌّ

(١) في الأول: عدل علىٰ الضمير للاسم الظاهر لزيادة التنويه بشرف التقوىٰ. وعـن: ولا عاقبة إلا للمتقين الملائم للآية لئلا يتكرر اللفظ عن قُـرْبٍ لقولـه بعـده: ولا هدىٰ إلا للمتقين بتصرف.

وها أنا مُشِيرٌ عليك بجُمَلٍ مختصرة مِنْ ظاهر التقوىٰ فـي القسمين جميعاً والله المستعان. . . . .

منهما قسمان: واجب ومندوب، وحرام ومكروه، وخلاف الأولىٰ؛ لأنه منهي عنه ضمناً؛ ولأن المتقدِمين يُطلقون المكروه عليه (وها أنا مُشِيرٌ عليك بجُمَلٍ مختصرة) قليلةِ اللفظ، كثيرةِ المعنىٰ مبينها لك (مِنْ ظاهر) علم (التقوىٰ في القسمين جميعاً والله المستعان) علىٰ ذلك وغيره، وهذا من المصنِّف إرشادٌ إلىٰ أدب الكُمَّل التَّبرِّي من الاستعانة بغير الله، ورَفْضِ نظرهم إلىٰ حولهم ومعلوماتهم.

* * * * *

القسم الأول

في الطاعات

القسم الأول

في الطاعات

القسم الأول في الطاعات اعلم: أن أوامر الله تعالىٰ فرائضُ ونوافل فالفرض رأسُ المال وبه أصلُ التجارة. . . . .

القسم الأول

في الطاعات

(القسم الأول) منها (في الطاعات) للجوارح والقلوب (اعلم أن أوامر الله تعالىٰ) أي مأموراته ومنها أوامر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوىٰ فهي من عند الله تعالىٰ (فرائضُ) جمع فريضة بمعنىٰ مفروضات، والفرض: ما يُثاب علىٰ فعله، ويعاقب علىٰ تركه (ونوافل) أي مندوبات والمندوب ما يثاب علىٰ فعله ولا يعاقب علىٰ تركه (فالفرض) هنا (رأسُ المال) للتجارة الأخروية (وبه) أي عليه (أصلُ) بناءِ (التجارة[1]) لأن الأصل ما يُبنىٰ عليه غيره

---

(١) في نسخة (م) (وبه تحصل النجاة) بدل: (وبه أصل التجارة).

والنفـــلُ هو الربح وبه الفـوزُ بالـدرجات قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : قـــال الله تعالىٰ : ما تَقـَرَّبَ المتقربون إليّ بمِثْل أداءِ ما افترضتُ عليهم. . . . .

(والنفلُ هو الربح) لرأس المال والتجارة والنفل في اللغة: الزيادة، فبينها وبين الربح مناسبة؛ لأنه زيادة علىٰ رأس المال (وبه) أي النفل (الفوزُ بالدرجات) في الجنة وغيرها؛ لأن الناس إنما يتفاوتون في درجاتها بأعمالهم، وأما الدخول فيها فبمحض الفَضْل، وأداءُ الفرض هو طريق النجاة وشاهد ذلك ما في آخر هذا الحديث الصحيح (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: قال الله تعالىٰ: ما تَقَرَّبَ المتقربون) أي بالفرائض والنوافل (إليّ) إلىٰ رحمتي وحضرتي ورضاي (بمِثْل أداءِ ما افترضتُ عليهم) ولذا كان الفرض أكثر[1] ثواباً إلا في مسائل[2] فللنَفل مزيةٌ من حيثيَّةٍ؛ لأن المفضول قد توجد فيه مــزايا،

---

(١) ومن قال بأن الفرض يزيد عن النفل سبعين درجة أخـذها مِـنْ مثـل مـا جـاء في الحديث عن فضل العمل في رمضان: " ومـن أدىٰ فريضـة فيـه كـان كمـن أدىٰ سبعين فريضة فيما سواه " بعد قوله: : من تقرب فيه بخصلة مـن خصـال الخـير كان كمن أدىٰ فريضة فيما سواه ".وجعلوا من ذلك قاعـدة: الفـرضُ أفضـل مـن النفل (انظر القواعد الفقهية علىٰ المـذهب الحنفـي والشـافعي للـدكتور محمـد الزحيلي ص ٦٠٦-٦٠٨).

(٢) من أشهرها:

- ابتداء السلام سنة وردُّه واجب، الابتداء أفضل.

=

ولا يـزال العـبدُ يتقربُ إليَّ بالنوافل حـتىٰ أحـبَّه فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يَسمع به.........................

ومنها ما أشير إليه في الحديث بقوله (ولا يزال العبدُ) أي المؤمن (يتقربُ) مع أداء فرضه (إليَّ) إلىٰ حضرتي نحو رضاي ومحبتي (بالنوافل) أي بأدائها (حتىٰ أحبَّه) المحبة الكاملة لأن كل المؤمنين محبوبون لله غير أنهم متفاوتون في المحبة؛ فأهل الكمال فيها هم المشار إليهم بهذه الثمرات في آخر الحديث (فإذا أحببتُه) المحبة الكاملة (كنتُ سمعَه) وتقديمه كالآية[1] علىٰ البصر يشير بتفضيله عليه وهو المعتمد[2]. (الذي يَسمع به) فلا يسمع إلا حُسْناً، تعالىٰ الله عن الجارحة. وإنمـا هـذه العبارة والتي بعـدها كنايةٌ صالحـة إلىٰ معالـي

- والوضوء قبل الوقت سنة، وهو أفضـل منـه في الوقـت؛ ولا يجـب إلا بعـد دخول الوقت.
- وإبراء المعسر من مستحب وأفضل من الإنظار والإنظار واجب.
- والأذان مستحب وأفضل من الإمامة وهي فرض كفاية أو عين. ولا تخلو هذه المسائل من اعتراض، انظرها في المرجع السابق.

(١) كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ..﴾ النحـل / ٧٨ وقولـه تعـالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ المؤمنون /٧٨.

(٢) وللإمام ابن حجر الهيثمي في فتـاواه الحديثيـة (ص١١٠-١١١) كـلام مـاتع في ذلك، وتقرير ما ذهب إليه أكثر الفقهاء من تفضـيل حاسـة السـمع علىٰ حاسـة البصر. فانظره.

وبصرَه الذي يُبصر بـه ولسـانَه الـذي ينطق بـه ويدَه التي يَبْطِشُ بها ورجلَه التي يمشي بها وقلبَه الذي يُضْمِرُ به. ولن تَصِلَ أيها الطالب إلىٰ القيام بأوامرالله تعالىٰ إلا بمراقبة. . . . .

المقامات طامحة (وبصرَه الذي يُبصر به) فلا ينظر إلا ما يدلُّه علىٰ صنائع القدرة، وبدائع الحكمة (ولسانَه الذي ينطق به) فلا يتفوه إلا بالحكمة، وفي بعض نسخ البداية كرواية زيادة (ويدَه التي يَبْطِشُ بها) فلا يَمُدُّها ويُعْمِلُها بَطْشاً وغيرَه إلا في سبيل الله وطاعته (ورجلَه التي يمشي بها) فلا يسعىٰ بها إلا في طاعة. والحاصل أن هذا المحبوب لا يسمع إلا من الله، ولا يتحرك إلا عن الله، ولا ينطق ويبصر إلا به.

أَعَـارَتْـه طَـرْفـاً رآهـا بـه ... فكـان البصـير لها طَرْفَها[١]

وفي نسخة مالا أدري هل جاءت به الرواية أو لا (وقلبَه الذي يُضْمِرُ به) لكن في الحقيقة هذا الحديث القدسي وَرَدَ من طرق وألفاظ مختلفة؛ بعض الطرق صحيحة، وبعض الألفاظ غير شهيرة وأرجو الله تعالىٰ تحريرَ طرقه وألفاظِه، وشرحَه في رسالة مستقلة سالكاً مسلكَي إيجازٍ وإطناب، ورَسْم وإشارة فإنه أَصْلٌ أصيل عند أئمة الإشارة والله أعلم (ولن تَصِلَ) كمال الوصول (أيها الطالب) الحريص علىٰ اقتباس العلم (إلىٰ القيام بأوامر الله تعالىٰ) المتقدم بيانها مع ما ضَـمَّ إليهـا مـن الاجتناب الأهم منهـا (إلا بمراقبة) الله تعـالىٰ وذلك

---

(١) ما وقفت علىٰ قائله.

قلبك وجوارِحك في لحظاتك وأنفاسِك من حينٍ تصبحُ إلىٰ حينِ تمسي واعلم: أن الله مطلِّع علىٰ ضميرك ومُشرفٌ علىٰ ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع خَطَراتك ولَحَظَاتك وخَطواتك. . . . . .

بمراقبة (قلبك) باطنك وسِرّك (وجوارِحك) بأن تحفظ قلبك عن التفرقة، وجوارحك عن العبث (في لحظاتك وأنفاسِك) فإن كل نَفَس نفيس ولحظة إذا فاتت لا تعوض، ومبدأ زمن المراقبة (من حينِ تصبحُ إلىٰ حينِ تمسي) أو من حين تمسي إلىٰ حين تصبح. ومقامُ المراقبة في كلام القوم مقامٌ عظيم ذَكَروا للتحقق به أسباباً منها: نحو هذه الملاحظة في قول المصنف (واعلم أن الله مطلِّع علىٰ ضميرك) باطنك وسِرّك وقلبك (ومُشرفٌ علىٰ ظاهرك و باطنك) أي ما بطن منك فهو أعم من الضمير بمعنىٰ السرِّ والقلب، ولعل ذِكْرَ الباطن مع سَبْقِ ذكر الضمير المغني بحسب الظاهر عنه بما بين الإشراف والاطِّلاع من التفاوت بحسب المفهوم والظاهر؛ أنه لا تفاوت في المعنىٰ المراد لكنَّ المقامَ مقامُ إطناب وإحاطة فمن ثَمَّ قيل: (ومحيط بجميع خَطَراتك) جمع خَطْرة مرادفةُ خاطرِ المنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام شهيرة[1] (ولَحَظَاتك) يعني البصر والنفس (وخَطواتك)

---

(١) رحماني ونفساني وشيطاني وكثيرون قالوا هي أربعة: رباني ونفساني وملكي وشيطاني ومن أشهر من فصَّلها في كتاب متداول: ابو المراحم عبد الرحمن بن مصطفىٰ ابن شيخ العيدروس بكتابه: العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها =

وسائرِ سكَنَاتك وحركاتك وأنك في مخالطتك وخلوتِك مترددٌ بين يديه فلا يَسْكُنُ في المُلْك والمَلَكوت ساكنٌ ولا يتحرك متحركٌ إلا وجبارُ الأرض والسموات مطَّلعٌ عليه. . . . .

جمع خَطوة[١] وهي من أعمال الجارحة، وما قبلها من أعمال القلب فناسب الجمع لاسيما بعد ذكر الظاهر والضمير ثم أريد التعميم ومزيد الإحاطة فقيل (وسائرِ) بمعنىٰ باقي (سكَنَاتك) القلبية والجارحية (وحركاتك) كذلك (وأنك) بفتح الهمزة (في مخالطتك) للناس (وخلوتِك) عنهم، (مترددٌ بين يديه)، أي بين يدي الله تعالىٰ علىٰ معنىٰ يدي قدرته وعلمه ونعمته، تعالىٰ الله عن الجارحة وعما لا يليق بكماله، (فلا يَسْكُنُ في المُلْك والمَلَكوت) في العالم العلوي والسفلي، والدنيا والأخرىٰ، والبحر والبر، والجنة والنار، والمرئي للعين وخلافه (ساكنٌ) بَشَر وغيره (ولا يتحرك متحركٌ) من ذلك (إلا وجبارُ الأرض والسموات مطَّلعٌ عليه) واختار هذا الاسم مع ما أُضيف إليه؛ لما فيه من الجلال كما لا يخفىٰ وزاد المقامَ إجلالاً بقوله

من الجواهر. (ر: ص ٦١-٦٥ بخاصّة). والإمام الغزالي له بيان بديع عن الخواطر في كتابه: منهاج العابدين أثناء الحديث عن العائق الثالث من عقبة العوائق. (ر: ص ٨٧-٩٤).

(١) بالفتح الإشارة إلىٰ المرة كضرب ضربة، وبالضم: ما بين القدمين. (ر: المختار/ خطو).

يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ويَعْلم السِّرَ والنجوى فتأدب أيها المسكينُ ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالىٰ. . . . .

في بعض النسخ: (يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ويَعْلم السِّرَ والنجوىٰ) هي ضده لأنه قُوبِلَ بها أو رديفه فعطفها عليه عَطْفَ تفسير وهذا هو الصواب بدليل حديث: "إذا تناجىٰ اثنان"[1] ولا ينافيه تفسير النجوىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ النساء/ ١١٤. حيث فُسرت بما يشملُهما، وقد حضرت مجلساً لبعض أولياء الله تعالىٰ وقد طلب منه كبير من ذوي الرياسة أن يوصيه فقال له: كفىٰ بوصية الله تعالىٰ ورسوله، فألحَّ في إيصائه بما تيسَّر فقال له: لا تزال تَلحَظُ أن الله تبارك وتعالىٰ مطلع عليك والسلام. ولعمري لقد أوجز هذا الموصي وكأنه أخذه من كلام حجة الإسلام؛ لاسيما وهو دائماً يوصيني بمطالعة البداية حتىٰ ظهرت بركةُ وصيته (فتأدب أيها المسكينُ) وخوطب بها تحنُّناً (ظاهراً) بخشوع الجوارح (وباطناً) باللَّجَأ إلىٰ الله تعالىٰ في سرك وجهرك (بين يدي الله تعالىٰ) لاسيما في صلاتك، وسَلَفَ أنك متردد بين يديه في مخالطتك وخلوتك فالمـراد

---

(١) في مجمع الزوائد (٨/٦٣): " إذا تناجىٰ اثنان فلا تجلس إليهما حتىٰ تستأذنهما، وفي رواية: رأيت ابن عمر يناجي رجلاً فـدخل رجـل بينـهما فـذكر نحـوه. رواه أحمد، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو متروك.

تَأَدُّبَ العبدِ الذليل المذنبِ في حضرة المَلِكِ الجبار القهـار واجتهـد أن لا يراك مولاك حيث نَهاك ولا يَفْقِدَكَ حيث أمرك ولن تَقْدِرَ علىٰ ذلك كله إلا بـأن تُـوزِّع أوقاتَـك وتُرَتِّـبَ أورادَك مـن صـباحك إلىٰ

أن تكون متأدباً علىٰ قَدَم الأدب في جميع أحوالك (تَأَدُّبَ العبدِ) الكامل العبودية؛ لكن الكمال فيها لسيد البرية صلىٰ الله عليه وسلم؛ فالمراد: تأدب بأدبها حسب طاقتك (الذليل) لعِزَّة سيده الحقيقي (المذنبِ) المعترف بذنبه وكل أحد وذنبه تقصيره بحسبه (في حضرة المَلِكِ الجبار) الماضي أمره علىٰ سبيل الجبر (القهار) لغيره علىٰ نفوذ مراده فيه ومناسبةُ هذين الاسمين في المقام لا تخفىٰ (واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نَهاك) في الكتاب والسنة (ولا يَفْقِدَكَ حيث أمرك) فيهما. وهذه الجملة في الوصية والموعظة كافية تغني عن جميع ما في البداية وكتب التصوف لاشتمالها علىٰ جوامع النهاية. ولما كانت هذه الجملة مشتملة علىٰ ما ذكر؛ قال: (ولن تَقْدِرَ علىٰ ذلك كله إلا بأن تُوزِّع أوقاتَك) كلها علىٰ الأعمال المطلوبة خصوصاً وعموماً (وتُرَتِّبَ أورادَك) بتقديم الأهم فالأهم منها. وفي الشرح إشكال وجوابه[1]. وذلك التـوزيع والـترتيب(من صباحك) طلـــوع فجـر نهـارك (إلىٰ)

---

(١) قـال: لا يقـال: الأوراد ولزومهـا للسـالكين لا للعـارفين وكبـار الـوارثين؛ لأن العارف كل ذرة منه ذاكرة.

مسائك فأَصْغِ إلىٰ ما يُلقىٰ إليك من أوامر الله تعالىٰ عليك من حينِ تستيقظُ من منامك إلىٰ وقت رجوعك إلىٰ مضجعك له.

انقضائه ومن دخول (مسائك) إلىٰ صباحك والمراد بالمساء الزوال علىٰ ما بينته في الشرح[1] (فأَصْغِ) بسمعك وقلبك الذي يعقل(إلىٰ ما يُلقىٰ إليك) في هذه البداية (من أوامر الله تعالىٰ) الواجبة (عليك) مع المندوبة، أو المراد أوامر الله تعالىٰ الواردة عليك واجبة أو مندوبة وهذا أولىٰ وإلىٰ مبدأ وقت التوزيع والترتيب أو وقت الأوامر أشير بقوله (من حينِ تستيقظُ من منامك) أي نومك، والظاهر أنه نوم الليل بقرينة قوله فيما يأتي قبل طلوع الصبح؛ فيؤيد ما أسلفتُ من أن المراد بالمساء انقضاء النهار (إلىٰ وقت رجوعك إلىٰ مضجعك له[2]) للنوم المذكور.

* * * * *

---

(١) نَقَلَ عن التاج ابن مكتوم: المساء من الظهر إلىٰ المغرب، وقيل إلىٰ نصف الليل والصباح من أول النهار إلىٰ قرب الظهر.

(٢) في نسخة (م) إلىٰ مضجعك.

آداب الاستيقاظ

فإذا استيقظتَ من النوم فاجتهد أن تستيقظَ قبل طلوع الصبح وليكنْ بعد الاستِيَاكِ أولَّ ما يَجري علىٰ لسانك وقلبك ذِكْرُ الله تعالىٰ

آداب الاستيقاظ

(فإذا استيقظتَ) أي أردتَ الاستيقاظ (من النوم) في وقت مخصوص فاستعمل الذكر المُعِينَ عليه لكن المراد بالنوم هنا ما يشمل نوم النهار بالنسبة لمطلوبية الذكر فقط أو ما يخص نوم الليل بالنسبة لقوله (فاجتهد أن تستيقظَ) من نوم الليل (قبل طلوع الصبح[1]) أي الفجر فإن الاستيقاظ وقت السَّحَر[2] عظيمٌ يُغْني عن قيام الليل؛ ولذا حث عليه الأخيار لما ثبت عندهم ولما ورد من فضل الأسحار(وليكنْ بعد الاستِيَاكِ أولَّ ما) أي أول شيء (يَجري علىٰ لسانك وقلبك) أي لسانك مع قلبك أو قلبك فلسانك (ذِكْرُ الله تعالىٰ)

---

(١) في نسخة (م) الفجر.

(٢) قال في لسان العرب: والسَّحْر والسَّحَر: آخر الليل قبيل الصبح، والجمع أسحار، والسُّحرة: السحر، وقيل: أعلىٰ السحر، وقيل: هو من ثلث الليل الآخر إلىٰ طلوع الفجر والسَّحور: طعام السحر وشرابه (مادة السحر).

فقل عند ذلك : الحمـد لله الـذي أحيـانا بعـد ما أماتنا وإليه النشورُ أصبحنا وأصبح المُلْـكُ لله والعظمـةُ والسـلطان والعـزة والقـدرة لله أصبحنا علىٰ فِطْرة الإسلام وكلمةِ الإخلاص وعلىٰ دين نبينا محمـد صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبـك نحيـا وبـك نمـوتُ وإليــك النشــور اللــهم إنــا نســألك أن تبعَثَنــا في هــذا اليــوم

فلخصوصِ الذكر في هذا الحال والوقت فضلٌ عظيم سوىٰ ما جاء في عموم فضله الكريم وللذكر المأثور فيه ثواب أعظم إليه أشير بقوله (فقل عند ذلك: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا) مِيتَة النوم؛ لأنها إحدىٰ المِيتَتَين (وإليه النشورُ) رواه الشيخان. (أصبحنا وأصبح المُلْكُ لله) رواه مسلم. ولا يُشْكِلُ مطلوبيةُ هذا قَبْل الصبح لأن الصباح لغة من نصف الليل (والعظمةُ والسلطان والعزة والقدرة لله) رواه الطبراني. وفي رواية صحيحة لابن السُّنِّي ولأحمد: (أصبحنا علىٰ فِطْرة الإسلام) فطرة الله التي فطر الناس عليها (وكلمةِ الإخلاص) التي هي النجاة حين لا مَنَاصَ (وعلىٰ دين نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) وفي نسخة: وما أنا وليست في الرواية، وفي رواية أبي داود والترمذي، ونسخ من البداية: (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا) يقولها في الصباح والمساء (وبك نحيا وبك نموتُ وإليك النشور) أي من قبورنا ونحو ذلك لمن لـم يقبر وفي روايـة لغــير مـن تقدم (اللهم إنا نسألك أن تبعَثَنا في هذا اليوم) أي الوقت أو

إلىٰ كل خير، ونعوذ بك أن نَجْتَرِحَ فيه سوءاً أو نَجُرَّه إلىٰ مسلم، أو يَجُرَّه أحد إلينا نسألك خير هذا اليوم وخيرَ ما فيه ونعوذ بك من شَرِّه وشر ما فيه.

اليوم المعروف ويقول في الليل: في هذه الليلة (إلىٰ كل خير، ونعوذ بك أن نَجْتَرِحَ) نَقْتَرِفَ ونعمل (فيه سوءاً أو نَجُرَّه إلىٰ مسلم، أو يَجُرَّه أحد) مسلم أو غيره (إلينا) نَفْسِنا وأتباعنا (نسألك خير هذا اليوم) لعله هو المراد بقوله (وخيرَ ما فيه ونعوذ بك من شَرِّه وشر ما فيه) وفي هذا ما في ما قبله، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء عند إيراده هذا الذكر الذي أوله: اللهم إنا نسألك إلىٰ آخره: لم أجد أوله. ويقع للمصنِّف أنه يورد ما هو مركب من حديثين أو أكثر ومن ذلك هذا فقوله: نسألك إلىٰ قوله ونعوذ رواه الدارقطني، ومن قوله: نعوذ بك إلىٰ آخره رواه أبو داود؛ ولكن بلفظ: وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن نقترف علىٰ أنفسنا سوءاً أو نجره إلىٰ مسلم.

وبالجملة: فينبغي أن يُحافَظ علىٰ هذا الذكر من: اللهم إنا نسألك إلىٰ آخره؛ فإنه جامع مانع مُغْنٍ عن صلاة الاستخارة اليومية والليلية التي في وصايا الشيخ محيي الدين[1]، وفي أوراد الشيخ محمد بن

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي أبو عبد الله، العارف الكبير لقبه الشيخ أبو مدين بسلطان العارفين، وإذا أطلق الشيخ الأكبر =

....

عراق[1] وهو أسلم من مَعَرَّةِ قول المعترض أن هذه الصلاة لا أصل لها؛ إذ لا يسعه أن يقول بنظير ذلك في هذا الذكر وقد علمتَ أصلَه.

في عرف القوم فهو المراد. ولد الشيخ ليلة الإثنين أو ليلة ١٧ من رمضان سنة ٥٦٠هـ الموافق لـ ٢٧ تموز ١١٦٥م في مرسية من شرق الأندلس. قام برحلات كثيرة داخل الأندلس وخارجها، ثم أقام بدمشق إقامة تامة من عام ٦٢٩هـ إلىٰ أن توفي فيها ليلة الجمعة ٢٨ من ربيع الآخر ٦٣٨هـ ودفن بسفن قاسيون بالصالحية. من كلامه رحمة الله عليه: من شرُفت مرتبته، وعلت منزلته كبرت صغيرته، ومن كان وضيع المنزلة، خسيس المرتبة صغرت كبيرته. ومن حذَّر من قراءة كتبه فهو – كما قال الإمام الشعراني – لعلو مراقيها، ولما فيها من الكلام المدسوس علىٰ الشيخ. والسادة باعلوي الأشراف الكرام يرون قراءة كتابه: رسالة القدس في مناصحة النفس؛ لأنه ليس فيها شيء من الأمور المشكلة. (ر: المنهج السوي للحبيب زين بن سميط ص٢٥٧ وطبقات الشعراني١/٢٦٠-٢٦١والمنن الكبرىٰ له ص٤٠٨ وطبقات الصوفية للمناوي٢/ الترجمة ٥٥٥ ومقدمة ترجمة حياته من كلامه للأستاذ محمود محمود الغراب. وما أشير إليه هنا من طريقته في الاستخارة انظرها في كتاب الصلاة للشيخ عبد الله سراج الدين ص١١٤-١١٥.

(١) محمد بن علي بن عراق الكناني الشافعي توفي بمكة يوم الأحد سابع شهر صفر سنة ٩٣٣ قال محيي الدين العيدروس مثنياً: العارف بالله الرباني والقطب الصمداني شافعي زمانه وجنيد أوانه. أورد له عقيدة مختصرة، وله وصية نافعة، وجملة مصنفات وغير ذلك، وتذكرة جمع فيها فوائد عديدة (انظر ترجمته في تاريخ النور السافر ص١٩٢-١٩٦).

آداب اللباس

فإذا لَبِسْتَ ثيابك فانْوِ به امتثَال أمر الله تعالىٰ في سَتْر عورتك واحذر أن يكون قَصْدُكَ من لباسك مراءاةَ الخَلْق.

آداب اللباس

(فإذا لَبِسْتَ) أي أردتَ أن تلبَس (ثيابك) كلها أو بعضها (فانْوِ به) باللُّبس (امتثَال أمر الله تعالىٰ) المطلوب منك (في) لبسك (سَتْر عورتك) عورة الصلاة أو أعم وفاقاً وخلافاً، وفي لبسك لتجملك عند لقاء الوَفْد، وخروجك لنحو الجمعة، وإظهار أثر نعمة الله تعالىٰ عليك؛ إذ الكل جاء فيه الأمر، ويُطلب فيه قصد الامتثال، والمباحُ ملبوساً أو غيره إذا اقترنت به نيةٌ صيَّرته مندوباً علىٰ ما هو مقرر في محله[1] (واحذر أن يكون قَصْدُكَ من لباسك) الساتر للعورة أو ما يشمله (مراءاةَ الخَلْق) ولو واحد؛ لأن الرياء بعبادة مّا تُوهِمُ صلاحاً حرامٌ، بل اقصُدِ السترَ والتجمل وإظهار النعمة؛ لأن هذا مقصود الشرع من اللباس.

---

(١) فالأكابر يحرصون علىٰ السنن حرصهم علىٰ الواجبات ويجتبون المكروهات اجتنابهم للمحظورات ومباحاتهم لها مقاصدها العليَّات وهذا الذي ميَّزهم في البريَّات.

آداب دخول الخَلاَء

فـإذا قصـدتَ بيـت المـاء لقضاء الحاجة فقَدِّم في الدخول رِجْلَكَ اليسـرىٰ وفي الخـروج رِجْـلَكَ اليمنىٰ ولا تستصحب شـيئاً عليه اسمُ الله تعالىٰ واسمُ رسوله. . . . .

آداب دخول الخَلاَء

(فإذا قصدتَ بيت الماء) أي محل قضاء الحاجة بقرينةِ قوله: (لقضاء الحاجة) أي البول أو الغائط، وفي معناهما قضاء حاجة أخرىٰ (فقَدِّم) ندباً (في) حال ابتداء (الدخول) وكمحله دهليزُه وإن طال (رِجْلَكَ اليسرىٰ) أو بَدَلها، ومثل مَحَلٍّ قضائها: السوقُ والمُسْتَحَمُّ ومحل المعصية كالصاغة، فإنها نحو محلِ بيعِ الذهب بالذهب مفاضلة، ومحل الزَّغَل[1]؛ (وفي) حال ابتداء (الخروج) من ذلك البيت ونحوه (رِجْلَكَ اليمنىٰ) أو بدلها، (ولا تستصحب) في الدخول (شيئاً) ولودرهماً مكتوباً (عليه اسمُ الله تعالىٰ) أو صفته كقرآن، (واسمُ رسوله) محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أو أحد من رسل البشر أو الملائكة، ومثله اسم كل معظَّم، ولو مشتركاً[2] قصد تعظيمه، أو دلت قرينة علـيه، علىٰ بحـث واضـح في بعضـه مبين في

---

(١) الزَّغَل: الغِشّ، وهو زُغَليّ (التاج/زغل).

(٢) قال في الشرح: كعزيز وكريم.

ولا تدخلْ حاسِرَ الرأس وقُلْ عند الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الرِّجْسِ النَّجِسِ الخبيثِ المُخْبِثِ الشيطانِ الرجيمِ.

الشرح والمبسوطات، فإن غفل عن إدخاله أو تعمَّدَه؛ غيَّبه ندباً، ونزعه وجوباً عند الاستنجاء.

(ولا تدخلْ) ندباً (حاسِرَ الرأس) مكشوفه، لأن كشفه ينشأ عنه الفَرَق من الجن والنسيان وعلوق الرائحة بالشعر، وستره أجمع لمسامِّ البدن، وأسرع لخروج الخارج، ومحصِّلٌ للسُّنَّة، وككَشْفه الحَفَا في فوات السنة، (وقُلْ) ندباً (عند) إرادة (الدخول:) ونحوه، كأن يبول في إناء، (بسم الله) أي: أتحصن، رواه الترمذي. ولا يزيد الرحمن الرحيم لعدم الورود، ومن الوارد: يا ذا الجلال، (أعوذ) أعتصم (بالله من الرِّجْسِ) قيل: المراد به الشيطان، وإلا فهو لفظ مشترك بينه وبين الحرام والقبيح والعذاب واللَّعنة والكفر، (النَّجِسِ) الفعل؛ لأنه طاهر العين كالمشرك، (الخبيثِ) الطبع، وقيل معناه: الخبيث في نفسه، (المُخْبِثِ) الذي أعوانه خبثاء، ويعلمُهم الخبث، (الشيطانِ) المبعد المتمرد الخبيث العاتي من شَطَن[1] (الرجيمِ) المرجوم.

---

(١) من باب قعد شطنت الدار: بعدت، وفي الشيطان قولان: أحدهما أنه من شطن إذ بعد عن الحق، أو عن رحمة الله فتكون النون أصلية، ووزنه فيعال، والقول الثاني: أن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول وهو من شاط يشيط إذا بطل أو احترق فوزنه فعلان. (المصباح/شطن).

وعند الخروج : الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأَبْقَىٰ عليَّ ما يَنفعني. وينبغي لك أن تُعِدَّ النبل. . . . .

روىٰ هذا الذكر النسائيُّ، قيل: ورواه غيره مرفوعًا فيه متروك، وقيل: ورد من طرق ضعيفة يعمل بها، لكن أولىٰ منه وأخصر في حديث الشيخين: اللهم إني أعوذ بك من الخبث[١] والخبائث.

ولو ترك التعوذ ولو عمدًا حتىٰ دخل نُدب بالقلب، قيل: والتسمية للستر من أعين الجن، والتعوذ لدفع شرهم، (وعند الخروج:) وما في معناه من محل قضائها يندب: غفرانك. لحديث صحيح فيه، ويكرره ثلاثًا ندباً، (الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني) أي: بقاؤه (وأَبْقَىٰ عليَّ ما يَنفعني) أي: من نفع الغذاء، ونفعُه القوة الناشئة عنه، ورواه ابن السني وكذلك الدارقطني لكن بلفظ: وأمسَكَ عليَّ، وفي "المنهاج" وغيره أخذاً من رواية النسائي: الحمد لله الذي أذهب عني الأذىٰ وعافاني. وجَمْعهما حسن، وفي أيهما أولىٰ لمن أراد الاقتصار وقفةٌ من حيث إنَّ في سند الثاني ضعفاً علىٰ ما قيل، ومن حيث إن الأول علىٰ خلافه العمل بالنظر إلىٰ الكتب التي عليها المعوَّل في الإفتاء.

(وينبغي) يندب (لك أن تُعِدَّ النبل) بضم النون وفتح الموحـدة،

---

(١) بسكون الباء وضمها: ذكران الشياطين أو الشيطان أو الشر أو المكروه أو الكفر. و(الخبائث): إناث الشياطين أو المعاصي (من الشرح).

قبل قضاء الحاجة وأن لا تَستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة وأن تَستبرئ من البول بالتنحنح والنَّتْرِ (ثلاثًا). . . . .

أو بفتحهما، أو ضمهما: آلة الاستنجاء[١]، وهي حجر أريد وحده أو مع الماء تحصيلاً للسنة، وحذرًا من انتشار النجاسة، وقد يجب إعداد النبل حيث لا ماء وبالانتقال يتضمخ بالنجاسة، وكما يندب إعداد الحجر يندب إعداد الماء (قبل قضاء الحاجة) بولاً أو غائطاً، (وأن لا تَستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة) فيكره الاستنجاء فيه إلا موضعاً مُعَدّاً لها، فمن ترك ذلك عمل بالسنة وأَمِنَ من الرَّشَاش، وإن كانت امرأة أمنت من الابتلاء بالريح من قُبُلها؛ لأن الاستنجاء بالمحل .رثه.

(وأن تَستبرئ من البول) عند انقطاعه، ومفهومه إخراج الغائط، وبَحَثَ بعضهم ندب الاستبراء منه عند احتمال خروجه، (بالتنحنح والنَّتْرِ) بلطف وغيرهما، والنتر بمثناة وقيل بمثلثة (ثلاثًا) يحتمل ندب

---

(١) جاء في المصباح/ نبل: والنُّبْلة حجر الاستنجاء من مَدَر وغيره والجمع نبل مثل غرفة وغرف، قيل سميت بذلك لصغرها، وهذا موافق لقول ابن الأعرابي، النبلة: اللقمة الصغيرة والمدرة الصغيرة وفي الحديث: اتقوا الملاعن وأعدّوا النُّبَل. والمحدثون يقولون: النَّبَل بفتحتين قال الفارابي: والنَّبَل عظام المدر والحجارة.

وبإمرار اليد علىٰ أسفل القضيب وإن كنتَ في الصحراء فابعُدْ عن أعين الناظرين.........................

التنحنح والنتر ثلاثًا ثلاثًا، ويحتمل أن التثليث بالنسبة للنتر فقط، وهو المتبادر من العبارة، وصريح كلامه أن الاستبراء سنة، وهو المعتمد، وقيّده: جَمْعٌ بمن لم تطَّرد عادته بالخروج بعد الانقطاع، وجرىٰ جَمْعٌ علىٰ الوجوب مطلقًا لظاهر حديث ضعَّفه غيرهم، (و) أن تستبرئ من البول (بإمرار اليد) بلطف (علىٰ أسفل القضيب) أي: الذَّكَر، ولا يشترط جمع هذه الثلاثة كما تُوهِمُهُ العبارة؛ لأن المدار علىٰ فعل ما يُنْظَرُ به انقطاع البول.

(وإن كنتَ) أيها المريد لقضائها (في الصحراء) أو بناء متسع مُحَوَّط مثلاً (فابعُدْ) ندبًا؛ ولو في الغائط والبول قائماً (عن أعين الناظرين) بحيث لا يُسمع ولا يُشم منك صوت وريح، ولا يندب الإبعاد في المُعَدِّ؛ وصح أنه صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أراد قضاءها وهو بمكة خرج إلىٰ المُغَمَّس[1] إلىٰ نحو ميلين من مكة، ولهذا

---

(١) ورد في التاج/ غمس: كمعظم ومحدّث: موضع بطريق الطائف، وفيه قبر أبي رغال دليل أبرهة الحبشي إلىٰ مكة، ويرجم إلىٰ الآن (ثم أورد الزبيدي شعراً) قال أمية بن أبي الصلت:

حُبس الفيلُ بالمغمس حتىٰ ... ظلّ فيه كأنه مَعْقور

واستتر بشيء إن وجدتَه ولا تكشفْ عورتَك قبل الانتهاء إلىٰ موضع الجلوس ولا تستقبلِ القبلةَ ولاتستدبِرْها. . . . .

الحديث محمل في الشرح، (واستتر) عن أعين الناظرين (بشيء) مرتفع ثلثي ذراع بينك وبينه ثلاثة أذرع كذيل ووَهْدَةٍ وكثيب رَمْل، ولا بد في الشيء من عَرْض يستر العورة (إن وجدتَه) أي: الشيء، للأمر به في حديث حسن في آخره: "فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم" أي: من لم يستتر منهم عند القدرة، ولو تعارض الإبعاد والسَّتر فرعايته أولىٰ، بل قد يجب علىٰ ما بينته في الشرح[1].

(ولا تكشفْ) ندبًا أو وجوبًا (عورتَك) عند إرادة قضاء الحاجة (قبل الانتهاء إلىٰ موضع الجلوس) لقضائها؛ إذ السنة الكشف شيئاً فشيئاً ولك الكشف دفعة إذا كان الموضع خالياً فإن خفت تنجس الثوب كشفت بقدر الحاجة؛ (ولا تستقبلِ) في حال قضائها ندبًا مع الساتر (القبلةَ) عينها، وكذا جهتها علىٰ احتمال، (ولا تستدبِرْها) ببول أو غائط في غير المُعَدِّ، أما استقبالها واستدبارها في الصحراء والبنيان بلا ساتر شرعي فحرام، وأما في المعد فغير خلاف الأولىٰ؛ لأنه من قسم المنهي عنه، ولا نهي في المعد، لكن قيل مع هذا الأفضل تركه في المعد لعلَّه زيادة في التعظيم، ويحتمل أن يراد

---

(١) قال: في حالة وهي ما لو كان عنده من لا يغض لو كشفها، وإن وجب الغض، قيل إلا أن يأخذه البول وهو محبوس بين جماعة فيجوز الكشف، ويجب الغض.

ولا تستقبلِ الشمسَ والقمر ولا تجلسْ في مُتَحَدَّثِ الناس، وفي ظِلِّهم

بالقبلة ما يشمل صخرة بيت المقدس، لأنه يندب تركهما فيها.

(ولا تستقبلِ) ندبًا (الشمسَ والقمر) ولا تستدبرهما، لكن الاستقبال أفحش، ومن ثَم اقتصر عليه المصنف، واعتمد النووي في "الروضة" و"المجموع" كراهته دون الاستدبار، وقيل: المعتمد عدم كراهتهما، فعليه قيل: مباحان، وقيل: خلاف الأولىٰ، وكلام المصنف في الاستقبال يُشْعِر بالثاني، وعلة النهي أو حكمته ذكرتها في الشرح[1]، وفي بعضها وما رتب عليه غرابةٌ، ولا نهي عن نحو الاستقبال في حال الاستنجاء، وظاهر كلامهم أنه مباح، ولو قيل الأفضل تركه علىٰ حدّ ما سبق في المعدّ لأجل التعظيم - لم يَبْعُدْ.

(ولا تجلسْ) ندبًا لقضاء الحاجة (في مُتَحَدَّثِ الناس، و) لا (في ظِلِّهم) لا شتاء ولا صيفًا إلا إن كان مباحًا متحدثًا لمعصية، أو أذن مالكه فاجلس فيه لذلك تنفيرًا؛ إن لم تخش ضرراً. ومثله محل وقايتهم من حَرٍّ وبرد ومحل مبيتهم، وكذا مثله بل آكد منه: الطريق؛ لصحة النهي عن قضائها فيه حتىٰ جَنَحَ النووي وغيره إلىٰ اختيار التحريم دليلاً لا مذهبًا.

---

(١) قال: لأنهما من آيات الله الباهرة، أو لأن لهما من الشرف وكثرة المنافع ما ليس لغيرهما من الجمادات إن قلنا هما جمادان، أو لقرب حرمتهما من حرمة البشر إن قلنا حيين مطيعين لله تعالىٰ.

ولا تَبُلْ في الماء الرَّاكِدِ ولا تحتَ الشجرة المُثْمِرة ولا في الجُحْر

(ولا تَبُلْ) ولا تتغوط (في الماء الرَّاكِدِ) ولا بقربه، قليلاً كان الماء أو كثيراً؛ لأن البول فيه مكروه، وقيل حرام في القليل، ومحل الكراهة إذا كان مملوكاً لك أو مباحاً ولم يستبحر، وقيس علىٰ الراكد القليل الجاري، ومثل البول في الكثير الراكد انغماسُ المستجمر فيه، ويكره البول والتغوط في الماء ليلاً مطلقًا[١].

(ولا) تَبُلْ ولا تتغوّط (تحتَ الشجرة المُثْمِرة) أي: التي من شأنها أن تثمر ثمراً يؤكل أو يُشَمّ، فيكره تحت شجرة لا ثمرة عليها صيانة لها عند حدوثها فتعافها الأنفس، ولا فرق في الثمرة بين مباحةٍ ومملوكة رضي مالكها وبينَ خلافِ ذلك، ولم يحرم البول أو التغوُّط لعدم تيقن التنجيس، وفي الشرح بسط وبحث وجيه[٢]؛ (ولا) تبل ولا تتغوط (في الجُحْر) بضم الجيم وسكون الحاء: الثُقب بضم المثلثة: ما استدار، ومثله السَّرَب بفتح السين والراء: ما استطال، ويقال له الشَّق، للنهي عن ذلك، وعلته الإيذاء لما فيه، والتأذي به، وقيل يحرم، ومحل النهي في غير المعد.

(١) قال: لأنه مأوىٰ الجن، وكأن هذا حكمة الكراهة لا تعليلها ودليلها فإنها لا تثبت إلا بالتوقيف.

(٢) قال: وبحث بعضهم أن محل الكراهة ما لم يغلب علىٰ الظن طهارة المحل قبل وقوع الثمرة بجري ماء عليه.

واحذرِ الأرضَ الصُّلْبَةَ ومَهَابَّ الرِّياح احترازاً من الرَّشَاشِ واتَّكِئْ في جُلوسِكَ علىٰ رِجْلك اليُسرىٰ ولا تَبُلْ قائماً إلا عن ضرورةٍ

(واحذرِ الأرضَ الصُّلْبَةَ) بضم الصاد وسكون اللام، أي: احذر البول والغائط المائع فيها احترازاً من الرشاش، (ومَهَابَّ الرِّياح) مكان هبوبها وإن لم يكن وقته، (احترازاً من الرَّشَاشِ) بفتح الراء الحاصل من البول أو الغائط المائع، فقوله احترازاً علَّة الحذر من قضائها في الأرض والمهاب.

(واتَّكِئْ) ندباً (في جُلوسِكَ) وقيامك حال قضائها بولاً أو غائطًا (علىٰ رِجْلك اليُسرىٰ) أو بدلها ناصبًا لليمين؛ لأن الإتكاء المذكور أليق هنا وأسهل لخروج الخارج؛ (ولا تَبُلْ) ولا تتغوط (قائماً) ففعلك أحدهما قائماً مكروه أو خلاف الأولىٰ (إلا عن ضرورةٍ) أو حاجة كعِلَّةٍ بصُلْب[1] أو ركبة أو ضيق مكان، أو خشية خروج شيء من السبيل الآخر لو جلست؛ وفي الشرح فوائد مهمة وآداب لم يذكرها المصنف ذكرتها تتمة[2].

---

(١) قال في الشرح: قال الشافعي-رضي الله عنه-: وكانت العرب تستشفي بالبول قائماً لوجع الصلب، وكان أهل هراة يفعلونه كل عام مرة.

(٢) أذكرها مجملة: أن لا يأكل ولا يشرب حال قضائها، وكذا لا يتكلم. أن لا يستاك. لا يبصق علىٰ الخارج منه، ولا ينظر إليه، ولا إلىٰ فرجه بلا حاجة، وأن لا يطيل المكث، وأن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً. وأن لا يعبث بيده، وأن لا يضع كفه اليمنىٰ علىٰ ركبته اليمنىٰ حال قضائها.

واجمعْ في الاستنجاء بين استعمالِ الحَجَر أو ما يَقوم مَقامَه وبين الماء فإن أردتَ الاقتصارَ علىٰأحدهما فالماءُ أفضلُ وإنِ اقتصرتَ علىٰ الحَجَرِ فعليكَ أن تستعمل ثلاثةَ أحجارٍ طاهرة مُنَشِّفَةٍ تَمسَحُ بها مَحَلَّ النَّجْوِ.....................

(واجمعْ) ندباً (في الاستنجاء) أي: إزالة الخارج، وتجب الإزالة من كل نجس رطب خارج من أحد السبيلين ولو نادراً، (بين استعمالِ الحَجَرِ) الذي لا يشترط طهارته في حال الجمع، (أو ما يَقوم مَقامَه) أي: مقام الحجر، وهذا القائم كلُّ جامد طاهر قالع غير محترم، (وبين الماء) الطهور؛ (فإن أردتَ الاقتصارَ علىٰ أحدهما فالماءُ أفضلُ) لأنه مزيل للعين والأثر، سواء ماء زمزم وغيره، وفي الشرح كلام مهم فيه[١]، (وإنِ اقتصرتَ علىٰ الحَجَرِ) الطاهر أو ما يقوم مَقامه (فعليكَ) أي يجب (أن تستعمل ثلاثةَ أحجارٍ) أو حجراً له ثلاثة أطراف مُنقِّية، والمراد وجوب ثلاث مسحات وإن زالت عين النجاسة بالأُولىٰ علىٰ ما بسطته في الشرح، (طاهرة) تلك الأحجار، وكذا الأطراف، حتىٰ لو استنجىٰ بمتنجِسة تعين الماء، (مُنَشِّفَةٍ) لعين النجاسة، (تَمسَحُ بها) أي: بكل واحد من الثلاثة أو ما يقوم مَقامها، (مَحَلَّ النَّجْوِ) محل الاستنجاء جميعَه، بأن تَعُمَّ المسحة لكل جزء منه.

---

(١) قال عن ماء زمزم: الأولىٰ ترك الاستنجاء به، بل قيل: يحرم واعتمده العباب، وقيل يكره.

بحيث لا يَنقُلُ الحَجَرُ النجاسةَ عن موضعها، وكذلك تمسَحُ القَضِيبَ في ثلاثة مواضعَ من حَجَرٍ. . . . .

هذا هو المعتمد عند شيخ الإسلام زكريا ومن تبعه، واعتمدت طائفة أنه مستحب[١]، وبسطت المسألة في الشرح، (بحيث لا يَنقُلُ الحَجَرُ) أو ما يقوم مقامه (النجاسةَ عن موضعها)، وفي نسخة بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها، وهي أخصر وأعم، قلت: وبحيث لا يجف النجس، ولا يطرأ أجنبي رطب ولا يتقطع، ولا يجاوز صفحتَه وحَشَفَته، وفي الشرح بيان كيفية الاستنجاء الفاضلة في الدُّبُر والذَكَر فراجعها فإنها مهمة.

وأَخَذَ يبين الكيفية الواجبة فيه فقال: (وكذلك تمسَحُ القَضِيبَ) أي: الذكر (في ثلاثة مواضعَ من حَجَرٍ) يجزئ الاقتصار عليه في الاستنجاء، وسبق بيانه وبيان أن الحجر لا يتعين، بل هو أو ما يقوم مقامه، فلو أمرَّه علىٰ موضع مرتين تعين الماء؛ ومعرفة كيفية الاستجمار متعينة، ولذا يُعَايَرُ ويُوَبَّخُ من لم يعرفها، بل من لم يعرف آداب الاستنجاء، ولذا استقصيتُ في جمعها عند مُعَايَرَةِ بعض المصريين لبعض المكيين لذلك حتىٰ جمعت منها فوق ستين أدباً في رسالتي: «**لمحةُ النَّظَر في آداب الاستنجاء بالماء والحَجَر**».

---

(١) منهم شيخ المؤلف البكري وله: تحرير النظر في الاستنجاء بالحجر ذهب فيه إلىٰ الندب.

فإن لـم يَحْصُل الإنقـاءُ بثلاثـةٍ وَجَـبَ الإنقاءُ فتَمِّمْ خمسةً أو سبعةً إلىٰ أن يُنَقّـىٰ بالأوتـار فالإيتارُ مستحبٌ، والإنقاء واجب ولا تستَنْجِ إلا باليد اليسرىٰ ولا تستنج بالماء في موضعِ قضاءِ الحاجة وابدأ في الاستنجاء بالقُبُلِ..................

ولو ضممتُ إليها بقية آداب قضاء الحاجة لأنافَتْ علىٰ المائة، فشمِّر ساعد الجدِّ في التعلم، لكن أخلص النية، فالإخلاص خطير، (فإن لم يَحْصُل الإنقاءُ) للمحَل (بثلاثةٍ) أحجار (وَجَبَ الإنقاءُ) بأزيدَ إلىٰ أن يبقىٰ أثر لاَ يزيله إلا الماء أو صغار الخَزَف، فإن حصل الإنقاء برابع سُنَّ خامس، أو سادس سُنَّ سابع، وهلم جراً كما يدل عليه قوله: (فتَمِّمْ خمسةً) إن حصل الإنقاء برابع، (أو سبعةً) إن حصل بسادس، (إلىٰ أن يُنَقَّىٰ بالأوتار) جمع وِتر[1]، (فالإيتارُ) بعد الثلاث (مستحبٌ، والإنقاء) مطلقًا (واجب) للأمر بهما[2].

(ولا تستَنْجِ) ندباً (إلا باليد اليسرىٰ) إكراماً لليمين، معتمداً في استنجاء الدبر علىٰ أصبعها الوسطىٰ، (ولا تستنج) ندباً (بالماء في موضعِ قضاءِ الحاجة) غير المعد، لئلا يصيبك الرشاش، فإن أمكن أن يصيبك فيه لامتلائه فلا تستنتج فيه، أخذًا من العلة (وابدأ في الاستنجاء) أي: عند إرادتك الاستنجاءَ بالماء (بالقُبُلِ)، وعند إرادتك

---

(١) بكسرالواو علىٰ لغة أهل الحجاز وتميم وبالفتح في لغة غيرهم (المصباح/ وتر).

(٢) أي الإيتار والإنقاء وقد ورد النهي عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار.

وقُلْ عند الفـرَاغِ من الاستنجاء : اللهم طَهِّـرِ قلبي من النفاق وحَصِّن فَرْجـي من الفواحش. وادلُكْ يَدكَ بعد تمام الاستنجاء بأرضٍ أو بحائط ثم اغسِلْها.

الاستنجاء بالحجر فابدأ بالدبر، وخذ الحجر بيمينك، وانظر إليه قبل رميه لتعلم أنه أنقىٰ أو لا.

(وقُلْ) ندباً (عند الفَرَاغِ من الاستنجاء) بالماء أو الحجر أو بهما عند انصرافك من محل قضاء الحاجة ودهليزها: (اللهم طَهِّر قلبي من النفاق) بنوعيه[١]، (وحَصِّن فَرْجي من الفواحش) كالزنا ومقدماته. قال في "الإحياء": هذا الذِكر يناسب الحال. وقال الأَذْرَعِي[٢]: حَسَنٌ وإن لم يكن له أصل. قلتُ: أراد لا أصل له بهذا اللفظ؛ وإلا ففي حديث في "الجامع" ما دل علىٰ أصل، حيث أَمَرَ علياً فيه بقوله: "فإذا غسلت فرجك فقل: اللهم حصن فرجي" وفي رواية: "واجعلني من المتطهرين" أي: قلباً وغيره، وبسطتُ الكلام في الشرح؛ (وادلُكْ) ندبًا (يَدك) مع الماء دلكًا شديدًا مرتين أو ثلاثًا (بعد تمام الاستنجاء بأرضٍ أو بحائط) طاهر (ثم اغسِلْها) اتِّباعًا، وفي الشرح هنا مسائل مهمة، ولما فـرغ من الاستنجاء وآدابِه شرَعَ في آداب الوضـوء فقال:

---

(١) أي الاعتقادي والعملي ويسمىٰ الأصغر والأكبر عافانا الله وحفظنا منهما.

(٢) النسبة إلىٰ أذرعات بكسر الراء وتفتح بلد بالشام. (القاموس/ الذراع).

آدابُ الوضوء

فإذا فَرَغتَ من الاستنجاء فلا تترُكِ السواكَ إلا حيث نَهَاكَ عنه، وهو في الصوم بعد الزَّوال. . . . .

آدابُ الوضوء

أي: هذه مندوباته، وهو بضم الواو وفتحها علىٰ ما هو مشهور ومذكور في الشرح، (فإذا فَرَغتَ من الاستنجاء) بالماء أو الحجر (فلا تترُكِ) عقب الفراغ منه عند إرادتك الوضوء (السواكَ)، وهذا يُشْعِرُ أنه أوَّل سنن الوضوء، والمسألة ذات خلاف، والمعتمد أنه بين غسل الكفين والمضمضة، وإن قال الأَذْرَعِيُّ: المنقولُ الأوَّلُ، وأن أوَّله التسمية، فإن استَاكَ لأجلها باعتبار كونها ذِكْراً فالسواك يندب له، وأمكن حمل كلام المصنف عليه؛ وتوجيهه بأن السواك فيه تطهير، فناسب تعقيبه بتطهير المحل، والمراد بالسواك الشرعيِّ: استعمالُ عود ونحوه كأشنان[1] في الأسنان وما حولها، لكنه فيها عَرْضاً، وفي اللِّسان طولاً أفضل، بل يكره خلافه؛ وهو سنة في كل وقت[2] (إلا حيث نَهَاكَ) الشرع (عنه، وهو في الصوم بعد الزَّوال)

---

(١) بضم الهمزة والكسر لغة معرب.(المصباح/ أشنان).

(٢) وآكده عند: القيام إلىٰ الصلاة وعند تغير الفم وله أسباب وعند القيام إلىٰ الوضوء
=

فإنـــه مَطهـــرةٌ للفَـــمِ ومَرْضـــاةٌ للـــربِّ ومَسْـــخطةٌ للشـــيطان

لطلبه إبقاءَ تغيُّرٍ نَشَأَ عنه، ومن هذه العلة تُعْلَمُ أحكام فروع مؤكدة مذكورة في الشرح.

ثم إنه ذو ثمرات جليلة وفوائد مثيلة تزيد علىٰ سبعين[1]، مِنْ أجَلِّ تلك الثمرات أو أجَلُّها ما أشير إليه بقوله: (فإنه مَطهرةٌ) بفتح الميم وكسرها، والقياس الكسر، لأنه آلة تنقية (للفَمِ) طريق الذِّكْر، (ومَرْضاةٌ للربِّ) مَجْلَبَة لرضاه كما صح في الحديث، وفي حديث الدَّيْلَمي: " في السواك عشرُ خصال: مطهرة للفم، ومرضاة للرب"، (ومَسْخطةٌ للشيطان) مجلبة لسخطه، ومَجَبَّة للخطيئة، وباقي الحديث مبين في الشرح[2]، وفي نسخة إسقاط هذه الثالثة، وفي الشرح بيان الروايات.

وعند قراءة القرآن وعند اصفرار الأسنان.

(١) وللسيد الفاضل الدكتور محمد علي البار كتاباً جامعاً عنوانـه: السـواك. طبـع في دار المنارة في جدة.

(٢) جاء في البيان للعمراني(١/٨٩-٩٠) أول باب السواك: روي عن ابن عبـاس أنـه قال: " في السواك عشر خصال: مطهرة للفم، مرضاة للرب، مفرحة للملائكـة، مسخطة للشيطان، يذهب الحَفَر ويجلو البصـر، ويشـد اللثـة، ويقلـل الـبلغم، ويطيب الفم وهو من السنة، ويزيـد في الحسـنات ".عنـد الـدار قطـني وغـيره، وتكلموا عليه، ولبعض أطرافه شواهد (بتصرف) والحديث غير مـتمم في شـرح الإمام الفاكهي.

وصـلاةٌ بسواكٍ أفضلُ عند الله من سبعينَ صلاةً بغير سواك ثم اجلس للوضوء مستقبِلَ القبلة علىٰ موضعٍ مرتفع كيلا يصيبَك الرَّشاشُ وقُلْ: بسم الله الرحمنِ الرحيمِ، رَبِّ أعوذ بك من هَمَزَاتِ الشياطين وأعوذ بك رب أن. . . . .

(وصلاةٌ) حتىٰ من فاقد الطهورين (بسواكٍ) ولو أصبعاً[1] بشرطه (أفضلُ عند الله) يوم القيامة (من سبعينَ صلاةً بغير سواك)، رواه بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف؛ الحاكمُ وصححه، لكن ضعفه في "المجموع"، وفي نسخة إسقاط كلمة: عند الله، وفي الشرح استيفاء للروايات مع مهمات، وفي نسخة أو نسخ هنا أدلة وأحاديث في فضل السواك تكلمتُ عليها في الشرح بعد أن أثبتها نسخة.

(ثم اجلس للوضوء مستقبِلَ القبلة) أي: عينها أوجهتها علىٰ احتمال (علىٰ موضعٍ مرتفع كيلا يصيبَك الرَّشاشُ) بفتح الراء، (وقُلْ) عند غسل الكفين بعد التعوذ وقبل التلفظ بالنية: (بسم الله) مقتصراً علىٰ الاسم الكريم إن أردتَ أصـلَ السنة في التسمية لحديث: " توضؤا باسم الله" وحديث: " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله - وفي لفظ بذكر الله.."، أو كمالَها فزِدْ: (الرحمنِ الرحيمِ، رَبِّ أعوذ) أعتصـم (بك من هَمَزَاتِ الشياطين) وساوسهـم، (وأعوذ بك رب أن

---

(١) مثلثة الهمزة، ومع كل حركة تثلث الباء: تسع لغات، والعاشـر أصـبوع بالضـم. (القاموس/الإصبع).

يحضُرون. ثم اغسِل يديك (ثلاثاً) قبل أن تدخلَهما الإناءَ، وقُلْ: اللهم إني أسألك اليُمْنَ والبركة وأعوذ بك من الشُّؤْم والهَلَكةِ. ثم انْوِ رَفْعَ الحَدَث. . . . .

يحضُرون) وفي الشرح هنا كلام مهم[١].

(ثم) وهو بمعنىٰ الواو لما يأتي، (اغسِل) مع النية (يديك) كفيَّك إلىٰ الكوعين[٢] (ثلاثاً قبل أن تدخلَهما) في (الإناءَ، وقُلْ) ندباً: (اللهم إني أسألك اليُمْنَ والبركة) معناهما واحد أو متقارب، (وأعوذ بك من الشُّؤْم) ضد اليُمْنِ (والهَلَكةِ) بفتح الهاء واللام، وسكونها مع ضم الهاء الهلاك وهو الموت والسقوط، (ثم انْوِ) أي: وانو قبل انتهاء غسل الكفين لأنه يندب قَرْنُ النية مع التسمية وغسلهما، حتىٰ لو لم يأت بهذه النية المندوبة لم يُثَبْ علىٰ سنة قبلها كغسل كَفٍّ ونحو مضمضة، وما سلكته في تقرير العبارة من التأويل ليجتمع كلام المصنف مع كلام النووي المعتمد.

وهذا شروع في النية الشاملة للواجبة والمندوبة. (رَفْعَ الحَدَث)

---

(١) ذكر الخلاف في أيهما يبدأ بالبسملة أو الاستعاذة وقال: لعل الحكمة من الاستعاذة لما ورد في حديث ضعيف أن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء.

(٢) الكُوع: طرف الزَّند الذي يلي الإبهام، والكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر، ويقال له الكاع. (القاموس/الكوع).

أو استباحَة الصلاة أو ما يقومُ مقامَ أحدِهما ولا ينبغي أن تعزُبَ نيتُك قبل غَسْل الوجه فلا يَصِحُّ وضوؤُك ثم خُذْ غُرفةً لِفِيكَ

أي: حكمه[١]، أو المانع، أو المنع، (أو استباحَة الصلاة)، وليس لدَائِمِه[٢] إلاَ هذه لا الأولىٰ، (أو ما يقومُ مقامَ أحدِهما) كاستباحة مفتقر إلىٰ وضوء، أو الوضوء، أو فرضه، أو أداء فرضه، وهو أفضل.

ويندب أن تكون هذه النية بإحدىٰ كيفياتها أول وضوئك، ومن ثَم قال: (ولا ينبغي أن تعزُبَ نيتُك) المسنونة (قبل غَسْل الوجه)، فإن عَزَبَتْ قبله فاتَتْكَ السنة، أو نيتك الواجبة قبل اقترانها بجزء منه (فلا يَصِحُّ وضوؤُك) لأن الواجب اقترانها بانغسال جزء منه، ولأن السنة استصحابها ذِكْراً بمعنىٰ: استحضارها من أول السنن السابقة علىٰ غسله إلىٰ آخر الوضوء، حتىٰ لو عزبت في أثنائه نُدب استئنافه، وأما استصحابها حكماً بأن لا يأتي بما ينافيها فواجب؛ وأوجَزُ من ذلك أن يقال: المرادُ إذا عزبت قبل الشروع في غسله، واستمر عزوبها فلا يصح وضوؤُك، وعلىٰ كل حال فعبارة المصنف هنا عَسِرَةُ الفهم إلا بالطريق التي بينتها ونحوها، ولذا اختلفت فيها أفهامُ جماعة.

(ثم خُذْ) بكفيك (غُرفةً) بفتح الغين وضمها (لِفِيكَ) الأفصح من

---

(١) قال في الشرح: كحرمة الصلاة ونحوها.

(٢) قال: كسلس المذي أو الودي.

تَمَضْمَضْ بها (ثلاثاً) وبَالغْ في رَدِّ الماء إلىٰ الغَلْصَمَة إلا أَنْ تكون صائماً وقل: اللهم أعنِّي علىٰ تـلاوة كتابِك وكثرةِ الذِّكْر لك وثَبِّتني بالقول الثابت في الدنيا والآخرةِ.

فمك، (تَمَضْمَضْ بها) ومسمَّىٰ المضمضة يحصل بإيصال الماء إليه، لكن إدارته ومَجُّه أفضل، كما أن الأفضل أن تتمضمض بها (ثلاثاً) قبل أن تنتقل للاستنشاق، لكن المعتمد نَدْبُ التمضمض بثلاث غرف، وبينتُ في الشرح سَنَدَ المصنف، (وبَالغْ في رَدِّ الماء) ماء المضمضة (إلىٰ الغَلْصَمَة) اللحم بين الرأس والعنق، أو العُجْرة[1] علىٰ ملتقىٰ اللَّهَاة والمريء، أو رأس الحلقوم بشواربه وتَرْقُوته. قاله في "القاموس" واللائق هنا الثالث، (إلا أنْ تكون صائماً) ولو نفلاً فلا تبالغ، فإنَّ سَبْقَ ماء المبالغة يُفَطِّرُ، بخلاف ما سَبَقَ بدونها، وفي الشرح بيان ضابط المضمضة والاستنشاق ودليل المسألة.

(وقل: اللهم أعنِّي علىٰ تلاوة كتابِك) لفظ الحديث: " تلاوة ذِكْرِك" فقط، ومن أسماء الكتاب الذكر، (وكثرةِ الذِّكْر لك) أي: وحدك، وفي كلامهم: أَعِنِّي علىٰ ذكرك وشكرك، وفي نسخة (وثَبِّتني بالقول الثابت) الشهادة (في الدنيا والآخرةِ) الصادقة بالبرزخ وما بَعْدَه، وهـو أشـد مما قبله وأهون مـما بعـده، فناسب سؤال التثبيت العام.

---

(١) هنا: موضع العَجَر؛ وهو النُّتُوّ (اللسان/عجر).

ثـم خـذ غَرْفـةً لأنفِكَ، واستنشِق بها واستنثِر ما في الأنف مـن رُطُـوبـة وقُـلْ في الاستنشاق : اللهم أَوْجِـدْني رائحَة الجنة في الجنة وأنت عني راضٍ.

(ثم خذ غَرْفةً) بكفك (لأنفِكَ، واستنشِق بها) ومسمَّىٰ الاستنشاق يحصل بإيصال الماء إلىٰ الأنف، والأفضل: أن تستنشق ثلاثاً بالغرفة الواحدة عند المصنِّف، والمعتمد: جَمْعُ المضمضة والاستنشاق بثلاث غرف، ويُندب أن تبالغ فيه إلا أن تكون صائماً، وضابط المبالغة فيه كدليلها، ودليل الاستنشاق في الشرح (واستنثِر) بالمثلثة بوضع يدك اليسرىٰ علىٰ الأنف كالمتمخِّطِ، (ما في الأنف من رُطُوبة) وتخرجها بخنصر اليسرىٰ، فسنة الاستنثار غير سنة الاستنشاق[1].

(وقُلْ) ندباً (في الاستنشاق) أي: عنده (اللهم أوْجِدْني رائحَة الجنة) كما جاء في حديث مرفوع لكن بلفظ "أرحني"[2] وفي "شرح المهذب": "لا تَحْرِمْني رائحة نعيمك وجناتك"، وفي أثر أو حديث عند المضمضة والاستنشاق: " اللهم لقِّنِّي حُجَّتي ولا تحرمني رائحة الجنة" زاد المصنف (في الجنة)، وفي نسخ (وأنت عني راضٍ)، ولـم

---

(١) في الشرح: كما دل عليه قول العباب وغيره وظاهر حديث الصحيحين واستنشـق واستنثر قال في فتح الباري: والاستنثار يستلزم الاستنشاق بلا عكس.

(٢) وهو الظاهر في المعنىٰ، أو هو الصواب؛ قال في الشـرح: وفي العبـاب ونسـخة من البداية: أرحني.

وفي الاستنثار: اللهم إني أعوذ بك من رَوائح النَّار ومن سوء الدَّار. ثم خذ غَرفةً لوجهك فاغسلْ بهما من مبتدأ تسطِيح الجَبْهة إلى منتهى ما يُقْبِلُ من الذَّقَن في الطُّول ومن

أقف علىٰ هذه الزيادة وما بعدها في حديث ولا أثر، ولعل الله تعالىٰ أن يفتح بأصله؛ (وفي الاستنثار) أي: وقل عنده: (اللهم إني أعوذ بك من رَوائح النَّار ومن سوء الدَّار) أي: عذاب النار لأنها دار سوء العاقبة، وحكمة تسميتها دار سوء ذكرته في الشرح مع أنه لائح للفِطَن، وذكرت فيه تتمة مهمة[١].

(ثم خذ غَرفةً) بيديك ملأهما (لوجهك) بحيث تغسله بهما لأنه أسبغ، (فاغسِلْ بهما من) ظاهر (مبتدأ تسطِيحِ الجَبْهة) أي: أعلاها مع شيء من الرأس؛ لأنه لا يتحقق غسل الأعلىٰ إلا بغسل هذا الشيء، والبداءة بالأعلىٰ مندوبة، والمراد أن يغسل من منابت الشعر التي من شأنها أن تَنْبُتَ، (إلىٰ) ظاهر (منتهىٰ) أسفل طَرَف (ما يُقْبِلُ من الذَّقَن) بفتح المعجمة والقاف: مجتمع اللَّحَيينِ والمقبل منهما من الوجه، وبهذا علم حَدُّه (في الطُّول) لا بقوله: (و) اغسل بها وجوباً (من)

---

(١) قال في الشرح: المعتمد أن الجمع بين المضمضة والاستنشاق بثلاث غرفات يتمضمض من كل غرفة ثم يستنشق بباقيها: أفضل كما رجحه النووي لورود التصريح بذلك في رواية البخاري.

الأُذُن إلى الأذن في العَرْضِ وأَوْصِلْ المَاء إلىٰ موضع التَّحْذِيفِ وهو ما يَعتادُ النساءُ تَنْحِيَةَ الشعر عنه وهو ما يُوازِي رأسَ الأذن إلىٰ زاوية الجبين أعني ما يقع منه في جهة الوجه وأَوْصِلِ الماءَ إلىٰ مَنَابِتِ الشعور الأربعة الحاجبين والشَّاربَين والأَهْدَاب

وتد[١] (الأُذُن) بضم الهمزة والمعجمة أو تسكينها لا كسرها، (إلىٰ) وتد (الأذن) لكن هذا حَدُّه (في العَرْضِ).

(وأَوْصِلْ) ندباً (المَاء) ماء الغسل (إلىٰ موضع التَّحْذِيفِ) بالمعجمة، (وهو ما يَعتادُ النساءُ) اللاتي يَعْتَدْنَ التزيُّن (تَنْحِيَةَ الشعر) الخفيف (عنه) عن الموضع ليتَّسعَ الوجه، (وهو ما يُوازِي) يحاذي (رأسَ الأذن إلىٰ زاوية الجبين) ولبعض خفاءٍ في هذا العبارة قال: (أعني ما يقع منه في جهة الوجه) لا فيه، لأن موضع التحذيف ليس منه، لاتصال شعره بشعر الرأس كذا قيل، ولي في الشرح هنا وقفة مع حكاية كلام عن شرح "الروض" و"الإحياء" يُوضِّح المقام.

(وأَوْصِلِ) وجوباً (الماءَ إلىٰ مَنَابِتِ الشعور) ولو كثفت (الأربعة الحاجبين والشَّاربَين والأَهْدَاب) بالمهملة جمع هُدْب[٢] بسكونها في

---

(١) الوَتْد، بالفتح، وبالتحريك، وككتف: الهُنَيَّة الناشزة في مقدم الأذن ج: أوتاد (القاموس/الوتد).

(٢) اللغة الأخرىٰ هُدُب: شعر أشفار العينين (القاموس/الهدب).

والعِـذَارَين وهمـا مـا يـوازي الأذنـين بـين الصُّـدْغِ والعـارِض وهو من مُبْتَـدَأ اللحيـة ويجـب إيصـالُ المـاء إلىٰ منابـت اللحيـة الخفيفـةِ دون الكثيفـة وقُـلْ عنـد غَسْـل الوجـه : اللـهم بَـيِّضْ

الأفصح (والعِذَارَين)، ومِثْلُ الأربعة علىٰ المعتمد العَنْفَقة[١] وإن كثفت، بل المعتمد أن شعور الوجه التي لم تخرج عن حَدِّه وإن كثفت يجب غسل باطنها جميعاً لندرة[٢] الكثافة، وما خرج منه لا يجب غسل باطن كثيفه، ولخفاء العذارين قيل: (وهما ما يوازي) يحاذي (الأذنين بين الصُّدْغِ والعارِض) والمراد بالموازي: الشعر الناتئ علىٰ العظم بقرب الأذن، ومثله البياض بينه وبينهما فيجب غسله، (وهو) أي: الموازي (من مُبْتَدَأ اللحية) أي: مبتدأ ما يوازي، أو منتهاه من مبتدأ اللحية، والعارض: الشعر المنحطُّ عن القدر المحاذي للأذن، ويعبر عنه بالشعر الذي بين اللحية والعذار.

(ويجب إيصالُ الماء إلىٰ منابت اللحية) الشعر النابت علىٰ الذقَن (الخفيفةِ) التي لا تَستُرُ البشرةَ من خلالها عند التخاطب، (دون الكثيفة) ضدها، إلا من امرأة وخنثىٰ فيجب غسلها، فإن خَفَّ بعضها من الرجل وكثف بعضها فلكلٍّ حكمه إنْ تَميَّز، وإلا وجب غسل الكل.

(وقُلْ) ندباً (عند غَسْل الوجه) أي: حالة غسله: (اللهم بَيِّضْ

---

(١) الشعيرات بين الشفة السفلىٰ والذقن.

(٢) بفتح النون والضم لغة (المصباح /ندر).

وجهي بنورِكَ يوم تبيضُّ وجوهُ أوليائك، ولا تُسوِّد وجهي بظلمتك يوم تَسْوَدُّ وجوهُ أعدائك واكْسُ وجهي نورًا وحياءً، ولا تُرْهِق وجهي قَتراً ولا ذِلَّة. ولا تَتْركْ تَخْلِيلَ اللحية الكثيفةِ ثم اغسلِ اليمنى ثم. . . . .

وجهي بنورِكَ يوم تبيضُّ وجوهُ أوليائك) المؤمنين أو خواصهم، (ولا تُسوِّد وجهي بظلمتك[١] يوم تَسْوَدُّ وجوهُ أعدائك) الكافرين أو العصاة، (واكْسُ وجهي نورًا وحياءً، ولا تُرْهِق وجهي قَتراً ولا ذِلَّة)، والمشهور[٢] يوم تبيض وجوه وتسودُّ وجوه، وقد تطلق الوجوه مراداً بها الذَّوات، والسواد كناية عن كآبة الخوف، والبياض كناية عن ظهور بهجة السرور، وكأن العِرَاقيَّ في تخريج الإحياء لم يجد لما ذكره المصنف هنا أصلاً، (ولا تَتْركْ) ندباً (تَخْلِيلَ اللحية الكثيفةِ) بماء غير ماء الوجه إن أردت الأفضل، ومثلها ما لا يجب غسل باطنه مع وجوب غسل ظاهره، والأفضل أن تُخَلِّلَ بأصابعك اليمنىٰ من أسفل اللحية.

(ثم اغسلِ) يدك (اليمنىٰ) لأن تقديمها سنة إجماعاً، وكما يستحب التَّيمُّن هنا يستحب في سائر الأعضاء إلا الأذنين والكفّين والخدّين فيستحب تطهير هذه المذكورات دَفْعةً إلا لعذر؛ (ثم) اغسل

---

(١) في نسخة (م) ظلماتك.

(٢) وهو الذائع علىٰ ألسنة الصالحين.

اليسرىٰ (ثلاثاً) مع المرفقين إلىٰ أنصاف العَضُدَين فإنَّ الحِلْية في الجنة تَبْلُغُ مواضعَ الوضوء وقُلْ عند غسل اليد اليمنىٰ: اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً. وقُلْ عند غَسْل الشِّمَالِ: اللهم إني أعوذ بك أن تُعطيني كتابي............

اليد (اليسرىٰ ثلاثاً) فيهما، ولا يتم واجب غسل اليدين حتىٰ تغسلهما (مع المرفقين) بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه: مجتمع عظم الساعد والعضد، وتعميمُ غسل اليدين (إلىٰ أنصاف العَضُدَين) سنة، بل الكتف علىٰ المعتمد، (فإنَّ الحِلْية) بكسر الحاء وفتحها للمؤمن جمع حلي بفتحها ويحتمل الكسر، وهي ما تَحلَّىٰ به أهل الجنة من نحو الأساور (في الجنة)، وما يُحلَّىٰ به المؤمن في المحشر من نحو الغُرَّة، (تَبْلُغُ مواضعَ الوضوء)، وفي الشرح بيان الغرة والتَّحْجِيل وغايتهما ودليلهما[1].

(وقُلْ) ندباً (عند غسل اليد اليمنىٰ: اللهم أعطني كتابي بيميني) لحديث في "الأذكار" مستثنىٰ من أحاديث الأعضاء المطعون فيها، زاد السُّيوطِيُّ في مختصره عن حديث: (وحاسبني حساباً يسيراً) أي: سهلاً لا مناقشة فيه، ومن المؤمنين من لا يحاسب أصلاً؛ (وقُلْ) ندباً (عند غَسْل) اليد (الشِّمَالِ: اللهم إني أعوذ بك) من (أن تُعطيني كتابي

---

(١) قال في الشرح: والحاصل أن إطالة الغرة والتحجيل سنة، وإطالتهما تحصل بأدنىٰ زيادة علىٰ الواجب، وكمالها باستيعاب العضدين والساقين.

بشِمالي أو مِنْ وراء ظهري. ثم استوعبْ رأسَكَ بالمَسْح بأن تَبُلَّ يديك بالماء الطهور، وتُلْصِقَ رؤوسَ أصابع اليمنى باليسرى وتَضَعَهُما علىٰ مُقَدِّمَة الرأس وتُمِرُّهُما إلىٰ القَفَا ثم

بشِمالي) وليس في رواية مختصر الأذكار وغيره إلا بلفظ: اللهم لا تعطني إلىٰ آخره، وليس فيها أيضاً كلمة (أو مِنْ وراء ظهري)[1] إلا أنها مناسبة ومطابقة لما في الآية[2]، فإن قيل: الوقوف مع الوارد والاتباع أولىٰ، قلتُ: المصنف حجة الإسلام، وقد يكون اعتمد علىٰ وارد هو عنده من النهار أجلىٰ، وفي الشرح معنىٰ إعطائه من ورائه المذكور في تفسير الآية.

(ثم استوعبْ) ندباً (رأسَكَ) كلَّه أو بعضه وتُكمِّل علىٰ العِمامة (بالمَسْح)، وإن سقط الواجب بجزء منه، لكن الأفضل بالنسبة إلىٰ مسح الرأس كله هو ما نَبَّه عليه بقوله: (بأن تَبُلَّ يديك) كفيك (بالماء الطهور، وتُلْصِقَ رؤوسَ أصابع اليمنىٰ) أو الأصبع المسبِّحة (باليسرىٰ) أي: بأصابع اليسرىٰ، أو بمسبحتها، (وتَضَعَهُما) أي: اليمنىٰ واليسرىٰ (علىٰ مُقَدِّمَة الرأس) مع وضع إبهاميك بصُدغيك، (وتُمِرُّهُما) من المرور (إلىٰ القَفَا) بأن تُمِرَّ علىٰ الرأس بطن الكفين من أوله وهو الناصية إلىٰ مؤخَّره، خلافاً لمن استحب عكسه، (ثم) مع

---

(١) قال في الشرح: لأن أهل الشمال يعطون كتابهم بها من وراء ظهورهم.

(٢) يشير إلىٰ الآية ١٠ من سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾.

تَرُدَّهُما إلىٰ المقدمة فهذه مرةٌ واحدة تفعلُ ذلك (ثلاثاً) وكذلك في سائر الأعضاء وقُلْ: اللهم غَشِّني برحمتك وأَجِرْني من عذابك وأَنْزِلْ عليَّ من بركاتك، وأَظِلَّني تحت ظِلِّ عرشِك يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّك اللهم حَرِّم شَعَري وبَشَري علىٰ النار.

شعر يَنْقَلِب (تَرُدَّهُما إلىٰ المقدمة) مقدمة الرأس؛ (فهذه مرةٌ واحدة) من ثلاث مسَحَات الرأس المندوبة المشار إلىٰ ندبها بقوله: (تفعلُ ذلك ثلاثاً) وهنا في الشرح كلام يتضمن تعليل الحكم ودليله وغيرهما، (وكذلك) أي: فعل التثليث يُندب (في سائر الأعضاء) أي: باقيها إجماعاً إلا لعذر فيندب تركه، كخشية فوت جماعة لم تُرْجَ، أو يحرم كحاجة محترَمٍ للماء[1].

(وقُلْ) حالَ مَسْحِ رأسك: (اللهم غَشِّني برحمتك) وفي لفظ: رحمتك (وأَجِرْني من عذابك) كما في حديث مرفوع، زاد المصنف هنا وفي "الإحياء" ـ ولعله ظفر بسنده وإن لم يجده العراقي ـ: (وأَنْزِلْ عليَّ من بركاتك، وأَظِلَّني تحت ظِلِّ عرشِك)، وخُصَّ لأنه أعظم المخلوقات الحسية جِرْماً مع كونه متنزَّل الأحكام والمقادير، وظِلُّه هو الظل الظليل (يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّك) أي: ظل عرشك، وأُسند إلىٰ الله تعالىٰ تفخيماً للنعمة، واقتصر كثيرون عند مسح الرأس علىٰ هذا الذكر: (اللهم حَرِّم شَعَري وبَشَري علىٰ النار) وسقط من بعـض نسخ

---

(١) وذكر في الشرح أيضاً: تتمة طهر، أو يترتب عليه خروج بعض الوقت.

ثم امسحْ أذنيك ظاهرَهما وباطنَهما بماءٍ جديد وأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَيكَ في صِمَاخَي أذنيك وأَدِرْ بباطن أَنْمَلَة المُسَبِّحة علىٰ باطنهما وامسحْ ظاهرَ أذنيك بباطن إِبْهَامَيك وقُلْ: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسَنَه. . . . .

"البداية" ولعله لكونه مروياً من طريق ضعيفة، وروي: اللهم احفظ رأسي وما حَوَىٰ، وبطني وما وعىٰ.

(ثم امسحْ) ندباً (أذنيك ظاهرَهما وباطنَهما)، ويندب (بماءٍ جديد) لا ماء مسح الرأس، فإن مسحت به حَصَّلْتَ أصل السنة لا كمالها، (وأَدْخِلْ) ندباً (مُسَبِّحَتَيكَ في صِمَاخَي أذنيك) أي: أدخل طرف كل مسبحة في صِماخ، وهو بالصاد ويجوز بالسين[1]، (وأَدِرْ بباطن أَنْمَلَة[2] المُسَبِّحة علىٰ باطنهما) ومعاطفهما، واعتمد جماعة إدخال الخنصر لا المسبحة، ومال النووي في بعض كتبه إلىٰ اختياره، (وامسحْ) ندباً (ظاهرَ أذنيك بباطن إِبْهَامَيك) ثم الصق كفَّيك مبلولتين بهما استظهاراً.

(وقُلْ) ندباً عند مسح الأذنين ما جاء في حديث ضعيف يعمل به: (اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسَنَه) أفضلَه

---

(١) ولها نظائر: مثل صراط وسراط وبصاق وبساق وبَرْد قارص وقارس وسقر وصقر.

(٢) بتثليث الميم والهمزة، تسع لغات: التي فيها الظفر ج: أنامل وأنمُلات. (القاموس / النمل).

اللهم أَسْمِعني مناديَ الجنة مع الأبرار وأنت عني راضٍ. ثم امسحْ رقَبتكَ

فأفضلَه، وفي تفسيرٍ: الأحسن في الآية هذا وغيره علىٰ حسب الأقوال فيها، وذكرته في الشرح[١]، وليس في الحديث السابق ما زاده المصنِّف هنا، وفي "الإحياء" من قوله: (اللهم أَسْمِعني مناديَ الجنة) وفي نسخة: في الجنة (مع الأبرار) وفي أخرىٰ: (وأنت عني راضٍ).

(ثم امسحْ) بماء جديد ندباً عند المصنِّف وجماعة متقدمين ومتأخرين، (رقَبتكَ) لحديث صححه الروياني لفظه: "من توضأ ومسح عنقهُ وُقِي الغُلَّ يوم القيامة"، وأما لفظ: "مسح الرقبة أمان من الغل" فقال النووي: موضوع. والعراقي: ضعيف. وشيخنا البكـري[٢]:

---

(١) مما قال: أو الأكثر ثواباً أو القرآن أو أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو العفو والإغضاء والإخفاء.

(٢) تكرر ذكره وهو أبو الحسن علاء الدين علي بن جلال الدين محمد البكري الصديقي الشافعي، الإمام المحدث الصوفي الأستاذ ينتهي نسبه إلىٰ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، اشتغل علىٰ الأشياخ سنتين ثم جاء الفتح من الله فاشتغل بالتأليف. ومن مؤلفاته: شرح المنهاج وشرح الروض وشرح العُباب للمزجد وحاشية علىٰ شرح المحلىٰ، قال الشعراني – وقد أورد له ترجمة في طبقاته –: وحججت معه مرة فما رأيت أوسع خلقاً ولا أكثر صدقة في السر والعلانية منه، وعمل مرة (تائية) من ٥ آلاف بيت أوائل دخوله في طريق القوم. أولها:

بوجـودكم تتجمـل الأوقـات ... وبجـودكم تـتنزل الأقـوات

وكان يجلس للإفتاء وغيره في المساجد الثلاثة وفي الأزهر وناهيك بهذه =

وقُلْ: اللهم فُكَّ رقبتي من النار وأعوذ بك من السَّلاسِلِ والأغلالِ. ثم اغسلْ رِجْلَك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين

يُعمل به، وقال بعض مشايخي: لا يعمل به لشدة ضعفه. والحاصل أن النووي لا يستحب مسحها ويقول هو بدعة. فالفتوىٰ علىٰ قوله: وميل النفس في العمل لا الفتوىٰ إلىٰ كلام المصنف ومن وافقه، لأنه مُحَصِّلٌ ثواباً عظيماً علىٰ بعض التقادير، غيرُ موقع في إثم علىٰ كل تقدير.

(وقُلْ) ندباً إذا قلنا بمسحها عنده: (اللهم فُكَّ رقبتي من النار) نار العقاب جهنم وغيرها، (وأعوذ بك من السَّلاسِلِ)، وفيها في الآية ثلاث تأويلات بينتها في الشرح[1]، (والأغلالِ) جمع غُلٍّ: قيد لجميع العنق واليد، وفي أثر: " اللهم نَجِّنا من مُقْطِعَات النيران.

(ثم اغسلْ رِجْلَك اليمنىٰ) لأن تقديمها كما علمتَ مما قدمتُه سنة، (ثم اليسرىٰ) وواضح أن مجرد غسلهما (مع الكعبين) فرض من

المواضع. ويقال إن مؤلفاته نيفت علىٰ الأربعمائة وله حزب الفتح، توفي الشيخ سنة ٩٥٢ ودفن بجوار الإمام الشافعي (ر: ترجمته في الشذرات ١٠/٤١٩-٤٢١ والنور السافر ضمن ترجمة ولده من ٤١٤-٤٣٩ وفي الكواكب السائرة ٢/١٩٤-١٩٧).

(١) استوجه الشارح في الشرح: أن المستعاذ منه أعم من الصور المذكورة في التفسير. أقول: وهذا حق؛ لأن صور التعذيب لا يُحاط بها نعوذ بالله من ناره وذُلِّ حجابه!.

وَخِلِّلْ بخنصِرِ يدَكَ اليسرىٰ أصابعَ رجلك اليمنىٰ، مبتدئاً من خنصرها حتىٰ تختم بخنصر اليسرىٰ، وتُدْخِلُ الإصبع من الأسفلِ وقُلْ: اللهم ثبِّت قدميَّ علىٰ. . . . .

فروض الوضوء الستة، والكعبان: العظمان الناتئان عند مفصل الساق، (وَخلِّلْ) ندباً، وفي نسخة صحيحة: وتخلل (بخنصَرِ) بكسر الصاد وفتحها (يدَكَ) لحديث ضعيف فيه[1]، (اليسرىٰ) كما في نسخة، ويوافقها قول الجمهور وتصحيح "الروضة"، لكن قال النووي في "المجموع" والتحقيق: الراجح المختار بخنصر اليد اليمنىٰ. وقال الإمام شيخ المصنف: هما سواء، ولعله في باقي النسخ اعتمده فأسقط ذ كر اليسرىٰ، وعلىٰ كل حال (أصابعَ رجلك اليمنىٰ، مبتدئاً من خِنصرها حتىٰ تختم بخنصر اليسرىٰ، وتُدْخِلُ) ندباً (الإصبع) الخنصر، وفي نسخة بل نسخ: الأصابع، لعل المراد: إن خللتَ بها أو المراد أو الأصبع، وفيه بُعد ظاهر، ويُوجَّه بما ذكرته في الشرح، (من الأسفلِ) أي: أسفل الأصابع لأنه أسهل[2].

(وقُلْ) ندباً عند غسل الرجل اليمنىٰ أو بدلها من مسح الخُفِّ، أو عند الغسل مع التخليل: (اللهم ثَبِّت قدميَّ) تثنية قدم (علىٰ

---

(١) وهكذا يحرصون علىٰ العمل بالحديث الضعيف بشروطه المعروفة في فضائل الأعمال وهو مذهب الجمهور.

(٢) ويكون التخليل واجباً إن لم يصل الماء إلىٰ ما بين الأصابع إلا به؛ كما أفاده في الشرح.

الصراط يومَ تَزِلُّ الأقدام في النار. وعند غسل اليسرىٰ: اللهم إني أعوذ بك أن تَزِلَّ قدمي عن الصراط يوم تزول أقدامُ المنافقين في النار. وارفعِ المَاء إلىٰ أنصاف ساقيك...............

الصراط)، وفي نسخة الصراط المستقيم، ولا يشهد لها ما وقفت عليه في الرواية "والإحياء" لكن يشهد لها المعنىٰ، لأنه كَحدٍّ السيف، جسرٌ علىٰ جهنم، (يومَ تَزِلُّ الأقدام) أقدام العصاة (في النار) أي: تزل عليه فتقع في النار.

(و) قُلْ ندباً (عند غسل) الرجل (اليسرىٰ: اللهم إني أعوذ بك أن تَزِلَّ قدمي) بالتثنية أو الإفراد (عن الصراط) فعَنْ علىٰ بابها، أو بمعنىٰ علىٰ (يوم تزول[١]) وتَحُول (أقدامُ المنافقين) النفاق الأكبر، أو هو والأصغر، وفي نسخة (في النار) والمعروف ذِكْرُ الذِّكر الأول فقط عند غسلهما، وعليه جرىٰ شرح "الروض" وغيره، (وارفعِ المَاء) أي: أوصله (إلىٰ أنصاف ساقيك) والأفضل: إلىٰ ركبتيك، وفي نسخة بل نسخ: ذكر حديث مسلم في وصف الأمّة بالغُرِّ المحجلين[٢]، ومدح

---

(١) في نسخة (م) تزل.

(٢) من رواياته في مسلم من رواية أبي هريرة – رضي الله عنه _ قال: قال رسول الله- صلىٰ الله عليه وسلم-: أنتم الغر المحجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله. باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. من كتاب الطهارة.

ورَاعِ التَّكرار (ثلاثاً) في جميع أفعالِك فإذا فَرَغتَ فارفع بَصَرَكَ إلىٰ السماء وقُلْ: الحمد لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عَمِلتُ سوءاً وظلمتُ نفسي أستغفرك وأتوب إليك

إطالة الغرة، وشرحته في الشرح؛ (ورَاعِ) ندباً (التَّكرار ثلاثاً) أي: راع التثليث (في جميع أفعالِك) أفعال الطهارة الشاملة لفعل اللسان وإن خص بالقول.

(فإذا فَرَغتَ) مما تقدم (فارفع) ندباً ولو كنت في ظُلْمة، (بَصَرَكَ) كما في الحديث[1]، وفي "الإحياء" كحديث رأسك[2] (إلىٰ السماء) لأنها قِبلة الدعاء، (وقُلْ: الحمد لله) الذي رفعها بغير عمد؛ لحديث ضعيف، (أشهد أن لا إله) أي: لا معبود بحق (إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) رواه مسلم وأحمد، وفي رواية صحيحة: (سبحانك اللهم وبحمدك) الواو زائدة أو عاطفة أي: نسبحك بحمدك (لا إله إلا أنت)، لكن في الرواية الصحيحة "كالمنهاج" "والعباب": أشهد أن لا إله إلا أنتَ. ثم اقتصر علىٰ صيغتي الاستغفار والتوبة من غير لفظ: (عَمِلتُ سوءاً وظلمتُ نفسي أستغفرك وأتوب إليك)، وورد في الحديث الصحيح فضل عظيم لمن قال عند

---

(١) قال في الشرح: عند أبي داوود والنسائي.

(٢) في الشرح العبارة أوضح هكذا: وفي نسخة كما في الإحياء: رأسك.

فاغفر لي ذنوبي، وتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم. اللهم اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين الآمنين الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يَحزنون

طُهْره: سبحانك إلىٰ قوله أتوب إليك، منه أنه يُختم بطابَع[1]، بمعنىٰ: أنه لا يتطرق إليه إبطال، ثم زاد المصنف للمناسبة: (فاغفر لي ذنوبي، وتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم).

وفي حديث حسن: " ما من عبد يقول حين يتوضأ: بسم الله، ثم يقول لكل عضو: أشهد إلىٰ قوله ورسوله، ثم يقول حين يفرغ: (اللهم اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين) إلا فُتِّحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أَيِّها شاء، فإنْ قام من فَوره ذلك فصلىٰ ركعتين يقرأ فيهما ويعلم ما يقول انفَتَلَ من صلاته كيوم ولدته أمه"، هذا وقوله: (واجعلني من عبادك الصالحين) لم أجده مع الفحص في غير "البداية" "والإحياء" من الأحاديث والآثار الواردة في الذكر بعد الطهر مع أنه مشهور محفوظ، وليس في "الإحياء" ونسخ من "البداية" قوله: (الفائزين الآمنين الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يَحزنون)، ولا شك أن الصالحين الذين هم القائمون بحقوق الله تعالىٰ وحقوق العباد موصوفون بهذا الفوز والأمن وسَلْبِ الخوف والحزن، ولا يخفىٰ عِزَّةُ الصالح بالتفسير المذكور، ولا يمتنع معها سؤال الله تعالىٰ أن يكون منهم.

---

(١) بفتح الباء وكسرها ما يطبع به (المصباح/طبع).

واجعلني صبوراً شكوراً واجعلني أَذْكُرُكَ كثيراً وأُسَبِّحُكَ بُكْرةً وأصيلاً. فمَنْ قرأ هذه الدعوات في وُضوئه خرجتْ جميعُ خطاياه

أو لعل المراد: طلب ما يشمل اللحوق بهم لأن مِنَّة الإلحاق ودائرةِ فضائها شاسعة، وحسبك قوله تعالىٰ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] وحديث السبعين ألفاً مع كل واحد سبعون ألفاً، وفي نسخة كالإحياء: (واجعلني صبوراً شكوراً) كثير الصبر والشكر، (واجعلني أَذْكُرُكَ كثيراً[2]) وأثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الصبور الشكور المذكور، وفي الحديث: " أنا جليس من ذكرني". (وأُسَبِّحُكَ) أي وأنزهك أو أذكرك بصيغة التسبيح (بُكْرةً وأصيلاً) عشية.

(فمَنْ قرأ هذه الدعوات) التي أولها: أشهد وهو المتبادر، أو أولها دعاء الأعضاء وآخرها الصالحين علىٰ ما في نسخة صحيحة، أو آخرها: أصيلاً علىٰ ما في نسخة (في وُضوئه) أي: عَقِبِه، أو فيه وعقبه، (خرجتْ جميعُ خطاياه) الصغائر، وكذا الكبائر علىٰ مـا بحث

---

(١) الآية ٢١ من الطور، والكلام عن الإفراد والجمع فيهـا، ووردت في الآيـة ١٧٢ من الأعراف وفي سورة يس ٤١ انظر قراءات الآية[٢١] من سورة الطور في الدُّرُّ المصون للسمين الحلبي ٥/٥١٢. فبعضهم يفـردون علـىٰ منـوال واحـد، وهـم الكوفيون وابن كثير، وأما ابن عامر فعلىٰ الجمع، وتوسط: أبو عمرو فوافق علىٰ الإفراد في (يس آية ٤١)، ونـافع: علـىٰ الإفـراد في أول الطـور وهـي (ذريتـهم بإيمان).

(٢) في نسخة(م) أذكرك ذكراً كثيراً.

مِـنْ أعضـائه وخُـتِمَ علـىٰوُضـوئه بخـاتِم ورُفـع لـه تحـت

الدَّميريُّ[1] وغيره، وفي بعض الأحاديث ترتُّب الغفران علىٰ مجرد غسل الأعضاء (مِنْ أعضائه) أي: أعضاء الطهارة أو جميعها.

وهذا الخروج كناية بديعة، لأن الذنوب ليست بأجسام فتخرج حقيقة، قال الدَّميريُّ: وبالحديث الذي فيه الخروج استدل أبو حنيفة علىٰ نجاسة المستعمل، ولا حجة فيه، أي: لما ذكر من أنه كناية، وسيأتي في "البداية" حديث: " من ذكر الله عند وضوئه طَهَّر الله تعالىٰ جسده كله" والطهارة شاملة للمعنوية، (وخُتِمَ علىٰ وُضوئه) أي: ثوابه، أو المقروء عليه وبعده، أو ثواب المقروء، أو علىٰ مكتوب ثواب ذلك.

ويشهد لهذا ما صح: "كُتب في رَقٍّ وطُبع بطابع" وفي رواية "والمَلَك قائم علىٰ رأسه يكتب ما يقول في رق ثم يختمه فيرفعه فيضعه تحت العرش فلا يُفكُّ خَاتمه إلىٰ يوم القيامة"، ولعل هذا سند قوله: وختم علىٰ وضوئه (بخاتَم) بفتح وكسر، (ورُفع له تحت

---

(١) هو كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ الدميري ولقب أيضاً بالصوابي لأنه كان مصيباً في فتياه وآرائه في أغلب الأحيان ودَميرَة قرب دمياط ولد أوائل سنة ٧٤٢هـ-١٣٤١م بالقاهرة وتوفي بها سنة ٨٠٨ في ثالث شهر جمادىٰ الأولىٰ عاش ٦٦ سنة ودفن بمقابر الصوفية بسعيد السعداء في مصر (انظر ترجمة الإمام في بداية تحقيق كتابه: النجم الوهاج).

العرش فلم يزل يسبح الله ويُقدِّسُه ويُكتبُ له ثواب ذلك إلىٰ يوم القيامة واجتَنِبْ في وُضوئك سبعاً : لا تنفُضْ يَدَكَ فترُشَّ الماءَ ولا تلطِم وجهَكَ ولا رأسك بالماء لَطْماً. . . . .

العرش) تنويهاً. نعم قوله: (فلم يزل يسبح الله ويُقدِّسُه) ليس في الرواية السابقة وإن شمله قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

علىٰ الخلاف في معنىٰ الآية وذكرته في الشرح، (ويُكتبُ له) أي: القارئ الدعوات (ثواب ذلك) أي: المقروء، أي: ثواب تسبيح المختوم وتقديسه (إلىٰ يوم القيامة).

(واجتَنِبْ) ندباً (في وُضوئك) بضم الواو (سبعاً) من الخصال: (لا تنفُضْ يَدَكَ) الواحدة فضلاً عنهما، بل المراد النهي عن النفض مطلقاً، وفسره أو فرَّع عليه بقوله: (فترُشَّ الماءَ) لأن النفض كالتبرِّي من العبادة، فهو خلاف الأولىٰ علىٰ المعتمد، (ولا تلطِم[1]) تصكّ (وجهَك) بالماء خلافاً لابن حِبَّان في استحبابه، (ولا) تلطم (رأسك بالماء لَطْماً) عند غسل الجزء منه المسنون غسله مع غسل الوجه، إذ يستحب غسل مقدمة الرأس مع الوجه قدر محل التَّحذِيف والنَّزَعَتَين[2]، أو لا تلطمه بالماء عند إرادتك السنة المطلوبة من

---

(١) من باب ضرب (المصباح/لطم).

(٢) نزع نزعاً من باب تعب: انحسر الشعر عن جانبي جبهته، وموضع النَّزَع نَزَعة مثل قصبة، وهما نَزَعتان (المصباح/نزع).

. . . .

غسله بصب الماء علىٰ ناصيته ونزعتيه بعد تمام غسل الوجه.

وهذا الحمل والتأويل ذكرته مع غيره كشاهد الثاني في الشرح مبسوطاً، لأن مسألة النهي عن لطم الرأس بالماء لم أرها في غير "البداية" وهي مسألة نفيسة اتضح بما قررته هنا، وفي الشرح عدمُ خروجها عن كلامهم، ولو سألتَ عنها بعض فضلاء العصر لربما لم تجد عنده فيها علماً، والاختبار مَحَكٌّ، فاختبر ذلك بسؤاله، لكن بإخلاص تجده صحيحاً فهي وعبارة المصنف من قوله: ولا ينبغي أن تعزب إلىٰ قوله فلا يصح وضوؤك مشكلة، وبنحو هذا ينكشف لك صحيح الفهم وفقيه النفس من غيره، وتعلم هل تحتاج "البداية" إلىٰ سرح. نستغفر الله تعالىٰ ونسأله التسديد بمَنّه آمين.

وكيفية السؤال الذي تختبر به من ذكر من الفقهاء غير الغزالي النهي عن لطم الرأس بالماء من أين مأخذه من كلامهم؟ وكيف تُفهم عبارة الغزالي في "البداية" وهي قوله: ولا ينبغي إلىٰ آخره؛ ولله دَرُّ بعض المشايخ الأكابر في قوله: رُبَّ واضح مُشْكِلٌ، ورب مشكل واضح؛ ويشير إلىٰ كشفه ما نُقل عن الشيخ الإمام السُّبْكي[1] من إلقاء

---

(١) وعلي بن عبد الكافي تقي الدين أبو الحسن الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الحكيم شيخ الإسلام قاضي القضاة ولد٦٨٣ وتوفي٧٥٦ وولداه: عبد الوهاب تاج الدين أبو نصر ولد٧٢٧ وتوفي٧٧١
=

ولا تـتكلمْ في أثنـاء الوضـوء ولا تَـزِدْ في الغَسـل علـىٰ ثـلاث ولا تُكثِرْ صَبَّ الماء مِـنْ غـير حاجـة بمجـرَّد الوسوسـة فللمُوَسْوَسِـين

بحث علىٰ ولديه ذكيَّي العالم وعالِميه حتىٰ يُسَلِّماه، ثم يكُرُّ عليه بالإبطال حتىٰ لا يَتردد في بطلانه ثم ثم وهكذا؛ بل ما نُقل في ترجمة الإمام الأعظم من قول إمام المدينة مالك لما سُئل عن الإمام الأعظم: لو أراد أن يقيم البرهان علىٰ هذه الأسطوانة أو العمود أنه من ذَهَب لقَدِرَ علىٰ ذلك. ولنمسك عِنان القلم عن الإرخاء.

(ولا تتكلمْ) ندباً (في أثناء الوضوء) بلا حاجة لكراهتهم له، لما فيه من الشغل عن العبادة، قال النووي: وينبغي حملها علىٰ خلاف الأولىٰ، أما لحاجته فيندب أو يجب بحسب المقتضي؛ (ولا تَزِدْ) ندباً (في الغَسل) والمسح (علىٰ ثلاث) مرات، فالزيادة مكروهة وقد تحرم، ومثل الزيادة في ندب تركها النقص عن الثلاث؛

(ولا تُكثِرْ) ندباً (صَبَّ الماء مِنْ غير حاجة) إليه، ولو علىٰ الشَّطِّ، وضابط الكثرة بينته في الشرح كدليل النهي وبيان الحاجة، وإلىٰ بعض أمثلة الحاجة أشـير بقوله: (بمجرَّد الوسوسة) الشيطانية، (فللمُوَسْوَسِين

والثاني: أحمد بهاء الدين أبو حامد ولد ٧١٩ وتوفي ٧٦٣. وللوالد تقي الدين ولـد فاضل اسمه الحسين جمال الدين. للوالد ترجمة وافيـة في طبقـات الشـافعية لابنـه التاج في الجـزء العاشـر مـن ص١٣٩ إلىٰ ٣٣٨. وانظـر ترجمـة التـاج في الأعـلام للزركلي ٤/١٨٤-١٨٥ وترجمة بهاء الدين في الأعلام للزركلي١/١٧٦.

شيطانٌ يَضحك بهم يقال له الوَلْهَانُ ولا تتوضأ بالماء المُشَمَّسِ ولا من الأواني الصُّفْرِيَّةِ فهذه السَّبعةُ من الخصال مكروهةٌ. . . . . . .

شيطانٌ) أشد الشياطين[١] (يَضحك بهم) كما في أثر، وفي خبر: " إن للوضوء شيطاناً (يقال له الوَلْهَانُ) فاتقوا وسواس الماء". رواه جماعة، ولشدة شَغَفِه بالوسوسة سمِّي الولهان، لأن الوَلَه شغف.

(ولا تتوضأ) ندباً (بالماء المُشَمَّسِ) وهو ما أصابته الشمس في إناء مُنْطَبِع غير النَّقدين في قُطْر حارّ ووقت حار، واستعمل في حالة حرارته في البدن ولم يتعين، فلا يكره إلا إن استجمعت هذه الشروط الستة فلا تغفل، ولا تختص مع استجماعها كراهته بالوضوء.

(ولا) تتوضأ (من الأواني الصُّفْرِيَّةِ) بضم الصاد وكسرها نوع من النحاس، واعتمد المصنف في "الإحياء" كالبداية كراهة التوضؤ منه، ولم أقف في كلام غيره علىٰ ما يخالفه ولا ما يوافقه، غير أنني ذكرت في الشرح ما لا يخفىٰ اعتماده علىٰ الفَطِن.

(فهذه السَّبعةُ من الخصال) المتقدمة، ولا يخفىٰ عَدُّها علىٰ المتأمل (مكروهةٌ) تنزيهاً، وسبق أن المعتمد أن النَّفْض خلاف الأولىٰ، وكلام النووي في الكلام في أثناء الوضوء، وما أشرت إليه

---

(١) نقله في الشرح عن طاووس وقال: جاء الشيطان لابن المبارك في وضوئه فقال: لم تمسح رأسك ! فقال: البينة علىٰ المدعي واليمين علىٰ من أنكر؛ والله لقد مسحته !

وفي الخبر: مَنْ ذَكَرَ اللهَ تعالىٰ عند وُضوئه طَهَّرَ اللهُ تعالىٰ جسدَه كلَّه ومن لم يذكر اللهَ تعالىٰ لم يَطْهُرْ منه إلا ما أصابَ الماءُ.

في التوضؤ من النحاس، وذكرتُ في الشرح تتمة من بقية مكروهات الوضوء غير السبعة[1]، وضابطاً حسناً في معرفة مكروهات الوضوء.

(وفي الخبر) خبر الدَّارَقُطْني بسند ضعيف: (مَنْ ذَكَرَ الله تعالىٰ عند وُضوئه) أي: عند ابتدائه أو انتهائه أو أثنائه، أو ما يشمل ذلك كله، ولكلٍ شاهد في السنة، (طَهَّرَ اللهُ تعالىٰ جسدَه كلَّه) حسًّا باستكمال شروط الطهارة الحسية، ومعنىٰ ببركة ذكره، وواضح أن المعنوية طهارة النفس من رذائلها، وهو المتبادر، أو هو في هذا المقام محو الآثام التي اقترفها في شركها وحبائلها، ويشير إليه قوله فيما سبق: خرجت خطاياه من الحديث السالف عنده؛ (ومن لم يذكر اللهَ تعالىٰ) عند وضوئه (لم يَطْهُرْ) بالمعنىٰ السابق (منه إلا ما أصابَ الماءُ) أي: أصابه الماء، وفي الشرح كلام يتعلق بهذا الخبر مهمٌّ.

---

(١) منها: الاستعانة في الغسل إلا لعذر والتنشيف بلا عذر وترك الموالاة. قيل: وكل سنة اختلف في وجوبها يكره تركها. وبقيت مندوبات متأكدة للوضوء منها: الدلك استظهاراً وخروجاً من خلاف من أوجبه. ومنها: أن تحرك خاتمك عند غسل اليدين إن وصل الماء بدون تحريك، وإلا وجب، ومنها: أن تشرب شيئاً من فضل وضوئك (من الشرح).

آداب الغسل

فـإذا أصـابتك جـنابةٌ من احتلام أو وِقـاعٍ فخُذِ الإناءَ إلىٰ المغتسَل واغسِلْ يديك. . . . .

آداب الغسل

هذه (آداب الغُسل) أي: بعضها، وهو بضم المعجمة وفتحها، والمراد: مبحث آدابه، فلا ينافيه ذكره فيه واجباته، وله موجبات خمسة؛ (فإذا أصابتك) موجبة منها (جنابةٌ من احتلام) أي: رؤيا فيها إنزال، والاحتلام الذي هو من الشيطان ممنوع في حق نبي، وتحتلم المرأة، والجنابة شرعاً: مستقذر معنوي يقوم بالأعضاء يمنع صحة نحو الصلاة حيث لا مرخص، (أو) من (وِقاعٍ) أي: ولوج حَشَفَة أو قَدْرُها من فاقدها ولو بحائل كثيف في فرج حي أو ميت، ولو فرج جِنِّيَّة وبهيمة كالسمكة، لكن لا جنابة بولوج حشفة مُشْكِلٍ، ولا بولوج في قُبُله.

وهذا شروع في الآداب مخللاً بينها بعضَ الواجبات حيث قال: (فخُذِ الإناءَ) إناء الغسل (إلىٰ المغتسَل) إن كان الإناء مما يُنْقَل، (واغسِلْ) مع التسمية ونية الغسل ونية الاغتراف إن احتيج إليها، (يديك) كفيك معاً، كما سبق في الوضوء، وقرن التسمية والنية بغسلهما. نعم إن اغتسل هنا من نحو إبريق فيقرن النية بغسل محل

أوّلاً (ثلاثاً) وأَزِلْ ما علىٰ بـدنك مِنْ أذىً وتوضـأ كماسبق في وُضوئك للصلاة مع الدعوات وأَخِّـرْ غَسْلَ قَدَمَيك كي لا يَضيعَ الماءُ فإذا فرغتَ من الوضوء فصُبَّ الماءَ علىٰ شِقِّكَ الأيمنِ (ثلاثاً) وأنتَ ناوٍ رَفْعَ الجنابةِ. . . . .

الاستنجاء بعد فراغه، (أوّلاً) أي: قبل إدخالهما، أو قبل الشَّرْع[1] في غسلهما وإن لم يُرِدِ الإدخال، (ثلاثاً) أي: غسلهما ثلاث غسلات أو غسلات ثلاثاً، وإن حصل يقين الطهارة بواحدة.

(وأَزِلْ) ندباً أو وجوباً بعد غسلهما (ما علىٰ بدنك) كله (مِنْ أذىً) كوسخ، (وتوضأ) بعد هذه الإزالة وإن لم تكن محدثاً، لأن الوضوء في الغسل مسنون (كما سبق) أي: كوضوء سبق (في) مبحث (وُضوئك للصلاة)، وتوضأ (مع) ذكر جميع (الدعوات) للوضوء، المطلوبة في أثنائه وعقبه، (وأَخِّرْ) ندباً (غَسْلَ قَدَمَيك) لعلة نَبَّه عليها بقوله: (كيلا يَضيعَ الماءُ) وسند التأخير مع هذه العلة حديث البخاري ونصٌّ للشافعي رحمه الله أخذ به المصنف وجماعة، لكن المعتمد خلافه؛ لأحاديث كثيرة في ذلك.

(فإذا فرغتَ من الوضوء) المذكور (فصُبَّ الماءَ علىٰ شِقِّكَ) جنبك (الأيمنِ) المقدم منه ثم المؤخر، صبّاً (ثلاثاً)، وليكن صبك (وأنتَ ناوٍ) أي: في حال نيتك بقلبك ولسانك (رَفْعَ الجنابةِ) وحدها،

---

(١) الشَّرْع والشُّروع: واحد.

ثم علىٰ شِقك الأيسر (ثلاثاً) ثم علىٰ رأسك (ثلاثاً) وادْلُكْ ما أَقْبَلَ من بدنك وما أَدْبَرَ منه وخَلِّلْ شعر رأسكَ وأوصلِ الماءَ إلىٰ مَعَاطفِ البدنِ ومَنَابِتِ الشُّعور. . . . .

أو رفعها مع الأصغر، وهو الأفضل، (ثم) صب الماء (علىٰ شِقك) جانبك (الأيسر) المتقدم منه ثم المتأخر، غسلاً (ثلاثاً) بأن توالي، ثلاثاً الأيمن ثم ثلاثاً الأيسر، وتحصل السنة أيضاً بغسل الأيمن ثم الأيسر مرة مرة.

(ثم) صُبَّ الماء (علىٰ رأسك ثلاثاً) لكن المعتمد أن الصب عليه- وتخليله المؤخر في كلام المصنف- مقدَّمٌ علىٰ غسل الشقين فلا تغفل، وهذا مما تحتاج "البداية" فيه إلىٰ شرح، خلافاً لمن زعم خلافه.

(وادْلُكْ) ندباً أي: أَمِرَّ الماء بيدك علىٰ (ما أَقْبَلَ من) ظاهر (بدنك وما أَدْبَرَ منه) مما تصل إليه يدك في المُقْبِل والمُدْبِر؛ لأن الدلك سنة، قيل بوجوبه، (وخَلِّلْ) ندباً (شعر رأسَك) ولَحيتك بالماء، بأن تدخل أصابعك في الماء ثم في أصوله لتشرب به؛ (وأوصلِ الماءَ) الطُّهور (إلىٰ مَعَاطف البدن) ما فيه انعطاف كإبط وغضون بطن وأذن ومُوقٍ[١] ولِحَاظ[٢] وتحت مُقْبِل من أنف، (ومَنَابِتِ الشُّعور)، وفي

---

(١) ومُؤْق أيضاً: مؤخر العين والماقُ: لغة فيه وقيل: المؤق: المؤخر، والماق: المقدم وجمع المؤق: أمآق وآماق(المصباح/موق).

(٢) بالكسر: مؤخر العين مما يلي الصدغ. وقال الجوهري: بالفتح. (المصباح/لحظ) وفي التاج: المشهور الكسر.

ما خَفَّ منها وما كثُفَ واحذرْ أن تَمَسَّ ذَكَرَكَ بعد الوضوء فإِنْ أصابته اليَدُ فأَعِدْ الوضوءَ والفريضةُ من ذلك النيةُ و استيعابُ البـدنِ بالغسـل

نسخة الشعر، شعر الرأس والحاجب واللحية وغيرها، لا فرق بين (ما خَفَّ منها) وفي نسخة: منه (وما كثُفَ)، وسبق ضابط الكثيف والخفيف، وظاهر كلامه أن الإيصال إلىٰ المعاطف مندوب لذكره في المندوبات، وقوله: والفريضة إلىٰ آخره، وقوله: وما عداها، وهو مشكل، فينبغي حمله علىٰ الوجوب أخذاً من قوله: واستيعاب البدن وغير ذلك.

(واحذرْ أن تَمَسَّ) ببطن كفك، وهو ما ينطبق عند وضع الرَّاحة علىٰ الأخرىٰ مع تحامُل يسير، (ذَكَرَكَ) ولو مُبَاناً (بعد الوضوء) المسنون في الغسل المتقدم ذكره، (فإِنْ أصابته اليَدُ) أي: بطنُ كفها (فأَعِدْ) ندباً (الوضوءَ) لأنه من سنن الغسل المؤكدة.

(والفريضةُ) التي يتوقف صحة الغسل عليها (من ذلك) المتقدم أمران: أحدهما: (النيةُ) المقترنة بأوله، ويكفي بعض كيفياتها المشهورة، وبينتها في الشرح؛ (و) ثانيهما (استيعابُ) ظاهر (البدنِ) حتىٰ الظفر والشعر ومَنبِتُه، وما تحت القُلْفَة[1] والشُّقوق التي لا غَوَر لها وأنف جُدِع، (بالغسل).

---

(١) الجلدة التي تقطع في الختان، مثل غرفة وغرف. والقَلَفَة: مثلها والجمع قَلَف وقلفات مثل قصبة وقصب وقصبات. (المصباح/قلف).

و من الوضوء غَسُل الوجه واليدين ومسحُ بعض الرأس وغَسلُ الرِّجْلين (مرةً مرةً) مع النيةِ والترتيبِ وما عداها سنَّةٌ مؤكدةٌ فضلها كثيرٌ، وثوابها جزيل والمتهاوِنُ بها خاسِرٌ بل هو بأَصْلِ فرائضه مُخاطِرٌ فإنَّ النوافل جوابرُ الفرائض.

(و) الفريضة بمعنىٰ ما لابد منها (من الوضوء) المندوب في الغسل، وفروضه كفروض الوضوء الواجب، ولم يبينها كلها في مبحثه لحكمة ذكرتها في الشرح، (غَسُل الوجه) مع النية المقترنة بجزء منه، (واليدين) أي: ثم غسلهما مع المرفقين، (ومسحُ بعض الرأس) ولو بعض شعرة في حده بعد غسلهما، (وغَسُل الرِّجْلين) أي: ثم غسلهما مع الكعبين (مرةً مرةً) في الغسل والمسح، والتثليث فيهما سنة (مع النيةِ) الواجبة عند انغسال جزء من الوجه، (والترتيبِ) هكذا، وهو الفرض السادس.

(وما عداها) أي: الفريضة المذكورة، وفي نسخة: وما عداه، أي: المذكور (سنَّةٌ) يثاب علىٰ فعلها، ولا يعاقب علىٰ تركها، (مؤكدةٌ)، وأكثر المندوبات في الوضوء مندوب في الغسل، لكن منه مؤكد، ومنه غير مؤكد؛ وفي الشرح هنا عناية بالعبارة، (فضلها كثيرٌ، وثوابها جزيل) وهو بيان لما قبله؛ (والمتهاوِنُ بها) بالمؤكدة، بل بالسنة مطلقاً (خاسرٌ) ذو خسران بمعنىٰ نقص، بل بعض أنواع التهاون بها كفر كما مَثَّلتُ بها في الشرح، (بل هو بأَصْلِ فرائضه مُخاطِرٌ)، وعلته: (فإنَّ النوافل جوابرُ الفرائض) في الآخرة، ففَريضة أو فرائض

. . . .

لا جابر لخللها علىٰ خطر هل تقبل أو لا تقبل؟ وفي الشرح هنا آداب جمة سنيَّة مهمة ذكرتها فيه تتمة في تتمة فوجِّه لها هِمَّةً غير همة[١].

---

(١) أذكر منها بتصرف: - يسنُّ أن لا يغتسل بين العشاءين وعند الغروب ونصف النهار؛ لأن الشياطين تنتشر في هذه الأوقات. - يسن لمن جامع فأنزل أو أنزل ولم يجامع أن لا يغتسل حتىٰ يبول لأنه إذا قدم الغسل ربما خرج المني فيحتاج لإعادته. - ويسن للجنب أن لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يجامع حتىٰ يغسل الفرج ويتوضأ وإن تيسر له الغسل الكامل فهو الأفضل.

آدابُ التيمُّم

فإذا عَجَزتَ لفَقْده بعد الطَّلَبِ أو لِمانعٍ يَمنع من الوصول إليه من سَبُعٍ أو حابسٍ أو كان الماءُ حاضراً تحتاج إليه لعَطَشِكَ..............................

آدابُ التيمُّم

هذه (آدابُ التيمم) مع ذكر واجباته، وهو شرعاً: إيصال التراب إلىٰ الوجه واليدين بشرائط مخصوصة، (فإذا عَجَزتَ) محدثاً أو جنباً أو مأموراً بطهر مسنون عن الماء الطهور، لأنه المتبادر عند الإطلاق، (لفَقْده بعد الطَّلَبِ) عند توهمه الفقد الحسي أو الشرعي المعبر عنهما بالعجز حساً أو شرعاً ولعله أشار إلىٰ الأول منهما بقوله لفقده، وإلىٰ الثاني بقوله: (أو لِمانعٍ) أي: موانع ثلاثة: عدم الماء، والحاجة لعطش مُحتَرَمٍ، وخوف محذور (يَمنع من الوصول إليه) إلىٰ الماء (من سَبُعٍ) حابس من الوصول إليه، (أو حابسٍ) آخر، ومَثَّل له في نسخة: أو كان مُلكا لغيرك ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المِثْل.

هذا المانع الأول من الثلاثة ويعبر عنها بالأسباب.

الثاني: حاجتك للعطش، ومَثَّل له بقوله: (أو كان الماءُ) الطهور (حاضراً) لديك (تحتاج إليه) حالاً أو مآلاً (لعَطَشِكَ) المتيقن أو

أو عَطَشِ رفيقك أو كانت بك جِراحةٌ أو مرضٌ تَخاف منه علىٰ نفسِك فاصبرْ حتىٰ يَدخُلَ وقتُ الفريضة ثم اقصِد صعيداً طيباً عليه ترابٌ خالصٌ طاهر ليِّن. . . . .

المظنون، (أو عَطَشِ رفيقك)[١] في قافلة ولو كبرت، أو عطش حيوان محترم، ويأتي في عطشهما ما في عطشك المانع.

الثالث: خوف المحذور، ومَثَّل له بقوله: (أو كانت بك جِراحةٌ) تتيمم عنها وتغسل الصحيح المجاور لها، (أو مرضٌ) ولو متوقعاً (تَخاف) التلف (منه) أي: المذكور الصادق بالجراحة، والمرض (علىٰ نفسِك) أو عضوك أو منفعتك، أو تخاف منه طول مدة المرض أو زيادته، أو شيئاً فاحشاً في عضو ظاهر، فإذا عجزت (فاصبرْ حتىٰ يَدخُلَ وقتُ الفريضة) لتتيمم لها، لأنه كطلبه لا يصح لها ولراتبتها إلا بعد دخوله.

(ثم اقصِد صعيداً) موضعاً من الأرض (طيباً) لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الآية٤٣ من النساء والسادسة من المائدة.

(عليه ترابٌ) بأي لون كان، ومنه ما يتداوىٰ به وتراب الأَرَضَة والمَشْويُّ، (خالصٌ) أي: غير مختلط به نحو دقيق يمنعه الوصول لمحل الفرض، (طاهر) طهور، (ليِّن) لا صلب، لا غبار عليه،

---

(١) في نسخة(م): أو كان ملكاً لغيرك، ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المثل.

فاضرِبْ عليه بكفَّيك ضاماً بين أصابِعِك وانْوِ استباحةَ الصلاة وامسحْ بهما وجهَك كلَّه مرةً واحدة. . . . .

فيجزئ رَمْل لا يلصَق، وفي الشرح محترزات وبسط منه رَفْعٌ لما يتوهم في عبارة المصنف مع الرِّكَة أو نحوها بسبب قوله صعيداً مع قوله تراب.

(فاضرِبْ) ندباً (عليه) أي: التراب (بكفَّيك ضاماً بين أصابِعِك) لأنه أنفع في إثارة الغبار فيسهل تعميم الوجه، فالضرب علىٰ هذه الكيفية سنة، بل خصوص الضرب لا يجب، والتيمم له شروط عشرة ذكرتها في الشرح[1]، ومأخذها من كلام المصنف.

وله أركان خمسة:

الأول: نقل التراب، وإليه أشير بالضرب.

والثاني: نية الاستباحة مما يتوقف عليه الطهر، وإليه أشير بقوله (وانْوِ استباحةَ) فرض (الصلاة) مثلاً دون رفع حدث، ودون فرض تيمم، ويجب قرنها بالنقل، واستدامتها إلىٰ مسح شيء من الوجه، وفي مسألة نية الرفع بحث في الشرح وجيه، (وامسحْ بهما) أي: بكفيك (وجهَك كلَّه مرةً واحدة) لأنه يندب عدم

---

(١) وهي: دخول الوقت فالقصد فكون المتيمم به تراباً وكونه خالصاً وكونه طاهراً وكونه ليناً والتيمم لكل فرض عيني، والاجتهاد في القبلة قبله وأن يزيل النجاسة أولاً، وأن يمسح الوجه واليدين بضربتين.

ولا تتكلفْ إيصالَ الغبارِ إلىٰ منابت الشعر خَفَّ أو كَثُفَ ثم انزِعْ خاتَمَكَ واضْرب ضَربةً ثانية مفرِّجاً بين أصابعك وامسحْ بهما يديك مع مِرْفقيك حتىٰ تستوعبَهُما. . . . .

التكرار، (ولا تتكلفْ) أي: يندب أن لا تتكلف (إيصالَ الغبارِ إلىٰ منابت الشعر) في وجه أو يد (خَفَّ أو كَثُفَ)، بل يندب تخفيفه من الكف بالنفض أو النفخ اتِّباعاً، ولئلا يتشوَّه. نعم يندب أن لا يمسحه حتىٰ يفرغ من الصلاة، (ثم انزِعْ) وجوباً (خاتَمَكَ) لأن نزعه عند مسح الوجه سنة، وعند مسح اليد واجب، ليصل الغبار إلىٰ ما تحته.

(واضْرب ضَربةً ثانية) بكفيك، وتقدم أن خصوص الضرب لا يجب، وإنما يجب الترتيب في المسح بين الوجه واليدين لا في النقل، (مفرِّجاً بين أصابعك) لأن هذا التفريج سنة، (وامسحْ بهما) بكفيك (يديك مع مِرْفقيك حتىٰ تستوعبَهُما) علىٰ المعتمد، وقيل: واجب مسح الكفين إلىٰ الكوعين عن نَصِّ الشافعي في القديم، ورجح دليلاً[1].

---

(١) قال في بغية المسترشدين (ص١٢و١٣): المذهب القديم ليس مذهباً للشافعي.. وأما المسائل التي عدوها وجعلوها مما يفتىٰ به علىٰ القديم، فسببها أن جماعة من المجتهدين في مذهبه لاح لهم في بعض المسائل أن القديم أظهر دليلاً فأفتوا به، غير ناسبي ذلك إلىٰ الشافعي كالقول المخرج، فمن بلغ رتبة الترجيح ولاح له الدليل أفتىٰ بها، وإلا فلا وجه لعلمه. وفتواه، علىٰ أن المسائل التي عدوها أكثرها فيه قول جديد فتكون الفتوىٰ به.

وإِنْ لم تستوعِبْهما فاضربْ ضربة أخرىٰ ثم امسح إحدىٰ كَفَّيك بالأخرىٰ وامسحْ ما بين أصابعك بالتَّخليل وصَلِّ به فرضاً واحداً وما شئتَ من النوافل..........................

(وإِنْ لم تستوعِبْهما) المسحة الثانية (فاضربْ ضربة أخرىٰ) للاستيعاب لأن ما توقف عليه يجب، وإذا حصل بهما كُرهت الزيادة، فورد مسح الوجه واليدين بضربتين، وقيل: يسن ثلاثة لكل عضو ضربة، ونُقل عن مالك.

وبما قررته عُلِمَ أن الأركان خمسة خامسها: الترتيب كما ذكره وبيناه، وفي "الروض" الأركان سبعة، وفي "المجموع" ستة، وفي الشرح الجمع بين هذا الاختلاف.

(ثم امسح) ندباً (إحدىٰ كَفَّيك بالأخرىٰ) عند الفراغ من مسح الذراعين، (وامسحْ) ندباً (ما بين أصابعك بالتَّخليل) بعد مسح يديك احتياطاً إن فرَّجتَ في الثانية، ووجوباً إن فرجت في الأولىٰ فقط، لتوصل التراب إلىٰ المحل الواجب مسحه، فيحصل الترتيب بين المسحتين؛ لأن ما وصل إليه قبل مسح الوجه غير معتد به في حصول المسح، وفي الشرح هنا سنن مؤكدة جمَّة لم يذكرها المصنف مع أنها مهمة.

(وصَلِّ) وجـوباً (به) بالتيمم (فرضاً واحداً وما شئتَ من النوافل)

فإنْ أردتَ فرضاً ثانياً فاستأنفْ له تيمُّماً.

المطلقة والمقيدة القَبْلية والبَعدية[1]، ومثلها الجنازة (فإنْ أردتَ فرضاً) عينياً (ثانياً فاستأنفْ له تيمُّماً) آخر، لأنه لا يُؤدىٰ فرضان عينيَّان بتيمم واحد.

---

(١) قال في الشرح: لأن النوافل تكثر فتشتد المشقة بإعادة التيمم لها، ولأنها في حكم صلاة، ولأن لك إذا أحرمت بركعة أن تجعلها مئة وبالعكس.

آداب الخروج إلىٰ المسجد

فإذا فَرَغْتَ من طهارتك فَصَلِّ في بيتك ركعتي الصبحِ إن كان الفجرُ قد طَلَع كذلك كان يفعل رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم ثم توجَّهْ إلىٰ المسجد، ولا تَدَعِ الصلاةَ في الجماعة لاسيَّما الصبحَ. . . . .

آداب الخروج إلىٰ المسجد

هذه (آدابُ الخروج إلىٰ المسجد) وهي كثيرة، (فإذا فَرَغْتَ من طهارتك) ولو تيمماً (فَصَلِّ) قبل الخروج (في بيتك) أي: سكنك ولو خلوة، (ركعتي الصبحِ)[١] سنته التي هي خير من الدنيا وما فيها كما في "مسلم" (إن كان الفجرُ) الصادق (قد طَلَع) ولو ظناً غالباً (كذلك) أي: صلاتها (كان يفعل رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم) كثيراً كما دلت عليه رواية "البخاري" وهي في الشرح، وفي رواية هي بسند للمصنف تصريح بأنه كان يصليهما في بيته.

(ثم توجَّهْ إلىٰ المسجد، ولا تَدَعِ الصلاةَ) المكتوبة (في الجماعة) ولو قلَّتْ: (لاسيَّما الصبحَ) والعشاء والعصر لِمَا صح من الحث علىٰ صلاتها في الأوَّلين ومصيرِ مصليهما فيها في ذِمَّة الله تعالىٰ وحفظه.

ولِمَا صح في الثالثة أنهـا الوسطىٰ ولغير ذلك علىٰ مـا بسطته في

---

(١) في نسخة (م) الفجر.

فصلاةُ الجماعة تَفْضُلُ علىٰ صلاة الفَذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً فإن كنتَ تتساهَلُ في مثلِ هذا الرِّبحِ فأيُّ فائدة لك في طلب العلم فإنما ثمرةُ العلم العملُ به فإذا سعيتَ إلىٰ المسجد فامشِ علىٰ هِيْنَةٍ وتُؤَدَةٍ ولا تعجَلْ..........................

الشرح (فصلاةُ الجماعة) كما في رواية البخاري ومسلم وفي نسخة لا توافق الرواية: وصلاة الجماعة (تَفْضُلُ علىٰ صلاة الفَذِّ) أي الفرد، لكن لفظ الرواية: أفضل من صلاة الفذ (بسبعٍ وعشرين درجةً) وفي رواية: بخمس وعشرين درجة ولا منافاة كما بيَّنوه وذكرته في الشرح[1]، (فإن كنتَ تتساهَلُ في مثل هذا الرِّبحِ) فائدة رأس مال تجارة الأُخرىٰ (فأيُّ فائدة لك في طلب العلم) الذي تزعم أنك حريص علىٰ اقتباسه، (فإنما ثمرةُ العلم) النافع (العملُ به) الصالح، ومن أفضله صلاة الجماعة؛ فإن تعذر أو تعسر صلاتك بها في المسجد ففي بيتك لاسيما مع أهلك تحصيلاً لثوابها وتمريناً لها عليها لاسيما الصبح والعشاء، (فإذا سعيتَ إلىٰ المسجد) أي: أردت السعي بمعنىٰ المشي (فامشِ علىٰ هِيْنَةٍ وتُؤَدَةٍ) رفق ومُهْلة، ويبين المراد منهما قوله: (ولا تعجَلْ)، وإذا ركبت فكذلك، لكن المشي إلا لعذر أفضل، فمن ثَمَّ عبر به، وفي الشرح هنا دليل المسألة، ومسألة حكم

---

(١) قال: لوجوه: أحدها: أنها تختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة.

وقُلْ في طريقك: اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك، وبحق مَمْشَايَ هذا إليك فإني لم أخرُجْ أَشِراً ولا بَطِراً ولا رياءً ولا سُمْعة بل خرجتُ اتقاءَ سَخَطِكَ، وابتغاءَ مرضاتِك فأسألك أن تُنقذني من النار وتدخلَني الجنة وأن تغفرَ لي ذنوبي فإنه لا يَغفرُ الذنوب إلا أنتَ.

الإسراع: هل تجب في صورة أو لا؟ وهي[1] مهمة.

(وقُلْ) ندباً (في طريقك) ما رواه ابن ماجه إلا في كلمات: (اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك، وبحق مَمْشَايَ هذا إليك) أي: إلىٰ بيتك كما في رواية، وفي أخرىٰ وبحق خروجي إليك (فإني لم أخرُجْ أَشِراً) بفتح المعجمة وكسرها (ولا بَطِراً) بفتح الطاء وكسرها (ولا رياءً ولا سُمْعة) أي لأجل ذلك (بل خرجتُ) وفي رواية لكن خرجت (اتقاءَ سَخَطِكَ، وابتغاءَ مرضاتِك)، أي: لأجل الاتقاء والابتغاء، أي: طالباً لهما (فأسألك) بالفاء والواو روايتان (أن تُنقذني من النار)، وفي رواية كنسخة (وتدخلَني الجنة)، وفي جميع الروايات إلا رواية النسائي (وأن تغفرَ لي ذنوبي)، وفي نسخة ذنبي، (فإنه) بالفاء كما في الرواية (لا يَغفرُ الذنوب إلا أنتَ)

---

(١) قال عن صلاة الجمعة: لو نشأ التراخي في إدراكها عن تقصير وجب إدراكها ولو بالسعي.

. . . .

في روايتين: قائله يُقبِلُ الله عليه بوجهه ويستغفر له سبعون ألف ملك، وفي إحداهما: حتىٰ يفرغ من صلاته[1]، وفي الشرح هنا بسط وكلام مهم.

---

(١) يتضح لك من خلال هذا الأثر عناية المؤلف ـ رحمه الله ـ بالصنعة الحديثية فجزاه الله عنا خير الجزاء. وهذا من شؤون كبار المحبين والمتعلقين بالجناب النبوي.

آدابُ دخول المسجد[1]

فإذا أردتَ دخولَ المسجد فقدِّم رِجلك اليمنىٰ وقُلْ: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتحْ لي أبوابَ رحمتك. وإذا رأيتَ في المسجد مَنْ يبيعُ. . . . .

آدابُ دخول المسجد[2]

هذه (آدابُ دخول المسجد) الجامع وغيره (إلىٰ طلوعِ الشمس) أي: أوله قبل ارتفاعها، (فإذا أردتَ دخولَ المسجد) ولو بعد الطلوع، ومثله كل مكان شريف علىٰ ما قيل (فقدِّم) ندباً (رِجلك اليمنىٰ) أو بدلها (وقُلْ) عند التقديم أو الدخول سواء قدمتها أو لا: (اللهم صلِّ علىٰ) سيدنا (محمد وعلىٰ آل محمد) الأحاديث فيه، وفي نسخة: بدون الصلاة علىٰ الآل مع زيادة: وسَلِّم الشاهد بها رواية، لكن في بعض الأحاديث تقديم الاستعاذة، وفي بعض تأخيرها، وكيفيتها علىٰ الروايتين ذكرتها في الشرح، وفي مسلم وغيره: (اللهم اغفر لي ذنوبي) وفي لفظ جميع ذنوبي (وافتحْ لي أبوابَ رحمتك، وإذا رأيتَ) أي علمت (في المسجد مَـنْ يبيعُ) البـيع

---

(١) في نسخة (م) إلىٰ طلوع الشمس.

(٢) في نسخة (م) إلىٰ طلوع الشمس.

فقُلْ : لا أَرْبَحَ اللهُ تجارتَك . وإذا رأيتَ من يَنْشُدُ ضالَّةً فقُلْ : لاردَّ اللهُ ضالتك عليك . كذلك أَمَرَ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم وإذا دخلتَ المسجد فلا تَجْلِسْ حتىٰ تصليَ ركعتين تحيةَ المسجد

الشامل للشراء (فقُلْ) ندباً: (لا أَرْبَحَ اللهُ تجارتَك) لحديث حسن وغيره فيه: (وإذا رأيتَ) علمت (من يَنْشُدُ) يطلب (ضالَّةً) حاجة ضائعة، لعل المراد الطلب بلسان المقال، ويحتمل الأعم (فقُلْ) ندباً (لاردَّ اللهُ ضالتك عليك) أو نحو هذا اللفظ، لأن لفظ الوارد: لا رد الله عليك، أو: لاردَّها الله عليك، روايتان كما بينته في الشرح، وبالأُولىٰ جاءت نسخة من البداية (كذلك) أي بهذا اللفظ أو معناه علىٰ حسب النسختين (أَمَرَ) بالدعاء علىٰ المُنْشد والمبتاع (رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم) كما في حديث الترمذي والنسائي في البائع، وحديث غيرهما في المنشد، وفي الشرح هنا مسائل مهمة ملائمة[1].

(وإذا) بالواو وهي أليق من الفاء كما في نسخة (دخلتَ المسجد فلا تَجْلِسْ) ندباً (حتىٰ تصليَ ركعتين تحيةَ المسجد) ولو وقت الكراهة إلا عن تَحَرٍّ وإلا في المسجد الحرام وأردتَ الطواف فهو

---

(١) قال: وفي معنىٰ الدعاء عليهما عدم إعطاء السائل صدقة فيه علىٰ ما جنح إليه ابن المبارك ونقله عنه بعض أئمة الشافعية.. والمعتمد في مذهبنا استحباب الصدقة داخل المسجد وخارجه؛ نعم قد يعرض لها ما يصيرها حراماً أو مكروهاً بل يأتي فيها الأحكام الخمسة.

فإنْ لم تكنْ صلَّيتَ ركعتي الفجر فيُجْزِئُكَ أداؤهما عن التحية فإذا فرغتَ من الركعتين فانْوِ الاعتكافَ وادْعُ بدعاءِ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر وقُلْ: اللهم إني أسألك رحمةً من عندك

تحيَّته، فورد أنه صلىٰ الله عليه وسلم لما دخله بدأ بالطواف، (فإنْ لم تكنْ صلَّيتَ ركعتي الفجر[1]) ندباً لك فيه، فإذا صليتهما أداء أو قضاء (فيُجْزِئُكَ أداؤهما) أي: تأديتهما (عن التحية)، ويحصل ثوابهما إن نُوِيَا، وإلا حصل سقوط الطلب وثواب سنة الفجر علىٰ كلام ومزيد في الشرح.

(فإذا فرغتَ من الركعتين) التحية أو الفجر (فانْوِ الاعتكافَ) ولو لحظة، وفي الشرح حث عليه وبسط يتعلق به، (وادْعُ) ندباً (بدعاءِ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر) لأن الوقت شريف والمأثور جاويش[2] الإجابة وبينته في الشرح، وإلىٰ بعضه أشير بقوله، (وقُلْ) نـدباً ما جاء في حديث الترمذي والبيهقي والطبراني من رواية ابن عباس: (اللهم إني أسألك رحمةً من عندك) ولا تكـون

---

(١) في نسخة (م) في بيتك ركعتي الفجر.

(٢) أصلها من الفارسية: جاوُش بمعنىٰ: مقدم القافلة، حادي، حاجب. وهنا بمعنىٰ: المقدم في الدعاء وذكرها في الشرح هكذا: شاووش وقال: ولعل هذا الدعاء هو اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلىٰ الله عليه وسـلم نعـوذ بـك من النار ثلاثاً. أخرجه النسائي وغيره. وانظر الكلمة في المعجم الفارسـي الكـبير للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ١/ ٨٨٤.

تَهدي بها قلبي، وتَجمَعُ بها شَمْلي وتَلُمَّ بها شَعْثِي وتَرُدَّ بها أُلْفَتِي وتُصلِحُ بها ديني وتحفظُ بها غائبي وتـرفعُ بها شاهدي وتُزكِّي بها عملي وتُبَيِّضُ بها وجهي وتُلَقِنِّي بها رشدي وتعصمُني بها من كل سُوء

الرحمة إلا من عنده، فذكر العندية لحكمة ترجع إلىٰ تعظيمها علىٰ حَدٍّ: ﴿وآتيناه من لدنّا علماً﴾[1] (تَهدي) توصل أو تدل (بها قلبي، وتَجمَعُ بها شَمْلي) متفرق أمري ونحوه (وتَلُمَّ) تجمع (بها شَعْثِي) ما تفرق من أمري (وتَرُدَّ بها أُلْفَتِي) مألوفي ونحوه (وتُصلِحُ بها ديني) الذي به صلاح أمري، أو المراد بديني عاقبة أمري لحديث فيه (وتحفظُ)، وفي حديث: وتصلح (بها غائبي) ما غاب عني من أهل ومال أو أعم، (وترفعُ بها شاهدي) أي: معلومي، أو ما لم يغب عني عينه وعلمه، (وتُزكِّي) تطهر أو تنمِّي (بها عملي) الظاهر والباطن (وتُبَيِّضُ) تنوّر (بها وجهي) ذاتي، أو الوجه منها، ولم أر في الرواية قوله وتزكي إلىٰ قوله (وتُلَقِنِّي) من التلقين، أو تُلَقِّيني من اللُّقيا واللقاء بمعنىٰ الوِجدان والظَّفَر، (بها رشدي) بفتح أولهما، أو ضمه وسكون الثاني: صلاح ديني ومالي، أو هدايتي، أو كلمة الشهادة عند الموت، (وتعصمُني) تحفظني (بها من كل سُوء) بفتح السين وضمها هذا آخر الرواية.

---

(١) الصواب: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ الكهف / ٦٥.

اللهم إني أسألك إيماناً دائماً يباشرُ قلبي وأسألك يقيناً صادقاً حتىٰ أعلَم أنه لن يُصيبني إلا ما كتبتَه عليَّ، وأَرْضِنِي بما قَسَمْتَه لي اللهم أعطني إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كُفْر ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوزَ عند اللقاء والصبرَ عند القضاء ومنازلَ الشهداء

وجاء في أخرىٰ للترمذي والبيهقي: (اللهم إني أسألك إيماناً) تصديقاً بما جاء به محمد صلىٰ الله عليه وسلم (دائماً يباشرُ) أو يناهز (قلبي) بحيث يخالط بشاشته حتىٰ لا يسلب، (وأسألك يقيناً) وفي لفظ: ويقيناً بدون أسألك (صادقاً) بالغاً في الصدق (حتىٰ أعلَم أنه لن) وفي لفظ: لا (يُصيبني إلا ما كتبتَه عليَّ، وأَرْضِنِي) أو: رضِّني، روايتان (بما قَسَمْتَه لي).

وجاء في رواية الطبراني والبيهقي والترمذي: (اللهم أعطني إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده) أي: المذكور من الإيمان واليقين (كُفْر) ولو للنعمة، (ورحمةً) عظيمة (أنالُ بها شَرَفَ كرامتك) لي (في الدنيا والآخرة).

وجاء في غير رواية المذكورين أعلاه: (اللهم إني أسألك الفوزَ عند اللقاء) الموت (والصبرَ عند القضاء) عند نزوله الأعم من الموت، والرضا أكمل من الصبر، لكن من تحقق بالرضا كان ممن ظفر بمقصود الصبر وزيادة، (ومنازلَ الشهداء) شهداء المعركة

وعيشَ السعداء والنصرَ علىٰ الأعداء ومرافقةَ الأنبياء اللهم إني أُنْزِلُ بك حاجتي وإنْ ضَعُفَ رأيي و قَصُرَ عملي وافتقرتُ إلىٰ رحمتِك

والمحبة، أو منازل قوم يقال لهم الضنائن[1] يَحيَون في عافية ويموتون في عافية ويعطون منازل الشهداء علىٰ ما ورد وذكرته في الشرح، (وعيشَ السعداء) العيش الرَّغَد للكاملين في السعادة (والنصرَ علىٰ الأعداء) من الإنس والجن والشياطين والنفس والهوىٰ، (ومرافقةَ الأنبياء) في الحشر معهم، أو المرافقة المشار إليها في قوله تعالىٰ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية٦٩ من سورة النساء.

لكن في رواية السيوطي في جامعه بلفظ: «اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاءِ، ونُزُل الشهداء وعيش السعداء والنصر علىٰ الأعداء»، وجاء في رواية البيهقي والطبراني: (اللهم إني أُنْزِلُ بك حاجتي) أي: كل حاجة، ومن ثَمَّ كان بعضهم يسأل ربه حتىٰ الملحَ، والمراد حاجتي المهمة، لا أنه لا يفتقر في غيرها، (وإنْ ضَعُفَ رأيي) فأنت الذي تزيل ضعفه، (و) إن (قَصُرَ عملي) فأنت الغفور الموصل له، (و) إن (افتقرتُ إلىٰ رحمتِك) فأنت الجابر بها فقري، هي واسعة

---

(١) قال الزبيدي في تاجه (مادة: ضنن): وضَنَائن الله: خواصّ خلقه إشارة للحديث: " إن لله ضنائن من خلقه" وفي رواية: " ضنًّا من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم في عافية"، أي خصائص، واحدهم: ضَنِينة، فعيلة بمعنىٰ مفعولة من الضَّنّ، وهو ما تختصه وتَضَنّ به لمكانه منك وموقعه عندك.

فأسألك يا قاضيَ الأمورِ ويا شافيَ الصدور كما تُجِيرُ بين البُحُور أن تُجِيرَني من عذاب السعير ومن دعوة الثُّبور ومن فِتْنة القبور اللهم وما قَصُر عنه رأيِي وضَعُفَ عنه عملي، ولم تَبْلُغْه نِيَّتي مِنْ خيرٍ وَعَدْتَه أحداً من عبادك أو خيرٍ أنتَ مُعطيه أحداً من خلقك

لرأيي وعملي وغيرهما، ويحتمل الكلام غير ما ذكرته من التقدير كما أشرت إليه في الشرح، (فأسألك يا قاضيَ) أو يا كافي (الأمورِ): نسختان، ولم يتحرر لي الثابت في الرواية، (ويا شافيَ الصدور) من السُّوء بجميع أنواعه المذكورة في الشرح (كما تُجِيرُ) تَفْصِلُ (بين البُحُور) العذبة وغيرها فَصْلاً يمنعها من الاختلاط والبغي، (أن تُجِيرَني) تحفظَني (من عذاب السعير) جهنم، (ومن دعوة الثُّبور) الهلاك، (ومن فِتْنة القبور) السؤال فيها أو أعم، وجاء في السنة أَمَانُ طائفة منها، وعيَّنهم السيوطي وغيره نظماً ونثراً[١]، (اللهم وما قَصُر عنه رأيِي) عقلي وفكري، (وضَعُفَ عنه عملي، ولم تَبْلُغْه نِيَّتي)، وفي لفظ: مسألتي وأمنيَّتي (مِنْ خيرٍ وَعَدْتَه أحداً من عبادك)، وفي لفظ خلقك (أو خيرٍ أنتَ مُعطيه أحداً من خلقك) أو عـبادك كما في

---

(١) للسيوطي أرجوزة في سؤال الملكين في القبر بعنوان: التثبيت عند التبييت نشرت في المطبعة الحسينية – القاهرة بتعليق محمد بدرالـدين النعسـاني في: ١٧٦ بيتاً (المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع).

فإني راغبٌ إليك فيه، وأَسْأَلُكَه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غيرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين حَرْباً لأعدائك سِلْماً لأوليائك نُحِبُّ بِحُبِّكَ الناسَ ونُعَادي بعداوتك مَنْ خالفكَ مِنْ خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الْجُهْدُ وعليك التُّكْلاَنُ إنا لله وإنا إليه راجعون.................

رواية، (فإني راغبٌ إليك فيه، وأَسْأَلُكَه يا رب العالمين)، وفي رواية عقب هذا: اللهم ذا الحبل الشديد إلىٰ آخره، وهو مستوفىٰ في الشرح ثم: (اللهم اجعلنا هادين مهتدين غيرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين حَرْباً) محاربين، قيل: هو بالتحريك، غضباً[1] (لأعدائك) العصاة بجميع أنواعهم، (سِلْماً) مسالمين مستسلمين (لأوليائك) الصالحين أو المؤمنين (نُحِبُّ بِحُبِّكَ الناسَ) الذين هم الناس عملاً لحديث: الحب في الله من الإيمانَ (ونُعَادي) نبغض ونخاصم (بعداوتك مَنْ خالفكَ مِنْ خلقك)، وليس في الرواية التي وقفتُ عليها: من خلقك، (اللهم هذا الدعاء وعليك)أي: منك (الإجابة) له، (وهذا الْجُهْدُ) بالفتح المشقة، وبالضم أو بهما الطاقة، (وعليك التُّكْلاَنُ) التوكل، (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وليس في الرواية أيضاً هذه الترجيعة؛ لكنها مناسبة تستحب عند كل مصيبة كانقطاع شِرَاك، وانطفاء سراج،

---

(١) من حرب كفرح: اشتد غضبه (القاموس / الحرب).

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذا الحَبْل الشديدِ والأمرِ الرشيد أسألك الأَمْنَ يومَ الوعيد والجنةَ يومَ الخلود مع المقرَّبين الشُّهودِ والرُّكَّعِ السُّجودِ والمُوفينَ بالعهودِ إنك رحيمٌ ودود

(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، وليست أيضاً في الرواية هذه الحولقة[1]؛ وإن كان لها فضل عظيم أشرت إلىٰ بعضه في الشرح هنا وفيما بعد، وأتبعها بعض ما تقدم في الرواية: (ذا الحَبْل) بالمثناة القوة، أو بالموحدة العهد والميثاق، أو القرآن، أو الدين، أو السبب، (الشديدِ) وفي نسخة كالرواية: اللهم يا ذا الحبل الشديد (والأمرِ الرشيد) الهادي (أسألك الأَمْنَ يومَ الوعيد) التخويف الأكبر، (والجنةَ يومَ الخلود) وقت الخلود فيها (مع المقرَّبين) أهل القُرْب (الشُّهودِ) أهله في دار النعيم وهذه الدار، (والرُّكَّعِ السُّجودِ) فيها وإن كان لا تكليف في الجنة، وخُصُّوا بوصفِ نحو السجود لشرف هذا الوصف، ومن ثَم أشار إليه في آية ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، وورد "أقرب ما يكون العبد"، (والمُوفينَ بالعهودِ) فيها، (إنك رحيمٌ) بعبادك (ودود) محبوب أو محب الصالحين، كذا قيل وله توجيه أشرت إليه في

---

(١) لفظة مبنية من لا حول ولا قوة إلا بالله، كالبسملة من بسم الله، والحمدلة من الحمد لله. هكذا ذكره الجوهري بتقديم اللام علىٰ القاف، وغيره يقول: الحوقلة بتقديم القاف علىٰ اللام. (النهاية لابن الأثير – حولق).

وأنتَ تفعلُ ما تريدُ سبحان الذي تَعَطَّفَ بالعِزِّ وقال به سبحان الذي لَبِسَ المَجْدَ وتكرَّمَ به سبحان الذي لا ينبغي التسبيحُ إلاله سبحان ذي الفضل والنِّعَم سبحان ذي المَجْدِ والكَرَم، سبحان ذي الجَلَال والإكرام سبحان الذي أَحْصىٰ كلَّ شيء بعلمه اللهم اجعل لي نوراً في قلبي......................

الشرح[١]، (وأنتَ) وفي رواية: وأنك (تفعلُ ما تريدُ) وليس فيها أيضاً هذا التسبيح في هذا المحل، بل بعد طلب النور (سبحان الذي تَعَطَّفَ) تردَّىٰ بمعنىٰ اتصف (بالعِزِّ) أي التكبر والقدرة، (وقال) من القول (به) لأنه تعالىٰ قال: " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري.." الحديث، (سبحان الذي لَبِسَ المَجْدَ) الشرف الواسع والعظمة، (وتكرَّمَ به) أي بأَثَرٍ منه علىٰ المنسوب إليه، (سبحان الذي لا ينبغي التسبيحُ) التنزيه (إلا له) تعالىٰ، (سبحان ذي الفضل والنِّعَم) وبينهما من المناسبة ما لا يخفىٰ، (سبحان ذي المَجْدِ) وفي نسخة: القدرة، (والكرَمَ، سبحان ذي الجَلَال والإكرام) هكذا جاء في روايات، وبسطتُ الكلام عليه في الشرح في أثر، (سبحان الذي أَحْصىٰ كلَّ شيء بعلمه) لأن دائرة علمه واسعة لا يخرج عنها شيء، (اللهم اجعل لي نوراً في قلبي) هكذا في رواية ونسخة، وهي ملائمة ما

---

(١) بمعنىٰ يرضىٰ عنهم.

ونـوراً في قبري، ونـوراً في سمعي، ونـوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونـوراً في بشري، ونـوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونـوراً من بين يدي، ونـوراً مـن خلفي، ونوراً عـن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، اللهم زدني نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً.

بعده، وفي رواية الشيخين وغيرهما علىٰ غير هذا الترتيب الذي ذكره المصنف، غير أن أكثره موافق بعض الروايات، مجموعه جاء به مجموعها علىٰ ما بينته في الشرح، ولعل المصنف فصل الرواية بالمعنىٰ، أو جاء الاختلاف من اختلاف النسخ فإنها مختلفة في حكاية هذا الذكر كثيراً، (ونوراً في قبري، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، اللهم زدني نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً) وفي رواية: واجعلني نوراً[١]، وفي أخرىٰ، الجمعُ بين اللفظين، وجريت فيما شرحت عليه

---

(١) مما قـال في الشرح: وفي روايـة واجعـل لي مـن لقائك نـوراً ولعلهـا المـراد مـن رواية: واجعل لي نـوراً. وهـذا أحد الأجوبـة عـن سـؤال: مـا الحكمـة في طلب جعل النور له مع جعلـه كلـه نـوراً، ومـن الأجوبـة: نـوراً يقـدر بـه علـىٰ استكشاف الحجب النورانية والسبحات الربانيـة ونحـو ذلـك ممـا يليـق بالـذات الأقدس والمقام الأنفس.

فإذا فَرَغتَ من الدعاء فلا تشتغلْ إلىٰ أداءِ الفرضِ إلا بِذِكْرٍ وتسبيح وقراءةِ قرآن، فإذا سمعتَ الأذانَ في أثناءِ ذلك فاقطعْ ما أنتَ فيه واشتغل بجوابِ المؤذِّنِ فإذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقُلْ مثل ذلك في كُلِّ كلمة إلا في الحَيْعَلَتَين فقُلْ فيهما لا حولَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم وإذا قال: ....

هنا علىٰ أصح النسخ وأقربها إلىٰ الوارد في الرواية، وذكرت في الشرح ما يتعلق بألفاظها والمناسبات، وطويته هنا اختصاراً واكتفاء بما هناك، ففيه المهم فراجعه إن شئتَ.

(فإذا فَرَغتَ من الدعاء) السابق (فلا تشتغلْ) من فراغك (إلىٰ) وقت (أداءِ الفرضِ) أو سماع أذانه (إلا بِذِكْرٍ) الشامل لتهليل (وتسبيح وقراءةِ قرآن، فإذا سمعتَ) كلمات (الأذانَ) أو بعضها (في أثناءِ ذلك) الذكر (فاقطعْ ما أنتَ فيه) منه (واشتغل بجوابِ المؤذِّنِ) لأنه الأفضل، ومثله المقيم كما سيأتي؛ (فإذا قال المؤذن) ولو صبياً (الله أكبر الله أكبر، فقُلْ مثل ذلك) أي: كَرِّر لفظ الله أكبر مرتين عقبٍ قوله، بل قل مثل قوله (في كُلِّ كلمة) من كلمات الأذان (إلا في) كلٍّ من (الحَيْعَلَتَين) حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح، وإلا في قوله: ألا صلوا في رِحَالكم قياساً عليهما (فقُلْ فيهما) عقب سماعهما أربعاً أو مرتين (لا حولَ ولا قوة إلا بالله)، وليس في نسخ ولا في الرواية زيادة: (العليِّ العظيم)، وفي الشرح دليل هذا وشرحه مزيد عليه؛ (وإذا قال) في أذان الصبح الأول أو الثاني كلمة التثويب، وهي

الصلاةُ خيرٌ من النوم فقُل صَدَقْتَ وبَرِرْتَ. فإذا سمعتَ الإقامةَ فقُلْ مِثْلَ ما يقولُ إلا في قد قامَتِ الصلاةُ فقُلْ: أقامَهـا اللهُ وأدامَها ما دامت السمواتُ والأرض. فإذا فـرغتَ من جواب المؤذن في الأذان فقُلْ: اللهم إني أسألك عند حضور صلواتك وأصواتِ دعاتك

(الصلاةُ) بالرفع والنصب (خيرٌ) أي: اليقظة إليها خير من الراحة التي تحصل (من النوم فقُل) مرتين عقبه (صَدَقْتَ وبَرِرْتَ) بكسر الراء، أو صدق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والجمع أفضَل[1]؛ وفي الشرح كلام في التثويب ودليله، (فإذا سمعتَ) أيضا وأنت مشتغل بالذكر (الإقامةَ) ولو من صبي (فقُلْ) ندباً (مِثْلَ ما يقولُ إلا في) قوله (قد قامَتِ) أي قربت (الصلاةُ) فلا تقول مثل ما يقول، بل المندوب أن تقول مقول قوله (فقُلْ: أقامَها اللهُ وأدامَها) لحديث أبي داود، زاد المصنف تبعاً لكتاب "التنـبيه" وناهيـك بصاحبه الإمام الفقيه المحدث الصالح مجاب الدعوة: (ما دامت السمواتُ والأرض) القَصْدُ مطلق الدوام، وإلا فلهما غاية، (فإذا فرغتَ من جواب المؤذن في الأذان)، وفرغت من الصلاة والسلام عقب الجواب (فقُلْ: اللهم إني أسألك عـند حضـور صلـواتك) وفي لفـظ صـلاتك، (وأصـواتِ دعاتك)

---

(١) قال في الشرح: وكذا ينبغي زيادة: وبالحق نطقتَ. وروىٰ الطبراني: حسب المؤمن من الشقاق والخيبة أن يسمع المؤذن يُثَوِّب ولا يجيبه.

وإدبارِ ليلك وإقبالِ نهارك أن تُؤتيَ محمداً الوسيلة والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعة وابعثه المقامَ المحمود الذي وعدتَه برحمتك يا أرحم الراحمين.........................

والمؤذنين، أو والمقيمين، أو كل داع إلىٰ خير، (وإدبارِ ليلك وإقبالِ نهارك)، ولم أقف علىٰ سند هذا سوىٰ ما في حديث: " إذا سمعتَ أذان المغرب فقل: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي" وفي لفظ: وحضور صلواتك أسالك أن تغفر لي: (أن تُؤتيَ محمداً الوسيلة) منزلة في الجنة يفسرها ما في حديث مسلم، أو قُبَّة في أعلىٰ عليين من لؤلؤة بيضاء يسكنها هو وآله صلىٰ الله عليه وسلم، (والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعة)، زاد بعضهم العالية، وليس قوله: العالية في الرواية، نعم فيها: الرفيعة، (وابعثه المقامَ المحمود) أو مقاماً محموداً، أي: مقام الشفاعة[١] (الذي وعدتَه)، والأفضل ما في المنهاج من غيره[٢] الذي جاء به الحديث الصحيح في الصحيح وبينته كشرح هذه الكلمات في الشرح، وجاء في رواية (برحمتك) وليس فيها زيادة: (يا أرحم الراحمين) لكنها مناسبة جاء

---

(١) قال في الشرح: وحكمة سؤالنا وطلبنا له ذلك مع كونه واجب الوقوع باعتبار الوعد إظهاراً لشرفه وأداء لما له علينا واستمطاراً لسماء الفضل الإلهي بسببه!.

(٢) الصواب: وغيره.

إنك لا تخلف الميعاد. وإذا سمعتَ الأذان وأنتَ في الصلاة فتمِّم الصلاة ثم تَدَارَكِ الجوابَ علىٰ وَجْهِهِ فإذا أحرمَ الإمامُ بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به وصَلِّ ركعتي الفرض كما سيُتلىٰ عليك في كيفية الصلاة وآدابها فإذا فرغتَ فقل: اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد اللهم أنت السَّلامُ ومِنْكَ السلام وإليك يعود السلامُ

بها مطلق الأمر الشامل لهذا المقام وغيره، وفي رواية ونسخ: (إنك لا تخلف الميعاد) تخلف الوعد لا الوعيد.

(وإذا سمعتَ الأذان) مثله الإقامة (وأنتَ في الصلاة فتمِّم الصلاة) فرضاً أو نفلاً (ثم تَدَارَكِ الجوابَ) جواب الأذان بعد السلام منها (علىٰ وَجْهِهِ) بأن تأتي بالجواب من أوله إلىٰ آخره، وشرط ندب التدارك أن لا يطول الفَصْلُ علىٰ كلام في الشرح، (فإذا أحرمَ الإمامُ بالفرض) فرض الصبح لأن الكلام فيه، ومثله غيره، (فلا تشتغل) بسنة ولا غيرها (إلا بالاقتداء به) فيه، (وصَلِّ ركعتي الفرض) فرض الصبح (كما سيُتلىٰ عليك في) مبحث (كيفية الصلاة) المفروضة (وآدابها) سننها؛ (فإذا فرغتَ) منها (فقل: اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد) للأمر به في أول الدعاء ووسطه وآخره، ثم بعده الاستغفار ثلاثاً، (اللهم أنت السَّلامُ) اسم من أسماء الله، والمراد أنت صاحبه فجُدْ عليَّ بأثَرِه، (ومِنْكَ السلام) السلامة لا من غيرك، وليس في رواية مسلم: (وإليك يعود السلامُ) نعم في الذكر الوارد عند

فَحَيِّنا ربَّنا بالسلام وأدخلنا دارَ السلام تباركتَ وتعاليت يا ذا الجَلاَل والإكرام سبحان ربي العليِّ الأعلىٰ الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير لا إله إلا الله أهلُ النعمة والمنَّة والفضلِ والثناءِ الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم ادْعُ بعد ذلك بالجوامع الكَوَامِلِ

الطلوع: وإليك السلام، وفي رواية مسلم بعد الصلاة: (فَحَيِّنا) وفي أخرىٰ بدون الفاء (ربَّنا) أي: يا ربنا (بالسلام) التحية في دار النعيم، (وأدخلنا دارَ السلام) الجنة، وفي مسلم: (تباركتَ وتعاليت يا ذا الجَلاَل والإكرام)، وفي "الإحياء" كحديث (سبحان ربي العليِّ الأعلىٰ الوهاب)، لكن ليس فيه: العليّ علىٰ ما رأيته في دبر صلاة الغَدَاة كما في حديث ابن ماجه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير) لكن ليس فيه زيادة: وهو حي لا يموت بيده الخير، وإنما جاء بها مجموع حديثين كما بينته في الشرح، وبينتُ ما فيه من الفضل، وفي "مسلم" ببعض تقديم وتأخير وزيادة (لا إله إلا الله أهلُ النعمة والمنَّة والفضلِ والثناءِ الحسن)، ولفظ "مسلم" (لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ثم ادْعُ بعد ذلك) أي: هذا الذكر (بالجوامع) من الدعوات (الكَوَامِلِ) المـأثورة الكثيرة،

وهي ما علَّمه رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم عائشةَ رضي الله عنها: اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجِلِه وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنَّة وما قرَّبَ إليها من قولٍ وعمل وأعوذ بك من النار وما قَرَّب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدٌ صلىٰ الله عليه وسلم، وأستعيذك مما. . . . .

لكن المراد بعضها المنبَّه عليه بقوله: (وهي ما علَّمه رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم) لحِبَّتِه (عائشةَ) بنت الصديق (رضي الله عنها) وعنه كما جاء في حديث حسن بل صحيح: (اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجِلِه وآجله) في الدَّارين (ما علمتُ) بضم التاء (منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله) فيهما (ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك) وفي لفظ: اللهم إني أسألك (الجنَّة وما قرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ) الشاملُ لنيةٍ واعتقادٍ الثابتَين، أو أحدهما في نسخة لا في الرواية، (وأعوذ بك من النار وما قَرَّب إليها من قول وعمل ونية)، وفي نسخة: (واعتقاد) وفي أخرىٰ: ونية (وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك) وفي لفـظ: ورسولُك (محمدٌ صلىٰ الله عليه وسلم، وأستعـيذك مما) وفي لفـظ: وأعـوذ بك من شـر مـا

استعاذَك منه عبدُك ونبيك محمد صلىٰ الله عليه وسلم، اللهم وما قَضَيتَ لي من أمر فاجعل عاقبته رشداً. ثم ادْعُ بما أوصىٰ به رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم فاطمةَ رضي الله عنها: يا حيٌّ يا قيوم برحمتك أستغيث، لا تَكِلْني إلىٰ نفسي ولا إلىٰ أحد من خلقك طَرْفة عين، وأصلح لي شأني كله.

(استعاذَك منه)، وفي لفظ: به (عبدُك ونبيك محمد صلىٰ الله عليه وسلم، اللهم وما قَضَيتَ) وفي رواية: وأسألك ما قضيت (لي من أمر فاجعل) وفي لفظ: أن تجعل (عاقبته رشداً) بفتحهما، أو ضم مع إسكان.

(ثم ادْعُ بما أوصىٰ به رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم) بَضْعته[1] (فاطمةَ) السيدة الزهراء البَتُول (رضي الله عنها) في حديث ابن عَدِيّ والبيهقي: (يا حيٌّ يا قيوم برحمتك أستغيث، لا تَكِلْني إلىٰ نفسي ولا إلىٰ أحد من خلقك طَرْفة عين، وأصلح لي شأني كله)، وفي الشرح كلام مهم علىٰ هذا وما يتعلق به[2].

---

(١) الجمع: بضع وبضعات وبضع وبضاع مثل: تمرة وتمر وسجدات وبدر وصحاف (المصباح/بضع).

(٢) يا حي يا قيوم هذا المجموع من الاسمين هو الاسم الأعظم عند النووي ومن وافقه (من الشرح).

ثم قُلْ ما قاله عيسىٰ صلىٰ الله عليه وسلم : اللهم إني أصبحتُ لا أستطيع دَفْعَ ما أكره، ولا أملك نَفْعَ ما أرجو، وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحتُ مُرتَهَناً بعملي، فلا فقير أفقرُ مني اللهم لا تُشْمِتْ بي عدوي ولا تَسُؤْ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبرَ هَمِّي ولا مَبْلَغَ علمي، ولا تُسلِّط عليَّ من لا يرحمني.

(ثم قُلْ ما قاله عيسىٰ) ابن مريم (صلىٰ الله عليه وسلم) كما تلقَّىٰ عن الحَضْرة المحمدية عنه في الحديث الذي رواه: (اللهم إني أصبحتُ لا أستطيع دَفْعَ ما أكره، ولا أملك نَفْعَ ما أرجو، وأصبح الأمر[1] بيد غيري)، كذا في نسخة صحيحة، ولم أعلم الثابت في الرواية، والذي شرحتُ عليه في الشرح الكبير ورأيته في نسخ كثيرة ولا يحتاج إلىٰ تأويل: بيدك لا بيد غيرك، (وأصبحتُ مُرتَهَناً بعملي، فلا فقير أفقرُ مني) إليك، ولا غني هو أغنىٰ منك عني، (اللهم لا تُشْمِتْ بي عدوي) الشيطان وشبهه، (ولا تَسُؤْ بي صديقي) في الدين، لأن صديقه هو الصديق، (ولا تجعل مصيبتي في ديني) ولا دنـياي، وإلىٰ طلب السلامـة مـن الثاني أشير بقـوله: (ولا تجعل الدنيا أكبرَ هَمِّي)، وفي نسخة تشهـد لها الرواية: (ولا مَبْلَغَ علمي، ولا تُسلِّط عليَّ من لا يرحمني). هذا آخر ما قاله روح الله عيسىٰ عليه

---

(١) وفي نسخة (م) الأمر كله.

ثم ادْعُ بما بدا لك من الدعوات المأثورات واحفظها مما أوردناه في كتاب (الدعوات) من كُتُب «إحياء علوم الدين» ولتكن أوقاتُك بعد الصلاة إلىٰ طلوع الشمس موزعةً علىٰأربع وظائفَ؛ وظيفةٍ في الدعوات ووظيفةٍ في الأذكار والتسبيحات يكررها في سُبْحَة

الصلاة والسلام علىٰ ما دلت عليه العبارة، وفي الشرح إيرادُ حديث رواه الترمذي والحاكم يشهد لأواخر هذا الدعاء.

(ثم ادْعُ بما بدا لك من الدعوات المأثورات)، وفي نسخة: المشهورة في الوقت المذكور، (واحفظها) حسب التيسير والاستطاعة (مما أوردناه في كتاب الدعوات من كُتُب) أو كتاب (إحياء علوم الدين) الواحد في بابه، (ولتكن أوقاتُك) من (بعد الصلاة) صلاة الصبح كما في نسخة (إلىٰ طلوع الشمس موزعةً علىٰ أربع وظائفَ؛ وظيفةٍ في الدعوات) المأثورة، (ووظيفةٍ في الأذكار) كالتهليلات والتحميدات والاستغفارات (والتسبيحات) كما سيأتي تمثيل ذلك في العشر الكلمات، (يكررها) أي: الأذكار (في سُبْحَة) أو نحوها، وهذا من المصنف سَنَدٌ عظيم في استعمالها[1]، وقد ذكرت في الشرح سنداً

---

(١) قال في الشرح: الصوفية يسمونها حبايل الوصل، ووردت فيها آثار وأفردها الجلال السيوطي بتأليف سماه: المنحة في السبحة. علىٰ أن أثر بركتها وتذكارها مشاهد محسوس لمن جرَّبه من المتعبدين فجرِّبه تجده. أقول: والمشايخ يستحسنون إهداء السبحة لذلك.

ووظيفـةٍ في قـراءة القرآن ووظيفةٍ في التفكُّر وتفكَّرْ في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك و تعرُّضِكَ لعقابه الأليم وسَخَطـه العظيم و تُرتِّبُ أورادَك في جمـيع يومـك لتَتَدارك به ما فَـرَط مـن تقصيرك وتحـترزَ به من التعرض لسَخَطِ الله في يومك، وتنوي الخير لجميع المسلمين وتعزمُ علىٰ أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله. . . . .

من السنة لذلك، (ووظيفةٍ في قراءة القرآن) لأنها ترق القلب، (ووظيفةٍ في التفكُّر) لأنه من أشرف العبادات ووسائل القرب، الوارد فيه أن " تفكر ساعة خير من عبادة ستين أو سبعين سنة"، وإلىٰ بعض أنواعه أشير بقوله: (وتفكَّرْ في ذنوبك وخطاياك) هما بمعنىٰ (وتقصيرك) الأعم منهما (في عبادة مولاك) الواجبة والمندوبة، (و) في (تعرُّضِكَ) بذلك (لعقابه الأليم) أي: المؤلم (وسَخَطه) غضبه (العظيم) المستعاذ منهما في الحديث.

(و) إذا وَزَّعتَ الوظائف لم يبق إلا أن (تُرتِّبُ أورادَك) جمع وِرْد، وهو (في جميع يومك) وبعض ليلتك (لتَتَدارك به) بالترتيب، أو بالورد المأخوذ من الأوراد، أو بالمذكور (ما فَرَط) بالتخفيف (من تقصيرك) في العبادة، (وتحترزَ به من التعرض لسَخَطِ الله في يومك، وتنوي الخير لجميع المسلمين) عموماً، ولمن قدرت علىٰ إيصاله لأحد منهم خصوصاً، (وتعزمُ) أي تنوي مع تصميم (علىٰ أن لا تشتغل في جمـيع نهارك) ووقـت انتباهـك من ليلك (إلا بطاعــة الله)

وتقصِدُ في قلبك الطاعات التي تَقْدِرُ عليها وتختارُ أفضلها وتتأملُ فيها وفي تهيئة أسبابها لتشتغلَ بها، ولا تَدَعِ التفكيرَ في قُرْب الأَجَلِ وحلولِ الموت القاطعِ للأمل وفي خروجِ الأمر من الاختيار وحصولِ الحَسْرة والندامةِ بطول الاغترار، ولتكن تسبيحاتُك وأذكارُك عَشْرَ كلمات إحداها: لا إله إلا الله

تَفَكُّر أو غيره، (وتقصِدُ في قلبك الطاعات التي تَقْدِرُ عليها وتختارُ أفضلها) أي: أفضل ما تقدر عليه مع توفُّر الخشوع، (وتتأملُ) قبل الشروع (فيها وفي تهيئة أسبابها) لاسيما القريبة (لتشتغلَ بها، ولا تَدَعِ التفكيرَ في قُرْب الأَجَلِ و) في (حلولِ الموت) نزوله؛ ولهذا التفكير ثمرات أشير إلىٰ بعضها بل إلىٰ جِمَاعِهَا بقوله: (القاطعِ للأمل و) التفكر (في خروجِ الأمر من الاختيار[١] و) في (حصولِ الحَسْرة) التعب القلبي (والندامةِ بطول) بسبب طول (الاغترار، ولتكن تسبيحاتُك) من مجموع صيغها (وأذكارُك) الأعم منها (عَشْرَ كلمات) عشر جُمَلٍ مخصوصة:

(إحداها) ما رواه ابن السني وغيره: من قال حين يصبح، وفي لفظ: دُبُر الصلاة الغداة (لا إله إلا الله) بالمَدِّ، لأنه سُنَّة، وفيه حديث يعمل به في الفضائل: من قال لا إله إلا الله ومَدَّ بها صوته أسكنه الله تعالىٰ دار الجلال، ورزقه النظر إلىٰ وجه الله؛ وفي رواية: ومدها

---

(١) في نسخة(م) عن الاختيار.

وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميتُ وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير الثانية: لا إله إلا الله المَلِكُ الحقُّ المُبين محمد رسول الله الصادقُ الأمين الثالثة: لا إله إلا الله الواحدُ القهار، ربُّ السموات والأرض وما بينها العزيزُ الغفار الرابعة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله........................

هَدَمَت له أربعة آلاف ذنب؛ خرَّجهما الجَزَرِيُّ في "النَّشر" وغيره، (وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميتُ وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير) كان له كعِتاق رقبةٍ من ولد إسماعيل، وفي الشرح قبل هذا المحل وبعده ذكر ثواب أعظم من هذا جاء في أحاديث.

(الثانية) من العشر (لا إله إلا الله المَلِكُ الحقُّ المُبين) لما رُتِّب عليها في الحديث "من الأمن من الفقر، ومن الأنس في القبر" وغير ذلك، وحديثها مُخرَّج في الشرح، لكن ليس فيه هذه الزيادة الحسنة (محمد رسول الله الصادقُ الأمين) ومناسبتها لائحة موضَّحة في الشرح.

(الثالثة) ما رواه النسائي والنووي (لا إله إلا الله الواحدُ القهار، ربُّ السموات والأرض وما بينها العزيزُ الغفار).

الكلمة (الرابعة) الباقيات الصالحات: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) كما في حديث

العليٍّ العظيم الخامسة: سبُّوحٌ قُدُّوس ربُّ الملائكة والرُّوح
السادسة: سبحان الله العظيم وبحمده..............

الطبراني وغيره، وفي أحاديث بعضها صحيحة ليس فيها الحولقة، وليس في حديث من ذلك زيادة (العليٍّ العظيم) لكن حسنة جاءت في رواية ضعيفة للديلمي: "يا عليّ إذا وقعت في وَرْطَة[1] فقل: بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". وفي الشرح بَسْطٌ لثواب هذه الباقيات الصالحات وبعض مفرداتها.

(الخامسة) ما جاء في حديث ابن شاهين وابن عساكر: (سبُّوحٌ قُدُّوس) بالضم والفتح (ربُّ الملائكة والرُّوح) الملك العظيم الخلقة، أو غيره علىٰ ما في الشرح؛ ومن ثمرات هذه الخامسة أن قائلها: لم يمت حتىٰ يَرىٰ مكانه في الجنة أو يُرىٰ له.

(السادسة) ما في حديث مسلم وغيره: (سبحان الله العظيم وبحمده) ولفظ البخاري: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ولكل من هاتين الصيغتين وأشباههما فضل عظيم ذَكرتُ بعضه في الشرح.

---

(١) الورطة: الهلاك وأصلها الوحل يقع فيه الغنم فلا تقدر علىٰ التخلص. وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلىٰ الخلاص وتورطت الغنم وغيرها إذا وقعت في الورطة، ثم استعملت في كل شدة وأمر شاق. (المصباح/ ورط).

السابعة : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة، الثامنة : اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدّ التاسعة : اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد. . . . .

(السابعة) ما في حديث الترمذي وغيره: (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة[١])، لكن لفظ الرواية التي وقفت عليها من طرق: وأتوب إليه؛ وذكرت في الشرح توجيهَ ما ذكره المصنِّف مع وجوهِ مناسبات وأحاديثَ وتتمات تتعلق بفضل الاستغفار، وإن أُفرد بمؤلَفات كبار أو صغار.

(الثامنة) ما في حديث البخاري ومسلم من الذكر بعد الصلاة: (اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعت[٢]، ولا ينفع ذا الجَدِّ) بفتح الجيم: الحظ والبَخْت[٣] (منك الجَدّ) بالفتح أي: حظه، وقيل: بالكسر فيهما.

(التاسعة: اللهم صلٍّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد) وسلم، للأمر

---

(١) في نسخة (م) التوبة والمغفرة.

(٢) في نسخة (م) ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد...

(٣) قال في الشرح: لا ينفع ذا الحظ عندك حظه وقيل بكسر الجيم.. ويظهر لي أن من ثمرتها أن قائلها إذا تأمل معناها يحصل له الإخبات والذبول تحت نواميس التسليم للأقضية، وارتشف من رُضاب الرِّضىٰ بها إن شاء الله تعالىٰ.

العاشرة : بسم الله الـذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السمـاء وهـو السميع العليم وكَرِّرْ كلَّ واحدة من هذه الكلمات في سُبْحَة إما (مائة مرة) أو (سبعين مرة) أو (عشر مرات) وهو أقله ولازم هذه الأورادَ ولا تتكلمْ قبل طلوع الشمس

بها مطلقاً، وفي الأول والآخر والأثناء، وهذا منه أو من خير الآخر.

(العاشرة) ما صح في أحاديث أن من قال ثلاثاً صباحاً أو مساء: (بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) لم يصبه بلاء، وفي لفظ: لم يضره شيء؛ (وكَرِّرْ كلَّ واحدة من هذه الكلمات) العشر المتقدمة (في سُبْحَة) مثلاً (إما مائة مرة) فلهذا العدد فضل يخصه (أو سبعين مرة أو عشر مرات) وللعددين فضل يخصهما أيضاً، (وهو) أي العشر (أقله) ليكون المجموع مائة مرة، أي: أقل التكرار المؤكد من هذه الكلمات، فإن ضاق الزمن عن العشر فثلاث؛ لأنه وَرَدَ فيها -لاسيما بالنسبة لبعض الكلمات العشر- فضلٌ يخصها كما بينتُ فضلَ المائة والسبعين أو العشر والثلاث في الشرح مستوفىً يَشْفِي العَيَّ[1] ويكفي الطالب.

(ولازم هـذه الأورادَ ولا تتكلـمْ) نـدباً (قـبل طلوع الشمس) إلا

---

(١) الرجل عَيٌّ، من عَيِيَ بالأمر وعن حُجته يعيا من باب تعب عِيّاً: عجز عنه وقد يدغم الماضي فيقال: عَيَّ (المصباح / عيي).

ففي الخبر : أن ذلك أفضل من إعتاق ثمان رِقَابٍ من ولد إسماعيل. أعني الاشتغال بالذكر إلىٰ طلوع الشمس من غير أن يتخلَّلَه الكلام.

لمصلحة شرعية، (ففي الخبر: أن ذلك أفضل من إعتاق ثمان رِقَابٍ من ولد إسماعيل) وثمان: بلا ياء مثناة وبلا ياء وهاء وفي نسخة بخلاف ذلك، وهي علىٰ خلاف القاعدة المعروفة (أعني الاشتغال بالذكر إلىٰ طلوع الشمس من غير أن يتخلَّلَه الكلام[1]) الأجنبي، وذكرت في الشرح سَنَدَ ذلك، وسـند الذكـر من العصر إلىٰ الغروب.

---

(١) في نسخة(م) كلام.

آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال

فإذا طلعتِ الشمسُ وارتفعت قِيدَ رُمْح فَصَلِّ ركعتين فـذلك عنـد زوال وقت الكراهة للصلاة فإنها مكروهةٌ من بعـد فريضـة الصـبح إلىٰ ارتفـاع الشـمس فـإذا أضـحىٰ. . . . .

آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال

هذه (آدابُ ما بعد طُلوع الشمس إلىٰ الزوال) بحسب ما يظهر لنا، (فإذا طلعتِ الشمسُ وارتفعت قِيدَ رُمْح[١]) تقريباً، والقيد- بكسر القاف وفتحها -بمعنىٰ قَدْرَ، (فَصَلِّ) ندباً صلاة الإشراق (ركعتين) وليستا من الضحىٰ عند المصنف وجماعة، وله في الحديث شاهد أشرت إليه في الشرح، والمعتمد أنها منه، وفي الشرح كلام مبني علىٰ الخلاف وبيان لأول وقته؛ (فذلك[٢]) أي: فعلهما وقت الارتفاع (عند زوال وقت الكراهة للصلاة) كراهة تحريم بشرطه، (فإنها مكروهةٌ) الكراهة المذكورة (من بعد فريضة الصبح إلىٰ ارتفاع الشمس) كرُمْح، وإلىٰ طلوعها، وهو المعتمد، (فإذا أضحىٰ) النهارُ

---

(١) سألت سيدي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ – أمتع الله بـه – في دار المصطفىٰ بتريم عن مدة ذلك بالدقائق فقال: ست عشرة دقيقة. ا هــ فهـي أربـع درجات فلكية؛ لأن الدرجة أربع دقائق.

(٢) في نسخة(م) وذلك.

ومضىٰ منه قريبٌ من رُبُعه فَصَلِّ صلاةَ الضحىٰ (أربعاً) أو (ستاً) أو (ثمانياً) مثنىٰ مثنىٰ فقد نُقلتْ هذه الأعداد كلُّها عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم......................

(ومضىٰ منه قريبٌ من رُبُعه فَصَلِّ) إن أردت الأفضل (صلاةَ الضحىٰ)، وسبق أن المعتمد دخول وقتها بالطلوع، (أربعاً) الأفضل من ركعتين، وحديث الأربع في مسلم، (أو ستاً)، وحديثها خرجه الحاكم والطبراني والأصبهاني، (أو ثمانياً) الأفضل مما قبله وكذا مما بعده علىٰ المعتمد، ووجهوا تفضيل الثمان علىٰ الاثني عشر بأن مزية الاتباع في الثمان تربو علىٰ زيادة الاثني عشر، وحديثها في الصحيحين، والكل ورد عن فعله صلىٰ الله عليه وسلم، والأمر بها رواه بضع وعشرون صحابياً علىٰ ما في رسالة للسيوطي فيها[١]، وما يعارضُ ذلك وتأويلُه وغرائبُ تتعلق به، وعيون تلك الرسالة ذكرته في الشرح، (مثنىٰ مثنىٰ) أي: اثنين اثنين يسلم منهما، ويجوز أربع بتسليمة (فقد نُقلتْ هذه الأعداد) الأربع والست والثمان (كلُّها) بل والركعتين (عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) فعلاً وأمراً، ومن الغريب قول بعض الحفاظ: لم أر أحداً من الصحابة والتابعين وأصحابنا سوىٰ الرُّوياني وتبعه الرافعي ومختصِروا وكلامه حصرها

(١) بعنوان: جزء في صلاة الضحىٰ. مطبوعة ضمن الرسائل المنشورة بعنوان: الحاوي للفتاوي.

والصلاة خيرٌ كلُّها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فَلْيَسْتقلِلْ فليس بين الطلوع و الزوال راتبةٌ من الصلاة إلاهذه فَمَا فَضَلَ عنه من أوقاتك فَلَكَ فيه أربعُ حالات الأُولىٰ: وهي الأفضل: أن تصرفه إلىٰ طلب العلم النافع. . . . .

في عدد، حتىٰ جَوَّزَ هذا الحافظ صلاتها قاعداً ستة عشر وأربعة وعشرين[1]، وهذا ينبو عنه كلامهم بيقين، ولإجلاله أبهمتُه هنا، فإنه من أعيان المتأخرين رضي الله عنه وعنهم أجمعين، واستدل المصنف رحمه الله بدليلين: النقل في قوله قد نقلت إلىٰ آخره، والثاني: قوله: (والصلاة خيرٌ كلُّها)، وأصله الحديث الصحيح: الصلاةُ خيرُ موضوع، (فمن شاء فليستكثر) منه، أو من الضحىٰ يفعل بعض أنواع ما زاد علىٰ الأقل، (ومن شاء فَلْيَسْتقلِلْ) منه، أومن الضحىٰ بالاقتصار علىٰ الأقل وما دون الأفضل، (فليس بين الطلوع) للشمس (و) بين (الزوال راتبةٌ من الصلاة إلا هذه) أي: صلاة الضحىٰ، أو هي مع الإشراق علىٰ ما تقدم.

(فَمَا فَضَلَ عنه) أي: الوقت المشغول بالراتبة (من أوقاتك) أي: باقيها (فَلَكَ فيه أربعُ حالات) فاضلات ومفضولات: (الأُولىٰ: وهي الأفضل: أن تصرفه إلىٰ طلب العلم النافع) كالحديث وعلم

---

(١) لمن أراد صلاتها ثمان أو اثني عشر لأن صلاة القاعد علىٰ النصف من صلاة القائم.

دون الفضول الذي أَكَبَّ الناس عليه وسَمُّوه علماً والعلم النافع ما يَزيد في خوفك من الله تعالىٰ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ويُقَلِّلُ من رغبتك في الدنيا ويزيدُ في رغبتك في الآخرة ويَفتحُ بصيرتك بآفات أعمالك. . . . . . .

الأخلاق والفقه (دون الفضول) الزوائد (الذي أَكَبَّ الناس) أي: الطلبة (عليه وسَمُّوه) في زعمهم (علماً) وليس كما زعموا؛ (والعلم النافع ما يَزيد في خوفك من الله تعالىٰ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك) كعلم الأخلاق[1]، (ويزيد في معرفتك بعبادة ربك) كعلم الفقه، وفي الشرح بسط مفيد، (ويُقَلِّلُ من رغبتك في الدنيا) كسِيَرْ الزهاد ومناقب الصالحين كالترهيبات في السنة وكلام الأئمة، والوقوف علىٰ تقلب الدنيا وكَدَرها وموقعه كتب التواريخ، (ويزيدُ في رغبتك في الآخرة) كالترغيبات فيها، (ويَفتحُ بصيرتك بآفات أعمالك)

---

(١) وذكر في الشرح أنه يعرف أناساً في حضرموت نَظَرُ الواحد منهم صبغة من صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، وقال: ولله درّ شيخنا أبي الحسن البكري قدس سره في قوله: رأس مال التاجر سفره، ورأس مال الفقير نظره وقصد الواحد منهم حجة وعمرة.

أقول: وجُلُّ هؤلاء الأكابر الورثة المحمديين في تريم الغَنَّاء! وصدق من قال عنها: عشُّ الأولياء! جعلنا الله من خاصة المنتفعين بهم في الدنيا والبرزخ والآخرة.

حتىٰ تحترزَ منها، ويُطلِعُكَ علىٰ مكايد الشيطان وغُروره وكيفيةِ تلبيسه علىٰ العلماء السوء حتىٰ عرَّضهم لمَقْتِ الله وسَخَطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم وسيلةً إلىٰ أَخْذِ أموال السلاطين وأكلِ أموال الأوقاف واليتامىٰ والمساكينِ وصرفوا هِمَّتهم

كعلم عيوب النفس (حتىٰ تحترزَ منها، ويُطلِعُكَ علىٰ مكايد الشيطان وغُروره) كقصته مع أبويك آدم وحواء، ونَصْبه أَشْراك[1] الغرور للعباد والملوك ونحوهم، (وكيفيةِ تلبيسه علىٰ العلماء السوء) بتزيين أموال السلاطين والأوقاف ونحوها في أعينهم (حتىٰ عرَّضهم) بذلك (لمَقْتِ الله وسَخَطه)، وبين حيثية التعريض بقوله: (حيث أكلوا الدنيا) الجيفة (بالدين) ببذله عوضاً عنها، (واتخذوا العلم) علمهم (وسيلةً إلىٰ أَخْذِ أموال السلاطين) الغير عادلين، وأكثرها حرام، (وأكلِ أموال الأوقاف) الموقوفة علىٰ علماء الدين وصالحي المؤمنين، لا علماء السوء، (واليتامىٰ) الوارد فيه الوعيد في الكتاب المجيد، (والمساكينِ) وبقية الأصناف، (وصرفوا هِمَّتهم) وفي نسخة: وصرف

---

(١) شَرَك الصائد: معروف والجمع أشراك مثل سبب وأسباب وقيل الشرك جمع شركة مثل قصب وقصبة. (المصباح/شرك).

طـول زمـانهم إلىٰ طلـب الجـاه والمنزلـة في قلـوب الخلـق، واضطَّرهم إلىٰ المراءاة والمماراة والمنافسةِ والمباهـاةِ وهـذا الفـنُ من العلم النافع قد جمعناه في إحياء علوم الدين، فـإن كنـتَ مـن أهله فحصِّـله واعمـل بـه، ثم عَلِّمـه وادْعُ إليـه فمـن عَلِـمَ ذلـكَ

همتهم (طول زمانهم إلىٰ طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطَّرهم) هذا الصرف والطلب (إلىٰ المراءاة) بمعنىٰ الرياء المفسَّر بالشرك الأصغر، (والمماراة) يعنىٰ المجادلات والمنازعات الذميمات، (والمنافسةِ) في الكلام بمعنىٰ الحسد، أو بمعنىٰ آخر علىٰ ما سبق في أول الشرح، (والمباهاةِ) المفاخرة علىٰ وجه التنقيص؛ (وهذا الفنُ من العلم النافع) فدل علىٰ أنه فنون لم نذكر إلا بعضها، (قد جمعناه) باعتبار أصوله وكثير من فروعه التي بها يُستدل علىٰ باقيه (في) كتابنا (إحياء علوم الدين[1])، فإن كنتَ من أهله) أي: العلم النافع (فحصِّله) بالتعلم، (واعمل به، ثم عَلِّمه) الناس، لأن تعلمك بعد العمل أنفع للمتعلم، وأظهر في بركة التأثير، (وادْعُ إليه) بكل طريق تدل الناس عليه؛ (فمن عَلِمَ) بتخفيف اللام (ذلكَ) العلم النافع

---

(١) مما يكشف عن بعض فضل: بداية الهداية أنه كتب بعد: إحياء علوم الدين! فلنُدْمن النظر فيه ففيه البركة والنور!

وعمل به ودعا إليه فذلك يُدعىٰ عظيماً في ملكوت السموات بشهادة عيسىٰ عليه السلام فإذا فَرَغْتَ من ذلك كلِّه وفَرَغْتَ من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً، وفَضَلَ شيءٌ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب من الفقه لتعرفَ به الفروعَ النادرة في العبادات وطريقَ التوسط بين الخَلْق في الخصومات عند انكبابهم

(وعمل به ودعا إليه) بالتعليم والترغيب (فذلك) أي: العالم العامل الداعي (يُدعىٰ) يُنادىٰ ويسمىٰ (عظيماً في ملكوت السموات بشهادة عيسىٰ عليه) الصلاة و (السلام) كما جاء في أثر خرجه السيوطي في "دُرِّه"[1] وغيره وسبق تفسير الملكوت.

(فإذا فَرَغْتَ من ذلك) أي العلم والعمل والدعاء إليه (كلِّه وفَرَغْتَ من إصلاح نفسك) إن احتاجت إليه بعد الثلاثة (ظاهراً وباطناً، وفَضَلَ شيءٌ من أوقاتك) وعَزَّ أن يَفضُل، (فلا بأس أن تشتغل) بما هو فرض كفاية كما سيصرِّح به، وذلك بأن تشتغل (بعلم المذهب) مذهبك (من الفقه) عملاً بحديث: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده، (لتعرفَ به) بعلم المذهب (الفروعَ) الفقهية (النادرة) وغيرها (في العبادات) وغيرها، وإليه أشير بقوله: (وطريقَ التوسط بين الخَلْق في الخصومات عند انكبابهم) وتساقطهم

---

(١) له: الدّر المنثور في التفسير بالمأثور.

علىٰ الشهوات فذلك أيضاً بعد الفراغ من هذه المُهمات من جملة الكفايات فإن دَعَتْكَ نفُسك إلىٰ ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالاً لذلك فاعلم أن الشيطان قد دَسَّ إلىٰ قلبك الدَّاءَ الدَّفين، وهو حب المال والجاه فإياك أن تغتَرَّ به فتكون ضُحْكَةً له فيهلِكَكَ ثم يُسْخَرَ منك وإن جَرَّبتَ نفسك مُدَّةً في الأوراد.........

(علىٰ الشهوات) البَطْنية والفَرْجية، (فذلك) أي المذكور (أيضاً بعد الفراغ من هذه المُهمات من جملة الكفايات[1])، وهو مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات إلىٰ فاعله، وفي الشرح هنا بسط.

(فإن دَعَتْكَ نفُسك) الأمارة (إلىٰ ترك ما ذكرناه من الأوراد) المعينة بقولنا: (والأذكار) المرتبة الموزعة في اليوم (استثقالاً لذلك) كسلاً عنه (فاعلم أن الشيطان) المسوِّل الموسوس للنفس (قد دَسَّ إلىٰ قلبك) نفسك بأن ألقمها خرطوم وسوسته وقذف فيها (الدَّاءَ الدَّفين، وهو حب المال والجاه) الذي لا يُجَامع التفرغ للأوراد، (فإياك أن تغتَرَّ به فتكون[2] ضُحْكَةً له) ولأتباعه (فيهلِكَكَ) بحسب العاقبة، (ثم يُسْخَرَ منك) بالبناء للفاعل أو المفعول.

(وإن جَـرَّبتَ نفسـك مُـدَّةً) مـن الـزمان (في الأوراد) سـائر

---

(١) في نسخة (م) فروض الكفايات.

(٢) فُعْلة: لمن يكثر وقوع الشيء عليه. وفُعَلة: لمن يكثر وقوع الشيء منه، وهذا مـن بدائع لغتنا الشريفة.

والعبـادات، فكانـت لا تَسْـتثقِلُها كسـلاً عنـها، ولكـنْ ظهـرتْ رغبتُـك في تحصيل العلـمِ النـافع ولم تُـرِدْ بـه إلا وجـه الله تعـالىٰ فـذلك أفضـلُ مـن نوافـلِ العبـادات مهمـا صَـحَّتِ النيـة ولكـنَّ الشأنَ في صِـحَّة النيـة فـإذا لَـمْ تَصِـحَّ فهـي معـدِنُ غُـرور الجهـال وَمَزَّلـةُ أقـدام الرجـال. الحالـة الثانيـة: ألا تقـدرَ علـىٰ تحصـيل العلـم النـافع ولكـنْ تشـتغلُ بوظـائف العبـادات: الـذكر

(والعبادات، فكانت لا تَسْتثقِلُها) أي: المذكورات (كسلاً عنها، ولكنْ ظهرتْ رغبتُك في تحصيل العلمِ النافع) العيني، أو الكفائي، أوهما (ولم تُرِدْ به إلا وجه الله تعالىٰ[1]) لا نحو الرياء (فذلك أفضلُ) ثواباً (من نوافلِ العبادات مهما) أي: إذا، أو متىٰ، أو حيثما (صَحَّتِ النية) ولعزة صحتها قيل: (ولكنَّ الشأنَ) العظيم (في) حصول (صِحَّة النية)، وفي الشرح عن "الإحياء" إرشاد العالم إلىٰ كيفية توزيع وقته، (فإذا لَمْ تَصِحَّ فهي معدِنُ غُرور الجهال وَمَزَّلَةُ أقدام الرجال) لأن النية أُسٌّ وعِماد، والإخلاص مُخٌّ عبادة العباد، وضده منشأ كل فساد.

(الحالة الثانية: ألا تقدرَ علىٰ تحصيل العلم النافع) السابق بيانه، (ولكنْ) مع عدم القدرة (تشتغلُ بوظائف العبادات: الذكـر) الشامـل

---

(١) في نسخة (م) والدار الآخرة.

والقراءة والتسبيحات والصلوات فذلك من درجات العابدين وسِيَر الصالحين وتكون بعد ذلك أيضاً من الفائزين. الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يَصِلُ منه خيرٌ إلىٰ المسلمين وتُدخِلُ به سروراً علىٰ قلوب المؤمنين، أو تُيسِّرُ به الأعمالَ الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية و أهلِ الدين والتردُّدِ في أشغالهم

للخَصلتين بعده وإن ذَكَرهما اهتماماً (والقراءة والتسبيحات والصلوات) النوافل، (فذلك) الاشتغال أو درجته (من درجات العابدين و) سيرة صاحبه من (سِيَر الصالحين وتكون بعد ذلك أيضا من الفائزين) أي: الظافرين السابقين المشار إليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ٣٢ من سورة: فاطر.

(الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يَصِلُ منه خيرٌ) عام (إلىٰ المسلمين) طائفة منهم، (وتُدخِلُ به سروراً علىٰ قلوب المؤمنين، أو تُيسِّرُ به الأعمالَ الصالحـة للصالحين) القائمين بحقوق الله تعالىٰ وحقوق العباد، (كخدمة الفقهاء) العالمين بالأحكام الشرعية إلىٰ آخره، (والصوفية[1]) أطباء القلوب (و) سائر (أهلِ الدين) ولو مجـرد أرباب العـدالة، (والتردُّدِ في أشغالهـم) أي: الطوائف

---

(١) أُفردوا حيَّاهم الله وبيَّاهم لتميُّزهم، فهل يتميَّز المنتسبون إليهم اليوم كمـا تميَّـزوا بالأمس؛ ليعودَ ما فات، ويحييٰ ما مات؟! وفي نسخة (م) والصوفية المحققين.

والسعيِ في إطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلاً علىٰ المرضىٰ بالعيادة وعلىٰ الجَنازة بالتشييع فكلٌّ ذلك أفضلُ من النوافل فإن هذه كلها عباداتٌ وفيها رِفقٌ بالمسلمين.

الحالة الرابعة: أن لا تَقْوَىٰ علىٰ ذلك ولكن

الثلاثة، (والسعيِ في إطعام الفقراء) الذين لا يملكون شيئاً (والمساكين) الذين لا يملكون إلا ما يقع موقعاً من كفايتهم، (والتردد مثلاً[١] علىٰ المرضىٰ) من المسلمين لاسيما الجيران والأقارب ومن لا متعهِّد له منهم (بالعيادة)، وقد أفردتها برسالتين: جمعتُ الكبرىٰ أحكامَها وآدابها وأحاديثها الزائدة علىٰ مائة وعشرين حديثاً وغير ذلك، والصغرىٰ المهمات من آدابها وضبط أذكارها، وهيِ في نحو الورقتين، والأولىٰ في نحو الكراسين، (وعلىٰ الجِنازة) بالكسر أو الفتح أو بهما (بالتشييع) التجهيز؛ (فكلٌّ ذلك) مما فيه تَعدِّي النفع (أفضلُ من النوافل) القاصرة عنه (فإن هذه كلها[٢] عباداتٌ) شريفة، (وفيها) مع كونها عبادات (رِفقٌ بالمسلمين)، وقيام بالسنة، بل بعضها فرض كفاية وفاقاً أو خلافاً.

(الحالة الرابعة: أن لا تَقْوَىٰ) تقدر (علىٰ ذلك) المذكور (ولكن)

---

(١) (مثلاً)غير موجودة في نسخة (م).

(٢) (كلها) غير موجودة في نسخة (م).

اشتغلتَ بحاجاتك اكتساباً علىٰ نفسك وعلىٰ عيالك و قد سَلِمَ المسلمون منك وأَمِنُوا من لسانك ويدك وسَلِمَ لك دينُك ولم تَرتكبْ معصية فتنالَ بذلك درجةَ أصحاب اليمين إنْ لم تَكُنْ من أهل التَّرَقِّي إلىٰ مقامات السابقين فهذا أقلُّ الدرجات في مقامات الدين

وفي نسخة بإسقاط لكن (اشتغلتَ بحاجاتك) حاجات مُؤَنِك (اكتساباً علىٰ نفسك وعلىٰ عيالك) أي: لهما (و) الحال أنه (قد سَلِمَ المسلمون منك) لساناً ويداً، فالمسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، (وأَمِنُوا) من الأمن، وفيه زيادة علىٰ مجرد السلامة (من لسانك ويدك) أي: قولك وبطشك، (وسَلِمَ لك) وفي نسخة منك (دينُك)، وفي الشرح: بيانُ نكتٍ في العبارة، (ولم) وفي نسخة إذ لم (تَرتكبْ معصية) مطلقاً أو ارتكبتها لكنْ عن توبة؛ لأن التائب كمن لا ذنب له، (فتنالَ بذلك) كله (درجةَ أصحاب اليمين) أو تُحشرَ معهم وتَلْحَقَ بهم (إنْ لم تَكُنْ من أهل التَّرَقِّي) منهم (إلىٰ مقامات السابقين) الداخلين الجنة بلا حساب؛ وأصحابُ اليمين: ظالمٌ لنفسه ومقتصد وسابق علىٰ ما دلت عليه الآية[1]؛ (فهذا) الاشتغال المذكور مع كماله (أقلُّ الدرجات) لا مطلقاً، بل الدرجات (في مقامات الدين) وناهيك

---

(١) ٣٢ من سورة فاطر. وممن قال بذلك سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: (جنات عدن يدخلونها). وانظر الأقوال في الآية في تفسير البغوي.

وما بَعـْدَ هذا فهو مَـرَاتِعُ الشياطين وذلك أن تشتغــل ـ والعياذ بالله ـ بما يَهْدِمُ دينَك أو تؤذي عبداً من عباد الله فهذه رتبةُ الهالكين فإياك أن تكون من هذه الطبقة واعلم : أن العبد في حَقِّ دينه علىٰ ثلاث درجات : إما سالم : وهو المقتصر علىٰ أداء الفرائض وترك المعاصي.....................

بها، (وما بَعْدَ هذا) الأقل أي: دونه (فهو مَرَاتِعُ الشياطين) الجِنِّيَّة والإنسية الأضل من الأنعام، ولكونهم كالأنعام وأضل عَبَّر بقوله: مراتع للمناسبة.

(وذلك) المعنىٰ بما يُعَدُّ الأقل هو (أن تشتغل -والعياذ بالله- بما يَهْدِمُ دينَك) ولو بهدم أحد دعائمه الخمس، (أو تؤذي عبداً من عباد الله) ولو ذِمِّياً، وهذا العطف لا يمنع أن الإيذاء لا مدخل له في الهدم لاحتمال أنه نَصَّ عليه للاهتمام، (فهذه) أي المَشْغلة أو خصلة الاشتغال والإيذاء (رتبةُ الهالكين) ودرجتهم وطبقتهم (فإياك أن تكون من هذه الطبقة) أي: أهلها أو فيها.

(واعلم أن العبد) المؤمن (في حَقِّ دينه) أي: باعتباره (علىٰ ثلاث درجات:) سلامة وربح وخسران، وسبق تقسيمه إلىٰ: ظالم ومقتصد وسابق، وهو باعتبار الدرجة الأولىٰ (إما سالم، وهو المقتصر علىٰ أداء الفرائض) المكتوبات الخمس وغيرها من كل فرض يثاب علىٰ فعله ويعاقب علىٰ تركه، (و) علىٰ (ترك المعاصي) الكبائر التي تُكفَّـر

أو رابح: وهو المتطوِّع بالقُرُبات والنوافل أو خاسر وهو المقصِّر عن اللَّوازم فإنْ لم تَقْدِرْ أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً عن الإثم، وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً والعبدُ في حَقِّ سائر العباد له ثلاثُ درجات الأولىٰ: أن يُنزَّل نفسه............

الصغائرُ باجتنابها أو الكبائر والصغائر، (أو) إما (رابح) وهو باعتبار الثانية (وهو المتطوِّع) المتبرع (بالقُرُبات) الطاعات الزائدة علىٰ طاعات الفرائض، وبين المراد بقوله (والنوافل) جمع نافلة بمعنىٰ زائدة لغة، وأما شرعاً فهي ما يُثاب عليها ولا يعاقب علىٰ تركها وتسمية هذا ربحاً أشرت إلىٰ نكتته في الشرح[١]، (أو) إما (خاسر) وهذا باعتبار الثالثة (وهو المقصِّر عن اللَّوازم) الشرعية الأداء والترك ولوعن بعضها، (فإنْ لم تَقْدِرْ) ولو بوجه (أن تكون رابحاً) بالمعنىٰ السابق (فاجتهد أن تكون سالماً عن الإثم، وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً) ولا أقل من السلامة.

وإلىٰ قسمة أخرىٰ باعتبار آخر أشير بقوله: (والعبدُ في حَقِّ سائر العباد) باقيهم (له ثلاثُ درجات) درجة نفع محض، ودرجة سلامة وكف أذىٰ، ودرجة اتقاء (الأولىٰ: أن يُنزَّل نفسه[٢]) بالمثناة التحتية

---

(١) قال: وفي تسمية هذا ربحاً ملايمة لقول المصنف فيما سلف في أول الكتاب: فالفرض رأس مال، والنفل ربح فلا تغفل.

(٢) مع قوله: علىٰ البناء للمفعول لا يستقيم إلا بحذف كلمة نفسه كما في نسخة (م).

في حقِّهم منزلةَ الكرام البَرَرَة من الملائكة وهو أن يسعىٰ في أغراضهم رِفْقاً بهم وإدخالاً للسرور علىٰ قلوبهم. الثانية: أن يَنْزِلَ منزلةَ البهائمِ والجمادات في حقهم فلا يُنيلهم خيرَه لكن يكُفُّ عنهم شَرَّه. الثالثة: أن يَنزِلَ في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يُرجىٰ خيرُه، ويُتَّقىٰ شرُّه.

وتشديد الزاي علىٰ البناء للمفعول (في حقِّهم منزلةَ الكرام) الكاتبين (البَرَرَة) المكرمين أهل البِر المبرئين (من الملائكة)، أو المراد بالكرام من الملائكة أعم من الكَتَبَة، وإنما نزل منزلتهم لأن الكامل من البشر من كان مَلَكيَّ الباطن بَشَرِيَّ الظاهر، فهذه علاقة التنزيل ورابطته، أو يأتي (وهو أن يسعىٰ في أغراضهم) أي: العباد كما أن المَلَكَ مع علو مقامه يسعىٰ في ذلك باعتبار إنزال الوحي أو رفع العمل أو كتابته، وهذا السعي سبب التنزيل، أو سببه أعم وهو الصواب أو الأصوب، (رِفْقاً بهم وإدخالاً للسرور علىٰ قلوبهم).

(الثانية: أن يَنْزِلَ منزلةَ البهائمِ والجمادات في حقهم) حق سائر العباد، (فلا يُنيلهم خيرَه) إن كان ذا خير، (لكن يكُفُّ عنهم شَرَّه)، فإن البهائم والجمادات لا خير يُنيلونه، وشرُّهما مكفوف عنهم.

(الثالثة: أن يَنزِلَ في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات) الكاسرات العاقرات (لا يُرجىٰ) يُتوقع عن قرب، بل ولا عن غير قرب (خيرُه، ويُتَّقىٰ شرُّه) والحشرات كالعقارب والسباع كالعقور لا نفع فيها شرعاً.

فإنْ لم تَقْدِرْ أن تَلْحَقَ بأُفُقِ الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجات البهائم والجمادات إلىٰ مراتب العقارب والحيات، والسِّباع الضَّاريات فإن رَضيتَ لنفسك النزول من أعلىٰ عليين فلا تَرْضَ لها بالهَوِيِّ إلىٰ أسفلِ السافلين فاجتهد لنفسك؛ فلعلك أنْ تنجوَ كَفَافاً لا لَكَ ولا عليك فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما يَنفعك في مَعَادِك أو بمعاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة

(فإنْ لم تَقْدِرْ) بالتخلق (أن تَلْحَقَ بأُفُقِ الملائكة) بأن ترقىٰ إلىٰ مرتبة بحيث تنزل منزلتهم، (فاحذر أن تنزل عن درجات البهائم والجمادات إلىٰ مراتب العقارب والحيات، والسِّباع الضَّاريات) فإن النزول في هذه المراتب نزول الحضيض والخِسَّة إلىٰ الغاية، ومن ثَم قبل: (فإن رَضيتَ لنفسك النزول من أعلىٰ عليين) وهو الدرجة الأولىٰ، بأن تسعىٰ إلىٰ ما يُرقِّيك إليها (فلا تَرْضَ لها بالهَوِيِّ) السقوط (إلىٰ أسفلِ السافلين)، فإن وقيت نفسك من الترقي إلىٰ هذه الدرجة والسقوط في هويتها (فاجتهد لنفسك؛ فلعلك) بهذا الارتقاء وعدم الرضا (أنْ تنجوَ كَفَافاً)، بمعنىٰ (لا لَكَ ولا عليك) وتوجيهه في الشرح، (فعليك في بياض نهارك) أي: في سُبْحته، أو فيه كله (أن لا تشتغل إلا بما يَنفعك) ولا يضرك (في مَعَادِك) مرجعك، (أو) أن لا تشتغل بعد أداء الفرائض إلا (بمعاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة

به علىٰ معادِك، فإنْ عجزتَ عن القيام بحق دينِك مع مخالطة الناس وكنتَ لا تَسْلَمُ فالعزلة أولىٰ بك فعليكَ بها ففيها النجاةُ والسلامة فإن كانتِ الوساوسُ في العزلة تُجَاذِبك إلىٰ ما لا يرضىٰ به الله ولم تَقْدِرْ علىٰ قَمْعها بوظائف العبادات كالصلاة فعليك بالنوم

به علىٰ معادِك، فإنْ عجزتَ عن القيام بحق دينِك) الذي سبق أنك فيه علىٰ ثلاث درجات، والمراد هنا العجز عن أداء الواجب، أو عنه وعن المندوب (مع مخالطة الناس) أي: عدم العزلة (وكنتَ لا تَسْلَمُ) في دينك ومعاشك بالمخالطة (فالعزلة أولىٰ بك) لأنها واجبة إن تحققتَ عدم السلامة، أو مندوبة إن ظننته أو توهمته (فعليكَ بها) أي: الزم العزلة (ففيها النجاةُ والسلامة) من آفات المخالطات، (فإن كانتِ الوساوسُ) الشيطانية ونحوها من التسويلات النفسية (في العزلة تُجَاذِبك) تنازعك وتحركك (إلىٰ ما لا يرضىٰ به الله) من أسباب السخط (ولم تَقْدِرْ علىٰ قَمْعها) أي: الوساوس أو النفس التي تنشأ عنها نحو الوساوس(بوظائف العبادات كالصلاة)والذكر،قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[1]، (فعليك) وجوباً أو ندباً (بالنوم) القامع لها المانع لها

---

(١) من الآية /٤٥ من سورة العنكبوت، ومن أرقىٰ ما قيل في تفسيرها: ذكرُ الله إياكم أفضل من ذكركم إياه، ويرویٰ ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير. وانظر ما ذكر فيها الإمام البغوي.

فهو أحسنُ أحوالِكَ وأحوالنا إذ عَجَزنا عن الغنيمة فرَضِينا بالسلامة في الهزيمة وأَخْسِسْ بحالِ مَنْ سلامةُ دينه في تعطيل حياته إذ النوم أخو الموت وهو تعطيلُ الحياة والتحاقٌ بالجَمَادات.

(فهو) بالاعتبار المذكور (أحسنُ أحوالِكَ وأحوالنا) معشر أمثالك، (إذ)[١] أي: لأنَّا (عَجَزنا) أجمعين (عن الغنيمة فرَضِينا) أي: فحينئذ رضينا (بالسلامة في الهزيمة)، وفي الشرح إشارة لمحاسن التشبيه المطوي هنا بذكر الغنيمة والهزيمة (وأَخْسِسْ) أي احكم بالخيبة (بحالِ) علىٰ حال (مَنْ سلامةُ دينه في تعطيل حياته) أي: في عدم حياته باعتبارين، (إذ النوم أخو الموت) أي: شبيهه (وهو تعطيلُ الحياة) عما قُصِدَ منها (والتحاقٌ بالجَمَادات) باعتبار أن النائم كالجماد من بعض الحيثيات، وفي الشرح إشكال هنا وجوابه[٢].

---

(١) في نسخة (م) إذا.

(٢) الإشكال: أنه جعل النوم قامعاً للوساوس فيشبه أن يكون مندوباً حينها أو واجباً؛ فكيف يقول: وأخسس إلىٰ آخره ؟ وجوابه: الخسِّية باعتبار معنىٰ التعطيل للحياة الناشئ عن النوم لاعتبار غير ذلك (بتصرف).

باب الاستعدادِ لسائر الصلوات

وينبغي أن تستعدَّ قبل الزوال لصلاة الظهر فتقـدِّمَ القيلولـة إن كـان لك قيام بالليل أو سهر في الخير فإنَّ فيها معونـةً علـىٰ قيـام الليـل

هذا باب الاستعدادِ لسائر الصلوات

أي: لباقيها أو جمعيها علىٰ ما في الشرح (وينبغي) يندب (أن تستعدَّ قبل الزوال لصلاة الظهر) بأن تستيقظ قبله من نوم القيلولة، (فتقدِّمَ القيلولة) أي: نومها، فهو مطلوب، ويَحْصُلُ أصل السُّنَّة بنوم ساعة، ولا تستحب القيلولة إلا (إن كان لك قيام) صلاة (بالليل أو سهر) وإن لم يكن قياماً (في الخير) كسهر محادثة زوجة، أو ضيف لحاجة ملاطفة أو إيناس، (فإنَّ فيها) باعتبار نومها، بل القيلولة: اسم للنوم قبل الزوال كما يأتي، (معونةً علىٰ قيام الليل) أي: إحيائه بصلاة أو غيرها، وواضحٌ أن الكلام في غير يوم الجمعة لأنه لا يستحب النوم قبل صلاتها، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يبكرون لها، وينامون ويتغدُّون بعدها؛ وفي الشرح بيان معنىٰ القيلولة لغة وشرعاً، وينبغي حصول أصل السنة لا كمالها بـنوم بعد الـزوال،

كما أن الأكل في السُّحور معونةٌ علىٰ صيام النهار، والقيلولة من غير قيام بالليل، كالتسحُّر من غير صوم بالنهار واجتهد أن تستيقظَ قبل الزوال، وتتوضأ وأن تَحْضُرَ المسجد وتصلي التَّحيَّة وتنتظرَ المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عَقِيبَ الزوال كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يَدَعُ أربعاً قبل الظهر

(كما أن الأكل في السُّحور[1]) بفتح السين وضمها (معونةٌ علىٰ صيام النهار، والقيلولة) النوم قبل الزوال (من غير قيام) صلاة أو غيرها (بالليل، كالتسحُّر من غير صوم بالنهار)، قيل: والنوم به فيه راحة بالنسبة للماضي والآتي.

(واجتهد أن تستيقظَ) من نوم القيلولة (قبل الزوال، وتتوضأ) قبل وقت الظهر، (وأن تَحْضُرَ المسجد) قبله، كما يستحب أن تجتهد في حضوره قبل كل مكتوبة، (وتصلي التَّحيَّة) قبله عقب الحضور، (وتنتظرَ المؤذن) للظهر كما يستحب انتظاره، (فتجيبه) إذا أَذَّنَ بمثل ما قال إلا فيما استُثني علىٰ ما تقدم، (ثم تقوم فتصلي) سنة الظهر القبلية ركعتين ركعتين كما هو الأفضل، أو (أربع ركعات) بتسليمة إن أردتَ أصل السنة، والأفضل أن تجعل الركعتين أو الأربع (عَقِيبَ الزوال) بعد الجواب، ففي حديث الشيخين: (كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يَدَعُ أربعاً قبل الظهر)، وفي رواية لغيرهما:

---

(١) (الأكل) غير موجودة في نسخة (م).

يُطِيلهن ويقول: هذا وقتٌ تُفتح فيه أبواب السماء فأُحبُّ أن يُرْفَعُ لي فيه عمل صالح. وهذه الأربع قبل الظهر سنةٌ مؤكدة ففي الخبر: أَنَّ مَنْ صلاهن فأحسَنَ ركوعهن وسجودهن صلَّىٰ معه سبعون ألف مَلَك ويستغفرون له إلىٰ الليل ثم صَلِّ الفرض مع الإمام ثم صَلِّ بعد الفرض ركعتين، فهما من الرواتب الثابتة

(يُطيلهن)، وفي رواية لأحمد رواه المصنف باعتبار بعض ألفاظها بالمعنىٰ: (ويقول: هذا وقتٌ) عظيم (تُفتح فيه أبواب السماء فأُحبُّ أن يُرْفَعُ لي فيه عمل صالح)، ولفظ رواية أحمد في الشرح؛ علىٰ أنه يحتمل أن هذا اللفظ رواية أخرىٰ.

(وهذه الأربع قبل الظهر سنةٌ) ركعتان منها سنة (مؤكدة)، وركعتان غير مؤكدة، ولعله أريد بالمؤكدة الثابتة بقرينة ما يأتي، وإلىٰ دليل سنتها أشير بقوله: (ففي الخبر) الحديث الذي رواه (أَنَّ مَنْ صلاهن) بتسليمة أو تسليمتين ركعتين ركعتين، (فأحسَنَ ركوعهن وسجودهن) وللإحسان أدنىٰ وأكمل كما بينته في الشرح، (صلَّىٰ معه) اقتدىٰ به، أو صلىٰ معه بمعنىٰ دعا له (سبعون ألف مَلَك)، ويؤيد المعنىٰ الثاني قوله: (ويستغفرون له إلىٰ الليل) مع قوله: الصلاة من الملائكة استغفار؛ وفي الشرح بيان ما يقرأ في هذا الأربع ودليلها.

(ثم صَلِّ الفرض) فرض الظهر (مع الإمام) بنية الاقتداء به، (ثم صَلِّ بعد الفرض) سنته المؤكدة (ركعتين، فهما من الرواتب الثابتة)، وتسن صلاة ركعتين لتكون أربع بعد الفرض، فقد ورد فيهن فضل

ولا تشتغل إلىٰ العصر إلا بتعلُّم عِلْمٍ أو إعانةِ مسلم أو قراءةِ قرآن أو سَعْيٍ في معاش تستعينُ به ثم صَلِّ قبل العصر أربعاً، فهي مؤكدة فقد صح أنه: صلَّىٰ أربعاً قبل العصر فاجتهدْ أن ينالَكَ دعاؤه صلىٰ الله عليه وسلم ولا تشتغل بعد العصر إلا بما سبق قَبْلَه ولا ينبغي أن تكون أوقاتُك

عظيم في حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من صلَّىٰ أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها لم تمسَّه النار»، في الصحيحين وغيرهما، وفي الشرح بيان الدليل، وسنة الظهر لم يذكرها المصنف بدليلها.

(ولا تشتغل إلىٰ العصر) بسوىٰ ما تقدم ونحوه (إلا بتعلُّم عِلْمٍ) شرعي (أو إعانةِ مسلم) وإنْ كان في إعانة الذمي بما أُذِنَ فيه شرعاً فضل، (أو قراءةِ قرآن) أو حديث (أو سَعْيٍ في معاش) دنيوي (تستعينُ به) السعي أو المعاش علىٰ دينك.

(ثم صَلِّ) بعد دخول وقت العصر (قبل) فرض (العصر) سنته (أربعاً، فهي مؤكدة) يعني ثابتة، لأن العصر لا مؤكَّدة له بالمعنىٰ المتعارف، (فقد صح أنه) صلىٰ الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ الله عبداً» وفي لفظ: امرءاً (صلَّىٰ أربعاً قبل العصر" فاجتهدْ) أي: ابذُل المجهود في (أن ينالَكَ دعاؤه صلىٰ الله عليه وسلم) بالرحمة لأنه الرحمة؛ (ولا تشتغل بعد) صلاة (العصر إلا بما سبق قَبْلَه) من النفل والإعانة والقراءة والسعي، بل هذا الزمن أشرف.

(ولا ينبغي) أي: لا يحسن (أن تكون أوقاتُك) المعدة من أوقات

مهملةً فتشتغلَ في كل وقت بما اتفَقَ كيف اتفق، بل ينبغي أن تحاسِبَ نفسَك وترتب أورادَك ووظائفَك وتُعَيِّنَ لكل وقت منها شُغْلاً لا يتعدَّاه ولا تُؤْثِرُ فيه سواه فبه تَظْهَرُ بركةُ الأوقات فأما من ترك نفسه مهملاً، سُدَىً إهمالَ البهائم لا يَدري بم يشتغلُ في كل وقت

عمرك (مهملةً) غير مستعملة في الطاعة، (فتشتغلَ في كل وقت بما اتفَقَ كيف اتفق، بل ينبغي) يتأكد (أن تحاسِبَ نفسَك) علىٰ نحو المحاسبة التي بيَّنها المُحَاسِبِيُّ[1] في كيفية محاسبة النفس، (وترتب أورادَك ووظائفَك) أي: أعمالك المقدرة في ليلك ونهارك، (وتُعَيِّنَ لكل وقت منها شُغْلاً) يليق به (لا يتعدَّاه) أي: يتجاوزه، (ولا تُؤْثِرُ فيه سواه فبه)، فبذلك المذكور (تَظْهَرُ بركةُ الأوقات) وحفظها عن الإهمال (فأما من ترك نفسه مهملاً، سُدَىً) عبثاً، والمراد إهمالها (إهمالَ البهائم) أي: كإهمالها، لها ويُفَسِّرُ وَجْهَ الشبه المحذوفة أداته قولُه: (لا يَدري بم يشتغلُ[2] في كل وقت) كالبهيمة لا تدري مطلقاً،

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، قيل سمي بذلك لكثرة محاسبته نفسه، كنيته أبو عبد الله، من أكابر القوم. له التصانيف المشهورة منها كتاب: الرعاية لحقوق الله، من أهل البصرة مات ببغداد ٢٤٣، من كلامه رحمه الله: " صفة العبودية ألا ترىٰ لنفسك مِلْكاً، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً ". وقال: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيَّن الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة. (انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السُّلمي (ص٥٦-٦٠).

(٢) في نسخة (م) يستقبل.

فينقضي عمره وأكثرُ أوقاته ضائعة وأوقاتُك عمرُك وعمرك رأسُ مالك وعليه تجارتُك وبه وصولُك إلىٰ نعيم دار الأبد في جوار الله تعالىٰ وكلُّ نَفَسٍ من أنفاسِكَ جوهرةٌ لا قيمةَ لها إذ لا بَدَلَ له، وإذا فات فلا عَوْدَ له فلا تكن كالحمقى

(فينقضي عمره وأكثرُ أوقاته ضائعة)، والقياس ضائع، لكن توجيهه في الشرح[١].

(وأوقاتُك عمرُك) باعتبار أنها والعمر زمني، (وعمرك رأسُ مالك) النفيس، (وعليه) أي: رأس المال (تجارتُك) يعني: وهذه التجارة جواهرها جواهر، وأعراضها أعراضٌ صالحة، كما يدل علىٰ الأول قوله الآتي: وكل نَفَسٍ إلىٰ آخره (وبه) باعتبار الأعمال الصالحة فيه (وصولُك إلىٰ نعيم دار الأبد[٢]) أي: النعيم المؤبد (في جوار الله تعالىٰ) أي: في جنته تعالىٰ الله وتَقَدَّسَ، وفي كلامه ما يؤخذ منه جواز التسمي بِجَارِ الله علىٰ ما في الشرح.

(وكلُّ نَفَسٍ من أنفاسِكَ جوهرةٌ لا قيمةَ لها) باعتبار ما نَبَّه عليه بقوله: (إذ لابَدَلَ له، وإذا فات) أي: النفس أو العمر بالموت أو التضييع (فلا عَوْدَ له) أي: للفائت (فلا تكن كالحمقىٰ) أي كأهل

---

(١) قال: وأنث ضائعة والقياس التذكير باعتبار المضاف إليه علىٰ حدِّ قوله: وماحبُّ الديار شغفن قلبي.

(٢) في نسخة (م) نعيم الأبد.

المغرورين الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأيُّ خيرٍ في مال يزيد و عمر يَنقص فلا تفرح إلا بزيادة علم وعمل صالح فإنهما رفيقاك يَصْحَبانِكَ في القبر حيث يتخلَّفُ عنك أهلُك ومالُك وولدك وأصدقاؤك ثم إذا اصفرَّتِ الشمسُ فاجتهد أن تعودَ إلىٰ المسجد قبل الغروب واشتغل بالتسبيح والاستغفار

الحمق (المغرورين)، ووصفهم في هذه الجملة بما دل علىٰ المراد بهم حيث قال: (الذين يفرحون في كل يوم) أي: وقت (بزيادة أموالهم) الدنيوية (مع نقصان أعمارهم) حِساً وكذا مَعْنَىً بفوات البركة عنها بسوء فعلهم، (فأيُّ خيرٍ في مال يزيد) مع نقصان عمر ؟ (و) أي خير في (عمر يَنقص)؟ وإن انضمتْ إليه زيادة مال فكلا زيادة علىٰ أن هذا الفرح مذموم أيضاً في الكتاب والسنة، وإن كان بعض أنواع الفرح محموداً، وإليه أشير بقوله: (فلا تفرح إلا بزيادة علم وعمل) نافعين، وفي نسخة (صالح)، وهو صالح لهما، (فإنهما رفيقاك) بمعنىٰ (يَصْحَبانِكَ في القبر)، ونِعْمَ الصحبة صحبته، (حيث يتخلَّفُ عنك أهلُك) زوجك (ومالُك وولدك) الذكر والأنثىٰ (وأصدقاؤك).

(ثم إذا اصفرَّتِ الشمسُ) دنت للغروب وهي صفراء تُرىٰ لصفرة في ضوئها، ويقال اصفارَّتْ بمعنىٰ، (فاجتهد أن تعودَ إلىٰ المسجد قبل الغروب) أي: غروب قرصها، ومثله ذهاب شعاعها علىٰ التفصيل في دخول وقت المغرب بين الصحراء والبلد، (واشتغل) عند الاصفرار (بالتسبيح) أولاً (والاستغفار) آخراً.

فإنَّ فَضْلَ هذا الوقت كفَضْلِ ما قبل الطلوع قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ واقرأ قَبْلَ غروب الشمس: (والشمس وضحاها) و(الليل) و(المعوِّذتين) ولتَغْرُبْ عليك الشمس وأنت في الاستغفار فإذا سمعتَ الأذان فأَجِبْ وقُلْ بعده:

وإذا دخلتَ المسجد فلا تغفل عن التحية (فإنَّ فَضْلَ هذا الوقت) المطلوب فيه هذا الاشتغال (كفَضْلِ ما قبل الطلوع[1])، وليس الشبه من كل وجه، وإلىٰ الدليل أشير بقوله (قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾) نَزِّهْه من الشرك والنقائص حامداً له (﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾) قيل: يعني الفجر (﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾) طه/١٣٠. قيل: يعني الظهر والعصر، أو هو وحده واستدل في "الإحياء" بآية: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ غافر/٥٥.

(واقرأ) فاتحة الكتاب كما في نسخة (قَبْلَ غروب الشمس:) فلقراءتها فضل وخواصٌّ، (والشمس وضحاها) كذلك، وفي نسخة: (والليل) وفي جميع النسخ التي وقفتُ عليها (والمعوِّذتين) بكسر الواو وفتحها لما فيهما من الفضل العظيم، (ولتَغْرُبْ عليك الشمس وأنت في الاستغفار) لا سيما سيده.

(فإذا سمعتَ الأذان) أو بعضه وإن لم تميز حروفه (فأَجِبْ) كما سبقت كيفية الإجابة، (وقُلْ بعده) أي: بعد الأذان وإجابته ما جاء في

---

(١) في نسخة (م) طلوع الشمس.

اللهم إني أسألك عند إقبال ليلك وإدبار نهارك وحضورِ صلواتك وأصوات دعاتك أن تُؤتيَ محمداً الوسيلة. الدعاء كما سبق ثم صَلِّ الفرض بعد جَوَابِ الإقامة، وصَلِّ بعده قبل أن تتكلم ركعتين فهما راتبة المغرب فإن صليتَ بعدهما أربعاً تُطِيلُها فهي سُنَّةٌ مؤكدة

حديث يشهد لأصل ما ذكره المصنف بقوله: (اللهم إني أسألك عند إقبال ليلك وإدبار نهارك) وفي نسخة (وحضورِ صلواتك[1] وأصوات دعاتك أن تُؤتيَ محمداً الوسيلة) بقية (الدعاءِ) الوارد (كما سبق) في دخول المسجد.

(ثم صَلِّ) سنة المغرب القبلية ركعتين خفيفتين، ثم صَلِّ (الفرض) فرض المغرب (بعد جَوَابِ الإقامة، وصَلِّ) ندباً (بعده) بعد الفرض (قبل أن تتكلم) كما في نسخ: كلاماً غير مشروع (ركعتين) بنية سنة المغرب تقرأ فيهما الكافرون والإخلاص، (فهما راتبة المغرب) أي: سنته المؤكدة، (فإن صليتَ بعدهما) أي: الركعتين الراتبة (أربعاً) أو ستاً أو ثمانياً أو أكثر إلىٰ عشرين بتسليمة، أو كل ركعتين بتسليمة (تُطِيلُها) أي: الأربع أو الراتبة، وتطويلها أفضل بشرطه (فهي) أي: الأربع (سُنَّةٌ) وفي نسخة أو نسخ: (مؤكدة)، وفي الشرح ما يشهد للتأكيد، لكن المعتمد خلافه إلا أن يُحمل معنىٰ المؤكد علىٰ غير المعنىٰ المتعارف، كأن يحمل علىٰ معنىٰ الثابت كما سبق نظيره، وفيه

---

(١) في نسخة (م) صلاتك.

وإنْ أمكَنَكَ أن تنويَ الاعتكاف إلىٰ العشاء الآخرة و تحييَ ما بين العشاءين بالصلاة فقد وَرَدَ في فضل ذلك ما لا يُحصىٰ وهو ناشِئَةُ الليل لأنه أول نُشُوئِه وهي صلاةُ الأوَّابين وسُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ فقال: هي الصلاةُ بين العشاءين ....

أيضاً ضابط التطويل وما يقرأ فيها.

(وإنْ أمكَنَكَ أن تنويَ الاعتكاف) الشرعي، وتكون عاكفاً في المسجد (إلىٰ) وقت (العشاء)، وفي نسخة (الآخرة) لأن المغرب يسمىٰ عشاء، وإن تسميتها به لا في نحو التغليب كما يأتي، (و) أن (تحييَ ما بين العشاءين) المغرب والعشاء في بيتك، أو في المسجد إن أَمِنْتَ الرياء (بالصلاة) لما ورد فيها بالخصوص أو بغيرها، (فقد وَرَدَ) بالنسبة للصلاة حديث عند الترمذي وغيره استوفيته في الشرح، وبالنسبة لغير الصلاة حديث وأثر عند خلائق من الحفاظ، وكذلك قيل (في فضل ذلك) أي: "الإحياء" (ما لا يُحصىٰ) من الشواهد (وهو) أي: ما بين العشاءين (ناشِئَةُ الليل) أي: ساعاته الأُوَل (لأنه) أي: ما بينهما (أول نُشُوئِه وهي) أي: الصلاة المُحيَا بها هذه الساعات (صلاةُ الأوَّابين)، ولا ينافي تسميتُها بذلك تسميةَ صلاة الضحىٰ بها كما بينته في الشرح.

(وسُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾) ترتفع وتتنحّىٰ ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ عن الفرش ومواضع النوم (فقال:) ما معناه أو هذا لفظه: (هي الصلاةُ بين العشاءين)، وذكرت

فإنها تُذْهبُ بمَلاَغَاةِ النهار وتُهَذِّبُ آخرَه. والملاغاة : جمع مَلْغَاة وهي من اللَّغْوِ فإذا دخل وقتُ العشاء فصَلِّ أربعَ ركعات إحياءً لما بين الأذانين، ففَضْلُ ذلك كثير وفي الخبر : أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ.

في الشرح اللفظ الوارد الذي وقفت عليه، (فإنها تُذْهبُ بمَلاَغَاةِ النهار) أي: لغوه علىٰ نحو ما يأتي في كلام المصنف، (وتُهَذِّبُ آخرَه) أي: تنقيه وتطهره ونحو ذلك، (والملاغاة: جمع مَلْغَاة وهي) مأخوذة (من اللَّغْوِ) المطروح الساقط.

(فإذا دخل وقتُ العشاء) الذي هو وقت فرضه وسنته (فصَلِّ) سنته (أربعَ ركعات) بنية السنة القبلية بتسليمة، أو كل ركعتين بتسلمة، وبالأربع صرح الحنفية، والمشهور المعتمد أنها ركعتان، لكن صرح "العُبَاب" أنه يُسنّ قبل العشاء ركعتان فأكثر؛ قال بعض شارحيه كما في "المجموع" عن نص البويطي لحديث: بين كل أذانين صلاة (إحياءً) بهذه الصلاة (لما بين الأذانين، ففَضْلُ ذلك كثير) والأول هو المعلم بدخول الوقت، والثاني هو الإقامة لأنه يشملها اسم الأذان حقيقة أو مجازاً، (وفي الخبر) الصحيح (أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ)، فهو زمن إجابته، ومظانُّها المأثورة مشهورة وبينتها كغير المشهور في كتابي "الوسيلة إلىٰ عِظَم[1]

---

(١) انظر الهامش الثاني ص (٣٨١).

ثم صَلِّ الفرض وصَلِّ الراتبةَ ركعتين واقرأ فيهما سورةَ (السجدة) و(تبارك الملك) أو (يس) و (الدخان) فذلك مأثورٌ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصَلِّ بعدها أربعَ ركعات. . . . .

ثواب الأعمال القليلة".

(ثم صَلِّ الفرض) فرض العشاء بعده، (وصَلِّ) سنته (الراتبةَ) المؤكدة (ركعتين) للحديث الصحيح (واقرأ) ندباً (فيهما) بعد الفاتحة التي لابد منها في كل ركعة (سورةَ) ألم كما في نسخة (السجدة) في الركعة الأولىٰ، (و) وسورة (تبارك الملك) في الثانية، (أو) سورة (يس) في الأولىٰ (و) سورة (الدخان) في الثانية (فذلك) أي: المذكور من الصلاة والقراءة (مأثورٌ) أي: منقول (عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم)، ومن طريق يأثُره[1] الخلفُ عن السلف ويُعمل بها في باب الفضائل، وبينتُ السند بالمناسبة بين السور المذكورة وثمرات قراءتها والصلاة في الشرح.

(وصَلِّ) ندباً (بعدها) بضمير الإفراد أو التثنية أي: الركعتين كما في نسختين (أربعَ ركعات) لحديث عائشة رضي الله عنها: «ما صلَّىٰ العشاء فدخل بيتي إلا صلَّىٰ فيه أربع ركعات» وفي لفظ: ست ركعات رواه أبو داود وبه احتجت الحنفية إلىٰ أن راتبة العشاء البعدية أربع علىٰ ما صرح به محققهم ابن الهُمَام، وفي المسألة كلام مهم في

---

(١) أثرت الحديث أثراً من باب مثل نقلته والأثر بفتحتين اسم منه. (المصباح/أثر).

ففي الخبر ما يَدُلُّ علىٰ عظيم فضلها ثم صَلِّ الوتر بعدها (ثلاثاً) بتسليمتين أو تسليمة واحدة و كان النبي صلَّىٰ الله عليه وسلم يقرأ فيها (سبح اسم ربك الأعلىٰ) و(قل يا أيها الكافرون) و(الإخلاص) و(المعوِّذتين). . . . .

الشرح، حاصل المهم منه النَّصيَّة علىٰ أن الأربع وكذا الست لم يقل بها الشافعية، وإنما سند المصنف حديث في ذلك، وهذا من مواطن البداية المحتاج إلىٰ شرح أو حاشية لئلا يُتوهَّمَ ما هو غير المذهب مذهباً؛ ويعلم سند المصنف من قوله: (ففي الخبر) خبر سعيد الذي رواه جمع علىٰ ما بينته في الشرح (ما يَدُلُّ) دلالة ظاهرة (علىٰ عظيم فضلها) أي: الأربع، سواء اعتبرتها بضميمة السور أو منفردة، والأول أظهر، وبينت هنا في الشرح نبذة من فضائل السور المذكورة ترغيباً.

(ثم صَلِّ) ندباً (الوتر بعدها) أي: بعد الأربع الراتبة إن لم تأت بالأربع، ولتكن صلاتك الوتر (ثلاثاً) أدنىٰ الكمال، وأقله واحدة وإن كُرِهَ الاقتصار عليها، وأكثره إحدىٰ عشرة (بتسليمتين) بأن يصلي ركعتين فيسلم ثم ركعة، (أو تسليمة واحدة) بأن يصلي الثلاث بتسليمة واحدة، لكن هذه مكروهة، ولا يشكل بأن الوتر مطلقاً سنة، وعلىٰ تقدير وجود الإشكال فجوابه ما ذكروه في الجواب عن قولهم يكره الاقتصار من الوتر علىٰ ركعة، (و) صح (كان النبي صلَّىٰ الله عليه وسلم يقرأ فيها) أي: في الثلاث (سبح اسم ربك الأعلىٰ) في الركعة الأولىٰ (و) سورة (قل يا أيها الكافرون) في الركعة الثانية، (و) سورة (الإخلاص و) سورتي (المعوِّذتين) في الثالثة، وفي الشرح هنا

وإِنْ كنتَ عازماً علىٰ قيام الليل فأَخِّرِ الوترَ ليكون آخر صلاتك بالليل وتراً ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرةِ علم أو مطالعة كتاب ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك وإنما الأعمال بخواتيمها.

ذكر بعض ما يندب بعد السلام وفضائل وخواص لهذه السور الكرام.

(وإِنْ كنتَ عازماً علىٰ قيام الليل) أي: قيام فيه بصلاة أو غيرها ووثِقْتَ بإدراكك زمناً قبل الفجر يمكنك الإيتار فيه (فأَخِّرِ) ندباً (الوترَ ليكون آخر صلاتك بالليل وتراً) سواء الأقل أو الأكثر وما بينهما، وسواء كان الزمن زمن رمضان أو غيره علىٰ تفصيل في الشرح بين أن تَرىٰ من يصليه جماعة ولك تهجُّدٌ فتؤخره وبين خلافه فتصليه معهم، بل في الشرح هنا كلام آخر وبحث مهم.

(ثم اشتغل) في زمنك الذي قبل نومك (بعد ذلك) أي: بعد الوتر إن قدمته أو بعد ما قبله (بمذاكرةِ علم) شرعي إن وَجَدْتَ مذاكِراً، (أو مطالعة كتاب) شرعي ولو أدبياً، (ولا تشتغل باللهو) فعلاً أو قولاً، وليس منه محادثة نحو الأهل والضيف لأنهما من الخير، وعند الحاجة سنة، وفي نسخة (واللعب) عطف تفسير أو مقارب، أو خاص علىٰ عام، وهو الأقرب ونُكْتَتُه لائحة (فيكون ذلك) أي: المأمور به من نحو المذاكرة، أو المنهي عنه من نحو اللعب، (خاتمة أعمالك قبل نومك) الذي هو كالموت، (وإنما الأعمال بخواتيمها) عند الموت لحديث: «إن أحدكم ليعملُ بعَمَلِ أهل الجنة» فكان من

. . . .

ختم عمله عند نومه بنحو اللعب كأنه مات عليه، بل ربما يقع له الموت الأكبر في نومه، فيكون قد خُتم له باللهو عند موته حقيقة والعياذ بالله.

آداب النوم

فإذا أردتَ النوم فابسُطْ فراشك مستقبِلَ القبلة ونَمْ علىٰ يمينك كما يُضْجَعُ المَيِّتُ..........................

آداب النوم

(فإذا أردتَ النوم) نوم الليل أو النهار كالقيلولة المندوبة فلا تغفل عن آدابه نحو: الذكر والتوبة ونية فعل الخير والطهارة والسواك والاستقبال والتيمُّن والإيصاء، حتىٰ لو هجمت المَنِيَّة كنتَ مستعداً متَّبِعاً، وإلىٰ بعض هذه الآداب ووسائلها كالبسط أشار بقوله: (فابسُطْ فراشك) للنوم بعد نَفْضِهِ بيدٍ أو كُمٍّ ثلاثاً استحباباً، ونَمْ (مستقبِلَ القبلة) فهي حال من فاعل نَمْ محذوف لنكتة دَلَّ عليه قوله: (ونَمْ)، أو حال من قوله المذكور علىٰ بعد: قدمت اهتماماً، وفيها احتمالات بعيدة أبعد من ذلك ذكرتها في الشرح، منها الحال من الفِراش لأنه كالقبر يندب أن يكون للقبلة، وكالمُصَلَّىٰ والخطِّ وهو يندب أن يكون لنحو القبلة، (علىٰ يمينك) ولو ساعة إن أردت النوم علىٰ اليسار للاستراحة؛ لأن أصل السنة يَحْصُل به (كما يُضْجَعُ المَيِّتُ) علىٰ يمينه

في لَحْدِه واعلم أن النومَ مِثْلُ الموت واليَقَظَةُ مِثْلُ البَعْث ولعل الله أن يَقبض روحَك. . . . .

مستقبلاً (في لَحْدِه) قبره لَحْداً كان أو شَقّاً[١].

(واعلم) للتنبيه (أن النومَ مِثْلُ الموت) لما سبق، [illegible] أنه تعطيل الحياة وأخوه والموت الأصغر (واليَقَظَةُ) بفتح القاف (مِثْلُ البَعْث) بعد الموت، والمثل فيهما بكسر الميم وسكون المثلثة، (ولعل) أي: عسىٰ (الله أن يَقبض) بالبناء للفاعل مسنداً إلىٰ الله تعالىٰ الفاعل الحقيقي تنبيهاً وتخويفاً وإن كان المباشر للقبض المَلَك المعروف أو نائبه[٢] (روحَك) ينزعها من جسدها، وفي تعريفها علىٰ أحد المذهبين خمسمائة[٣] قول كما نبه عليه الشيخ

---

(١) قَدَّمَ اللحدَ علىٰ الشَّق لأنه الأفضل إن ناسب الجثة. وعبارة الإمام النووي في المنهاج: واللحد أفضل من الشق إن صلبت الأرض (وانظر الشرح والأدلة في النجم الوهاج ٣/٧٥-٧٦).

(٢) يشير إلىٰ ما مضىٰ فيمن يتولىٰ قبض الأرواح ثلاث آيات علىٰ الترتيب: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ الزمر/٤٢ و: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾. السجدة/١١ و: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ الأنعام /٦١.

(٣) قال العلامة ابن عجيبة الحسني: قد أكثر الناس الكلام في شأن الروح، فرأىٰ بعضهم أن الإمساك عنها أولىٰ؛ لأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – لم يجب عنها. وبين الحق تعالىٰ أنها من أمر الله وسرّ من أسراره. ورأىٰ بعضهم أن النهي لم يَرِدْ عن الخوض فيها صريحاً، فتكلم علىٰ قدر فهمه. فقال بعضهم: حقيقة =

في ليلتك فكن مستعداً لِلقائه بأن تنام علىٰ طهارة و أن تكون وصيتُك

زَرُّوق[1] (في ليلتك) يعني: في نومك، وخصها بالذكر لأن النوم غالباً يكون في الليل، وإلىٰ بعض مهمات تلك الآداب أشار بقوله: (فكن مستعداً) بفعل الآداب (لِلقائه) تعالىٰ وللموت المكنَّىٰ به عن اللقاء باعتبار أنه سببه كما في حديث: «مَنْ كَرِهَ لقاء الله كره الله لقاءه» ويحصل الاستعداد بأمور: الأول (بأن تنام) مستعداً للنوم قبيله (علىٰ طهارة) ولو تيمماً للاتباع وحصول الشهادة بالموت عليه، (و) الثاني: (أن تكون وصيتُك) إن كان لك شيء توصي به كما في الحديث الآتي

الروح: جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأرطب.. ومن خاصيتها أنها تميل إلىٰ كل حسن ومستحسن، وكل صوت طيب، وكل رائحة طيبة، لحسن جوهرها وروح وجودها. (البحر المديد٤/١٢١-١٢٢). وقال الإمام النووي: وفي الروح لغتان: التذكير والتأنيث، ومال إلىٰ أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها. وليس عرضاً كما قاله آخرون، ولا دماً كما قال آخرون. (انظر: شرحه علىٰ مسلم ٦/٤٦٢).

(١) هو إسماعيل بن أحمد بن عيسىٰ البرلسي الفاسي المالكي الإمام العلامة الفقيه المحدث الصوفي تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، له تصانيف كثيرة يميل فيها إلىٰ الاختصار مع التحرير من أشهرها: القواعد في التصوف، وله عدة شروح للحكم العطائية، من كلامه: ما اتفق اثنان قط في شيء واحد من جميع الوجوه وإن اتفقا في أصل الأمر أو فروعه أو بعض جهاته، ولذلك قالوا: الطرق إلىٰ الله بعدد أنفاس الخلائق. ولد الإمام زورق عام ٨٤٦ وتوفي عام ٨٩٩. (ر: شذرات الذهب ٩/٥٤٧-٥٤٨ والأعلام للزركلي ١/٩١).

مكتوبةً تحت وِسَادتك و تنام تائباً عن الذنوب مستغفراً عازماً علىٰ أن لا تعود إلىٰ معصية. . . . .

(مكتوبةً) فيها ما لَكَ وما عليك بخط من تثق به، والإشهاد به مع ذلك أفضل، فإنه قد لا يكون في البلد أو الجهة من يحكم بالشهادة علىٰ الخَطِّ، وموضعها يكون (تحت وِسَادتك) مثلاً لحديث الصحيحين: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به يَبِيتُ ليلتين - وفي لفظ لمسلم - ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده». ولها حالات قد تجب وتندب، وثمراتُ بعضها في الشرح، منها: أن تاركها يتحدث الأموات بالبرزخ ولا يتحدث.

(و) الثالث أن (تنام) حالة كونك (تائباً) وأركان التوبة (عن الذنوب) والمكروهات ثلاثة: الندم والإقلاع والعزم، وسيأتي بيانه، وتصح عن معصية وإن لم يتب عن أخرىٰ، وواضح وجوب التوبة عن الذنوب، وندبها عن المكروه وخلاف الأولىٰ، ونص عليها لبيان تأكدها عند النوم، وإن كانت واجبة من الذنوب، ومن ثَم نص علىٰ أحد أركانها العزم اهتماماً والاستغفار المندوب مع حرف العطف المقترن به كما في نسخة وعدمه كما في أخرىٰ بقوله: (مستغفراً) باللسان المساعد للجَنان، واشترط بعضهم لصحتها الاستغفار باللسان نحو: رب اغفر لي، وفي الشرح بسط يؤخذ منه الإشارة إلىٰ تفاوت النسختين من حيث المعنىٰ، (عازماً) بنية جازمة مع تصميم، لأن العـزم هـو النـية المذكورة (علىٰ أن لا تعود) مطلقاً (إلىٰ معصية) ولو

وانْوِ الخَير لجميع الناس إنْ بعثك الله من نومك وتذكر أنك ستُضجعُ في اللَّحد كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عملُك

صغيرة وإنْ كُفِّرت الصغائر باجتناب الكبائر، لأنه يطلب العزم علىٰ ذلك، وفي الشرح بسط يوضح المراد.

(وانْوِ الخَير) أي: اعزم الآن علىٰ فعله بعد الانتباه (لجميع الناس) الأهل له شرعاً المسلمين ومن ألحق بهم كالذِّمِّي بكَفِّ الأذىٰ عنه، وكنحو الطير لحديث: "في كُلِّ كَبِدٍ حَرَّاء أَجْر[1]" (إِنْ بعثك الله من نومك) الذي هو موت أصغر، واليقظة منه بعثة صغرىٰ كما سبق، وبه ظهرت حكمة التعبير بالبعث.

(وتذكر أنك ستُضجعُ في اللَّحد كذلك) أي: تذكر باضطجاعك حياً علىٰ الفراش اختياراً اضجاعَك اضطراراً ميتاً في القبر حالة كونك (وحيداً) متوحداً (فريداً) فيه، هما بمعنىٰ، أو متقاربان جمعاً للتوكيد والاتعاظ، (ليس معك) فيه (إلا عملُك) الصالح أو ضده وجاء في

---

(١) المشهور كتابتها: حَرَّىٰ. قال ابن الأثير: الحَرَّىٰ: فَعْلَىٰ من الحَرِّ، وهي تأنيث حَرَّان، وهما للمبالغة، يريد أنها لشدة حَرِّها قد عطشت ويبست من العطش. والمعنىٰ أن من سقىٰ كل ذي كبد حَرَّىٰ أجراً، وقيل: أراد بالكبد الحرىٰ حياة صاحبها، لأنه إنما تكون كبده حرىٰ إذا كان فيه حياة، يعني في سقي كلِّ ذي رُوح من الحيوان. ويشهد له ما جاء في الحديث الآخر " في كل كبد حارَّة أجر " (النهاية/حرر).

ولا تُجزىٰ إلا بسعيك ولا تَسْتجلبِ النومَ تكلفاً بتمهيد الفُرُش الوَطِيئة فإن النوم تعطيل الحياة إلا إذا كانت يقَظتك وبالاً عليك ونومُك سلامةً لدينك. . . . .

السُّنَّة أنه يأتي صاحبه فيه صورة تُؤْنسه أو تُوْحشه بحسب ما قدم، إِنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، نسأل الله العافية، ومن ثَم قال: (ولا تُجزىٰ) بضم أوله وفتح ما قبل آخره من الله سبحانه (إلا بسعيك) أي: عملك لآية: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ النجم/٣٩. وفي الآية كالشرح كلام يضيق عنه هذا المختصر، منه بيان عدم منافاة كلامه والآية لما في حديث: "إن الله تعالىٰ يجازي العبد أكثر من عمله".

وإلىٰ بعض تلك الآداب النومية أشار بقوله: (ولا تَسْتجلبِ النومَ) لا في الليل ولا في النهار (تكلفاً) أي: بتكلفة، أو علىٰ سبيل التكلف في استجلابه (بتمهيد الفُرُش) والجمع ليس بقيد (الوَطِيئة) الناعمة الحسنة، وسائر الأسباب الجالبة له إلا إذا ترجح النوم علىٰ اليقظة كما يؤخذ من الاستثناء الآتي، فيترجح التمهيد، بل المبالغة في استجلاب النوم، ومنه نوم القيلولة فيما يظهر، إذا تعين ذلك طريقاً له وعلة ذلك قوله: (فإن النوم) من حيث هو (تعطيل الحياة) الدنيوية التي عليها بناء الحياة الأبدية، ولما كان قد يحصل في استجلابه مصلحة ويترجح علىٰ اليقظة قال: (إلا إذا كانت يقَظتك) بفتح القاف (وبالاً عليك) بأن جرَّت لك إثماً (و) كان (نومُك سلامةً لدينك) بحيث لا يفوتك به واجب، وكذا مندوب فيما يظهر، ومن ثَم استثني من استحباب إيقاظ

واعلم أَنَّ الليلَ والنهار أربعٌ وعشرون ساعة فلا يكونَنَّ نومُك بالليل والنهار أكثرَ من ثماني ساعات فيكفيك إِنْ عِشْتَ ستين سنة أن تُضيِّع

النائم للصلاة صور، كصورة ما إذا كان النائم ظالماً كمكَّاس، وورد بسند ضعيف: "نوم الفاسق عبادة[1]".

(واعلم) ويؤتىٰ بها للتنبيه، وهذا المقام مع النوم يقتضيه (أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون (الليلَ والنهار) المعروفين، أي: مجموعهما، وفائدة تعر يفهما بالعد تأتي، (أربعٌ) بغير تاء لقاعدة باب العدد، (وعشرون ساعة) فلكية، وإلىٰ فائدة العَدِّ أشار بقوله: (فلا يكونَنَّ) بنون التوكيد[2] أو إسقاطها نسختان، (نومُك بالليل والنهار) أي: في مجموعهما لو نمت فيهما، أو لا يكون نومك في واحد منهما لو نمت فيه (أكثرَ من ثماني) بالياء، وقد تسقط، والأصل بالهاء ثمانية (ساعات) سواء تمت غالب الثمان في أحدهما أم لا، لكن التقليل في النهار أولىٰ شرعاً وطِباً، ويكفي العاقل نوم سبع ساعات كما ذكرته في الشرح، وفيه الاقتصار علىٰ العدد المذكور وغير ذلك، وإن كانت قد تلوح حكمته البديعة من قوله: (فيكفيك إِنْ عِشْتَ) نحو العمر الغالب في هذه الأزمنة (ستين سنة) مثلاً، وفي الحديث الشهير "أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين" (أن تُضيِّع) في النوم، ولكونه

---

(١) والعامة يقولون للمستهترين وأهل الغفلة: نَوم الظالمين عبادة!.

(٢) تحتمل الثقلية أو الخفيفة.

منها عشرين سنة وهو الثُّلث وأَعِدَّ عند النوم سواكَكَ وطُهورك

فيه عبَّر بالتضييع، فعبارة المصنِّف فيها حسن الحكمة والصنيع، (منها عشرين سنة)

.... فيا ضيعة الأعمار تمضي سَبَهْلَلاً[1]

(وهو) وكان القياس بحسب الظاهر وهي، لكن ذَكَّره باعتبار قوله: (الثُّلث) أو باعتبار تقدير المذكور، فكيف إذا عشتَ أكثر من الستين، ومن هذا السياق يؤخذ الحث علىٰ تقليله والنقص عن الثمان ما أمكن، لكن لا يحسن إلا بالتدريج، فإنَّ تَرْكَه يُخِلُّ بالدماغ وكمال الصحة، وفي الحديث "إن لعينك عليك حقاً" الحديث.

وإلىٰ بعض تلك الآداب النومية أيضاً أشار هنا بقوله: (وأَعِدَّ) ندباً (عند النوم) مطلقاً (سواكَكَ) وتسوك به له كالانتباه وإن تكرر، لأنه لا فائدة لإعداده إلا ذلك؛ ولما سبق في أول الكتاب في آداب الوضوء استحبابه بعد ذكر الانتباه وما يفعل بعده ناسب أن يقول هنا: وأعدَّ عند النوم سواكك (وطُهورك) بالضم أو الفتح أو بهما ولو ترابياً،

---

(١) عجز بيت من قصيدة: حرز الأماني في القراءات السبع للإمام أبي القاسم الشاطبي؛ وأوله: ولكنها عن قسوة القلب قَحطُها.

والبيت قبله:

ولو أن عَيناً ساعدتْ لتوكَّفت سحائبها بالدمع ديماً وهُطلا

انظرها: ص٧.

واعزم علىٰ قيام الليل. . . . .

وتطهر به ناوياً الآن عند النوم استعمالهما عند الانتباه؛ وفي الشرح زيادة حسنة.

(واعزم) ندباً (علىٰ قيام الليل) أي: إحيائه، ويحصل بالمعظم بصلاة أو غيرها ولو كان مجرد اسقبال، لكنه علىٰ نحو وضوء أفضل، ويحتمل أن يكون المراد بقوله قيام الليل: التهجد كما يومئ إليه قوله الآتي: فركعتان إلىٰ آخره ويحصل بهما بعد نوم ولو من جالسٍ ممكِّن، وللتهجد أثر في تنوير الباطن والظاهر كالوجه، ومن ثَم حث عليه الأثر كقول الجنيد[1] شيخ الطائفة بعد موته: ذهبتْ تلك العبارات، وانمحت تلك الإشارات، ولم ينفعنا إلا رُكيعات ركعناها في جوف الليل[2]؛ والخبر كخبر "من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ

---

(١) الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزَّاز، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه في العراق كان فقيهاً، تفقه علىٰ أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي والحارث المحاسبي، مقبول علىٰ جميع الألسنة، توفي سنة ٢٩٧ ومن كلامه – رحمة الله عليه -: الطرق كلها مسدودة علىٰ الخلق، إلا من اقتفىٰ أثر الرسول – صلىٰ الله عليه وسلم – واتبع سنته، ولزم طريقته؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه. ومن قوله: لو أقبل صادق علىٰ الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله! ومن كلامه: من عرف الله لا يُسَرُّ إلا به. (طبقات الصوفية للسلمي رَ: ترجمته ١٥٥-١٦٣).

(٢) هذا من أرفع ما يُذكر عن شرف قيام الليل من أخبار سادة الناس وصلحائهم!

وجهه بالنهار" وليس بموضوع عند السيوطي وطائفة علىٰ ما بينته في الشرح، (أو)[١] اعزم (علىٰ القيام) بمعنىٰ الانتباه (قبل الصبح) إِن أَحْيَيْتَ المعظم، أو شق عليك، والأفضل الجمع بين العزمين، وواضح أنَّ ندب العزم لتحصيل القيام بالفعل قبل الصبح؛ لأنه المقصود أصالة، والعزم وسيلة إليه، ولأن وقت السَّحَر شريف جاء بفضله الخبر والأثر، ولأن للانتباه قبل الصبح فوائد كالإجابة لأذانه عند سماعه، والاستعداد قبل وقته لصلاته، والسلام من الانتظام في سلك مَنْ نام الليل كلَّه ولم يذكر الله تعالىٰ فبال الشيطان في أذنه فأصبح كسلان خبيث النفس، وإلىٰ ما هو دليل أو كالدليل لما قدمه أشار بقوله: (فركعتان) بعد نوم وهو أفضل، أو ركعتان مطلقاً (في جَوْف الليل) باطنه أووسطه لحديث مسلم "أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ فقال: جوف الليل" وآخره علىٰ التفصيل المشهور أفضل من وسطه وأوله (كَنْزٌ) أو كنزان علىٰ اختلاف النسخ (من كنوز البِرِّ) أي: أجر الركعتين مُدَّخر كما يدخر الكنز الذي هو المال الدفين، وإن كان ادخارهما أشرف.

وفي السُّنَّة ما يشهد لهـذا الـــذي استدل به المصنف فمن ثَم قال:

---

(١) في نسخة (م) و.

فاستكثِرْ من كنوزك ليوم فقرك فلن تُغنيَ عنك كنوزُ الدنيا إذا مِتَّ
وقُلْ عند نومك: باسمك ربي وضعتُ جنبي وباسمك أرفعه
فاغفر لي ذنبي اللهم قِنِي عذابَك يومَ تجمعُ عبادك. . . . .

(فاستكثِرْ) ندباً (من كنوزك) كنوز الآخرة المكنَّىٰ عن أحدهما بالركعتين في القول السابق المقابل فيما يأتي بقوله كنوز الدنيا، وكأنه قال: استكثر من الصلاة في جوف الليل (ليوم فقرك) حاجتك يوم القيامة الوارد فيه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ الآية ٨٨ من الشعراء. (فلن تُغنيَ عنك) من الله شيئاً (كنوزُ الدنيا) دفائنها (إذا مِتَّ)، بل لا ينفعك إلا ما ادخرته لهذا اليوم.

(وقُلْ) ندباً (عند نومك) ولو نوم نهار ما في حديث أبي يَعلىٰ والنسائي وغيرهما (باسمك) بهمزة وَصْل (ربي) أي: ياربي (وضعتُ جنبي وباسمك أرفعه) وفي رواية الشيخين: وبك أرفعه، زاد النسائي: (فاغفر لي ذنبي) وحكمة طلب المغفرة هنا ذكرته في الشرح، وجاء في حديث أبي داود: "كان صلىٰ الله عليه وسلم إذا أوىٰ إلىٰ فراشه وضع يده يعني اليمنىٰ تحت خده ثم قال: (اللهم قِنِي عذابَك) أي: بجميع أنواعه (يومَ) تبعث، كما في رواية أو: (تجمعُ عبادك) يوم القيامة، ويسمىٰ يوم الجَمْع ويوم البعث[١] لما هو واضح، وفي

---

(١) جمع الإمام حجة الإسلام الغزالي – رحمة الله عليه – أكثر من مائة اسم ليوم القيامة ذكرها في: صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه في: كتاب ذكر الموت وما =

اللهم باسمك أحيا وأموت أعوذ بك من شَرِّ كُلِّ ذي شر ومن شر كلِّ دابة أنتَ آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظَّاهِرُ فليس فوقَكَ شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. . . . .

الشرح بيان الروايتين ومخرجهما وترتيبهما، وجاء في حديث الشيخين: (اللهم باسمك أحيا وأموت) وفي لفظ لهما: أموت وأحيا، وفي لفظ أيضاً: باسمك اللهم، علىٰ ما بينته في الشرح.

وجاء في رواية جمع لكن مع زيادة يسيرة قبيل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالىٰ بينتها في الشرح: (أعوذ بك من شَرِّ كُلِّ ذي شر) إِنسٍ وجن وغيرهما، ثم خص بعد تعميم فقال: (ومن شر كلِّ دابة) حيوان يَدِبّ (أنتَ آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم) وكل النواصي بيد الله تعالىٰ وفي قبضة قدرته، (أنت الأول) ومعناه: (فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظَّاهِرُ) ومعناه: (فليس فوقَكَ شيء، وأنت الباطن) ومعناه: (فليس دونك شيء) وقيل معناه:

بعده في أواخر «الإحياء». وانظر كثيراً منها مع شرحها في التذكرة للإمام القرطبي في باب قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: من سره أن ينظر إلىٰ يوم القيامة فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت). وفي أسماء يوم القيامة. وختم القرطبي بيوم الفرار ومما قال: نجَّانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة وصحبه الكرام البررة.. انظر: ص (٢٤٠-٢٦٨).

اقْضِ عنِّي الدَّين وأَغنني من الفقر اللهم أنت خَلقتَ نفسي وأنت تتوفَّاها لك مماتُها ومحياها إنْ أَمَتَّها فاغفر لها وإِنْ أَحْيَيْتَهَا

لا شيء ألطف منك وأرفق، وقيل في تفسير الأسماء الثلاثة السابقة غير ما تقدم، لكن ما قدمته في تفسيرها جاء به حديث صحيح، (اقْضِ عنِّي الدَّين) أي: دَين الدَّارين، (وأغننِي من الفقر) المذموم، بمعنىٰ: سَلِّمني منه؛ قال الترمذي: وفي هذا الذكر سرٌّ عظيم في قضاء الدين والغنىٰ.

وجاء في حديث مسلم: (اللهم) أي: يا الله (أنت) لا غيرك (خَلقتَ نفسي) بمعنىٰ: أوجدت روحي من العدم، (وأنت) لا غيرك (تتوفَّاها) أي: تُعيدها بنزعها من جسدها إلىٰ العدم، أو تعيدها إلىٰ ما يشبهه وهو النوم، وأنت مالكها المتصرف فيها بما شئت كيف شئت، (لك مماتُها ومحياها) أي: إحياؤها وإماتتها بدليل ما بعده، أو حياتها وموتها، بمعنىٰ ملكهما، ويجوز أن يُراد: لك ما هي عليه في حياتها، وما تموت عليه من نحو الطاعة، علىٰ حَدِّ ما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ من الآية ١٦٢/الأنعام. (إنْ أَمَتَّها) الإماتة الحقيقة في هذا النوم الذي هو موت مجازي، والكلام فيه، بل سماه الشرع موتاً بدليل: "الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا" وفي رواية بدل" إن أمتها" "إن أمسكت نفسي"، وهذا الإمساك كناية عن الإماتة (فاغفر لها) لافتقارها إلىٰ المغفرة والرحمة، ومن ثَم جاء في رواية: فاغفر لها وارحمها (وإِنْ أَحْيَيْتَهَا) أي: أرسلتها كما جاء في رواية أي: أرسلتها

فاحفظها بما تَحْفَظُ به عبادَك الصالحين اللهم إني أسألك العفوَ والعافية اللهم أيقظني في أَحَبِّ الساعات إليك. . . . .

من نومها، بمعنىٰ أيقظتها، وهو المطابق لما في الآية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الزمر/٤٢. (فاحفظها)، وفي روايتهما ونسخة: (بما تَحْفَظُ به عبادَك)، والإضافة للتشريف، وزِيدوا تشريفاً بقوله: (الصالحين) أي: القائمين بحقوق الله وحقوق العباد، وأكمل من قام بغاية كمال الصلاح: النبيون، ومن ثَم جاء الوصف به في حق بعضهم للتنويه بعلو مرتبة هذا الوصف لئلا يظن أنه بالهُوَينا فإن قلتَ: تَرىٰ بعضهم يصف به من لم يقم بحقوق الله وحقوق العباد، قلنا: خرج منه ذلك مخرج التساهل والتجوز أو نحوهما.

وجاء في غير روايتهما: طلب العفو والعافية عند النوم، ومن ثَم قال هنا: (اللهم) يا الله (إني أسألك العفوَ) عن التقصير (والعافية) من كل داء وتقصير، فهي أشمل، ومن ثَم ورد: «إذاسألتم الله فاسألوه العافية».

وجاء في حديث الديلمي من رواية ابن عباس وغيره: (اللهم أيقظني) أي: من نومي (في أَحَبِّ) بمعنىٰ أفضل (الساعات) الشريفة (إليك) أي: لديك كساعة التجلي المشار إليها في الحديث الصحيح حديث الشيخين «ينزل ربنا أي: أمره، أو رحمته تعالىٰ وتقدس كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يَبقىٰ ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني

واستعملني في أَحَبِّ الأعمال إليك يقربني إليك بها. . . . .

فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟ وطَلَبَ الاستيقاظَ في الأحب لأن العاقل من شأنه طلب الأكمل ولا فائدة لطلب الاستيقاظ في الأحب إلا الاستعمال فيه، ومن ثَم قال: (واستعملني) في ذلك الوقت (في أَحَبِّ) أي: أفضل (الأعمال) القلبية كالتفكر، وغير القلبية كالصلاة والدعاء والذكر والاستغفار المشار إلىٰ ذلك كله بقوله فيما يأتي: أسألك وأستغفرك وأدعوك (إليك) بمعنىٰ: عندك لنحو العلة السابقة (يقربني[1]) بمثناة تحتية مجزوم جواب الأمر، أو مرفوع صفة لأحب، أو بتقدير اللام كما صرح بها في نسخة، فهو علة، وعلىٰ هذا المعنىٰ ليقربني الأحبُّ (إليك)، أو لتقربني بمثناة فوقية أنتَ، (بها) أي: بالأعمال، والمراد أحبها، أو بالاستعمال فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت/٦٩. أو تقربني هي وأنت الضمير علىٰ هذا باعتبار المضاف إليه علىٰ نظير:

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ....[2]

---

(١) في نسخة (م) لتُقَرِّبَني.

(٢) البيت للمجنون وتتمته: ولكن حُبُّ من سكَن الديارا

وقبله:

أمر علىٰ الديار ديار ليلىٰ … أقبل ذا الجدار وذا الجدار

انظرهما في ديوانه: ص ١٢٧-١٢٨.

زلفىٰ ويبعدني عن سَخَطك بُعْداً أسألك فتعطيَني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيبَ لي.

والمراد: تقربني إليك قرباً عظيماً، بدليل التأكيد بقوله: (زلفىٰ) أي: قربىٰ، يقال: أَزْلَفَ إلىٰ الله، تقرب إليه، (ويبعدني[١]) وفيه ما في الفعل قبله، (عن سَخَطك) بمعنىٰ: غضبك، والمراد هو ما يقرب إليه بدليل التأكيد بقوله: (بُعْداً).

وقوله (أسألك) وما عطف عليه كالعلة لمجموع ما قبله، والمعنىٰ: أيقظني واستعملني في الأحب المقرب لأسألَكَ وأستغفرك وأدعوك، وكأن قائلاً يقول له: طلبت الإيقاظ والاستعمال المذكورين لماذا؟ فيقول: لأسأل وأستغفر، ويحتمل أن المعنىٰ: أيقظني في الأحب لأسألك وأستغفرك فيه لذلك الحديث، واستعملني في الأحب لتبعدني وتقربني، فهو لَفٌّ ونَشْرٌ مُشَوَّش، (فتعطيَني[٢]) سؤلي أو أعم قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي...﴾ الآية (وأستغفرك) أطلب غفرانك للذنب محوه وستره أو أعم من ذلك الشامل لرفع الدرجات (فتغفر لي) بالمعنىٰ الشامل، (وأدعوك) بالمغفرة وأعم منها الصادق بالدعاء للغير، (فتستجيبَ لي) بوعدك الصادق في: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر/٦٠. وهذا آخر حديث الديلمي.

---

(١) في نسخة(م) وتُبْعِدَني.

(٢) في نسخة (م) زيادة: وأستغفرك فتغفر لي.

ثم اقرأ (فاتحةَ الكتاب) و(آيةَ الكرسيِّ) سورةَ (الإخلاص) وسورةَ (المعوِّذتين) و(تباركَ الملكَ). . . . .

وجاء الأمر بالقراءة المذكورة في غير حديث من الأحاديث الصحاح، ومن ثَم قال: (ثم اقرأ) ندباً وأنت واضع يدك تحت خدك للاتباع كما تقدم، (فاتحةَ الكتاب وآيةَ الكرسيِّ) التي هي أفضل آيات القرآن، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ..﴾ إلىٰ آخر السورة[1] لحديث الشيخين فيهما، ولذلك خصوصيات عظيمة.

(و) واقرأ ندباً أيضاً حالة جَمْعكَ لكفيك نَافثاً فيهما (سورةَ الإخلاص) وفي نسخة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ وهي أَنصٌّ، لأن سورة الكافرون تشملها سورة الإخلاص، (و) سورتي (المعوِّذتين) بكسر الواو، وماسحاً بعد القراءة للسور المذكورة جسَدك: الرأس فالوجه فما أَقْبَلَ من الجسد مما تصل إليه يدُك ثلاثاً، لحديثهما أيضاً، ولأن التعوذ بهما أبلغُ وأفضل ما تُعُوِّذَ به، (و) سورة (تباركَ الملكَ) لخبر في ذلك، وفي نسخة كما في رواية ثم اقرأ فاتحة الكتاب، وفي رواية مع الإخلاص، وفي أخرىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾، الآية ١٨ من آل عمران. وفي أخرىٰ: الكافرون ثم نَمْ علىٰ خاتمتها، وفي الشرح: بيان لبعض ثمرات ذلك ولكل ما وردت القراءة به عند النوم فراجعه واعمل به فإنه مهم وفقنا الله أجمعين بمَنِّه آمين.

---

(١) أواخر البقرة هذه من كنز تحت العرش؛ فلتعظم!.

ولْيأخذْكَ النومُ وأنت علىٰ ذلك وعلىٰ الطهارة فمَنْ فَعَلَ ذلك عُرِجَ بروحه إلىٰ العرش وكُتِبَ مصلياً إلىٰ أن يستيقظ. . . . .

ثم إذا أتيت بما طُلِبَ منك عند النوم من قراءة المأثور حسب الميسور؛ فلا تغفل عن الذكر حتىٰ لا يهجم عليك النوم إلا وأنت فيه، وإلىٰ هذا أشار بقوله: (ولْيأخذْكَ النومُ) الشبيه بالموت (وأنت علىٰ ذلك[1])، ويحتمل أن يريد الحث علىٰ مطلق الذكر سواء أتيت بالمأثور أولاً أو لم تأت به، والأول أظهر، (وعلىٰ الطهارة) ولو تيمماً.

(فمَنْ فَعَلَ ذلك) أي: المذكور من الأمرين، أو أحدهما، أو مجموع ما تقدم، لكن بعض الأدلة علىٰ ما يأتي يشهد للتخصيص (عُرِجَ بروحه) في نومه، أو فيه وعند الموت، (إلىٰ العرش) لأنه متعلق أرواح المؤمنين بعضها علىٰ ما وَرَدَ: في قناديل معلقة به، وإذا رأىٰ في نومه هذا رؤيا كانت صادقة علىٰ ما في «الإحياء» (وكُتِبَ) في صحف الملائكة (مصلياً إلىٰ أن يستيقظ) حتىٰ يستيقظ، وذلك بسبب نومه عليها، أو علىٰ الذكر، أو بسببهما معاً، وفي خبرٍ ما يشهد للأول، ثم قوله: مصلياً إما علىٰ حقيقته، أو علىٰ سبيل المجاز بجعله في زمرة المصلين ونحو ذلك؛ وحكمة كتابته مصلياً فيما يظهر إتيانه ببعض لوازم الصلاة من نحو طهارة وقراءة وذكر مع طَلَبِهِ استعمالَه في

---

(١) في نسخة (م) وأنت علىٰ ذكر الله تعالىٰ.

فإذا استيقظتَ فارجع إلىٰ ما عَرَّفْتُك أولاً وداوم علىٰ هذا الترتيب بقية عمرك فإنْ شَقَّتْ عليك المُدَاوَمَة فاصبر صَبْرَ المريض علىٰ مَرَارَة الدواء انتظاراً للشِّفاء وتفكَّرْ. . . . .

أحب الأعمال، وأحبها الصلاة لحديث: «الصلاة خير موضوع» فعومل معاملة المصلي تفضلاً.

(فإذا استيقظتَ) من نومك (فارجع) ندباً (إلىٰ ما عَرَّفْتُك أولاً) أي: أول الكتاب من إجراء الذكر علىٰ قلبك ولسانك ونحوه مما سبق عند قوله: فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر إلىٰ آخره وملازمةُ الذكر عند النوم والانتباه سبب الكَشْفِ ومحبة الله؛ (وداوم) ندباً (علىٰ هذا الترتيب) والتوزيع الحَسَنِ علىٰ ما تقدم (بقية عمرك) أي: في بقيته متلذذاً بمناجاة ربك وتجلِّياته، واستكشاف أسرار عباداته، واستجلاء عرائس مكنوناته في تنزُّلاته، (فإنْ) لم تكن من أهل ذلك و (شَقَّتْ عليك المُدَاوَمَة) عليه (فاصبر صَبْرَ المريض) أي: مثل صبر المريض جسده (علىٰ مَرَارَة الدواء) المُودَع فيه الشفاء للجسد الفاني، بل صَبْرُكَ علىٰ مرارة الطاعة لو فُرِضَ فيها مرارة (انتظاراً للشِّفاء) الأتم شفاءُ القلب محل تنزل شهود الرب «ما وسعتني سماواتي» الحديث؛ أهمُّ في نظر العاقل وأولىٰ.

(وتفكَّرْ) ندباً لأن التفكر من أشرف العبادات[1]

---

(١) قال شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد =

في قِصَرِ عمرك وإِنْ عِشْتَ مائة سنة فـذلك بالإضـافة إلىٰ مُقامـك في الدارالآخرة، وهي أبد الآباد قليل وتأمَّـلْ أنـك كيـف تتحمـلُ المشقة والذل في طلب الـدنيا. . . . .

(في قِصَرِ عمرك) مع عدم تيقنك حياة يوم بل ساعة، (وإِنْ) فرضنا أنك (عِشْتَ مائة سنة) مثلاً، وتخصيصها بالذكر لأنها تكثر في سبب طويل الأمل (فذلك) يعني نحو القصر (بالإضافة إلىٰ مُقامك) بفتح الميم من أوله، وضمها (في الدار الآخرة، وهي أبد الآباد قليل)، بل أقل قليل، وفي نسخة الآبدين بدل الآباد، والأبد: الدهر، وقولهم لأبد الأبد أي: لا آخر له (وتأمَّلْ) أيضاً بمعنىٰ تفكر، كما في نسخة، وتغيير العبارة للتفنن، أو لمعنىٰ، فإنَّ تأمَّلْ، يستعمل فيما إذا كان المعنىٰ خفياً، وفيه غموض، وقد يُدَّعىٰ ذلك هنا بالنسبة لِمَا قبله (أنك كيف تتحملُ المشقة والذل في طلب الدنيا)، والجارُّ والمجرور متعلقُ "تتحمل"، أي: كـيف تتحمل في طلب الدنيا، أو متعلـق بمـا

الحضرمي الشافعي المتوفىٰ عام ١١٣٢ المدفون بمقبرة زنبل العامرة بتريم – رحمه الله ورضي عنه – ونفعنا به في كتابه الماتع: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة: وينبغي أن يكون لك ورد من التفكر في كل يوم وليلة تعين له ساعة أو ساعات، وأحسن الأوقات للتفكر أفرغها وأصفاها وأجدرها في حضور القلب: جوف الليل. (انظر الفصل (ص ٥٥-٦١) وللإمام العارف بالله السيد أحمد مشهور بن طه الحداد المتوفىٰ ٤١٦ في كتابه: مفتاح الجنة كلامٌ مبارك نفيس عن الفكر وأنواعه، وقال: الفكر كحل البصيرة. (انظر ص ١٤١-١٥١).

شهراً أو سنةً رجاءَ أَنْ تستريح بها عَشْرَ سنين مثلاً فكيف لا يَتحمَّلُ ذلك أياماً قلائل رجاءَ الاستراحة أبد الآباد

بعده أي: كيف تتحمل المشقة والذل في طلبها مدة (شهراً أو سنةً) مثلاً (رجاءَ) أي: لرجاء (أَنْ تستريح بها) أي: المشقة المذكورة، والمراد بتحملها (عَشْرَ سنين)، وفي نسخة: عشرين سنة (مثلاً)، وفي الحقيقة: لا تتفق هذه الاستراحة لأحد في هذه المدة، لأن الدنيا[1] ما صَفَتْ لأحد من أهلها، وإنما هذا علىٰ سبيل الفَرْضِ أَنَّ الشخص يتحمل المشقة في المدة المذكورة بمجرد رجاء الاستراحة حتىٰ يُرَتِّبَ عليه مقتضاه، فهو من قبيل إِرْخَاءِ العِنَانِ، (فكيف) بالفاء لا بالواو، كما في نسخة لظهور معنىٰ التفريع، (لا يَتحمَّلُ[2] ذلك) أي: المذكور من المشقة التي لا ذُلَّ معها في تلك المدة المشار إليها آنفاً بقوله: فإن شَقَّت عليك المدوامة، أو المذكور من نحو المشقة التي يتحملها مع الذل في طلب الدنيا، (أياماً) أوقاتاً (قلائل رجاءَ الاستراحة أبد الآباد)، أو المراد أيام حياتك.

---

(١) من أراد أن يعرف وصفَ الدنيا وحقيقتها بصدق بعد بيان الكتاب والسُّنَّة فلينظر في كتاب ذم الدنيا من كتب إحياء الإمام الغزالي – رحمة الله عليه – ليوقن بأن أكثر الناس مغبونون! أفلا يكفينا اسمها؟! وإذا تعكَّر امرؤ من ذِكْر الموت وأهوال البرزخ والآخرة فاعلم أنه من أهلها لا من أهل الآخرة؛ والنجاة في صحبة أهل الآخرة!!!.

(٢) في نسخة (م) لا تتحمل.

ولا تُطِلْ أملَك فيثْقُلَ عليك عملُك، وقَدِّرْ قُرْبَ الموت وقُلْ في نَفْسِك إني أتحمَّل المشقة اليوم فلعلِّي أموتُ الليلةَ وأَصبرُ الليلة فلعلي أموت غداً فإنَّ الموت لا يَهْجُمُ في وقت مخصوص وسِنٍّ مخصوص وحال مخصوص.................

ثم لما أمرك بما يخفف عليك المداومة نَهَاكَ عما يثقل عليك فقال: (ولا تُطِلْ أملَك) للنهي عن تطويله، (فيثْقُلَ) بالنصب (عليك) بسببه (عملُك، وقَدِّرْ) ندباً (قُرْبَ الموت) أي: قرب موتك جداً، وفُسِّر المراد بالتقدير بقوله: (وقُلْ) بلسان الحال (في نَفْسِك) أي: سِرِّك مخاطباً لها، وإنْ سَاعَدَ اللسانُ الجَنان حَسَنٌ، أو قُلْ بلسان المقال؛ لأن القول حقيقة لا يُنسب إلا إليه مع التحدث في نفسك في يومك الذي أنت فيه: (إني أتحمَّل المشقة) في الطاعات (اليوم) أي: في هذا اليوم (فلعلِّي أموتُ الليلةَ) أي: فيها، فيكون آخر أيامي يوم طاعة، (و) قُلْ كذلك في ليلتك التي أنت فيها في نفسك: إني (أصبرُ) علىٰ المشقة (الليلة) أي: فيها: (فلعلي أموت غداً) أي: فيه، وفي الشرح هنا إشارة إلىٰ أسرار بديعة في كلام المصنف وعلة ما سبق.

(فإنَّ الموت) هاذم اللذات، مفرقُ الجماعات الذي ما ذُكِرَ في قليل إلاَّ كثَّره ولا في كثير إلا قلَّله، (لا يَهْجُمُ في وقت مخصوص) كوقت وباء (وسِنٍّ مخصوص) كسن شيخوخة (وحال مخصوص)

ولابد مِنْ هجومه فالاستعداد له أولىٰ من الاستعداد للدنيا وأنتَ تَعْلَمُ أنك لا تبقىٰ فيها إلا مدةً يسيرة ولعله لم يبق من أجلك إلاَّ نَفَسٌ واحد أو يوم واحد. . . . .

كحال سقم[1] وركوب بحرٍ خَطِرٍ، وإن لم يختص بذلك (و) الحال أنه (لابد مِنْ هجومه) عليك فلعله يهجُم عليك عن قرب (فالاستعداد له أولىٰ) أي: مندوب ومتأكد لاسيما بعد طليعة حِلْية الشَّيب[2] ونحوه (من الاستعداد للدنيا) بتحمل مشاقّها، والذلة في طلبها، وأولىٰ ليس علىٰ بابه إلاَّ علىٰ سبيل إرخاء العِنان، وكيف تستعد للدنيا الدنيئة وتتحمل ذُلَّها ومشاقها (وأنتَ تَعْلَمُ) علم يقين (أنك لا تبقىٰ فيها) أي: في دارها أو حياتها (إلا مدةً يسيرة) مطلقاً، أو بالنسبة إلىٰ الآخرة.

(ولعله) أي: الباقي المأخوذ من يبقىٰ أو الضمير للشأن (لم يبق من أجلك) عمرك أو مدته (إلاَّ نَفَسٌ) لأن العمر أنفاس إذا انقضت انقضىٰ، أو المراد إلاّ مدته، وأكده بقوله: (واحد) وهو الأقل بالنسبة لقوله: (أو يوم واحد[3]) مثلاً، وكان القياس علىٰ نَسَق ما تقــــدم إلا

---

(١) يجوز: سُقْم وسَقَم.

(٢) قيل: أقبح شيء يُرىٰ يوم القيامة ذو شيبة بيضاء بيده صحيفة سوداء! ومن أجمع ما رأيت عن الشيب؛ كتاب: الشيب لسعيد كامل الكوسا الصادر في دار الفكر في دمشق في ١٥٧ صفحة، وما ذكرته في ص ١٦.

(٣) في نسخة (م) أو ساعة أو يوم واحد.

فقدِّرْ هذا علىٰ قلبك كلَّ يوم وكلِّفْ نفسَك الصبر علىٰ طاعة الله

يوم واحد أو نَفَس واحد علىٰ سبيل الترقي، فعَدَلَ عنه إلىٰ سبيل التدلِّي لأنه أيضاً من البلاغة بمكان كما في البسملة، ولحكمة أخرىٰ لعلها المطابقة لحال الخاصة والعامة، فإن الخواص يلاحظون أعمارهم بحسب الأنفاس، والعوام يلاحظونها بحسب الأيام، فيقولون غالباً لعلي أموت اليوم، ومثله الليلة، ومن ثَم لما كان هذا شأنهم وهم غالب الناس أُنيط التمثيل بما يلائمهم في حديث: «إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح».

إذا عرفت ما سبق ولَحَظْتَه (فقدِّرْ هذا) المذكور في قولنا: وقد قرب الموت إلىٰ آخره (علىٰ قلبك[1]) أي: في ضميرك، وآثر القلب لأن به العقل والإدراك، (كلَّ يوم) أي: في كل يوم، بل في كل وقت، أو المراد قدر في نفسك القرب المذكور، وأَجْرِ هذا المعنىٰ المحكيَّ بالقول السابق علىٰ قلبك كل يوم، (وكلِّفْ) أي: أَلزم (نفسَك)، لأن التكليف إلزامُ ما فيه كُلْفة، فالمراد أَلزمها (الصبر) ولو بمعنىٰ التصبر (علىٰ طاعة الله) التي هي وظيفة العبد، وكامِلُ العبيد

(١) في نسخة (م) في قلبك.

يوماً فيوماً فإنك لو قدَّرْتَ البقاءَ خمسين سنة وألزمتها الصبرَ علىٰ طاعة الله نَفَرَتْ واستصعبتْ عليك. . . . .

من تلذذ[1] بها (يوماً فيوماً) وقتاً فوقتاً، أو الوقت المخصوص مثلاً، حتىٰ تَهونَ عليك بهذا التقدير تلك المداومة، ويَخفَّ تحمل المشقة، ولا يَثقلَ عليك عملك، والكلام فيمن تَشُقُّ عليه المداومة علىٰ الطاعة، لا فيمن يتلذذ بها أخذاً من قوله السابق: فإن شقت، ومن ثَم عَبَّر بالصبر، وعَلَّلَ ما يضاد ذلك بقوله: (فإنك لو) طَوَّلت أملَك ولم تُقدِّر قُرْبَ الموت وتُمِرَّ علىٰ قلبك ما تقدم، (قدَّرْتَ) بمعنىٰ فرضت (البقاءَ) لنفسك (خمسين سنة) مثلاً، (وألزمتها) أي: والحال أنك كلفتها (الصبرَ) الذي فيه مرارة (علىٰ طاعة الله) تلك المدة الخمسين أو ما شاكلها، لأن الخمسين مثال كما قلناه (نَفَرَتْ) عن مداومة الطاعة وتحمل المشقة نُفْرَةَ الوحش أو أشد (واستصعبتْ) النفس بسبب نفورها (عليك) بأن صارت غير منقادة بسهولة إلىٰ الطاعة استصعاب الدَّابة الشَّرود، فإن النفس الأَمَّارة العاصية أو اللَّوَّامة القاصية شأنها ذلك، أو المراد: فاستصعبت الطاعة بأن صارت علىٰ النفس غالبة لها، وفي الحديث: «لن يُشَادَّ هذا الدين أحد إلاَّ غَلَبَه».

---

(١) كم مِنْ فَرْقٍ بين من يتلذذ بالطاعات والقربات وبين من يقوم بها علىٰ أنها وظيفة يشتهي إسقاطها، أو الفراغ منها بأخصر سبيل؟!!.

فإنْ فَعَلْتَ ذلك فرحتَ عند الموت فرحاً لا آخر له وإن سَوَّفتَ وتساهلتَ جاءك الموتُ في وقت لا تحتسبه وتحسَّرت تحسراً لا آخر له. . . . .

(فإنْ فَعَلْتَ) بنفسك (ذلك) أي: المذكور مِنْ تقدير قرب الموت ونحو ذلك كالصبر، فكيف بالرضا والتلذذ، (فرحتَ) الفرح المحمود (عند الموت فرحاً) عظيماً ممتداً أوله من الموت و (لا آخر له) أي: لا غاية له باعتبار ما تشاهد عنده من نعيم يكِلُّ لسان التعبير عنه، ومن ثم كان محموداً عظيماً لأن الفرح بكسر الراء اسم فاعل، فرحه محمود مؤبد باعتبار أن نعيم الآخرة كذلك، وفي الحديث الشهير: «للمؤمن فرحتان» ولا يُشْكِلُ هذا علىٰ كلامه، لأن الفرح يختلف، والكلام في فرح خاص، ولذا قال: لا آخر له، والمؤمن في الحديث يحتمل أن يراد به الكامل، لا مؤمن فاسق، أو المراد المؤمن من حيث إيمانه، وفي كلام المصنف الفرح من حيث الأعمال.

(وإن سَوَّفتَ) أَخَّرت وماطلت (وتساهلتَ) في ذلك (جاءك الموتُ) فجأة، وهجم عليك (في وقت لا تحتسبه) لا تتطلبه وتتحرَّاه، (وتحسَّرت) عند تسويفك وتساهلت، (تحسراً) عظيماً علىٰ ما فاتك حيث لا ينفع التحسر والندم إذا زلت القدم؛ فإن ذلك التحسر (لا آخر له) بمعنىٰ: لا يُدرك منتهىٰ شدته لفظاعته وعظم هوله، أو لا آخر له باعتبار طول زمن التحسر، علىٰ حَدِّ قوله تعالىٰ: ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ من آية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ النساء/٩٣. علىٰ إحدىٰ

وعند الصَّبَاح تحمد القوم السُّرَىٰ وعند الموت تحمد القومُ التُّقىٰ
وعند الموت يأتيك الخبرُ اليقين. . . . .

التأويلات، فإن إحداها المراد بالخلود طول زمن المكث، وخرج ذلك مخرج الزجر والتهديد، فكذلك هنا.

ولما كانت المصابرة علىٰ الأمر الجميل محمودة العاقبة لا تظهر ثمرتها إلا في آخرة الأمر ناسب أن يُورِدَ ما جَرَىٰ مثلاً في ذلك فقال: (وعند الصَّبَاح) طلوع الفجر (تحمد القوم السُّرَىٰ[1]) أي: السير بالليل بالصباح يتبين لهم قطع مسافة بعيدة، ووصولهم إلىٰ المطلب أو ما قاربه وهذا المَثَل الشهير كناية بديعة في هذا المقام زادها توضيحاً إردافه بما في نسخة من مثل أو كالمثل حيث قال: (وعند الموت تحمد القومُ التُّقىٰ) بل هذا فيه تصريح بالمقصود، وأصرح منه ما هو في كثير من النسخ: (وعند الموت يأتيك الخبرُ اليقين)، وهذا محتمل لأن يكون أخذه المصنف من: وعند جُهَينة[2] الخبرُ اليقــين، المنقول

---

(١) من أمثال العرب: عند الصباح يَحمَدُ القوم السُّرىٰ.
قال المفضل: إن أول من قال ذلك خالد بن الوليد.. قال:

عند الصباح يحمد القوم السُّرىٰ   وتنـجلي عـنهم غيابات الكَـرَىٰ

يضرب المثل للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. (انظر قصة المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢/٣). وفي نسخة (م) يحمد القوم السرىٰ.

(٢) من أمثال العرب المشـهورة، وقـال بعضـهم: جُفَينـة، وقـال بعضـهم: حُفَينـة، ويضرب في معرفة الشيء حقيقةً. انظر قصته في مجمع الأمثال للميداني ٢/٣٥.

فإذ قد أرشدناك إلىٰ ترتيب الأوراد فلنذكر كيفية الصلاة و الصوم وآدابهما..........................

في كتب الأمثال، بل في الحديث، أو ذكره ليكون توطئة من حيث مناسبة اللفظ والمعنىٰ لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ص/٨٨. اقتباساً أو تضميناً لما في التنزيل، أو كالاستشهاد، وفي الشرح بسط.

(فإذ قد أرشدناك) حيث كنت غاوياً (إلىٰ) توزيع الوظائف و (ترتيب الأوراد) قبل النوم وبعده (فلنذكر) الآن إرشاداً لك أيضاً (كيفية الصلاة) التي بها يتحقق ماهيتها كالأركان، بدليل عطف الآداب عليها، ويحتمل وهو الأقرب أن يُراد بالكيفية ما يشمل الواجبات والمندوبات، ولا ينافيه عطف المندوبات عليها؛ بل هو عطف لحكمةٍ في الاهتمام بها لكثرة الغفلة عنها والجهل بها، ومن ثَم خصها بالعنوان فيما يأتي قريباً، بل قَصَرَه عليها، (و) كيفية (الصوم) وسيأتي بعد الآداب، وفي الشرح الإشارة إلىٰ حكمة تقديمه في العنوان وتأخيره في البيان وإلىٰ حكمة تأخر الكيفية والآداب عن الأوراد والإشارة إلىٰ بيان أسرار في عبارة المصنف رحمه الله.

(و) لنذكر (آدابهما) لأنها مكملات، والمراد بعضها المشهور، فإن الحافظ ابن حِبَّان ذكر آداب الصلاة نحو خمسمائة[1] أدب، وإنما

---

(١) وحصل مثل هذا الإحصاء للسيد العلامة أبي المراحم عبد الرحمن بن مصطفىٰ بن شيخ العيدروس – رحمة الله عليه– من سادات باعلوي في الجامع الأزهر في =

والقدوةِ والجمعةِ.

ذكر المصنف ذلك لأنه من المهمات، إذ عِلْمُ الواجب واجبٌ، والمندوبِ مندوبٌ، نعم لا يضر اعتقاد المندوب واجباً، وإنما يضر أن يعتقد بواجب معيَّن النَّفْلِيَّة، علىٰ ما هو مقرر في المبسوطات في مبحث النية، (و)[1] آداب (القدوةِ) المطلوبة تلك الآداب من المقتدي، أو منه ومن المقتدىٰ به علىٰ ما في الشرح، (و) أدب الجماعة و (الجمعةِ) المطلوبة منهما، واستوفيتها مع خصائصها علىٰ وجه وجيز في الشرح، ولما كانت الآداب منتشرة خصَّها بعنوان مع تخليل ذكر الأركان وبعض الشروط فقال:

مصر في حضرة العلماء الكبار فعجبوا ! (انظر القصة وسندها في العرف العاطر للإمام المذكور ص ٣٨).

(١) في نسخة (م) وآداب الإمامة والقدوة.

آداب الصلاة

فـإذا فرغـتَ مـن طهـارة الحَـدَثِ و الخبَـث في البـدن والثيـاب والمكان، ومن سَتْر العورة من السُّـرَّة إلىٰ الركبـة فاسـتقبلِ القبلـةَ

آداب الصلاة

(آدابُ الصلاة) أي: هذه آدابها المهمة أو المشهورة، وكيفية الصلاة كالأركان وبعض شروطها، وكان حق ذلك أن يذكر في العنوان والترجمة، أو يترجم له عند ذكره فيما سيأتي؛ ولكن ترك ذلك لوجهٍ أشرتُ إليه في الشرح، (فإذا) أردت الصلاة و (فرغتَ) مما يتوقف صحتها عليه (من طهارة الحَدَثِ) بقسميه: الأكبر والأصغر، (و) من طهارة (الخبَث) بأقسامه الثلاثة: المغلَّظَ والمتوسط والمخفَّف (في البدن) أي: الخبث الكائن فيه، (والثياب والمكان، و) فرغت (من سَتْر العورة) وهي ما بين السرة والركبة، أي: سترها (من السُّرَّة) يعني ستر جزء منها يتحقق به ستر الواجب؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به واجبٌ، (إلىٰ الركبة) أي: ينتهي إلىٰ جزء منها للعلة السابقة.

وإلىٰ وجوب الاستقبال بالصدر أشار بقوله: (فاستقبلِ) أيها المريد للصلاة القادر علىٰ القيام والاستقبال (القبلةَ) عينَها يقيناً مع

قائماً مُرَاوِحاً بين قدميك بحيث لا تضمُّهُما واستوِ قائماً واقرأ (قل أعوذ برب الناس) تحصناً من الشيطان الرجيم وأَحْضِرْ قلبك و فَرِّغه من الوساوس وانظر بين يدي مَنْ تقوم ومن تناجي واستَحِي أن تناجيَ مولاك بقلب غافل وصَدْرٍ مشحون. . . . .

إمكان علمها ولا حائل، أو ظناً مع فقد ذلك، علىٰ توضيح في المبسوطات، (قائماً) حالة كونك قائماً وجوباً في الفريضة وندباً في النافلة، ولا يتعين استقبالها في نفلٍ سفرٍ مباحٍ لقاصدِ محلٍّ معين، ولا في شدة خوف، وقوله قائماً لا ينافيه وجوب الاستقبال في قعود بدل قيام، لأن البَدَل يقوم مَقام المُبْدَل فيعُطىٰ حكمه (مُرَاوِحاً) أي مفرقاً ندباً (بين قدميك)، وضابطه (بحيث لا تضمُّهُما) هكذا عند المصنف، والأفضل ضبطه بقدر شبر، (واستوِ) وجوباً (قائماً)، فلو وقفت منحنياً أو مائلاً بحيث لا تسمىٰ قائماً لم يصح، وفي الشرح بسط مهم، (واقرأ) ندباً (قل أعوذ برب الناس) إلىٰ آخرها لأنها نافعة في دفع الوساوس وغيرها، ولذا قال (تحصناً) بها (من الشيطان الرجيم) الخناس، (وأَحْضِرْ قلبك و) معناه (فَرِّغه من الوساوس) ونحوها، وهو كل شاغل.ويعينك علىٰ هذا النظر المشار إليه بقوله: (وانظر) بعين التدبر والتفكر والقلب (بين يدي) حضرة (مَنْ تقوم) في صلاتك، (ومن تناجي) فيها، (واستَحِي) إن كنت مؤمناً؛ لأن الحياء صفته (أن تناجيَ مولاك) في أفضل عباداتك الصلاة التي هي صلة بين العبد ومولاه، (بقلب غافل) عنه (وصَدْرٍ) غير سليم (مشحون) أي:

بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات واعلم أنه مطلعٌ علىٰ سريرتك وناظر إلىٰ قلبك وإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتضرُّعك واعبده في صلاتك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. . . . .

المذكور من الصدر والقلب (بوساوس الدنيا) المحذَّر منها، (وخبائث الشهوات) المنهي عنها.

(واعلم أنه) تعالىٰ (مطلعٌ علىٰ سريرتك) ما تسره أو باطنك، (وناظر) تعالىٰ (إلىٰ قلبك) مضغتك وما فيه، أحاط علمه بكل شيء لا يخفىٰ عليه خافية، (وإنما يتقبل الله من صلاتك) المستجمعة شروط الصحة، ومثلها باقي العبادات، (بقدر خشوعك) حضور قلبك وسكون جوارحك فيها، والقبول كناية عن الثواب، أو سببه القريب، والمعنىٰ: وإنما يثيبك بقدر خشوعك (وخضوعك) وفي نسخة: خشوعك وتواضعك (وتضرُّعك) بالدعاء بلسان المقال أو الحال علىٰ سبيل الافتقار والانكسار، وفي قول ضعيف اشتراط الخشوع في جزء منها، واعتمده المصنِّف، ونُقِل عن النَّصِّ، وأغرب منه: القول باشتراطه في جميعها.

وإلىٰ مقام الإحسان المتفاوِتُ فيه أفرادُ الإنسان أشار بقوله: (واعبده) تعالىٰ (في صلاتك) التي فيها قرة العين بحيث (كأنك تراه) رؤية تليق بجلاله حسب استطاعتك، وصح في الحديث: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) بعين علمه تعالىٰ

فإنْ لم يحضر قلبُك بهذه الحِيَل لقصور معرفتك بجلال الله تعالىٰ فقدِّرْ أن رجلاً صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظرُ إليك ليعلم كيف صلاتُك فعند ذلك يحضرُ قلبُك وتسكنُ جوارحك فارجع إلىٰ نفسك فقُلْ لها يا نفسَ السُّوء ألا تستحي من اطلاع خالقِكِ ومولاك

لا يغيب شيء عنه، ولا يخرج عن حَيْطَة قدرته، (فإنْ لم يحضر) يخشع (قلبُك) وتسكن جوارحك (بهذه الحِيَل) الشرعية المتقدمة، وهي تفريغ القلب، واستحضار الاطِّلاع ونحوه؛ وعدم حضوره إما لعدم الإتيان بها أو (لقصور معرفتك) القصور التام (بجلال الله تعالىٰ فقدِّرْ) مثِّل في نفسك، أو افرِضْ في الخارج أو ذهنك (أن رجلاً) مثلاً (صالحاً) قائماً بحقوق الله تعالىٰ وحقوق العباد، والصالح المذكور له بصيرة نافذة للبواطن (من وجوه) أعيان (أهل بيتك ينظرُ) بعين بصيرته أو بصره (إليك) حال صلاتك (ليعلم كيف صلاتُك) في الخشوع، (فعند ذلك) التقدير (يحضرُ قلبُك وتسكنُ جوارحك) وليس الخشوع شرعاً إلا حضوره وسكونها[1].

(فارجع) عن قريب (إلىٰ نفسك) اللوامة (فقُلْ لها) في مقام لومها بتجريد شخص من نفسك تخاطبه: (يا نفسَ السُّوء)، أو يا نفسي كما في نسخة: (ألا تستحي) حق الحياء (من اطلاع خالقِكِ) موجدك الذي لا يَحجب اطلاعَه شيءٌ، (ومولاك) سيدك وناصرك ومالكك

---

(١) حضور القلب وسكون الجوارح ولذا ورد: لو خشع قلب هذا لسكنت جوارحه.

إذ قَدَّرْتِ اطلاعَ عبدٍ ذليل من عباده عليك ليس بيده ضُرك ولا نَفْعُك، كيف خشعتْ جوارحك وحَسُنَتْ صلاتُك؟! ثم إنكِ تَعلَمين أنه مطلع عليكِ ولا تخشعين لعظمته أهو أَقَلُّ عندكِ مِنْ عَبْدٍ من عباده؟! فما أَشَدَّ طغيانَك وجهلَك وما أعظمَ عداوتَك لنفسِك

(إذ قَدَّرْتِ) من التقدير بالمعنىٰ السابق (اطلاعَ عبدٍ ذليل) وإن كان صالحاً (من عباده عليك) علىٰ صلاتك (ليس بيده ضُرك) بفتح أوله وضمه (ولا نَفْعُك، كيف) في حال صلاتك (خشعتْ) بمعنىٰ سكنت (جوارحك) عن الغيب (وحَسُنَتْ صلاتُك؟!) بسبب فرضك أو علمك اطلاع العبد الصالح وتحسينُها أداؤها بآدابها، وفي الشرح هنا مزيد علىٰ هذا.

(ثم إنكِ) أيتها النفس (تَعلَمين) وفي نسخة تعلم خطاباً له (أنه مطلع عليكِ) ظاهراً وباطناً (ولا تخشعين)، وفي نسخة تخشع، أي: تستحضري وتسكني، أو تستحضر وتسكن (لعظمته) وجلاله تعالىٰ، (أهو) سبحانه (أَقَلُّ) أي: ليس هو أقل (عندكِ) أيها الشخص، أو أيتها النفس (مِنْ عَبْدٍ من عباده؟!)، فإذا لم يكن كذلك (فما أَشَدَّ طغيانَك) أي: مجاوزتك للحد في العصيان (وجهلَك) المركب والدليل علىٰ هذين: عدم جَرْيك علىٰ مقتضىٰ العلم النافع والعمل الصالح، (وما أعظمَ عداوتَك) أيها الشخص، أو أيتها النفس (لنفسِك) لذاتك، أو نفسك المجرَّدة السابق بيانها، والتصريح بالنفس هنا يؤيد أن الخطاب للشخص الموافق نسخة تعلم وتخشع لا تخشعين وتعلمين فحيث

فعالِجْ قلبَكَ بهذه الحيل فعساه يحضُرُ معك في صلاتك فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عَقَلْتَ منها وأما ما أَتَيْتَ به مع الغفلة فهو إلىٰ الاستغفار والتكفير أحوجُ. . . . .

كانت فيك هذه الأَشَدِّيَّة والعداوة (فعالِجْ قلبَكَ) الذي بصلاحه صلاح جسدك (بهذه الحيل) المتقدم ذكرها كلها أو بعضها، (فعساه) بها أو بالعلاج (يحضُرُ معك) الحضور التام الذي هو عبارة عن الخشوع (في صلاتك) ومن علاماته رِقَّةٌ فيه وقُشَعْرِيرة واستكمال لآدابها (فإنه ليس لك) في الآخرة (من صلاتك إلا ما عَقَلْتَ) عَلِمْتَ وخشعت فيه (منها)، لكن سبق أن الخشوع ليس شرطاً في الصحة علىٰ المعتمد، لكن المصنِّف اعتمد شريطته في جزء منها[١].

وإليه يشير بقوله: (وأما ما أَتَيْتَ به) من أركانها وسننها (مع الغفلة) القلبية (فهو إلىٰ الاستغفار) طلب الغَفْر (والتكفير) بالصدقة والاستغفار ونحوهما، أو عطفه كعطف تفسير وبيان للمراد بالاستغفار، (أحوجُ) من حيث تصحيحُه وتحصيلُ الثواب، أو من حيث هما، وفي "الإحياء" إن لم يحضر فسببُه ضعف الإيمان فاجتهد

---

(١) إذ الخشوع روح الصلاة وجوهرها وما قيمة الصورة إن فقدت سِرَّها وروحها؟ ويُشبِّه الإمام - رحمة الله عليه - حال الذي يصلي بلا خشوع كمن يهدي مَلِكاً جارية ميتة فهو إلىٰ استحقاق العقاب والمؤاخذة أقرب من استحقاق الثواب والمكافأة! فيارب أعِنَّا علىٰ القيام بحقِّ الصلاة المرضية.

وإذا حضر قلبُكَ فلا تترك الإقامة وإن كنتَ وحدك وإن انتظرتَ حضورَ جماعة فأذِّنْ ثم أقِمْ فإذا أقمتَ فانْوِ وقُلْ بقلبك أُؤدي فرضَ الصلاة لله تعالىٰ وليكنْ ذلك حاضراً..............

في تقويته.

(وإذا حضر) لخشع (قلبُكَ) وإن لم تخشع جوارحك (فلا تترك) ندباً (الإقامة) ولو لفائتة، لأنها سنة وقيل واجبة، (وإن كنتَ وحدك) -ولو في مسجد أقيمت فيه جماعة- لكن ائت بها سراً (وإن انتظرتَ) انتظار رَاجٍ (حضورَ جماعة) ولو قليلة (فأذِّنْ) ندباً للإعلام بالوقتِ والعمل بالسنة، نعم في مسجد أقيمت فيه جماعة وذهبوا أَذِّنْ سِراً (ثم أقِمْ) ندباً إذا دخل وقت الإقامة وهو وقت قرب دخول الإمام أو رؤيته بحيث لا يطول عرفاً بين الإقامة وتكبيرة الإحرام.

(فإذا أقمتَ) الإقامة المندوبة (فانْوِ) النية الواجبة المقارنة للتكبيرة، (وقُلْ) ندباً، لأن النطق بالنية سنة مقارناً لنيتك، (بقلبك) لتساعد، ولها كيفيات منها (أُؤدي) ومثلها أصلي (فرضَ الصلاة) الظهر، وفي نسخة فرض الظهر مثلاً، ولابد في الفرض من نية فعل الصلاة الفرضية ولو في المعادة، وصلاة الصبح والتعيين ظهراً أو غيرها، وفي النفل من قصد الفعل والتعيين في نحو ذات الوقت، ويندب الإضافة (لله تعالىٰ)، بل قيل يندب أن يقول: أصلي صلاة كذا فرضاً أداء أربع ركعات مستقبلاً لله تعالىٰ؛ (وليكنْ) ندباً (ذلك) أي: هذا المذكور كله (حاضراً) مستحضراً وجوباً فيما يجب وندباً فيما

في قلبك عند تكبيرك ولا تعزُبْ نيتُك قبل الفراغ من التكبير وارفع يديكَ عند التكبير بعد إرسالهما أولاً حذوَ مَنكِبَيكَ وهما مبسوطتان وأصابعُهما. . . . .

يندب، (في قلبك عند تكبيرك) للإحرام ناطقاً بالنية قبيل التكبيرة، (ولا تعزُبْ) وجوباً (نيتُك) السابق بيان كثير مما يعتبر فيها قبل بيان النية المندوبة بحيث ينتفي العزوب (قبل الفراغ من التكبير) للإحرام بحيث تحصل المقارنة العرفية علىٰ ما في الشرح، وفيه أيضاً بيان جميع ما يعتبر في النية الواجبة والمندوبة، وبيان ما اعتمده المصنف تبعاً لإمامه، وما اعتمده الشيخان وغير ذلك من المهمات المتعلقة بتكبيرة الإحرام صحة وفساداً، أو ندباً وإيجاباً.

(وارفع) ندباً متأكداً للاتباع، وفي قول بالوجوب علىٰ ما في الشرح، (يديكَ) ولو مضطجعاً (عند التكبير) للإحرام[1]، ومثله تكبير الانتقال ناظراً قبل الرفع والتكبير إلىٰ موضع السجود، ومع إطراق قليل (بعد إرسالهما أولاً حذوَ) أي: مقابل (مَنكِبَيكَ) وفي نسخة: أولاً إلىٰ منكبيك، (وهما) أي: اليدان بمعنىٰ الكفين (مبسوطتان) متوجهتان إلىٰ القبلة، بحيث يقع الاستقبال ببطونهما (وأصابعُهما

---

(١) قال في الشرح: لنَقْل نحو أربعة وخمسين صحابياً فعله عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم اهـ وهذا مما يدل علىٰ العناية العظيمة لنقل أمور الصلاة وشؤونها النبوية فلا غرو هي خير موضوع؛ كما قال أعظم متبوع صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

منشورةٌ لا تتكلفُ ضَمَّها ولا تفريجها وارفعْ يديك بحيث تُحَاذي بإبهاميك شَحْمَةَ أذنيك و برؤوس أصابعك أعلىٰ أذنيك وتُحاذي بكفيك أعلىٰ منكبيك فإذا استقرَّتا في مَقَرِّهما فكبِّر ثم أرسلهما برفق، ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلىٰ قُدَّام دفعاً ولا إلىٰ خَلْفٍ، ولا تنفُضُهما يميناً وشمالاً. . . . .

منشورةٌ) غير مضمومة وتفريجها تفريجاً وسطاً علىٰ المعتمد، بحيث (لا تتكلفُ ضَمَّها ولا تفريجها[1]) التفريج المفرط، بخلاف الوسط فإنه مندوب كما سبق.

(وارفعْ يديك) ندباً (بحيث تُحَاذي) تقابل وتوازي (بإبهاميك) أي: برأسهما (شَحْمَةَ أذنيك) بضم الهمزة، (و) تحاذي (برؤوس أصابعك) الباقية (أعلىٰ أذنيك)، وفي نسخة: أعالي أذنيك (وتُحاذي) توازي (بكفيك أعلىٰ منكبيك) وهذه الكيفية نص عليها الشافعي أخذاً من مجموع أحاديث (فإذا استقرَّتا) مطمئنتين (في مَقَرِّهما فكبِّر) أي: أتم التكبير ليوافق قوله فيما سبق وارفع يديك عند ابتداء التكبير ويوافق المعتمد في المسألة المبين في الشرح، (ثم أرسلهما) ندباً (برفق، ولا تدفع) ندباً (يديك عند الرفع) بهما (والإرسال) لهما (إلىٰ قُدَّام)، وأكَّده بقوله: (دفعاً)، (ولا) تدفعهما الدفع المذكور عند الرفع والإرسال (إلىٰ خَلْفٍ، ولا تنفُضُهما) نـدباً (يميناً وشمالاً) أي:

---

(١) في نسخة (م) ضمها ولا تفريجهما.

فإذا أرسلتَهما فاستأنف رفعَهما إلىٰ صدرك وأكرم اليمينَ بوضعها علىٰ الشِّمال، وانشُر أصابع اليمَين في طولِ ذراعِ اليسرىٰ واقبض بها علىٰ كُوعها وقُلْ بعد التكبير: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. ثم اقرأ:

لا يميناً ولا شمالاً، (فإذا أرسلتَهما) هذا الإرسال المندوب (فاستأنف) ندباً (رفعَهما إلىٰ صدرك) بحيث يكونان بين السُّرَّة والصَّدْر، وفي الشرح هنا بيان مسألة مهمة.

(وأكرم) ندباً اليد (اليمينَ بوضعها علىٰ) اليد (الشِّمال، وانشُر) ندباً (أصابع اليمَين[1] في طولِ ذراعِ اليسرىٰ) أو انشر الوسطىٰ والسبابة، (واقبض بها) أي: باليمين علىٰ إرادة القبض بكفها وأصابعها المفصل (علىٰ كُوعها) كوع اليسرىٰ، وهذه إحدىٰ كيفيات تحصل السنة بها.

(وقُلْ) ندباً (بعد التكبير) للتحرم ما رواه مسلم: (الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً) وهذا من دعاء الافتتاح، كما بينته في الشرح، وبيَّنت فيه أيضاً الذكر المطلوب قبل التكبير.

(ثم اقرأ) ندباً في غير صلاة جنازة سراً المشهور من دعائه وهـــو

---

(١) في نسخة (م) اليمنىٰ.

وجهتُ وجهيَ للذي فطر السموات والأرض. إلىٰ آخرها للاتباعِ ثم قُلْ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم اقرأ الفاتحةَ لا تُخِلّ بتشديداتها واجتهد في الفَرْقِ بين الضاد والظاء..........

أفضله: (وجهتَ وجهيَ) أي: ذاتي أو وجهتي (للذي فطر السموات والأرض، إلىٰ آخرها)، وفي نسخة آخره أي: الدعاء (للاتباع) كما في الحديث الصحيح، ويزيد المنفرد ونحوه في دعائه: اللهم إن الملك، الخ..، وهو مبين في الشرح طويته هنا اختصاراً، (ثم) بعد سكتة لطيفة استُحبت بين الافتتاح والتعوذ (قُلْ) ندباً سراً قبل القراءة في كل ركعة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وهي أفضل من أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقيل هذه أفضل وفي الشرح هنا بيان ما يَفُوتُ به الافتتاح وبيان غيره[1].

(ثم) بعد سكتة لطيفة (اقرأ الفاتحةَ) ومنها البسملة بحيث (لا تُخِلّ بتشديداتها) الأربع عشرة، قال في "العباب" لو خففتَ تشديد بسم الله عمداً بطلت الصلاة، وفي مسألة التشديد والإبدال كلام مهم في الشرح لا يليق بهذا المختصر، (واجتهد في الفَرْقَ) أي: فرقك في لفظك (بين الضاد والظاء) لأن إبدال أحدهما بالآخر من القادر مُبْطِلٌ

---

(١) قال: يفوت بالتعوذ، وبجلوس المسبوق مع الإمام، وقيل: إن يجلس لم يفت، كما لا يفوت بالتأمين مع الإمام. (بتصرف).

. . . .

للقراءة، وكذا للصلاة إن تعمَّدَ علىٰ وقفة فيه ولكلام في الشرح، قال بعض مشايخي أخذاً من "شرح المهذب": ومن الإبدال المبطل النطق بالقاف مترددة بينها وبين الكاف في المستقيم، وفيما قاله رضي الله عنه حرج عظيم بالنسبة ليماني ونحوه، والذي اعتمده شيخ الإسلام زكريا وغيره عدم البطلان مطلقاً، وهو الأوجه، وأشبعتُ الكلام في الشرح[1].

---

(١) وجاء في بغية المسترشدين للسيد عبد الرحمن المشهور باعلوي: اختلف العلماء في النطق بقاف العرب المترددة بينها وبين الكاف فقال كثيرون: تجزي القراءة بلا كراهة، منهم المزجّد والشيخ زكريا في شرح البهجة وابن الرفعة وعلماء حضرموت وأولياؤها.. وكان يصلي بالناس في جامع مدينة تريم بهذه القاف المذكورة الشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب ويقتدي به الأكابر كالقطب الحداد والعلامتين أحمد الهندوان وعبد الله بن أحمد بلفقيه واختار صاحب البغية: عدم الإنكار علىٰ من يقرأ في الصلاة وخارجها بقاف العرب أو المعقودة إذ كل منهما قائل بصحتها أئمة لا يحصون.. ومن قدر علىٰ النطق بالمعقودة علىٰ وجهها من غير شائبة بغيرها مع صفاء ما قبلها، ومن غير رياء وتكلف مناف للخشوع فالأولىٰ له القراءة بها؛ وإلا فالأولىٰ بل المتعين النطق بالأخرىٰ، وهذا شأن الكثير، ولعل هذا هو السبب في اختيار سلفنا لقاف العرب، وكفىٰ بهم أسوة. (أنظر ص ٦٧-٦٨).

وللسيد العلامة محمد بن عبد الله البار(ت ١٣٤٨هـ) منظومة في هذه المسألة سماها: " المشرب الأعذب في صحة النطق بقاف العرب" طبعت بمصر. انظر [الكلام علىٰ القاف المترددة] (ص١٠٨-١١٠) من كتاب البلابل الصادحة علىٰ أغصان سورة الفاتحة تأليف العلامة عبد الله بن أبي بكر با شعيب الأنصاري التريمي الحضرمي الشافعي المتوفىٰ ١١١٨.

وقل: آمين. ولا تَصِلْه بقولك (ولا الضالين) وصلاً واجهر بالقراءة في الصبح و المغرب والعشاء أعني في الركعتين الأوليين إلا أن تكون مأموماً فلا تجهر والجهرُ بالتأمين واقرأ في صلاة الصبح بعد الفاتحة من السور طِوال المُفَصَّل.............

(وقل) ندباً (آمين) بتخفيف الميم مع المد أو القصر والمد أولىٰ بمعنىٰ استجب، فإنْ شددها مع القصر أو المد علىٰ معنىٰ قاصدين جاز، وآمين طابع للدعاء، وقيل الاسم الأعظم، (ولا تَصِلْه) أي: لفظه (بقولك) في آخر الفاتحة (ولا الضالين وصلاً) بل افصل بينهما فصلاً يسيراً بسكتة لطيفة.

(واجهر) ندباً إماماً أو منفرداً (بالقراءة) للفاتحة والسورة (في) أداء (الصبح و) أولىٰ (المغرب والعشاء)، ولما كانت العبارة موهمة رَفَعَ التوهم بقوله: (أعني في الركعتين الأوليين) منهما (إلا أن تكون مأموماً فلا تجهر) بها مطلقاً ويندب الجهر في مقضية فرضاً كانت أو نفلاً قبل طلوع الشمس، وفي الجمعة بالنسبة للإمام والمسبوق فيها علىٰ ما هو مقرر في محله (والجهرُ) في الجهرية إماماً أو مأموماً، وفي "العباب" أو منفرداً (بالتأمين) عند قولك أو استماع من الإمام ولا الضالين، فإن تركه الإمام ندب للمأموم جهراً.

(واقرأ) ندباً إن كنت منفرداً أو إمام محصورين بشرطه المبين في الشرح والمبسوطات، (في صلاة الصبح) في غير السفر كما سيأتي (بعد الفاتحة من السور طِوال) بكسر الطاء وضمها (المُفَصَّل) لكثرة

وفي المغرب من قِصَاره وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو: (والسماء ذات البروج) وما قاربها وفي الصبح في السفر: (قل ياأيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) ولا تَصِلْ آخرَ السورة بتكبيرةِ الركوع، ولكن افصِلْ بينهما بمقدار: قولك سبحان الله. وكُنْ في جميعِ قيامك مُطْرِقاً..................

الفصل بين سوره، وأوله: الحُجُرات علىٰ المعتمد من أقوال ستة مبينة، ودليل المسألة في الشرح (وفي المغرب من قِصَاره) كالإخلاص، وفي الشرح هنا فوائد ملائمة، (وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو: والسماء ذات البروج) إلىٰ آخرها (وما قاربها) أي: البروج، لكن في الحديث أنه صلىٰ الله عليه وسلم كان يخفف العصر، (وفي الصبح في السفر: قل ياأيها الكافرون) إلىٰ آخرها في الركعة الأولىٰ (وقل هو الله أحد) إلىٰ آخرها في الثانية، أو فيهما بالمعوذيتن لحديث فيهما، وبينته في الشرح كالمواضع التي استحبت فيها السورتان الأوَّلتان، وفي حديث أنه صلىٰ الله عليه وسلم صلىٰ الصبح في الحضر بهما.

(ولا تَصِلْ) ندباً (آخرَ السورة) بعد الفاتحة، أو هي إن اقتصرتَ عليها (بتكبيرةِ الركوع، ولكن افصِلْ) ندباً (بينهما بمقدار) زمن (قولك سبحان الله)، وعِلَّةُ ذلك- مع ما يشتغل به بين السكت والتأمين وغير ذلك- ذكرتُه في الشرح.

(وكُنْ) إن أردتَ السنة (في جميعِ قيامك) وبدله (مُطْرِقاً) بلا

قاصراً نظرك علىٰ مُصَلاَّك فذلك أَجْمَعُ لِهَمِّكَ وأجدرُ لحضور قلبك وإياك أن تلتفتَ يميناً وشمالاً في صلاتك ثم كَبِّر للركوع وارفع يديك كما سبق ومُدَّ التكبير إلىٰ الركوع ثم ضع راحتيك علىٰ ركبتيك.........................

مبالغة (قاصراً نظرك علىٰ مُصَلاَّك) موضع سجودك، ولو في المسجد الحرام بحيث لا ترىٰ الكعبة، وقيل فيه إليها، (فذلك) أي: النظر إلىٰ الموضع هو السنة، والمعنىٰ فيه أنه (أَجْمَعُ لِهَمِّكَ) فلا يفرقُه فيه، (وأجدرُ) أحق (لحضور قلبك)، وهذا الحضور هو المراد بجَمْع الهَمِّ السابق، والحضور بمعنىٰ الخشوع هو عماد الصلاة، والوسيلة إلىٰ حصول ثوابها وقربها وصلاتها، ومن ثم حذَّر مما ينافيه بقوله: (وإياك أن تلتفتَ) بصدرك، بل ولا بوجهك (يميناً وشمالاً في صلاتك) فإنه بالوجه لغير حاجة مكروه أو خلاف الأولىٰ، وبالصَّدْر حرام مبطل.

(ثم كَبِّر) ندباً (للركوع وارفع) ندباً فيه (يديك كما سبق) في الرفع عند الإحرام، وفي الشرح هنا كلام مهم فراجعه (ومُدَّ) ندباً (التكبير) حالة القيام أو ابتداء الهُوِي[1] المعبر عنه بقوله: (إلىٰ الركوع) لئلا يخلو جزء من صلاتك عن الذكر، (ثم ضع) ندباً (راحتيك علىٰ ركبتيك) متفرقتين لما ورد: وَضَعَ راحتيه علىٰ ركبتيه، بل صَحَّ: أُمِرنا

---

(١) هوىٰ يهوي من باب ضرب هوياً بضم الهاء وفتحها (المصباح/هوىٰ) أو الهوي (بالفتح): للإصعاد، والهوي (بالضم): للانحدار (القاموس/الهواء).

وأصابعُك منشورةٌ وانصِبْ ركبتيك ومُدَّ ظهرك وعنقك ورأسَك مستوياً كالصَّفِيحة الواحدة وجَافِ مرفقيك عن جَنْبيك والمرأةُ لا تفعل ذلك وقُلْ: سبحان ربي العظيم.

أن نضع أيدينا علىٰ الرُكَب، (وأصابعُك منشورةٌ) مفرقة وسطاً إلىٰ القبلة مبسوطة علىٰ ساقيك، قيل وهو معنىٰ قول بعضهم: ويأخذ ركبتيه بكفيه متفرقة، وفي الشرح شواهد ذلك من السنة.

(وانصِبْ) ندباً (ركبتيك) بنصب ساقيك وفخذيك للاتِّباع، والمعنىٰ فيه أنه أعون علىٰ مَدِّ الظهر والعنق المشار إلىٰ ندبه بقوله: (ومُدَّ) أي: ندباً (ظهرك وعنقك) مستويين، (ورأسَك مستوياً) معهما لا ينخفض عن الظهر ولا يرتفع عنه، حتىٰ يكون استواء الظهر والعنق، أو استواؤهما مع الرأس (كالصَّفِيحة الواحدة) للاتباع، (وجَافِ) بمعنىٰ: باعد ندباً (مرفقيك) بفتح الميم وكسر الفاء، وبالعكس (عن جَنْبيك) وبطنَك عن فخذيك؛ لأن ذلك كله يسن للرجل ولا يسن للمرأة، ومن ثَمَّ قال: (والمرأةُ) ولو صغيرة (لا تفعل) علىٰ سبيل الاستحباب (ذلك)، بل تَضُمُّ بعضها إلىٰ بعض، بل يستحب لها خلافه بل عن نَصِّ "الأم" في السجود يجب، ومثلها الخنثىٰ لأنه أستر وأحوط.

(وقُلْ) ندباً سراً (سبحان ربي العظيم[1]) وبحمده، وأفضل منه

---

(١) في نسخة (م) زيادة: ثلاثاً.

وإِنْ كنتَ منفرداً فالزيادة إلىٰ السبعة أو العشرة حَسَنٌ ثم ارفع رأسك حتىٰ تعتدلَ قائماً وارفع يديك قائلاً: سَمِعَ الله لمن حمده. فإذا استويتَ فقُلْ: ربنا ولك الحمد مِلْءَ السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بَعْدُ. . . . .

قول ذلك ثلاثاً من غير زيادة عليها إن كنت إماماً لغير راضٍ بالتطويل والزيادة، فإن أقله سبحان الله أو ربي، فأدنىٰ كماله سبحان ربي العظيم ثلاثاً، (وإِنْ كنتَ منفرداً) أو إمام جَمْعٍ محصورين راضين بالتطويل (فالزيادة إلىٰ السبعة أو العشرة) بإدخال الغاية في المُغَيَّا، (حَسَنٌ) أي: مندوب، وعبارة غير المصنف إلىٰ أحد عشر، وفي الشرح هنا مهمات.

(ثم ارفع رأسك) غير قاصد بالرفع غيره كفَزَع (حتىٰ تعتدلَ) تستوي (قائماً) مطمئناً في اعتدالك، (وارفع) ندباً (يديك) مع ابتداء رفع رأسك مستمراً إلىٰ انتهائه (قائلاً) في حال ارتفاعك ولو إماماً أو مبلغاً: (سَمِعَ الله لمن حمده) أي: تقبله أو قَبِلَه وجازاه عليه، ويجهر به الإمام والمبلغ، ولا نظر لعدم جهره به في مكة (فإذا استويتَ) قائماً نُدِبَ لك إرسال يديك إلىٰ تحت صدرك علىٰ ما في الشرح، (فقُلْ) ندباً (ربنا) لك أو (ولك الحمد)، وبالواو أفضل كزيادة حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (مِلْءَ السموات) بنصب ملء ورفعها مالئاً، (وملء الأرض) أي: الأرضين، لثبوت تعددها في السنة، لكن الإفراد هنا لنكتة (وملء ما شئت من شيء بَعْدُ) أي: بعدهما كالكرسي

أهلُ الثناء والمَجْدِ أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عَبْدٌ لا مانعَ لِمَا أَعطيتَ ولا مُعطي لما منعتَ ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ. فإنْ كنتَ في فريضة الصبح فاقرأ القنوتَ في الركعة الثانية في اعتدالك عن الركوع. . . . .

والعرش وغيرهما.

ويزيد ندباً المنفردُ وإمامُ محصورين راضين بالتطويل، بل في "المجموع" عن الأصحاب لا يزيد الإمام علىٰ: ربنا لك الحمد (أهل الثناء) المدح، وفي أهل الرفع والنصب، أي يا أهل الثناء (والمَجْد) العظمة، (أحقُّ) بالرفع (ما قال العبدُ، وكلُّنا) بضم اللام (لك عَبْدٌ) وهو يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ والمَلَك والإنس والجن، وأراد عبيده، وهذه جملة معترضة بين مبتدأ وخبر المبتدأ أحق، والخبر: (لا مانعَ لِمَا أَعطيتَ) أي: أعطيته، (ولا مُعطي لما منعتَ) أي: منعته، (ولا يَنفع ذا الجَدِّ) بفتح الجيم، أي: الغنىٰ والحَظِّ (منك الجَدُّ) بالفتح أيضاً، وقيل: بالكسر فيهما، وعليه قيل معناه: لا ينفع ذا الإسراع في الهرب إسراعُه، وعلىٰ الأولىٰ لا ينفع ذا الغنىٰ والحظ عندك غناه، بل لا ينفعه إلا العمل الصالح.

(فإنْ كنتَ في فريضة الصبح فاقرأ) ندباً بعد الذكر الراتب المعنِيِّ بقوله: من شيء بَعْدُ، (القنوتَ) نحو: اللهم اهدني إلىٰ آخره، (في الركعة الثانية) من الصبح (في اعتدالك عن الركوع) لأن حديثه أصح، ورواتُه أكثر وأحفظ من حديثه قبل الركوع، فاقرأ أيضاً في اعتدال

ثم اسجد مكبراً غير رافعِ اليدين وضع أولاً علىٰ الأرض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفةً، وضَعْ الأنفَ مع الجبهة وجَافِ مرفقيك عن جنبيك وأَقِلَّ بطنك عن فخذيك والمرأةُ لا تفعل ذلك

أخيرة الوتر في النصف الآخر من رمضان، وفي اعتدال آخرةِ باقي المكتوبات لنازلة عامَّةٍ بالمسلمين، أو لنازلة ببعضهم إن عاد نفعه عليهم كعالم أو شجاع فينتفعون به.

(ثم اسجد) وجوباً السجدة الأولىٰ (مكبراً) ندباً من أول هُوِيِّك ماداً له إلىٰ سجودك (غير رافعِ اليدين) ندباً، (وضع) ندباً (أولاً) أي: أول الأمر قبل أن تضع شيئاً (علىٰ الأرض) أي المحل: (ركبتيك) وقدميك، (ثم يديك) كفيك مكشوفتين معتمِدتين منشورتي الأصابع للقبلة، وكذا يندب حال السجود كشف القدمين ونصبهما وإبرازهما من الثوب وتوجيه أصابعهما للقبلة، (ثم) ضع (جبهتك) ندباً، فوضعُها بعد اليدين سنة كوضعها (مكشوفةً، وضَعْ) ندباً (الأنفَ) حالة كونه مكشوفاً، فوضعه سنة ككشفه، لكن وضعه (مع الجبهة) وفي الشرح بسط.

(وجَافِ) ندباً (مرفقيك) وسبق ضبطه، (عن جنبيك) لحديث في "مسلم" ولأنه أكمل في التواضع (وأَقِلَّ) أي: ارفع ندباً (بطنك عن فخذيك) بفتح الفاء وكسرها مع سكون الخاء وكسرها علىٰ ما بينته في الشرح، (والمرأةُ) لا يندب لها ذلك و (لا تفعل ذلك) الإقلال والمجافاة، بل يُندب لها أن تضم بعضها إلىٰ بعض في جميع الصلاة،

وضَعْ يديك علىٰ الأرض حَذْوَ منكبيك ولا تفرُشْ ذِراعيك علىٰ الأرض وقُلْ: سبحان ربي الأعلىٰ ثلاثاً أو سبعاً أو عشراً. إن كنتَ منفرداً ثم ارفع من السجود مكبراً حتىٰ تعتدلَ جالساً واجلس علىٰ رجلك اليسرىٰ وانصِبْ قدمك اليمنىٰ. . . . .

ويندب للرجل أن يفرق بين ركبتيه وفخذيه ويكون التفريق قدر شِبْر، (وضَعْ) ندباً (يديك) كفيك (علىٰ الأرض حَذْوَ) مقابل (منكبيك) للاتباع (ولا تفرُشْ ذِراعيك علىٰ الأرض) للنهي عنه وحالة العذر لا يشملها.

(وقُلْ) ندباً سراً في كل من سجدتيك، (سبحان ربي الأعلىٰ) لحديث "مسلم" وغيره بزيادة وبحمده، وأصل السُّنَّة يحصل بهذه التسبيحة أو نحوها مرَّة، وأكمل منها وهو أدنىٰ الكمال أن يسبح بذلك (ثلاثاً)، وأكمل منه أن يسبح خمساً (أو سبعاً) الأكمل من الخمس: أو تسعاً (أو عشراً) الأكمل مما قبله: أو إحدىٰ عشرة، وهو غاية الوارد في التسبيح علىٰ ما وقفت عليه، لكن لا يندب الزيادة علىٰ الثلاث إلا (إن كنتَ منفرداً) أو إماماً لمحصورين راضين بالتطويل.

(ثم ارفع) رأسك، وفي نسخة ارتَفِعْ (من السجود) حالة كونك (مكبراً) ويسن إدامة التكبير (حتىٰ تعتدلَ) من سجودك (جالساً) منه، (واجلس) ندباً (علىٰ رجلك اليسرىٰ) جِلسة الافتراش في التشهد الأول، بأن تجلس علىٰ كعب يسراك بحيث يلي ظهرها الأرض وتنصب يمناك، وإليه أشار بقوله: (وانصِبْ قدمك اليمنىٰ) بحيث

وضَعْ يديك علىٰ فخذيك والأصابعُ منشورة وقُلْ: رَبِّ اغفر لي وارحمني واجبُرْني وارفعني وارزقني واهدني وعافني واعفُ عَنِّي. ثم اسجد السجدة الثانية كذلك ثم اعتدل جالساً..........

تضع بطون أصابعها علىٰ الأرض ورؤوسها إلىٰ القبلة، (وضَعْ) ندباً كالنصب (يديك علىٰ فخذيك) قرب ركبتيك بحيث تسامِتُ رؤوسُ الأصابع الركبتين (والأصابعُ) من يديك (منشورة) للقبلة قيل يندب نشرها وضمها، ولا بأس بانعطاف أطرافها علىٰ الركبة، وفي الشرح بسط يُحتاج إليه.

(وقُلْ) ندباً (رَبِّ اغفر لي) ويكرره مرتين (وارحمني واجبُرْني وارفعني وارزقني واهدني وعافني)، وعلىٰ هذا الذكر السابق-الذي ذكره المصنف وذكرته-اقتصر "المنهاج" وغيره من الجماهير، وجاءت به السنة في هذا المحل، زاد المصنف في هذا الكتاب "والإحياء": (واعفُ عَنِّي) لمناسبته لما قبله، ولعموم طلبه الصادق بهذا المحل، أو لدليل خاص لم نقف عليه، ولعل الله تعالىٰ أن يفتحَ به، وفي الشرح توجيه وشواهد ولطائف تتعلق بهذه الدعوات وخصوص هذه الكلمات.

(ثم اسجد) وجوباً بالنسبة إلىٰ أصل السجود، وندباً بالنسبة إلىٰ آدابه (السجدة الثانية)، وإلىٰ ما قدمتُه أشار بقوله: (كذلك) أي: مثل سجدتك الأولىٰ في واجباتها وآدابها، (ثم اعتدل) أي: قم من السجود مستوياً مكبراً بلا رفع ليديك (جالساً) جلسة لطيفة

للاستراحة في كل ركعة لا تَشَهُّدَ عَقيبها ثم تقومُ فتضَعُ اليدين علىٰ الأرض ولا تُقَدِّمْ إحدىٰ رجليك في حالة الارتفاع وابتدئ بتكـبيرة الارتفاع عند القرب من ابتداء جِلسة...............

(للاستراحة) مفترشاً في جلوسك هذا، وفي الشرح هنا مسألة نفيسة مختلف فيها[1]، ويندب أن تكون هذه الجلسة للاستراحة التي نُدب فيها الافتراش (في كل ركعة لا تَشَهُّدَ عَقيبها) بمثناة تحتية بعد القاف، ويجوز إسقاطها، قيل: وضابط هذه الجلسة أن محلها عقب كل سجدة يقام منها، وفي الشرح بسط وتفاريع مهمة.

(ثم تقومُ) ندباً من جلسة الاستراحة، ومثل القيام عنها القيامُ عن السجود عند تركها أو عن قعود أو تشهد، وفي نسخة صحيحة قبل هذه المقالة: ثم تسجد إلىٰ أن قال: ثم تعتدل إلىٰ آخره، ويشهد لهذه النسخة قوله هنا: ثم تقوم (فتضَعُ) ندباً (اليدين) أي: بطن الكفين (علىٰ الأرض) علىٰ سبيل الاعتماد، ولم يصح النهي عنه، وفي الشرح الكلام علىٰ حديثه والحديث الشاهد بخلافه.

(ولا تُقَدِّمْ) نـدباً (إحـدىٰ رجليك في حالة الارتفاع) للنهوض أو القـيام مـن الجلسة، (وابتدئ) ندباً (بتكبيرة الارتفاع) من السجود الثاني (عـند القـرب مـن ابـتداء)، وفي نسخـة من حَـدِّ (جِلسة

---

(١) وهي هل ينهض ساكتاً، أم يمدّ التكبير إلىٰ انقضائه قائماً.

الاستراحة، ومُدَّها إلىٰ منتصف ارتفاعك إلىٰ قيامك ولتكن هذه جَلسة خفيفةً مُختَطَفَة وصَلِّ الركعة الثانية كالأولىٰ وأَعِدِ التعوذَ في الابتداء ثم تجلسُ في الركعة الثانية..............

الاستراحة، ومُدَّها) أي: التكبيرة (إلىٰ منتصف ارتفاعك) نهوضك (إلىٰ قيامك) البالغ حد الراكع أو نحوه بناء علىٰ معتمد المصنف، أو البالغ إلىٰ حَدٍّ يصير فيه مستوياً بناء علىٰ المعتمد، والمراد المنتصف تقريباً.

(ولتكن هذه) الجلسة المتقدمة (جَلسة) بفتح الجيم أو كسرها، (خفيفةً) كالجلسة بين السجدتين، فإن زدتَ عليها كره ما لم تَطُل الزيادة عُرْفاً فتبطل، وضبطُ الطول بقدر التشهد، بل قيل: بما يزيد علىٰ مسمىٰ استراحة للمعنىٰ المذكور في الشرح، وإلىٰ المبالغة في خفتها والنهي عن إطالتها عبر بقوله: (مُختَطَفَة) قيل: وهذه فاصلة بين الركعتين، لا من الأولىٰ كما قيل به، ولا من الثانية كما قيل به أيضاً، ولهذا الخلاف ثمرات، ولكل منهما توجيهات في المبسوطات.

(وصَلِّ الركعة الثانية كـ) الركعة (الأولىٰ) في واجبها ومندوبها، ويشمل التعوذ، لكن أريد التنصيص عليه اهتماماً به بقوله: (وأَعِدِ) ندباً (التعوذَ في الابتداء) ابتداء الفاتحة في الركعة الثانية وإن كان في الأولىٰ آكد من سائر الركعات.

(ثم تجلسُ) ندباً (في الركعة الثانية) من الرباعية أو صلاة المغرب

للتشهد الأول وضَعْ اليدَ اليمنىٰ في جلوس التشهد علىٰ الفخذ اليمنىٰ مقبوضةَ الأصابع إلا المسبِّحَة و الإبهامَ فترسلُهُما وتشيرُ بمسبِّحة يُمْنَاكَ عند قولك : إلا الله . لا عند قولك : لا إله . وضَع

(للتشهد الأول) منهما، (وضَعْ) ندباً (اليدَ) أي: بطن كف اليد (اليمنىٰ في جلوس التشهد) الأول، أو هو والثاني (علىٰ الفخذ اليمنىٰ) بحيث تصير اليد علىٰ طرف الركبة محاذياً رؤوس أصابعها الطرف حالة كون اليد اليمنىٰ (مقبوضةَ الأصابعِ) أصابعها (إلا المسبِّحَة) بكسر الموحدة فترسلها، (و) إلا (الإبهامَ) فترسله، ولذا قال: (فترسلُهُما) بحيث يكون رأسه عند أسفلها علىٰ حَرْفِ الرَّاحة، وهذه أفضل الكيفيات الواردة، وكلها في الشرح مع دليلها، (وتشيرُ) وفي نسخة: وأشِرْ ندباً (بمسبِّحة يُمْنَاكَ) حال كون المسبحة مرفوعة منحنية قليلاً متوجهة إلىٰ القبلة (عند) همزة (قولك: إلا الله) ناوياً برفعِها والإشارةِ بها الإخلاصَ بالتوحيد بقصدِ أن المعبود واحد، لتجمع في التوحيد بين الفعل والقول والاعتقاد، وحكمةُ تخصيص المسبحة بالإشارة ذكرتها في الشرح[1]، ويندب إدامة رفعها وعدم تحريكها إلىٰ السلام، وأن لا تجاوز ببصرك الإشارة و(لا) تشير (عند قولك: لا إله) لأن الإشارة عنده لا تليق ولم تَرِدْ.

(وضَع) ندباً في هذا الجلوس ومثله سائر جلسات الصلوات

---

(١) قال: لأن لها اتصالاً بنياط القلب فكان رفعها سبباً لحضوره.

اليدَ اليسرىٰ منشورةَ الأصابع علىٰ الفخذ اليسرىٰ واجلِس علىٰ رجلك اليسرىٰ في هذا التشهد كما بين السجدتين و في التشهد الأخير متورِّكاً واستكملِ الدعاءَ المعروف المأثور عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد الصلاة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واجلس فيه علىٰ وَرِكِكَ.............

(اليدَ) أي: بطن كَف اليد (اليسرىٰ) حال كونها (منشورةَ الأصابع علىٰ الفخذ اليسرىٰ) بحيث تصير الأصابع علىٰ طرف الركبة متوجهة إلىٰ القبلة، (واجلِس) ندباً جلوسَ افتراش (علىٰ رجلك اليسرىٰ في هذا التشهد كما) تجلس (بين السجدتين) جلوس افتراش (و) اجلس ندباً (في التشهد الأخير) حالة كونك (متورِّكاً) وستأتي كيفية التورك (واستكملِ) في التشهد الأخير بعد استكمال كلماته والصلاة النبوية فيه (الدعاءَ المعروف) عند حَمَلَةِ الشرع المشهور بينهم المتداول علىٰ ألسنتهم (المأثور) المنقول عن الحضرة المحمدية أو الصحابة أو التابعين، وفي نسخة (عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد الصلاة) النبوية (علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) وعلىٰ آله، وأقلُّها عليهما: اللهم صلِّ علىٰ محمد وآله، ونحو هذه الصيغة، وأكمل الصلاة مشهور، وفي الشرح كلام مهم.

(واجلس) ندباً (فيه) أي: في التشهد الأخير (علىٰ وَرِكِكَ[1])

---

(١) مؤنث، ويجوز ورك بكسر الواو وتسكين الراء وهما وركان فوق الفخذين =

اليسرىٰ وأَضْجِعْ رجلك اليسرىٰ خارجةً مِنْ تحتك وانصِبِ القدمَ اليمنىٰ ثم قُلْ بعد الفراغ: السلامُ عليكم ورحمة الله مرتين من جانبين وتلتفت بحيث يُرىٰ بياضُ خديك مِنْ جانبيك وانْوِ الخروجَ من الصلاة. . . . .

اليسرىٰ وأَضْجِعْ)، وفي نسخة: وضع ندباً (رجلك اليسرىٰ) حالة كونها (خارجةً مِنْ تحتك) من جهة يمناك ممكِّناً وركك اليسرىٰ من مقعده، (وانصِبِ القدمَ اليمنىٰ) مخرجاً رأس الإبهام إلىٰ جهة القِبْلة.

(ثم قُلْ بعد الفراغ:) مستقبلاً بوجهك بعد الفراغ من التشهد وصلاته ودعائه، (السلامُ) فأقلُّه: السلام (عليكم) أو عكسه، وأكمله: السلام عليكم (ورحمة الله) من غير زيادة وبركاته علىٰ المعتمد، وإن اعتَمَدَ استحبابها جماعةٌ، وصح فيها خَبَران، ويندب السلام (مرتين من جانبين) كل مرة من جانب، الأولىٰ عن يمينه، والثانية عن يساره، وفي الشرح أحكام مهمة تتعلق بذلك، (وتلتفت) ندباً في المرتين (بحيث يُرىٰ) بالبناء للمفعول (بياضُ خديك) الأيمن في الأولىٰ، والأيسر في الثانية، لحديث ابن حبان وغيره: والرائي لهما غيرك (مِنْ) جهة (جانبيك)، وتُدْرِجُ سلامَك ليَتِمَّ بتمام التفاتك، (وانْوِ) ندباً (الخروجَ من الصلاة) قارناً نيَّة الخروج بأول التسليمة الأولىٰ، حتىٰ لو تقدمتْ هذه النية عليها بطلت الصلاة، أو تأخرت عنها فاتت

كالكتفين فوق العضدين (المصباح/ورك).

والسَّلامَ علىٰ مَنْ علىٰ جانبيك من الملائكة والمسلمين هذه هيئةُ الصلاة للمنفرد وعمادُ الصلاة الخشوع وحضورُ القلب مع القراءة والذكر بالفَهْمِ

السنة، ويتأكد هذا للخروج مِنْ خلافِ من أوجبها، وهو خلاف المعتمد، وأسقطها المصنف في نسخة صحيحة.

(و) انْوِ (السَّلامَ) أي: انو بالسلام (علىٰ) كل (مَنْ) التفتَّ إليه ممن هو (علىٰ جانبيك)، وكل من هو خلفك وأمامك كما يأتي، (من الملائكة) الحفظة وغيرهم عليهم السلام، (والمسلمين) من إنس وجن، تنويه بِمَرَّةِ اليمين: علىٰ مَنْ علىٰ يمينك، وبمرة اليسار: علىٰ مَنْ علىٰ يسارك، وتنويه علىٰ مَنْ خلفك وأمامك بأيهما شئت، والأُولىٰ أولىٰ، وفي الشرح بسط وفوائد أكثر من هذا.

قال المصنف رحمه الله: (هذه هيئةُ الصلاة) فرضاً كانت أو نفلاً (للمنفرد) لأن هيئة غيره من إمام ومأموم ستأتي في مبحث آدابهما. (وعمادُ الصلاة) التي هي من عُمُد ما بني عليه الإسلام من الخمس (الخشوع) وهو عبارة عن مجموع أمرين: أحدهما سكون الجوارح كلها عن العبث، ثانيهما المنصوص عليه بقوله: (وحضورُ القلب)، وفي الشرح حكمة عطف الحضور علىٰ الخشوع[1] (مع القراءة والذكر) الذي عند كل منهما، وذلك حاصل (بالفَهْمِ)، وفي نسخـــة

---

(١) لاشتراطه عند بعضهم ولو في جزء من الصلاة، وعند التحريم أولىٰ، وقـد ورد: (وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها).

قال الحسن البَصري رحمه الله تعالىٰ : كلُّ صلاة لا يحضُرُ فيها القلب

التفهم، أي: للمنفرد قرآناً كان أو ذكراً، والدليل علىٰ هذا قوله في الحديث الآتي: «وإنما يُكتب بمعنىٰ يُقْبل للعبد من صلاته ما عَقَلَ منها».

(قال) حُجَّةُ الصوفية الذي تنتهي إليه من التابعين خِرْقتهم وأفضل التابعين فيما قيل (الحسن البَصري[1]) بفتح الموحدة وكسرها (رحمه الله تعالىٰ) ورضي عنه، ولعل المصنف آثر الترحم علىٰ الترضِّي لما قيل، ينبغي أن يستعمل في الصحابة، والترحُّم فيمين عداهم، (كلُّ صلاة) ولو نافلة (لا يحضُرُ فيها القلب) ولا تسكن فيهـا الجوارح إن

(١) أبو سعيد ولد في خلافة عمر –رضي الله عنه– وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها، فيشرب منه، وكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك. من قوله – رضي الله عنه – كيف نضحك، ولعل الله قد اطلع علىٰ بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً؟!.

وقال: ابن آدم.. دينك هو لحمك ودمك، إن سلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرىٰ فنعوذ بالله، فإنها نار لا تُطفأ.

أدرك الحسن خلقاً من الصحابة – رضوان الله عليهم – وأرسل عن بعضهم، وسمع من بعضهم، توفي سنة ١١٠ في أول رجب وكانت جنازته مشهورة، صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة، فشيعه الخلق، وازدحموا عليه حتىٰ إن صلاة العصر لم تقم في الجامع. ر: (مجمع الأحباب للواسطي ٢/١٢١-١٤٤، سير الذهبي ٤/٥٦٣-٥٨٨).

فهي إلىٰ العقوبة أسرعُ. قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: إن العبد ليصلي الصلاة فلا يُكتبُ له منها سدُسها ولا عشرُها وإنما يُكتب للعبد من صلاته ما عَقَلَ منها.

أريد بالحضور الخشوع الشرعي، أو الحضور وحده أحد مسمي الخشوع (فهي إلىٰ العقوبة) المترتبة علىٰ الإثم (أسرعُ)، والمنقول في كلام بعضهم عنه اعتباره الخشوع شرطاً في الصحة وأنه يعتبره في كل جزء منها، وهذه المقالة المحكية عنه هنا ليست نصاً في ذلك.

وعلىٰ فضل الحضور واختيار مختار المصنف أشار بما ذكره بقوله: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) كما جاء بالمعنىٰ في رواية أحمد وأبي داود وغيرهما عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (إن العبد ليصلي الصلاة) فرضاً كانت أو نفلاً (فلا يُكتبُ له منها) أي: من ثوابها (سدُسها ولا عشرُها) مثلاً فيهما، كما يدل عليه لفظ رواية أحمد المستوفاة في الشرح، (وإنما يُكتب للعبد من صلاته) ومثلها سائر عباداته (ما عَقَلَ) فهم (منها)، وهذا الحديث باللفظ الذي أورد هنا ذكره المصنف في "الإحياء" فيحتمل أنه رواه بالمعنىٰ، ويحتمل أن ما رواه اقتطعه من حديث، أو هو لفظ حديث تام وقف عليه، وهو الظاهر، لأنه واسع الاطلاع، والحديث قد يرد بألفاظ مختلفة.

آداب الإمامة والقدوة

ينبغي أَنْ يخفِّفَ الصلاة قال أنس بن مالك : ما صليتُ خلف أحد أخفَّ صلاة ولا أَتمَّ من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. ولا يكبر ما لم يَفرُغِ المؤذنُ من الإقامة ولم تُسَوَّ الصفوفُ. . . . .

آداب الإمامة والقدوة

هذه (آدابُ الإمامة والقدوة) بمعنىٰ الاقتداء، وقدم الأولىٰ لأنها أشرف وأهم فقال: (ينبغي) أي: يندب للإمام (أَنْ يخفِّفَ الصلاة) إذا كان إماماً لغير راضٍ بالتطويل، لما جاء في أثر أنسٍ المحكي بقول المصنف: (قال أنس بن مالك:) خادم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكثير الملازمة له رضي الله عنه: (ما صليتُ خلف أحد) مطلقاً (أخفَّ صلاة) أي: استوفت أركانها وشروطها (ولا أَتمَّ) صلاة من حيث استيفاء آدابها (من) صلاة (رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم و) أن (لا يكبر) تكبيرة الإحرام (ما لم يَفْرُغِ) أي: لا يكبرها في مدة لم يفرغ (المؤذنُ) بمعنىٰ المقيم (من الإقامة و)، في مدة (لم تُسَوَّ[1]) بالبناء للمفعول (الصفوفُ) لأنه يطلب من الإمام انتظار فراغ الإقامة

---

(١) في نسخة (م) ما لم تَستَوِ.

ويرفع صوتَه بالتكبيرات لا يرفعُ المأموم صوتَه إلا بقدر ما يُسمع نفسَه وينويَ الإمامة لينالَ الفضل فإن لم ينوِ الإمامةَ صَحَّتْ صلاةُ القوم إذا نووا الاقتداء به، ونالوا فضل القدوة ويُسِرُّ بدعاء الاستفتاح..........................

وتسويتها، بل يُندب له أن يأمر بها، (و) أن (يرفع صوتَه) بخلاف المأموم كما يأتي، (بالتكبيرات) للانتقال كالتحرُّم، وهذه الآداب الثلاثة المتقدمة مختصة بالإمام.

وأما المأموم فمن آدابه التي أدرجها المصنف في خلال آداب الإمام هو ما نبَّه عليه بقوله: (لا يرفعُ المأمومِ صوتَه) بالتكبيرات (إلا بقدر ما يُسمع نفسَه) لو لم يحصل مانعٌ من السماع كصمم، (و) أن (ينويَ الإمامة) كأُصَلِّي صلاةَ كذا إماماً (لينالَ الفضل) فضل الإمامة بمعنىٰ ثوابها، وثواب الجماعة، ويندب أن تكون نيتها مقارنة للتكبيرة؛ إذ لا يثاب إلا من حين النية، ومحل ندب نية الإمامة في غير الجمعة والمُعَادَة، إذ هي فيهما واجبة علىٰ ما بينته في الثانية في الشرح، (فإن لم ينوِ) الإمام (الإمامةَ صَحَّتْ صلاةُ القوم) أي: المأموم الصادق بواحد (إذا نووا الاقتداء به، ونالوا فضل القدوة) نية صحيحة، ولا معنىٰ لاعتبار النية إلا مع اعتبار صحتها.

وإلىٰ بعض آداب الإمام مع أنه لا يختص به أشير بقوله: (ويُسِرُّ) أي: وأن يسر الإمام ومثله المأموم (بدعاء الاستفتاح) ويقــال الافتتاح

والتعوذ ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأَوَّلَتَي المغرب و العشاء وكذا المنفرد و يجهر بقوله (آمين) في الجهرية، وكذلك المأمومُ و يقرنَ المأموم تأمينَه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً له و يسكتَ الإمام سكتة عَقِبَ الفاتحة.................

(والتعوذ) المندوبين كالمنفرد في كون الإسرار أدباً في حقه، (و) أن (يجهر) الإمام كالمنفرد كما يأتي التصريح به لا المأموم (بالفاتحة) الواجبة (والسورة) المندوبة (في جميع) صلاة (الصبح)، (و) في (أَوَّلَتَي) صلاة (المغرب)، (و) أولتي صلاة (العشاء) الآخرة، (وكذا المنفرد) يجهر في الصبح وأَوَّلتي العشاء ندباً، (و) أن (يجهر) الإمام (بقوله آمين) بمَدٍّ وقصرٍ مع تخفيف الميم، ولا يبطل تشديدُها بقصد الدعاء (في) الصلاة (الجهرية، وكذلك) وفيهما نسخة: وكذا (المأمومُ) يجهر فيها ندباً.

(و) أن (يقرنَ المأموم تأمينَه بتأمين الإمام) ويوضح معنىٰ المقارنة قوله: (معاً) ويزيده توضيحاً قوله (لا تعقيباً له)، فإن لم تتفق المقارنة ندب أن يؤمِّن عقب تأمينه، وإن تأخر إمامه عن الزمن المندوب فيه التأمين أمَّن المأموم، وفي الشرح دليل المسألة مع بسط، (و) أن (يسكتَ الإمام سكتة) خفيفة (عَقِبَ الفاتحة) وهي من السكتات المستحبة في الصلاة، وإلىٰ ما يؤخذ منه مقدار زمنها الخفيف أُشير

لِيثُوبَ إلى نَفَسِهِ ويقرأَ المأمومُ الفاتحة في هذه السكتة ليتمكَّنَ من الاستماع عند قراءة الإمام لا يقرأَ المأمومُ السورةَ في الجهرية إلا إذا لم يَسْمَعْ صوتَ الإمام ولا يزيدَ الإمامُ علىٰ الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود..................

بقوله (لِيثُوبَ) أي: يرجع (إلىٰ نَفَسِهِ[1]) بفتح الفاء (ويقرأَ) أي: ولكي يقرأ (المأمومُ الفاتحة في هذه السكتة) الخفيفة، وعليه السكوت رجوع النفس والقراءة، ولا يخفىٰ سعة زمن ذلك فألحقه في السكتة بسببه، وإلىٰ فائدة القراءة وثمرتها في السكتة أشير بقوله: (ليتمكَّنَ من الاستماع) المندوب (عند قراءة الإمام). وأن (لا يقرأَ المأمومُ) بعد الفاتحة (السورةَ) أو ما يقوم مقامها من بعض سورة (في) الصلاة (الجهرية إلا إذا لم يَسْمَعْ) لصَمَمٍ أو بُعْدٍ ونحوه (صوتَ الإمام)، ومثل عدم سماعه أن يسمعه ولا يميز الحروف.

(و) أن (لا يزيدَ الإمامُ) لغير محصورين راضين بالزيادة (علىٰ الثلاث) التسبيحات (في تسبيحات الركوع) أي: تسبيحات شُرعت فيه (و) الثلاث التسبيحات في تسبيحات (السجود) أي: تسبيحات نُدبت فيه، لأن الزيادة علىٰ الثلاث في كل منهما ما في التخفيف المأمور به في حديث الشيخين: «إذا صلىٰ أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة»، والأفضل لإمامٍ غيرِ محصورين أن لا

---

(١) في نسخة(م) إليه نَفَسُه.

ولا يزيدَ في التشهد الأول بعد قوله: اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد. و يقتصرَ في الركعتين الآخرتين علىٰ الفاتحة و لا يطولَ علىٰ القوم و لا يزيدَ في دعائه في التشهد الأخير علىٰ قَدْر تشهده والصلاة علىٰ رسول الله. . . . .

يقتصر علىٰ الأقل نحو تسبيحة ولا يستوفي الأكمل (و) أن (لا يزيدَ) أعني: الإمام ومثله المأموم والمنفرد (في التشهد الأول) المطلوب فيه التخفيف (بعد قوله) أي: قول المصلي في التشهد: (اللهم صَلِّ علىٰ محمد)؛ لأن المعتمد الاقتصار فيه علىٰ الصلاة عليه وعدم زيادة قوله الموجود في نسخة بل نسخ صحيحة: (وعلىٰ آل محمد)، وفي الشرح سندها ودليلها، (و) أن (يقتصرَ) أي: المصلي من حيث هو (في الركعتين الآخرتين[١]) من الظهر والعصر والعشاء والأخيرة من المغرب (علىٰ) سورة (الفاتحة و)، أن (لا يطولَ) أي: الإمام (علىٰ القوم) أي: المأموم بشرطه السابق، (و) أن (لا يزيدَ) أي: الإمام المذكور (في دعائه) بالدين أو الدنيا المندوب (في) آخر (التشهد الأخير) بعد إتمام كلماته وصلاته النبوية (علىٰ قَدْر تشهده و) قدر (الصلاة) أي: قدر أقلهما علىٰ ما نقل عن الأصحاب، أو أكملهما بين من أتىٰ بالأكمل فيطيل وبين خلافه، وفي الشرح بسط في المسألة، وفي نسخة: وصلاته (علىٰ) محمد (رسول الله) صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) في نسخة (م) الأخيرتين.

وينويَ عند التسليم السلامَ علىٰ القوم والقومُ بتسليمهم جوابَه ويلبثَ الإمامُ مكانَه ساعةً بعد الفراغ من السلام..........

(و) أن (ينويَ) الإمام (عند) اختتامها الذي هو عبارة عن (التسليم السلامَ) التحية (علىٰ القوم) أي: المأموم (و) ينوي (القومُ) وكان الأخصر: وينووا، لكن عَدَلَ عنه لنكتة بينتها في الشرح[1] (بتسليمهم من الصلاة (جوابَه) لهم، فإنه يندب للمأموم الردُّ علىٰ من سلم عليه من إمام أو مأموم بالثانية علىٰ من علىٰ يمنيه منهما، وبالأُولىٰ علىٰ من علىٰ يساره، وبأيهما شاء علىٰ مَنْ خلفه وأمامه، كما مر وسلف في كلام المصنف أن المنفرد يرد السلام علىٰ مَنْ علىٰ جانبيه: الملائكة والمسلمين من إنس وجن، فيأتي نظيره هنا بالنسبة للإمام والمأموم، لأنه مندوب، ولو ذكره هنا لكان أولىٰ، لكن تركه لوضوحه، ولا يقال هو مستفاد مما سبق، لما علمت أنه خصه بالمنفرد فلا تغفل، وعلىٰ كل حال فأَمْرٌ قريب، وليس الغرض الاعتراض، وإنما الغرض التنبيه والذكر علىٰ سبيل التقريب.

(و) أن (يلبثَ) من اللبث، وفي نسخة يَثْبُتَ من الثبوت، والمراد: يمكث (الإمامُ مكانَه ساعةً) خفيفة، قال الدَّمِيري: إلا في الصبح فليطول، وليكن لبثه (بعد الفراغ من السلام)، وعدم إطالة الجلسة استفيد من قوله ساعة، وما ذكره في "الإحياء" وهــو مستوفىٰ

---

(١) وهي أن الجمع غير مراد، وأن المراد بالقوم ما يشمل الواحد.

ويُقْبِلَ علىٰ الناس بوجهه ويلبثَ إن كان خلفه النساء ولا يقومَ أحدٌ من القوم حتىٰ يقومَ الإمام وينصرفُ حيثُ شاء من يمينه أو شماله. . . . .

في الشرح، (و) أن (يُقْبِلَ) في جلوسه المذكور، وكذا في قيامه -إذا قام أخذاً مما في "الإحياء"- (علىٰ الناس بوجهه)، بحيث لا يستدبرهم، وبحيث يجعلهم عن يمينه والمحراب عن يساره، إلا في المحراب النبوي علىٰ توضيح في الشرح.

ولما كانت إطالة الجلسة تندب للعذر أشير بقوله (ويلبثَ) أي: وأن يلبث (إن كان خلفه النساء) أو الخناثَىٰ[1] حتىٰ ينصرف النساء ثم الخناثَى، وعلىٰ غير حالة العذر يُحمل النهي عن المكث وإطالته، وفي الشرح كلام مهم ينبغي الوقوف عليه لولا رعاية الاختصار في هذا الشرح لذكرته، (و) أن (لا يقومَ) عن المصلىٰ (أحدٌ من القوم) المأمومين غير النساء والخناثَىٰ (حتىٰ يقومَ الإمام)، لأن كمال الاتباع النبوي واتباع القدوة وإن انقضت بالسلام يقتضي ذلك.

(و) إذا قام الإمام للانصراف فهو والمأموم مُخَيَّر (ينصرفُ) كل منهما، وفي نسخة ينصرف الإمام، ويشهد لها ما في "الإحياء" ولخلافها مقتضىٰ كلامهم (حيثُ شاء) من الجهات، إما (من) جهة (يمينه أو شماله)، وإما أمامه أو خلفه، والأفضل أن ينصرف لجهة

---

(١) مثل حُبلىٰ وحَبَالىٰ.

واليمينُ أحبُّ و لا يخصُّ الإمام نفسَه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول: اللهم اهدنا. ويجهرُ به ويُؤمِّنُ القومُ ولا يرفعونَ الأيدي، فإن ذلك لم يثبت في الأخبار..........

حاجته إن كان له حاجة في جهة معينة، (و) جهة (اليمينُ) بعد جهة حاجته (أحبُّ) أفضل كما قاله الشافعي والأصحاب، وجاء بمقتضاه الخبر، وفي نسخة أحب إليَّ، والكلام عليها والجواب عن كلام الأسنوي وغيره ذكرته في الشرح وهو مهم.

(و) أن (لا يخصُّ الإمام نفسَه بالدعاء) دعاء التشهد وغيره ومنه الدعاء (في قنوت الصبح) وقنوت وتر رمضان، للنهي عن التخصيص المذكور، والحكم علىٰ فاعله في الحديث بالخيانة، نعم يستثنىٰ من الكراهية ما ورد به التخصيص، فيستعمل لفظ الوارد كاللهم باعد بيني وبين خطاياي إلىٰ آخره، (بل يقول) أي: الإمام ندباً ما صح في الحديث: (اللهم اهدنا) -بضمير الجمع- فيمن هديت إلىٰ آخره، وتحصل سنة القنوت بكل دعاء، وبآية فيها دعاء قصد بها القنوت علىٰ ما بسطته في الشرح، (ويجهرُ) أي: الإمام ندباً (به) بالقنوت، بخلاف المأموم فيسر لما بينته في الشرح، (ويُؤمِّنُ) ندباً (القومُ) أي: المأموم، (ولا يرفعونَ) ندباً، بل ولا الإمام عند المصنف (الأيدي، فإن) علَّة (ذلك) أي: الرفع (لم يثبت في الأخبار) أي: الأحاديث الصحيحة التي بها بُنيت الأحكام ومنها الرفع، وهذا بحسب ما بلغ المصنف، وإلا فالمعتمد ندب الرفع للإمام وغيره فيه، لحديث ثابت

ويقرأَ المأمومُ بقية القنوت من قوله: فإنك تَقْضِي ولا يُقضىٰ عليك. ولا يقفَ المأمومُ وحده بل يدخلُ الصفَّ أو يَجُرَّ إلىٰ نفسه غيرَه ولا ينبغي للمأموم أن يتأخر. . . . .

كما بينته في الشرح، وبينت فيه كلام "الإحياء" المخالف لما ذكر هنا وغير ذلك.

(و) أن (يقرأَ) ندباً (المأمومُ بقية القنوت) المأثور (من قوله: فإنك) بالفاء كما صحت بها الرواية، وفي رواية كنسخة من "البداية" إنك (تَقْضِي ولا يُقضىٰ عليك) إلىٰ آخره، ويشارك المأموم الإمام سراً في الثناء أو يسكت، والمشاركة أولىٰ، أو يقول: بلىٰ وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين، أو صَدَقْتَ وبَرِرْتَ، وما أشبه ذلك، وندب بعد القنوت التصلية والتسليم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وآله وصحبه، وفي الشرح بسط مهم.

(و) أن (لا يقفَ) ندباً (المأمومُ وحده) خارجاً عن الصف إذا وجد سعة، لأنه منهي عنه، مفوت لثواب الجماعة، وفي الشرح ضابط السعة المذكورة[١] مع مزيد مفيد، (بل يدخلُ) ندباً (الصفَّ) إذا وَسِعَه ولم يَنَلْ أحداً منه مشقة (أو يَجُرَّ) ندباً (إلىٰ نفسه غيرَه) من أهل الصف بشروطه المذكورة في المبسوطات، وذكرتها في الشرح (ولا ينبغي) أي: لا يندب (للمأموم) الـواقف في الصـف (أن يتأخـر)

---

(١) قال: بحيث لو دخل في الصف لوسعه بلا مشقة لأحد.

ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم علىٰ الإمام في أفعاله أو يُسَاويه بل ينبغي أن يتأخر عنه ولا يَهوِيَ المأمومُ للركوع إلا إذا انتهىٰ الإمامُ إلىٰ حد الركوع ولا يهوِي للسجود ما لم تصل جبهةُ الإمام إلىٰ الأرض.

عن موافقة الخارج عنه المُحْرِم بالصلاة قبل جَرِّه، بل يندب له الموافقة، لأنها سنة من باب «وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ» فهي داخلة في عموم الأمر بها في الكتاب والسنة كما بينته في الشرح.

(ولا ينبغي) أي: لا يندب، بل لا يجوز (للمأموم أن يتقدم علىٰ الإمام) في الصلاة (في أفعاله)، فخرجت الأقوال، فإن التقدم بركن فعلي حرام، وبركن قولي كالفاتحة والتشهد مكروه، أو خلاف الأولىٰ، علىٰ ما بسطت به المسألة بدليلها في الشرح، وبينت فيه التقدم المبطل من غيره، (أو) لا ينبغي بمعنىٰ لا يندب له أن (يُسَاويه) في أفعاله، لأن مساواته فيها، بل وفي الأقوال مكروهة مانعة من ثواب الجماعة، ومن ثم قال: (بل ينبغي) يتأكد (أن يتأخر عنه) في الفعل والقول، فترك المساواة أدب، (و) ينبغي أن (لا يَهوِيَ) بكسر الواو بمعنىٰ: يسقط (المأمومُ للركوع إلا إذا انتهىٰ الإمامُ إلىٰ حد) أقل (الركوع) أو الراكعين كما في نسخة: وفي الشرح هنا بحث (و) ينبغي أن (لا يهوِي) المأموم (للسجود ما لم تصل جبهةُ الإمام) أي: بعض جبهته (إلىٰ الأرض) أي إلىٰ موضع السجود.

(آداب الجمعة)

اعلـم أن الجمعـة عيـدٌ مـن أعيـاد المـؤمنين وهـو يـومٌ شـريف

هذه (آداب الجمعة)

بضم الميم، وسكونها، وفتحها، وكسرها، والمراد: بعض آداب تتعلق بصلاتها ويومها، وفي الحديث: «إنما سميت جمعة لأن آدم عليه السلام جُمِعَ فيها خَلْقُه[١]» (إعلم أن الجمعة) أي: يومها (عيدٌ) كما في الحديث (من أعياد المؤمنين)، ولفظ حديث مالك وغيره «جعله الله تعالىٰ عيداً للمسلمين» (وهو يومٌ شريف) له خصائص ومزايا زادت علىٰ مائة، كما تُتَلَقَّىٰ من الشرح أُشير إلىٰ بعض مزايا شرفه[٢] بقوله:

---

(١) وقيل لأنه جمع فيها علىٰ حواء (من الشرح).

(٢) جاء في الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر للإمام الشعراني (ص٣٥): وقد غلط من فاضل بينه -أي يوم الجمعة- وبين يوم عرفة وعاشوراء؛ لأن ذلك يرجع إلىٰ مجموع أيام السنة لا إلىٰ أيام الأسبوع، ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة، ويوم الجمعة لا يتبدل.. وذلك لأن فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه.. ولهذا قال بعضهم: الغسل لأجل اليوم لا لأجل الصلاة.

خَصَّ اللهُ تعالىٰ به هذه الأُمَّة وفيه ساعة مُبْهَمة لا يوافقها عبدٌ مُسْلِمٌ يسأل الله فيها حاجةً إلا أعطاه إياها. . . . .

(خَصَّ الله تعالىٰ به هذه الأُمَّة) المحمدية، وجعل فيه خصائص لا يَشْرَكُه فيها غيرُه، ذَكَرتُ أكثرها في الشرح منها: وقايةُ من مات فيه فتنةَ القبر وعذابه، ومطلق العذاب والحساب، ونيله الشهادة وأجرها، والمغفرة، والعتق، والترقي في الدرجات، ومنها مضاعفة الصدقة والحسنة والسيئة والصلاة النبوية، ومنها نيل معارف وأنوار ومطالب كالموت علىٰ الإسلام علىٰ ما بُيِّن في الشرح، ومنها تأكد فعل عبادات كثيرة مخصوصة كنحو طِيبْ الجمعة وزيارة وقراءة وأذكار ودعاء علىٰ ما بسط في الشرح.

وأُشير إلىٰ بعضها بقوله: (وفيه ساعة) من ساعات الإجابة بالنسبة إلىٰ عموم الناس (مُبْهَمة) عليهم، كليلة القدر إلا من اطلع عليها؛ وفي تعيين زمنها بضع وثلاثون أو وعشرون قولاً أصحها عند الأكثر أو المحققين: من جلوس الخطيب إلىٰ قيام الصلاة، وينبغي للمتعبد رعاية كل زمن قيل فيه ساعتها، ومن أفضله أنه (لا يوافقها عبدٌ مُسْلِمٌ) ولو لم يعلمِ عينها فيما يظهر، وفي حديث: «لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة (يسأل الله فيها حاجةً) لا إثم فيها من حاجات الدنيا والآخرة (إلا أعطاه إياها) ولفظ الحديث: شيئاً إلا أعطاه الله إياه ما لم يسأل حراماً، ويشهد لما أطلقه المصنف من عدم تقييد الموافقة في الصلاة حديث عند أحمد وابن ماجه، علىٰ أن التقييد

فاستعِدَّ لها يوم الخميس بتنظيفِ الثياب وكثرةِ التسبيح والاستغفار عشيةَ الخميس فإنها ساعةٌ توازي في الفضل ساعةَ يوم الجمعة وانوِ صومَ يوم الجمعة، لكنْ مع السبتِ، أو الخميس إذ في إفرادها نهيٌ. . . . .

لحكمة لا للاحتراز علىٰ ما أَشَرتُ إليه في الشرح.

وحيث كانت الجمعة عيداً، وفيها مزايا منها الساعة، بل تقوم فيها الساعة (فاستعِدَّ) ندباً (لها يوم الخميس) المطلوب فيها شرعاً التهيؤ للجمعة المخصوص بمزايا أشرت إلىٰ بعضها في الشرح، (بتنظيفِ الثياب) فيه، (وكثرةِ التسبيح) التنزيه بأدواته المأثورة (والاستغفار)، لأنه صابون الأوزار، وعطفهما علىٰ التنظيف بجامع النظافة الجامعة للحسية والمعنوية لا يخفىٰ لطفه علىٰ لطيف، ويتأكد (عشيةَ الخميس) أي: بعد العصر، (فإنها) أي: العشية باعتبار أن ساعة قبل الغروب (ساعةٌ توازي في الفضل ساعةَ يوم الجمعة) وفي الشرح هنا بسطٌ ملائم.

(وانوِ) أي: اقصد بحيث تُثَابُ علىٰ قصدك (صومَ يوم الجمعة، لكنْ مع) صوم يوم (السبتِ، أو) اقصد صوم يوم الجمعة مع صوم يوم (الخميس) الذي قبلها؛ (إذ في إفرادها) بالصوم لغير سبب (نهيٌ) صحيح في الصحيحين، وفي الشرح بيان السبب، وكراهةُ إفراد السبت أو الأحد كالجمعة، لكن هذا النهي للتنزيه، ويحمل حديث أبي داود «كان لا يفطر يوم الجمعة» علىٰ غير حالة الإفراد.

فإذا طَلَعَ عليك الصبحُ فاغتسل فإنَّ غُسلَ الجمعة واجبٌ علىٰ كل مُحتَلِم أي: ثابت مؤكَّد ثم تَزَيَّنْ بأحسن ثيابك، وبالثياب البِيضِ أفضلُ فإنها أحب الثياب إلىٰ الله تعالىٰ...............

(فإذا طَلَعَ عليك الصبحُ) الفجرُ الصادق الذي به يدخل وقت غسلها المندوب، وإن كان تأخيره إلىٰ القُرْبِ من ذهابك إليها أفضلَ، (فاغتسل) ندباً بنية غسل الجمعة إِنْ أردت حضور صلاتها وإن لم يَلْزَمْكَ؛ لأنه للصلاة لا لليوم علىٰ المعتَمد، (فإنَّ غُسلَ الجمعة) كما في الصحيحين «غسل الجمعة (واجبٌ علىٰ كل مُحتَلِم») أي: مكلف وصَرَفَ المصنِّفُ وغيرُه هذا الواجب عن ظاهره فقال: (أي: ثابت مؤكَّد)؛ لأن الواجب يَرِدُ بمعنىٰ المؤكد، وقيل هذا الواجب علىٰ ظاهره، وفي الشرح بيان الدليلَ الصارف عن الوجوب وفوائد نفيسة[1].

(ثم تَزَيَّنْ) ندباً (بأحسن ثيابك، وبالثياب) من الأحسن (البِيضِ أفضلُ)، وعبر عن الأفضل بقوله: (فإنها أحب الثياب) بالنسبة لغير العبد المطلوب فيه الزينة (إلىٰ الله تعالىٰ)، وفي الشرح هنا أحاديث شاهدةٌ لفضله، وفوائد ملائمة مع الإغراء علىٰ مواطن ذكره وبيان محله ككتابي: "فَصْلُ الخِطَاب في فضل العمائم والثياب".

---

(١) منها: يكره ترك الغسل خروجاً من خلاف من أوجبه ونسب للشافعي في القديم، ولا يبطل بالحدث ولو الأكبر.

واستعمل من الطِّيب أطيبَ ما عندك وبالغْ في تنظيف بدنك جميعِه بالحَلْق والقَصِّ والتقليم. . . . .

(واستعمل) ندباً (من الطِّيب) سوىٰ الزَّبَاد[1] لأنه من طيب النساء، ولأن الإمام أحمد يقول بنجاسته، (أطيبَ ما عندك) أي: بعض هذا الأطيب، وفي حديث «أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا لم يجد طيباً مَسَّ من طيب أهله» رُوي أن المَلَكَ يَستغفر للمتطيب للجمعة مادام عليه ريحه.

(وبالغْ) ندباً (في تنظيف بدنك جميعِه بالحَلْق) للعانة والإبط إن شَقَّ نَتْفُه، وفي الرأس إن ندب، وفي الشرح فيه كلام، (والقَصِّ) للشارب بحيث يبدو طَرَفُ الشَّفَة وحمرتُها، وكان بعضهم يحلقه تارة لحديثٍ فيه، (والتقليم) للأظفار، وكيفيته الفاضلة في المبسوطات وبعضِ المختصرات، قيل: ولم يثبت فيها شيء، ولا ثبت أصل لتلك الأبيات المشهورة في قص الأظافر إلىٰ آخرها، ورأيتها منسوبة للحافظ ابن حجر، لكن إِنْ صَحَّتْ عنه فحَسْبُكَ ذلك، كما حسبك ذكرهم للكيفية؛ وفي حديث عند البزار بسند ضعيف: «كان يُقَلِّم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج إلىٰ الصلاة» وحديث عند ابن عساكر: «كان يَتَنَوَّرُ كلَّ شهر، ويقلم أظفاره كل خمس

---

(١) طِيبٌ يتولد من هِرَّة اسمها الزَّبَاد كالهرِّ الأهلي لكنه أطول منه وأكبر جثة ووبره أميل إلىٰ السواد. ويُجلب من بلاد الهند والحبشة. (التاج/زبد).

والسواكِ وسائرِ أنواع النظافة وتطييب الرائحة ثم بَكِّرْ إلىٰ الجامع واسْعَ وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: من راح إلىٰ الجمعة في الساعة الأولىٰ..............................

عشرة» وحديث ذكره ابن العماد: «من أحب أن يأتيه الغِنىٰ علىٰ كُرْه فليقلم أظفاره يوم الخميس، ومن قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج منه داء ودخل فيه شفاء (والسواكِ) أي: وبالسواك لأنه مَطهَرَةٌ ومَطْيَبة للفم، ومَرْضَاة للرب، ومَسْخَطَة للشيطان، (وسائرِ) أي: باقي (أنواع النظافة) أي: التنظيف، وبيان هذا الباقي علىٰ ما فيه في الشرح (وتطييب الرائحة) أي: وبالغ فيه، وليس في ذكر هذا مع قوله: واستعمل الطيب تكرار كما بينته في الشرح.

(ثم بكِّرْ) ندباً إن لم تكن إماماً كما هو واضح (إلىٰ) المسجد (الجامع) وسمي جامعاً لجَمْعه الناس وإقامة الجمعة فيه، (واسْعَ) ندباً إلىٰ الجمعة ماشياً علىٰ الهِيْنَة[1] لا السرعة لما صح: «فلا تأتوها وأنتم تَسعَون وأتوها وعليكم السكينة» ما لم يَضِقِ الوقت، فإن ضاق نُدبت السرعة، وقيل وجبت إذا لم يدرك إلا بها، ودليل التبكير ما صح من حديث أبي هريرة المشار إليه في قوله: (وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من راح) أي: سار (إلىٰ) صلاة (الجمعة في الساعة الأولىٰ) من اثنتي عشرة ساعة، ستة من الفجر إلىٰ الزوال، في

---

(١) في متن نسخة(م) واسع إليها علىٰ الهينة والسكينة فقد قال.

فكأنما قَرّبَ بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدىٰ دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدىٰ بَيْضَةً فإذا خَرَجَ الإمامُ طُويت الصحفُ ورُفعت الأقلام واجتمعت. . . . .

الحديث الصحيح «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة» وفي الشرح حكاية كلام "الإحياء" وغيره، (فكأنما قَرّبَ بدنة) من الإبل، وفي الشرح بسط (ومن راح) أي: سار (في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة)، والبدنة تفضلها، (ومن راح) أي: سار (في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن) ذا قرن لكبره وسِمَنه (ومن راح) أي سار (في الساعة الرابعة فكأنما أهدىٰ) وفي رواية قرب (دجاجة) مثلثة الدال تطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ (ومن راح) أي سار (في الساعة الخامسة فكأنما أهدىٰ) وفي رواية: قرب (بَيْضَةً)، وعند النسائي: كالذي يُهدي عصفوراً، وفي السادسة بيضة، وفي الشرح بيان رواية الشيخين وحكمة تفاوت المتقرَّب به، وغير ذلك (فإذا خَرَجَ الإمامُ) الخطيب حَضَرَت الملائكة يستمعون الذكر، كذا في رواية، وفي أخرىٰ: صَعِدَ الإمام علىٰ المنبر، وفي أخرىٰ: قَعَدَ الإمام (طُويت الصحفُ) وهي من فضة وأقلامها من ذهب، زاد البيهقي في رواية: (ورُفعت الأقلام) وفي "الإحياء" مع هذه الزيادة، وخرجها العراقي من حديثهما، (واجتمعت

الملائكة عند المنبر. ويقال: إن الناس في قُرْبِهِم عند النَّظرِ إلىٰ وَجْه الله تعالىٰ علىٰ قَدْرِ بُكُورِهم إلىٰ الجامع.

الملائكة عند المنبر[1]) أي: وما يقوم مقامه، وفي زمان الخلفاء الصحابة كان يخطب بمكة علىٰ باب الكعبة، وفي حديث أنهم قبل اجتماعهم عنده علىٰ أبواب المسجد يكتبون الناس، وذكرت لفظه بتمامه في الشرح مع حديث فيه: أن جبريل ينزل فيركز لواءه بالمسجد الحرام، وغيره من الملائكة يركز لواءه بأبواب المساجد.

قال المصنف تبعاً لأبي طالب المَكِّيِّ[2]: (ويقال) بل جاء في خبر كما بينته في الشرح (إن الناس) المبكرين إلىٰ الجمعة يكونون (في قُرْبِهِم) أي: مراتب قربهم في الجنة وسائر مراتب القرب، لكن الظاهر أن المراد قرب خاص بقرينة قوله: (عند النَّظرِ إلىٰ وَجْه الله) أي: ذاته (تعالىٰ علىٰ قَدْرِ) تفاوت (بُكُورِهم) يوم الجمعة (إلىٰ الجامع): وفي

---

(١) في نسخة (م) زيادة: يستمعون الذكر.

(٢) ذكر ذلك في كتابه الشهير (قوت القلوب) في الفصل الحادي العشرين (ص٦٤) وقوت القلوب أحد الكتب الشهيرة في التصوف وهي: الإحياء ومنهاج العابدين والأربعين الأصل للغزالي ورسالة القشيري وعوارف المعارف للسهروردي. وكان السيد الإمام عيدوس بن عمر الحبشي – رحمة الله عليه – يحكي عن بعض الأكابر أنه كان يقول: من أراد النور فعليه بالقوت لأبي طالب المكي، ومن أراد العلم فعليه بالإحياء للغزالي. انظر ماقاله العلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط باعلوي الحسيني عن كُتُب التصوف في كتابه: المنهج السوي ص٢٥٥-٢٦١.

ثم إذا دخلتَ الجامعَ فاطلبِ الصف الأول فإن اجتمع الناس بحيث لا تَصِلُ إليه إلا بالتخَطِّي المنهي عنه فلا تتخطَّ رقابهم ولا تَمُرَّ بين أيديهم وهم يُصَلُّون واجلسْ بقُرْبِ حائط أو أُسْطُوَانة

نسخة: إلىٰ الجمعة، كما في كلام أبي طالب، ويشهد لها لفظ الخبر: «علىٰ قدر رواحهم إلىٰ الجُمُعَات».

(ثم إذا دخلتَ) المسجدَ (الجامعَ) الذي تقام فيه الجمعة (فاطلبِ الصف الأول) ما يلي الإمام (فإن اجتمع الناس بحيث لا تَصِلُ إليه إلا بالتخَطِّي المنهي عنه فلا تتخطَّ رقابهم) إلا أن تكون إماماً لم تجد طريقاً إلا به؛ لأن تخطيها منه حينئذ ليس بمذموم، ومن المأموم مكروه، وقيل حرام للوعيد الشديد فيه المذكور بعضه في الشرح، نعم لا يكره تخطي المأموم واحداً أو اثنين أو أكثر لفُرْجة لا يصلها إلا بالتخطي ولم يَرْجُ سَدَّهَا (ولا تَمُرَّ بين أيديهم وهم يُصَلُّون) ولا سُتْرَةَ، أو بين يدي أحدهم وهو يصلي ولا سترة فإن المرور بين يدي المصلي ولا سترة شرعية خلاف الأدب، علىٰ ما اقتضاه كلام المصنف، ومعها حرام كما مَرَّ جوابه أخذاً من حديث البخاري وغيره.

(واجلسْ) ندباً في مصلاك، والجلوس ليس بقيد، والمراد: وصل (بقُرْبِ حائط) جدار (أو أُسْطُوَانة)، ثم إن عجزت عنه فإلىٰ نحو عصاً مغروزة كمتاع، ثم إن عجزت فابسط مصلىٰ، فإن عجزتَ فَخُطَّ أمامك من قدميك نحو القبلة خطاً عرضاً أو طولاً وهـو أفضل،

حتىٰ لا يَمُرَّ بين يديك أحدٌ ولا تَقْعُدْ حتىٰ تصلي التحية وحَسَنٌ أَنْ تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة خمسين مرة سورة الإخلاص ففي الخبر: أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك لم يَمُتْ حتىٰ يرىٰ مَقْعَدَه من الجنة أو يُرىٰ له.

ويعتبر في السُّتْرة أن لا تنقص عن ثلثي ذراع، وأن لا يزيد ما بينها وبين القدم علىٰ ثلاثة أذرع، (حتىٰ لا يَمُرَّ بين يديك أحدٌ) وأنت في الصلاة فيقع في الإثم، وينتفي عن المار إذا قَصَّر المصلي بترك نحو سترة، أو بصلاته في نحو طريق، ويسن للمصلي إلىٰ السترة دفع المار بالأخف كدفع الصائل، وفي الشرح مسائل غريبة.

(ولا تَقْعُدْ) ندباً في المسجد إذا أردتَ القعود (حتىٰ تصلي التحية) ركعتين وهما أقلها، أو أكثر ولو مائة بتسليمة، بل لا حد لأكثرها وتحصل بالفريضة، (وحَسَنٌ) أي: مندوب (أَنْ تصلي أربع ركعات) بتسليمة واحدة، وهذه الأربع غير التحية، وإن كان إذا اقتصر عليها حصلت ضمناً، ويحتمل خلافه علىٰ ما في الشرح، وفيه في المسألة وغيرها بَسْطٌ (تقرأ في كل ركعة) من الأربع (بعد الفاتحة خمسين مرة سورة الإخلاص) قل هو الله أحد إلىٰ آخرها، (ففي الخبر) عند الدارقطني والخطيب وإن استغرب (أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك) أي: صلىٰ الأربع علىٰ النحو المذكور (لم يَمُتْ حتىٰ يرىٰ مَقْعَدَه) منزله (من الجنة أو يُرىٰ له)؛ وفي خبر آخر «طلب ذلك يوم عرفة بين الظهر

ولا تَتْرُكِ التحيةَ وإنْ كان الإمام يخطُب ومن السُّنَّة أن تقرأ في أربع ركعات سورةَ (الأنعام) و(الكهفَ) و(يسَ) و(طهَ) فإن لم تَقْدِرْ فسورةَ (يس) (الۤم السجدة)..................

والعصر» وفي معنىٰ هذه الرواية احتمالان في الشرح[1].

(ولا تَتْرُكِ) ندباً (التحيةَ) ركعتين خفيفتين بنيَّة التحية، أو سنة الجمعة علىٰ ما في الشرح، (وإنْ كان الإمام يخطُب) وتخفيفها مندوب علىٰ ما في شرح مسلم، وواجب علىٰ ما في غيره؛ قال الزركشي: بالاقتصار علىٰ الواجب، فلا يقرأ السورة ونحوها.

(ومن السُّنَّة) في يوم الجمعة (أن تقرأ في أربع ركعات) تصليها بتسلمية، ويحتمل كل ركعتين بتسليمة (سورةَ الأنعام) لما في قراءتها من الخصوصيات، والأنعام (و) سورة (الكهفَ) المناسب قراءتها في يوم الجمعة وليلتها حتىٰ نُدبت كثرتها فيهما، (و) سورة (يسَ) التي هي قلب القرآن، (و) سورة (طهَ) التي هي من تشاريف[2] النبي الأمين في مقام مخاطبات الكرامة والتمكين من رب العالمين؛ (فإن لم تَقْدِرْ) لتعذُّرٍ أو تعسُّرٍ علىٰ قراءة جميع المذكورات (فسورةَ يس) وسورةَ (الۤم السجدة) وفي نسخة كالإحياء وسجدة لقمان

---

(١) قال: أن يكون في المنام أو اليقظة قبيل الموت أو في حالة كشف من أهله.

(٢) يريد جمعَ تكسير لتشريف، مثل تقسيم وتقاسيم وتصريف وتصاريف. (ر: دليل جموع التكسير لجماعة من المدرسين ص ٦٨).

و(الدخانَ) وسورةَ (الملك) تنبيه : ولا تَدَعْ قراءةَ هذه السُّوَر ليلة الجمعة ففيها فضلٌ كثير ومن لا يُحسنُ ذلك فليكثر قراءة سورة (الإخلاص) وأَكْثِرِ الصلاةَ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في هذا اليوم خاصَّةً. . . . .

(والدخانَ وسورةَ الملك)، ولهذه السورة فضائل ذكرت بعضها في الشرح.

(تنبيه) عُلم مما تقدم أنه يُندب في يوم الجمعة صلاة ثمان ركعات أربع فيها قراءة الإخلاص مائتين، وأربع فيها قراءة هذه السور الأربع فلا تغفَل، ومع الأمر بقراءتها في الأربع يوم الجمعة حرَّض عليها في ليلتها بقوله: (ولا تَدَعْ قراءةَ هذه السُّوَر) في صلاة أو غيرها (ليلة الجمعة) الغَرَّاء الزَّهراء (ففيها) أي: في قراءتها في الليلة (فضلٌ) ثواب (كثير) كما أن الثواب في قراءتها مطلقاً كذلك، ومن الثواب في قراءة بعض هذه السور ما يتعجله قارئها في نفسه ومعاشه؛ (ومن لا يُحسنُ ذلك) كله أتىٰ بما يحسنه منه؛ فإن لم يحسن شيئاً منه (فليكثر) ندباً (قراءة سورة الإخلاص)، فلقراءتها وإكثارها فضل عظيم، لاسيما يوم الجمعة وليلتها.

(وأَكْثِرِ) ندباً (الصلاةَ) مع السلام (علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في هذا اليوم) الأزهر (خاصَّةً)، فإن لخصوصها فيه أثراً عجيباً ونفعاً غريباً عَلِمَه مَنْ عَلِمَه ولا ينبئك مثل خبير لله الحمد، وأما بنعمة ربك فحدث، ومن ثَمَّ خَدَمْتُ الحضرة المحمدية برسالتَي: "الشجـرة

ومَهْمَا خَرَجَ الإمامُ يخطُب فاقطعِ الصلاةَ والكلامَ. . . . .

الزكية في أحاديث ثمار الصلاة النبوية". و"التحفة الفاكهية في ثمار الصلاة المحمدية". ولو لم يكن من ثمار الخدمة الشريفة إلا الرؤية النبوية المُنِيفَة التي يمنحها الله بمنِّه وكرمه مَنْ لاَزَمَ الصلاة النبوية، أو أَكْثَرَ منها في شرائف الأوقات الزكية[١]، أدام الله تعالىٰ علىٰ المحبين استجلاءَ عرائسها واجتناء غرائسها وبَذْرَ حَبِّها الذي هو كناية عن الصلاة والتسليم ليجنوا ثَمَرَ حُبِّها، ويرتشفوا من ذلك التسنيم، ويرتقوا علىٰ كاهل الرفعة ذات التسليم[٢].

(ومَهْمَا) وفي نسخة: وإذا (خَرَجَ الإمامُ) وجلس علىٰ المنبر (يخطُب) أي: ليخطب (فاقطعِ) وجوباً (الصلاةَ) أي: لا تُصَلِّ الصلاة نافلة، وإن كنت فيها فخففها وكذا لا تصل الصلاة الفريضة المَقْضِيَّة المتحري إيقاعها في الوقت المذكور، فإن النافلة غير التحية، والمقضية المذكورة من وقت جلوسه لا تصح علىٰ الأصح.

(و) اقطع ندباً (الكلامَ) الأجنبي إن كنت فيه، واحفظ لسانك منه

---

(١) حُذف جواب (لو) وهو أبلغ.

(٢) والكتُبُ في فضائل الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام لا يكاد يحصيها عدٌّ من تآليف المتقدمين والمتأخرين يحدو أربابها الحبُّ، لإمام أهل القُرب من حضرة الرب، فيارب ارزقنا محبته ورؤيته والحشر تحت لوائه والورود علىٰ حوضه، والشرب من يده. آمين مع خاصة من ارتضيت.

واشتغلْ بجواب المؤذن، ثم باستماع الخطبة والاتعاظِ بها ودَعِ الكلامَ رَأْساً في الخطبة ففي الخبر: أن مَنْ قال لصاحبه والإمام يخطب أَنْصِتْ أو صَهْ فقد لَغَا ومن لغا فلا جمعة له.

إن لم تكن فيه كما سيؤخذ من قوله: ودَعِ الكلام، قيل لا يكره إلا والخطيب في الأركان، لا في نحو الدعاء للسلطان، واختار المصنف كإمامه إمامِ الحرمين حرمةَ الكلام علىٰ الأربعين، لا من زاد عليهم، والمعتمدَ الكراهية مطلقاً إلا لمصلحة شرعية، وفي الشرح دليل المسألة مع مزيد.

(واشتغلْ) ندباً عنه (بجواب المؤذن، ثم) اشتغل (باستماع الخطبة) أي: قصد سماعها (والاتعاظِ بها) لأنه ثمرة الاستماع، فإن لم تستمع بحيث تفهم نُدِبَ لك الذِّكْر، (ودَعِ) اترك (الكلامَ) الأجنبي دون كلام مسنون كتسمية، وواجب كرَدِّ سلام، وإن كره ابتداؤه حَالَ الخطبة، وبَالَغَ في النهي عنه بقوله: (رَأْساً) أي: جملة (في الخطبة) وفي الشرح بيانُ منع التكرار بقوله: دع الكلام مع قوله قبله: اقطعه.

(ففي الخبر) خبرِ مسلم ما معناه (أن مَنْ قال لصاحبه والإمام يخطب) أي: والحال أنه يخطب (أَنْصِتْ أو) ما في معنىٰ هذه الكلمة كقوله: (صَهْ) بمعنىٰ: اسكت (فقد لَغَا)؛ ولفظ رواية مسلم وغيرها ذكرته في الشرح، وليس في روايته، بل في رواية غيره، (ومن لغا فلا جمعة له) كاملة، واللغو ترك الأدب، كذا قيل؛ وفي الحديث: «مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب مثل الحمار يحمل أسفاراً»

لأنَّ قولَه أنصت كلامٌ فينبغي أَنْ يَنْهَىٰ غيرَه بالإشارة لا باللفظ ثم اقتدِ بالإمام كما سبق فإذا فَرَغْتَ و سَلَّمْتَ فاقرأ (الفاتحةَ) قَبْلَ أن تتكلم سبع مرات و(الإخلاص) سبعاً و(المعوِّذتين) سبعاً سبعاً فذلك. . .

وفي آخر: «من لغا وتخطىٰ رقاب الناس كانت له ظهراً» (لأنَّ قولَه أنصت كلامٌ) لغة وشرعاً، (فينبغي) يندب (أَنْ يَنْهَىٰ غيرَه) عند وجود مقتضىٰ النهي (بالإشارة) المفهمة (لا باللفظ) صريحه وكنايته محافظةً علىٰ سُنَّة الإنصات ما أمكن، (ثم اقتدِ بالإمام) تابِعْهُ وجوباً فيما يجب، وندباً فيما يندب (كما سبق) في آداب القدوة ونحوها.

(فإذا فَرَغْتَ) من الصلاة (و) هو بمعنىٰ (سَلَّمْتَ) أو هي أَنَصُّ باعتبار شمولها للتسليمة الثانية؛ لأن الفراغ يحصل بالأولىٰ (فاقرأ) ندباً (الفاتحةَ) لحديث عند المنذري فيه قبل أن تثني رجليك، وليس فيه (قَبْلَ أن تتكلم سبع مرات) لكن ترك الكلام أفضل، وربما تَوَقَّفَ ثوابُ الوارد عليه، (و) اقرأ (الإخلاص) أي: سورته بعد الفاتحة (سبعاً) قبل التكلم، (و) كذلك سورتي (المعوِّذتين) بكسر الواو قل أعوذ برب الفلق إلىٰ آخرها وقل أعوذ برب الناس إلىٰ آخرها (سبعاً) أي: الفلق سبع مرات وسورة الناس (سبعاً) أي: سبع مرات، كذلك لحديث حَسَنٍ في ذلك رُتِّبَ فيه علىٰ قراءة هذه السُّوَر الثلاث إعاذةُ الله قارءها بها من السوء من الجمعة إلىٰ الأخرىٰ، ولم يُشترط فيه ترك الكلام وعدم ثَنيِ الرِّجْل؛ لكن الظاهر أن تَركَه وعدم الثَّنيِ أفضلُ.

وإلىٰ الإعــاذة المذكورة في الحـديث أُشيرَ بقـوله: (فذلك) أي:

يَعْصِمُكَ من الجمعة إلىٰ الجمعة ويكونُ حِرْزاً لك مِنَ الشيطان وقُلْ: اللهم يا غنيٌّ يا حميد يا مبدئ يا مُعِيدُ يا رحيم يا ودود أَغْنِنِي بِحَلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سواك، وبطاعتك عن معصيتك. ثم صَلِّ بعد الجمعة. . . . .

قراءة هذه السور سبعاً (يَعْصِمُكَ) يحفظك من السوء (من) يوم (الجمعة) وقت زمن القراءة (إلىٰ الجمعة) أي: إلىٰ يوم الجمعة الأخرىٰ، وهو صادق بآخر ساعة منه، (ويكونُ حِرْزاً لك) في المدة المذكورة لنفسك وولدك ـ وإن سفُل ـ ومالك (مِنَ الشيطان) الذي هو السوء كله أو عماده أو أصله، ولعل ذكر الحِرْزِيَّة بعد العصمة بيان لها أو قدر زائد أو تنصيص علىٰ الأهم.

(وقُلْ) ندباً كما صرح باستحبابه أبو طالب المكي وغيره: (اللهم يا غنيٌّ يا حميد يا مبدئ يا مُعِيدُ يا رحيم يا ودود) ولهذه تعلُّقات وتخلُّقات وخصوصيات ذكرتها في كتاب الأخلاق، وجاء في حديث حسن صحيح: اللهم (أَغْنِنِي) وفي لفظ: اكفني (بِحَلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سواك، وبطاعتك عن معصيتك) وفي لفظ تقديم وبطاعتك إلىٰ آخره علىٰ ما قبلها، ومن خصوصيات هذا: قضاء الدين والغنىٰ وحصول الرزق من غير احتساب، لكن لمن واظب عليه، قيل ولو جمعتين في كل جمعة سبعين، وليس في الحديث تخصيصه بيوم الجمعة.

(ثم صَلِّ) ندباً (بعد) صلاة (الجمعة) وبعد قراءة المأثور

ركعتين أو أربعاً أو ستاً فكُلٌّ ذلك يُروىٰ بأحوال مختلفة ثم لاَزِمِ المسجدَ إلىٰ المغرب أو إلىٰ العصر وكُنْ حَسَنَ المراقبة للسَّاعةِ الشَّريفةِ. . . . .

(ركعتين) المؤكدتين، (أو أربعاً) المؤكدة وغيرها ولو بتسليمة مرة، (أو ستاً) كما في "الإحياء" "والقوت" قيل ركعتين ثم أربعاً بتسليمة، (فكُلٌّ ذلك) الصادق بالسِّتِّ خلافاً لابن الصلاح في قوله هي من شذوذ "الإحياء" "والبداية" (يُروىٰ) من طرق صحيحة، وطرق يعمل بها في الفضائل في كتب السنة كما في الشرح (بـ) سبب (أحوال مختلفة) عن صاحب السُّنَّة الغرَّاء والمحجَّة البيضاء.

(ثم لاَزِمِ) ندباً إلا لعذر (المسجدَ) من الجمعة أو التكبير لها (إلىٰ المغرب) لأنه ينتهي به اليوم، فتكون ملازمتك له إذا بكرت من الفجر قد عمرته بالطاعة، أو عمرت شطره وزيادة بها إذا لزمته قبيل وقت الجمعة، فيستتبعه الفائت، لأن الغلبة للكثير ولما فيه الخير، ولابد لطلب هذه الملازمة في السنة من سَنَدٍ أرجو الظَّفَر به، (أو إلىٰ العصر) لحديث البيهقي: «إن لكم في كل جمعة حَجَّة وعمرة، والحَجَّةُ التهجير إلىٰ الجمعة، والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة» ورأيت شيخنا أبا الحسن البكري وغيره ممن يقتدىٰ به يلزَمُ المسجد من الجمعة إلىٰ عصرها، وفي الشرح بيان آداب هذه الملازمة، ومن أهمه تَوقِّي المخالفة واللغو.

(وكُنْ حَسَنَ المراقبة) بالطاعة كالدعاء (للسَّاعةِ الشَّريفةِ) ساعـــة

فإنها مبهمة في جميع اليوم فعسىٰ أن تُدْرِكَها وأنتَ خاشعٌ لله تعالىٰ متضرِّع ولا تحضُرْ في الجامع الحِلَقَ و مجالِسَ القُصَّاص بل مجلسَ العلم النافع وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالىٰ

الإجابة في يوم الجمعة، (فإنها مبهمة) كما تقدم (في جميع اليوم) المذكور، (فعسىٰ أن تُدْرِكَها) بحسن مراقبتك (وأنتَ) والحال أنك (خاشعٌ) حاضر القلب ساكن الجوارح (لله تعالىٰ) لا للرياء ونحوه، (متضرِّع) داع ولو بلسان الحال والاستحضار، وفي الشرح بَسْطٌ.

(ولا تحضُرْ) ندباً يوم الجمعة (في الجامع) المسجد الذي يجمع الناس (الحِلَقَ) أي: في الحلق المتحلقة قبل صلاة الجمعة للنهي عن التحلق المذكور (و) الحلق جمع حَلْقة بفتح اللام وسكونها والمراد بها (مجالِسَ القُصَّاص) الوعاظ الجهلة، أو المراد بالحلق: ما يشمل مجالس الجدال المذموم في علوم الرسوم، ثم نص علىٰ مجالس[1] القصاص للاهتمام بالتحذير عنها لكثرة الأكاذيب فيها من جهلة الوعاظ، (بل) احضر (مجلسَ العلم النافع) الشامل لمجلس الفقه ومجلس التذكير بالله، (وهو) أي: النافع أو المجلس المذكور (الذي يزيد في خوفك من الله تعالىٰ) زيادة تحجزك عن المنهي عنه

---

(١) وللحافظ الإمام السيوطي كتاب نفيس بعنوان: تحذير الخواص من أكاذيب القُصَّاص وللإمام ابن الجوزي: كتاب القصاص والمذكرين، وللحافظ العراقي: الباعث علىٰ الخلاص من حوادث القصاص.

ويحثُّك علىٰ التفقه في الدين ويَنْقُصُ من رغبتك في الدنيا فكلُّ علم لا يَدْعُوكَ من الدنيا إلىٰ الآخرة فالجهلُ أَعْوَدُ عليك منه فاستعذْ بالله تعالىٰ مِنْ عِلْمٍ لا يَنفع وأكثِرِ الدعاءَ عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب. . . . .

(ويحثُّك علىٰ التفقه في الدين)، ويبعثك علىٰ تفقه في الدين حَثَّ عليه حديثُ «من يرد الله به خيراً» (ويَنْقُصُ من رغبتك في الدنيا) الضارة نقصاً بيِّناً، بحيث تفر منها فرارك من الجيفة أو السَّبُع؛ وفي الشرح مزيد علىٰ هذا.

(فكلُّ علم) من العلوم (لا يَدْعُوكَ من) دار (الدنيا) ويُنَفِّرك عما يَضُرُّ فيها (إلىٰ) الدار (الآخرة) ويرغبك في نعيمها (فالجهلُ) ضده (أَعْوَدُ) أعظم عَوْداً في النفع (عليك منه) من العلم المذكور علىٰ ما بينته في الشرح؛ (فاستعذْ) ندباً (بالله تعالىٰ) الذي من استعاذ به أعاذه (مِنْ عِلْمٍ لا يَنفع) كما أُمرتَ بالاستعاذة منه في الحديث.

(وأكثِرِ) ندباً (الدعاءَ) بما لا إثم فيه في أوقات الإجابة ومظانها، لاسيما في يوم الجمعة محافظة علىٰ تحصيل ساعة الإجابة منه. ومظانُّها: (عند طلوع الشمس)، وهذا الوقت كالذي بعده في كلام المصنف، قيل فيه إنه وقت هذه الساعة، وكأن المصنف ما خص هذه الأوقات بالذكر إلا لذلك، لا لمجرد كونها وقت إجابة مطلقاً فلا تغفل؛ (وعند الزوال) لها، (وعند الغروب) لها وهو ساعتها عند

وعند الإقامة وعند صعود الخطيب المنبرَ وعند قيام الناس إلىٰ الصلاة فيوشِكُ أن تكون هذه الساعةُ في بعض هذه الأوقات

الأكثر وأُثِرَ عن الزَّهراء البَتُول[1]؛ (وعند الإقامة) لصلاة الجمعة، (وعند صعود الخطيب المنبرَ). أو غيره مما يخطب عليه، (وعند قيام الناس إلىٰ الصلاة) صلاة الجمعة.

وفي تعيين وقت ساعة الجمعة بضع وثلاثون قولاً، وخلاف طويل بين الصحابة والتابعين لهم بعدهم، وأصحها وأرجحها أنها ما بين جلوس الخطيب علىٰ المنبر إلىٰ السلام من الجمعة، وبه جاء حديث مسلم؛ وفي الشرح حكاية لأكثر الأقوال وأدلة للمسألة طَويتُ ذلك هنا مع أنه مهم للاختصار واكتفاء بما في الشرح، (فيوشِكُ) يقرب (أن تكون هذه الساعةُ) ساعة الإجابة يوم الجمعة (في بعض هذه الأوقات) السابقة، ونقل عن المصنِّف أن الراجح عنده أنها تنتقل

---

(١) فاطمة بنت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولقبت بالبتول لانقطاعها عن الدنيا إلىٰ الله تعالىٰ وأما مريم بنت عمران فسميت بالبتول لانقطاعها من الأزواج. وفي اللغة: بتله يبتله (من بابي: نصر وضرب) بتلاً: قطعه وبتَّله تبتيلاً. (التاج/بتل) وهنيئاً للسيدة فاطمة – رضوان الله عليها سيدة نساء العالمين فقد تسلسل منها ومن زوجها ابن عم رسول الله مدينة العلم كرم الله وجهه ورضي عنه- النسلُ الطاهر، والسادات الأكابر الذين يتعطر العصر وأهل العصر بذكر الواحد منهم، فكيف سيكون شأنها وشأن زوجها يوم العرض علىٰ الله ؟! فيارب انفعنا بهم وبجاههم في الدنيا والبرزخ والآخرة!.

واجتهدْ أن تتصدقَ في هذا اليوم بما تَقْدِرُ عليه وإِنْ قَلَّ فَتَجْمَعَ بين الصلاةِ والصوم والصدقة والقراءة والذِّكر والاعتكافِ؛ واجعلْ هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك فعسىٰ أن يكون كفارةً لبقية الأسبوع.

في يوم الجمعة، ولا تلزم ساعة بعينها، ولعله يُشعر به قولُه في بعض هذه الأوقات.

(واجتهدْ) ندباً (أن تتصدقَ في هذا اليوم) يوم الجمعة كليله (بما تَقْدِرُ عليه) سَمَحَتْ به نفسك أو شحَّتْ، ففي الحديث الأمر بها مطلقاً، وفي الزمن الفاضل، وفيه أيضاً: "وأفضلُ الصدقة أن تَصَدَّقَ وأنت صحيح شحيح" (وإِنْ قَلَّ) هذا الذي تَقْدِرُ عليه، أو إن قَلَّ ما تصدقتَ به، ففي الحديث ما معناه: «إن الله لَيُربِّي لأحدكم اللقمة حتىٰ تكون كالجبَل كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّه»؛ (فَتَجْمَعَ) في يومك بسبب ما تقدم (بين الصلاةِ) صلاةِ الجمعة وراتبتها، والصلاة النبوية والدعاء لأنه صلاة، (والصوم) صومِ يوم الجمعة معٍ يوم قبله أو بعده، (والصدقة) وإن قَلَّت لأنها كثيرة الثواب، وقليلُ المقبول كثيرٌ، (والقراءة) للكهف وغيرها، (والذِّكر) الشامل لسائر أنواعه حتىٰ الدعاء، (والاعتكافِ) الشامل للشرعي، وللمُكث الاعتكاف اللغوي انتظاراً لعصر الجمعة علىٰ ما تقدم؛ (واجعلْ) ندباً بالنية (هذا اليوم) يوم الجمعة (من الأسبوع خاصةِ لآخرتك) بجمع هذه الخصال السابقة فيه، (فعسىٰ) بسبب ذلك (أن يكون) هذا اليوم باعتبار ما فيه (كفارةً) أي: مكفراً ماحياً (لبقية الأسبوع) باعتبار ما وقع فيه من التقصير.

آداب الصيام

لا ينبغي أن تقتصر علىٰ صوم رمضانَ فتترُكَ التجارةَ بالنوافل وكَسْبِ الدرجات العالية في الفردوس فتتحسَّرَ ....

آداب الصيام

هذه (آداب الصيام) مع ما ذكر معه، وقد ذَكَرتُ جميع ما ذكره المصنف فيما يأتي تفصيلاً، (لا ينبغي) أي: يتأكد (أن) لا (تقتصر علىٰ صوم) شهر (رمضانَ) وهو التجارة بفرائضه، وفي نسخة تصريح بالشهر في العبارة، ولكلٍّ حكمةٌ أشرتُ إليها في الشرح[1]، (فتترُكَ) أي: فتكون بسبب اقتصارك علىٰ صوم رمضان قد تَركْتَ (التجارةَ بالنوافل) نوافل الصيام (وكَسْبِ الدرجات العالية في الفردوس) جَنَّةٌ مخصوصة، أو مُطْلَقُ الجنة، وفي نسخة: الفراديس، أي: بساتين الجِنَانِ، لأن الفردوس لغةً: البستان ذو الكَرْم والشجر (فتتحسَّرَ) فتندم، والمراد تكون بمنزلة المتحسِّر النادم؛ لأن الجنة لا نَصَبَ فيها، والندم نَصَبٌ.

---

(١) ليبين أن إسقاط كلمة (شهر) لا كراهة فيه، وإثباتها فيه بيان الأولىٰ، والخروج من الخلاف وموافقة الكتاب (شهر رمضان..) (بتصرف).

إذا نظرتَ إلىٰ الصائمين كما تنظرُ إلىٰ الكواكب الدُّرِّيَةِ وهم في أعلىٰ عليين و الأيام الفاضلة التي شهدتِ الأخبار بِشَرَفِها وجزالةِ الثواب في صيامها : يومُ عرفةَ لغير الحاج ويومُ عاشوراء

(إذا نظرتَ) في الجنة (إلىٰ الصائمين) في منازلهم، أو إليها كما في نسخة (كما تنظرُ) في الدنيا (إلىٰ الكواكب الدُّرِّيَةِ) النجوم العليَّة التي هي كالدُّرِّ في السَّناء والصَّفاء، (وهم) أي: الصائمون (في أعلىٰ عليين) أعلىٰ منازل الجنة، (و) تتركَ (الأيام الفاضلة) للصوم، أو تترك التجارة بالأيام الفاضلة له (التي شهدتِ الأخبار) الأحاديثُ (بِشَرَفِها) علىٰ غيرها، ولبيان معنىٰ شرفها أو بعضه أشير بقوله: (وجزالةِ[1] الثواب في صيامها:)

(يومُ عرفةَ) المفضَّل في الصوم علىٰ سائر الأيام بعد رمضان، لكن (لغير الحاج) الذي لا يَصِلُها ليلاً والمسافر والمريض، ودليلُ فضله الشهيرِ في الشرح، (ويومُ عاشوراء) بالمد والقصر عاشر المحرم[2]، لأن صيامه بشرطه يُكَفِّرُ السنة الماضية، ودليله كحكمة تسميته بذلك وغيرها في الشرح، ويندب مع صوم عاشوراء صومُ يومٍ

---

(١) في نسخة (م) وجزيل.

(٢) لم يُعرَّف بالألف واللام من الأشهر العربية إلا هذا الشهر، ونُسِبَ في الحديث إلىٰ الله تشريفاً.

قبله وبعده[١].

(والعشرُ الأول من ذي الحَجة) بكسر الحاء وفتحها، لأنه أفضل من أيام عشر رمضان للحديث الصحيح الشهير فيه، ولحديث ابن ماجه والترمذي: «إنَّ صومَ يومٍ منه يَعْدِلُ صيام سنة، وقيامَ ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر».

(والعشرُ الأول من المحرم) بالنسبة للصوم، فعند مسلم: «أفضلُ الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» والطبراني: «من صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً[٢]» ولم أقف علىٰ دليل خصوص هذه العشر، وعسىٰ الله أن يفتح به[٣]. (ورجبٌ) كله وإن كان بعض

---

(١) ومما يسن التوسعة علىٰ الأهل والعيال روىٰ البيهقي وغيره من طرق مرفوعاً: من وسع علىٰ عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته. قال البيهقي: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلىٰ بعض أحدث قوة والله أعلم. (انظر طرقه في شعب الإيمان ٣/٣٦٥-٣٦٧).

(٢) عند الطبراني في الصغير من رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب [١١٤/٢]: وإسناده لا بأس به.

(٣) قال ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف (ص٨٠): قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم... وقد قيل: إنه العشر الذي أتم الله به ميقات موسىٰ عليه السلام أربعين ليلة، وأن التكلم وقع في عاشره. وروي عن وهب بن =

وشعبانُ وصومُ الأشهر الحُرُم من الفضائل وهي ذو القِعدة وذو الحِجَّة والمحرم ورجبٌ واحدٌ فَرْدٌ وثلاثةٌ سَرْدٌ هذا في السَّنَة

الصحابة لا يرىٰ صومه كله حتىٰ لا يُضاهِي رمضان أو لغير ذلك، ودليل استجابه كونه من الأشهر الحرم المصرح باستحباب صومها، والأمر به في أحاديث ضعيفة.

(وشعبانُ) لحديثين في صومه.

(وصومُ الأشهر الحُرُم من الفضائل) العظيمة (وهي ذو القِعدة) بفتح القاف وكسرها، (وذو الحَجَّة) بفتح الحاء وكسرها، (والمحرم ورجبٌ) هذه تمامها، (واحدٌ فَرْدٌ) وهو رجب، (وثلاثةٌ سَرْدٌ) وهي ما قبله متتابعة متناسقة، وهي للصوم بعد رمضان أفضل من بقية الشهور، وأفضلها المحرم، ثم رجب، ثم فيما يظهر الحجة باعتبار عَشرها، ثم القعدة (هذا) ما يتأكد صومه، ويوجد (في السَّنَة) ويتكرر بسنة أخرىٰ، وهو الأول من أقسام ثلاثة.

ثانيها: ما يتكرر بتكرر الشهور ويتأكد صومه، وهو ثلاثة أيام من شهر حرام، لما في "الإحياء" وخرجه الأَزْدِيُّ: «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كَتب الله له عبادة سبعمائة عام،

منبه، قال: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن مُرْ قومك أن يتقربوا إليَّ في أول عشر المحرم، فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إليَّ أغفر لهم.

وأما في الشهر : فأول الشهر وآخره و الأيامُ البيض وهي الثالثَ عشرَ والرابعَ عشر والخامسَ عشر وأما في الأسبوع : فالإثنين والخميس والجمعة. . . . .

وإلىٰ هذا القسم الثاني أشار بقوله: (وأما) ما يوجد ويتأكد صومه (في الشهر) فيتكرر بتكرر الشهور فثلاثة، (فأول الشهر) أول يوم منه للنص، أو ثلاثة أيام من أوله قياساً علىٰ آخره، ويسن صوم الثاني (وآخره) الأيام السود الثلاثة إن تم الشهر، وينبغي صوم السابع والعشرين، (و) أوسطه (الأيامُ البيض[1]) وصفها بالبياض والسود بالسواد باعتبار الليالي، أو وصف البيض بالبياض باعتبار تبييض جسد آدم بصيامها بعد اسوِدَادِه عند هبوطه إلىٰ الأرض وإشراق الشمس عليه، علىٰ ما في أَثَرٍ أو خبر قيل، ولوائح الوضع ظاهرة عليه باعتبار مَنْعِ أن يقال لنبيٍّ أسود، (وهي) علىٰ الأصح (الثالثَ عشرَ والرابعَ عشر والخامسَ عشر)، فيستحب صومها وصوم الثاني عشر، وفي ذي الحجة يستحب صوم السادس عشر عوضاً عن الثالث عشر.

وإلىٰ القسم الثالث أشار بقوله: (وأما) ما يوجد ويتأكد صومه (في الأسبوع فالإثنين والخميس والجمعة) لأن كل يوم من هذه الثلاثة يستحب صومه وحده ومع غيره إلا الجمعة فيكره إفرادها.

---

(١) المشهور: أيام البيض والتقدير عندهم: أيام الليالي البيض؛ لأنها منوَّرة بالقمر فيكون (البيض) صفة لموصوف محذوف تقديره (الليالي).

فكَفِّر ذنوبَ الأسبوع بصوم الإثنين والخميس والجمعة، و ذنوبَ الشهرِ باليوم الأول واليوم الأوسط من الشهر واليومِ الآخر والأيامِ البيض و ذنوبَ السَّنَة بصيام هذه الأيام والأشهرِ المذكورة ولا تَظُنَّنَّ إذا صمتَ أن الصوم تركُ الطعام والشراب والوِقاع فقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: كَمْ مِنْ صائم ليس له من صيامه إلا الجوعُ والعطش.

فإذا تقرَّر فضل هذه الأيام لديك، وأن صومها مكفِّرٌ أخذاً مما جاء في الأثر، (فكَفِّر ذنوبَ الأسبوع) بأن تتسبب في تكفيرها (بصوم) يوم (الإثنين والخميس والجمعة، و) كفر (ذنوبَ الشهرِ) (بـ)صوم (اليوم الأول واليوم الأوسط) خامسَ عَشَرَ أو رابعَ عشر (من الشهر واليومِ الآخر) التاسع والعشرين، (والأيامِ البيض) ومنها اليوم الأوسط، (و) كفرَ (ذنوبَ السَّنَة بصيام هذه الأيام) السابق ذِكْرها، (والأشهرِ) الأربعة الحُرُم وشعبان (المذكورة) فيما سبق.

(ولا تَظُنَّنَّ) ظناً يتبين خطؤه (إذا صمتَ) فرضاً أو نفلاً، أو أردت الصوم (أن الصوم) الشرعي (تركُ الطعام والشراب والوِقاع) الجماع فقط، بل هو الإمساك عن ذلك ونحوه علىٰ وجه مخصوص سيأتي بيانه قريباً؛ (فقد) روىٰ أبو هريرة في حديث النسائي وابن ماجه بما لفظه: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: كَمْ مِنْ صائم) أي: مِنْ مُمْسِكٍ (ليس له من صيامه) أي: من إمساكه الذي نواه (إلا الجوعُ والعطش)، ومجردهما غير كَافٍ في الصوم

بل تَمامُ الصوم أن تَكُفَّ الجَوَارِحَ عما يَكْرَهُ الله تعالىٰ بل ينبغي أن تَحْفَظَ العينَ عن النَّظَرِ إلىٰ المَكَارِهِ و اللسانَ عن النطق بما لا يَعْنِيكَ و الأُذُنَ عن الاستماع إلىٰ ما حَرَّم الله تعالىٰ فإن المستمعَ شريكُ القائل وهو أحد المغتابَين وكذلك تَكُفَّ جميعَ الجوارِح

الشرعي، (بل تَمامُ الصوم) الشرعي (أن تَكُفَّ الجَوَارِحَ) عنها وعن بقية المحرمات علىٰ الصائم، كما دل عليه قوله: (عما يَكْرَهُ الله تعالىٰ) من المحرمات، بل وعن المكروهات وخلاف الأولىٰ، كما دَلَّ عليه قوله يَكْرَه.

ونَصَّ عليه وعلىٰ ما يشمل بعض المحرمات بقوله: (بل ينبغي) أي: يُسَنُّ من حيث الصوم، ويجب مطلقاً (أن تَحْفَظَ) معنىٰ تغضَّ (العينَ عن النَّظَرِ إلىٰ المَكَارِهِ) ما فيه كراهة كالمحرم، نحو نظر الأجنبية بشرطه، وكالمكروه نحو الرياحين، فإنه يكره نظرها كَشَمِّها ولَمْسِها، والضابط أن تحفظه عن كل شاغل للقلب ملَّه عن الذكر، (و) تحفظ (اللسانَ عن النطق بما لا يَعْنِيكَ) مع إلزامه الذِّكْر، لأن هذا صومه والنطق بما لا يعني مَنْهِيٌّ عنه، (و) تحفظ بمعنىٰ تَكُفَّ (الأُذُنَ) بضم الهمزة بمعنىٰ السمع (عن الاستماع) به (إلىٰ ما حَرَّم الله تعالىٰ) وكرهه، (فإن المستمعَ) لحرام أو مكروه (شريكُ القائل) له في الإثم والملامة، وفي الشرح دليله بما فيه، (وهو) أي: المستمع (أحد المغتابَين.

وكذلك) ينبغي أن (تَكُفَّ) بمعنىٰ تحفظ (جميعَ الجوارح) العـــين

كما تكفَّ البطن والفرج ففي الخبر: خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصائمَ: الكذبُ والغيبةُ والنميمةُ واليمينُ الكاذبةُ والنظرُ بشهوة.

واللسان والأذن وغيرها عن الحرام أو الشبهة كفاً عظيماً (كما تكفَّ البطن والفرج) بحفظهما عن الأمرين، وحَثَّ في «الإحياء» علىٰ كف البطن عن الشبهة وقت الإفطار، وليس في عبارة المصنف حشو وتكرار، بل لقوله: وكذلك تكف جميع الجوارح بعد قوله: تمام الصوم وأن تكف الجوارح نُكُتٌ بديعة أشرت إلىٰ بعضها في الشرح[1]، وربما يلوح للفَطِنِ من مَزْجِي العبارة هنا فليتأمل.

(ففي الخبر) وإن كان ضعيفاً (خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصائمَ) أي: يُبْطِلْنَ ثوابه: (الكذبُ) الحرام، لا الجائز ككذبٍ لإصلاحٍ وحَرْبٍ وزوجة، (والغيبةُ) المحرمة ولو بنحو: سامحه الله كما صرحوا وبهذا المثال، وواضح أنه منها عند قيام القرينة، ثم رأيت المصنف صرح به فيما يأتي، لا الغيبة الجائزة كذِكْرِ حال إنسان ليُحْذَرَ، وغيبة متجاهر بِفِسْق يُجَاهِرُ به (والنميمةُ) نَقْلُ الكلام علىٰ قصد الإفساد، أما لو نقله لقصد الإصلاح ولزم منه إفساد لم يكن حراماً، والله يعلم المقاصد والنيات، (واليمينُ الكاذبةُ) خصوصاً الغَمُوسِ التي تُصَيِّرُ الدِّيار بَلَاقِعَ كما وَرَدَ، (والنظرُ بشهوة) لاسيما إلىٰ من لا يَحِلُّ نَظَرُه، وسيأتي

---

(١) قال: لما نص علىٰ حفظ العين واللسان والأذن ربما توهم متوهم أن غير الثلاثة من بقية الجوارح لا يؤكد في شأنه فقال: وكذلك تكف. اهـ.

وقال صلىٰ الله عليه وسلم: إنما الصوم جُنَّةٌ من النار فإذا كان أحدُكم صائماً فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ فإن امرؤٌ قاتَلَه أو شاتَمَه فليقُلْ إني صائم. ثم اجتهدْ أن تُفْطِرَ علىٰ طعام حَلاَلٍ ولا تستكثِرْ منه فتزيدَ علىٰ ما تأكله كُلَّ ليلة.........

الكَلام أبسط من هذا علىٰ هذه الخمس عند ذكر المصنف لها في مبحثها في القسم الثاني.

وروىٰ أيضاً أبو هريرة كما في حديث الشيخين: (وقال صلىٰ الله عليه وسلم إنما الصوم جُنَّةٌ) وقاية (من النار) نارِ جهنم ونارِ الشهوات، فمن لم يتقها فليس بصائم، (فإذا كان أحدُكم صائماً) صوماً شرعياً وسبق بيانه (فلا يَرْفُثْ) يأت بفحش الكلام ونحو الجماع، (ولا يَجْهَلْ) يتعدَّ بالقول أو الفعل، (فإن امرؤٌ) إنسان (قاتَلَه أو شاتَمَه فليقُلْ) ندباً في قلبه تذكيراً لنفسه، وبلسانه لأن جَمْعَهُما حَسَنٌ، (إني صائم) يقوله مرتين أو ثلاثاً، وكلام النووي يقتضي ندب إسماعه القول لشاتِمِهِ ومُقَاتِلِه، وجرىٰ جَمْعٌ علىٰ قوله في نَفْسه.

(ثم اجتهدْ) ندباً (أن تُفْطِرَ علىٰ طعام) أي: مطعوم (حَلاَلٍ) خالص عن الشبهة، ولعِزَّته قال: اجتهد (ولا تستكثِرْ منه) من الخالص، فكيف المشتبه؟ (فتزيدَ علىٰ ما) كنت (تأكله كُلَّ ليلة) في غير أوقات الصيام، فإن الزيادة المذكورة إكثار، وفيها تدارك ما فات

فلا فَرْقَ إذا استوفيتَ ما تعتادُ أَنْ تأكلَه دَفْعتين في دَفعة واحدة وإنما المقصودُ كَسْرُ شهوتك وتضعيفُ قوتِكَ لِتَقْوَىٰ بها علىٰ التَّقْوَىٰ فإذا أكلتَ عَشِيَّةً فتداركتَ به ما فاتك فلا فائدةَ في صومك وقد ثَقَّلْتَ علىٰ مَعِدَتِكَ. . . . .

كما نَبَّه عليه فيما يأتي، (فلا فَرْقَ) حينئذ بين حالتي إفطارك وصيامك (إذا استوفيتَ ما تعتادُ أَنْ تأكلَه) في حالة إفطارك (دَفْعتين[1] في) زمن الغَدَاء والعشاء (دَفعة واحدة) أي: في دفعة واحدة في زمن فطرك ليلاً عند الإفطار أو السُّحور أو عندهما، إذ المراد أنه في حكمهما؛ لأن استيفاء الأكل والشرب في الزمن المذكور يُفَوِّتُ مقصود الصوم، (وإنما المقصودُ) منه (كَسْرُ شهوتك) السَّبُعية الضَّارية، (وتضعيفُ قوتكَ) المانعة قبل الصوم عن كمال التقوىٰ، (لِتَقْوَىٰ بها علىٰ التَّقْوَىٰ) امتثال الأمر واجتناب النهي.

(فإذا أكلتَ) الحلالَ علىٰ وجه الاستيفاء (عَشِيَّةً) أي: في العشية من بعد المغرب (فتداركتَ به) بالأكل المأخوذ من أَكْلْتَ (مافاتك) من غَدَائك، أو من أَكْلِكَ المعتاد في النهار (فلا فائدةَ) عظيمة (في صومك)، لأنها تحصيل مقصوده السابق، وقد علمتَ أنه فائت بهذا التدارك، ولأن المدار علىٰ تمام الصوم، ولا تمام مع هذا الفوات، (وقد) أي: والحال أنك قد (ثَقَّلْتَ علىٰ مَعِدَتِكَ) تثقيلاً يؤذي القلب

---

(١) الدفعة بالفتح المرَّة، وبالضم اسم لما يدفع بمرة. (المصباح/دفع).

وما مِنْ وِعَاءٍ أبغضَ إلىٰ الله مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ من حلال فكيف من الحرام؟ فإذا عرفتَ معنىٰ الصوم فأكْثِرْ منه فإنه أساسُ العبادات و مفتاحُ القُرُبات قال الله تبارك وتعالىٰ:

ويمنَعُه من إدراك اللطائف، والمعدة من الآدمي كالكَرِشِ من البهيمة، (وما مِنْ وِعَاءٍ) كما وَرَدَ أصْلُه في الحديث: (أبغضَ إلىٰ الله مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ من حلال) خالص، (فكيف) من الشبهة؟ فكيف (من الحرام؟) وفي الشرح بَسْطٌ في هذا المقام[1].

(فإذا عرفتَ معنىٰ الصوم) أي: تمامه ومقصوده (فأكْثِرْ منه) أي: من الصوم التَّامِّ الجامع للمقصود، (فإنه) حينئذ (أساسُ العبادات) الذي يبنىٰ عليه، وأشرت في الشرح إلىٰ حكمة كونه أساساً (و) أنه (مفتاحُ القُرُبات) وفي الشرح أيضاً بيان كونه مفتاحاً، وإلىٰ أعظم مزاياه أشير بحديث الشيخين من رواية أبي هريرة قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالىٰ) في الحديث القدسي علىٰ

---

(١) تمام الصوم عند الإمام الغزالي –رحمة الله عليه– في ستة أمور، ذكرها في الإحياء؛ اختصرها الشارح بقوله: غض البصر عن كل ما يذم ويكره، وحفظ اللسان عن الهذيان والفحش، وكف السمع عن الإصغاء للمكروه، وكف بقية الجوارح عن المكاره، والبطن عن الشبهة وقت الفطر، والكف عن الاستكثار من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلي البطن. وهذا للخواص، وأما خواص الخواص فصومهم كَفُّ القلب عما سوىٰ الله.

كلُّ حسنة بعَشْر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضِعْفٍ إلا الصومَ فإنه لي وأنا أَجْزِي به. والذي نَفْسي بيده لَخُلوفُ فَمِ الصائم أطيبُ عند الله

لسان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (كلُّ حسنة بعَشْر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضِعْفٍ) وإن ورد في بعض الحسنات الأضعاف الكثيرة، (إلا الصومَ) فإنه بأكثر كما دل عليه قوله: (فإنه لي) إضافة تشريف واختصاص (وأنا أَجْزِي) بفتح الهمزة (به) جزاء عظيماً، وإن كان المُجَازِي علىٰ كل عبادة هو تعالىٰ، وفي إسناد المجازاة هنا إلىٰ نفسه تعالىٰ تنويهٌ ومَزِيدٌ كما لا يَخْفىٰ.

وفي حديث آخر لهما من رواية أبي هريرة: (والذي نَفْسي بيده) وكثيراً ما يُقْسِمُ به وبقوله: والذي نَفْسُ محمد بيده (لَخُلوفُ) بفتح اللام الأولىٰ وضم المعجمة ويجوز فتحها[1] (فَمِ الصائم أطيبُ عند الله)

---

(١) ويرىٰ الإمام الخطابي البستي: أن فتح الخاء هو الذي يَعدُ ثم يُخْلف، قال النَّمِر بن تَوْلَب:

جزىٰ الله عنَّا جمرة ابنة نوفل جزاء خَلوفٍ بالخلافة كاذب

وأن الصواب هو ضم الخاء مصدر خَلَفَ فمُه يخلُف خلوفاً: إذا تغير (انظر كتابه إصلاح غلط المحدثين ص١٠١-١٠٢) وصوب الإمام النووي ضم الخاء وقال هو الصواب وهو الذي ذكره الخطابي وغيره من أهل الغريب، وهو المعروف في كتب اللغة. (انظر شرحه علىٰ مسلم ٧/٢٧١).

مــن ريــح المِسْــكِ يقــول اللهُ تبــارك وتعــالىٰ إنمــا تــرك شـــهوتَه وطعامَـــه وشـــرابَه مِــنْ أَجْلِــي فالصــوم لي وأنــا أَجــزي بــه. وقــال الــنبي صــلىٰ الله عليــه وســلم: للجنــة بـــاب يقـــال لـــه الرَّيَّـــان لا يدخلـــه إلا الصـــائمون

يوم القيام (من ريح المِسْكِ) الذي هو أفضل الطيب[1]، (يقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ) علىٰ لسان رسوله الصادق المصدوق صلىٰ الله عليه وسلم: (إنما ترك) وفي لفظ: يذر أي الصائم (شهوتَه) من جماع وغيره، وذكر لحكمة قوله: (وطعامَه وشرابَه مِنْ أَجْلِي) أي: لله تعالىٰ وحده (فالصوم لي وأنا أَجزي به) بفتح الهمزة.

(و) في حديث لهما من رواية سهل بن سعد (قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: للجنة باب يقال له الرَّيَّان لا يدخلِه إلا الصائمون[2]) أي: يختص بهم، وهل معنىٰ اختصاصهم به أنهم لا يدخلون إلا منه؟ أو هو مستحق لهم ويُخيَّرون بين الدخول منه ومن غيره تنويهاً بهم؟ ولا يقع هذا التخيير لغيرهم من أرباب الأعمال، وهل المراد بالصائمين من صام رمضان وغيره وإن قَلَّ؟ أو صام رمضان وأكثر من صوم النفل؟ الأمر محتمل؛ وقد بينتُ ذلك في الشرح بياناً شافياً.

---

(١) المسك والعود والعنبر هو الطيب المحبوب عند أبي الطيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم (انظر سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي (٧/٣٣٧-٣٤١).

(٢) في نسخة (م) زيادة: فإذا دخلوه أغلق.

فهذا القَـدْرُ مِـنْ شَـرْحِ الطاعـات يَكفيـكَ في بدايـة الهدايـة فـإذا احتَجْـتَ إلىٰ الزكـاة و الحـج أو إلىٰ مزيـد في شـرح الصـلاة والصـوم، فاطلبـه ممـا أوردنـاه في «إحيـاء علـوم الـدين»

(فهذا القَدْرُ) المذكور (مِنْ شَرْحِ الطاعات) أي: بيانها من ربع العبادات (يَكفيكَ في) كتابي (بداية الهداية) المطابق اسمها مُسَمَّاها (فإذا احتَجْتَ إلىٰ الزكاة) كأن كنت ذا مال يحتاج لزكاته ومعرفة حكمها من كتاب (و) إلىٰ (الحج) بأن كنتَ مستطيعاً وقصدته، أو فقيراً وقصدته متكلفاً، وأردتَ معرفة حكمه من كتاب (أو إلىٰ مزيد في شرح الصلاة) ومقدماتها كالطهارات ونحو الأذان (والصوم، فاطلبه مما أوردناه)، وفي نسخة أودعناه (في) كتابنا (إحياء علوم الدين) الدَّال اسمه علىٰ مسماه.

القسم الثاني

في اجتناب المعاصي

القسم الثاني
في اجتناب المعاصي

اعلم : أَن الدِّين شَطْران :

القسم الثاني
في اجتناب المعاصي

من قِسْمَي التقوىٰ فيما سبق، فهما قسمان، وفي نسخة: القول (في اجتناب المعاصي) الصغائر التي لا تنحصر، والكبائر التي تبلغ نحو السبعمائة كما في أَثَر، وضابطها في باب الشهادات[1] (اعلم أن الدِّين) ما تُعِبِّدنا به فِعْلاً أو كَفّاً (شَطْران) نصفان أو بَعْضان أو جـزءان

---

(١) انظرها إن شئت في النجم الوهاج للإمام الـدميري (١٠/٢٧٨-٢٩٢) عنـد قـول الإمام النووي وشرط العدالة: اجتناب الكبائر والإصرار علىٰ صغيرة.
ومن قوله: وعطـف المصنف (الإصرار) علىٰ (الكبائر) من عطـف الخـاص علـىٰ العام؛ لأن الإصرار كبيرة. وحكىٰ الزبيلي في (أدب القضاء) وجهاً: أنها لا تصير بالإصرار كبيرة، كما أن الكبيرة لا تصير بالمواظبة كفراً اهـ.
وحقق أن الكبيرة: كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أشعر بتـهاون مرتكبـه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصـوص عليهـا بـذلك. اهــ وأورد الخـلاف في ضبط الكبيرة ابن حجر في أول الزواجر عن اقتراف الكبائر (ص٥-١٠). ورحـم الله ابن عطاء القائل: (لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله)!.

أحدهما : ترك المَنَاهِي والآخر : فعل الطاعات و تركُ المناهي هو الأشدُّ فالطاعات يَقْدِرُ عليها كلُّ أحد وتركُ الشهوات لا يَقْدِرُ عليها إلا الصِّدِّيقون فلذلك قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : المهاجر من هَاجَرَ السُّوء والمجاهد مَنْ جاهد هواه .

(أحدهما ترك المَنَاهِي) المحرمات، أو هي والمكروهات وخلاف الأولىٰ، (والآخر فعل الطاعات و) الأول الذي هو (تركُ المناهي هو الأشدُّ)، ومن ثم قيل: الرَّجُلُ مَنْ عَطَّلَ صاحبَ الشمال لا من استَعمل صاحب اليمين.

وإلىٰ بيان بعض وجوه الأَشَدِّية أشار بقوله (فالطاعات) أي: فعلها (يَقْدِرُ عليها) أي: علىٰ الطاعات المخصوصة التي لا تتناول طاعة هي كفٌّ وتركٌ (كلُّ أحد) من صِدِّيق وغيره، (وتركُ الشهوات) الخفية بقيد الكلية (لا يَقْدِرُ عليها) أي: علىٰ الترك (إلا الصِّدِّيقون) جمع صِدِّيق، وهو وليٌّ خاص تمكَّن في الولاية بيِّنتُه مع مزيد يتعلق بالعبارة في الشرح، (فلذلك) جاء في حديث خرجه ورواه بلفظ: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: المهاجر من هَاجَرَ السُّوء)، وفي لفظ: هَجَرَ السوء، وفي آخر: هجر ما نهىٰ الله عنه، أي: تركه وأعرض عنه، وفي حديث الطبراني والقضاعي: (والمجاهد مَنْ جاهد هواه) لكن لفظها: ما جاهد نفسه في ذات الله تعالىٰ.

واعلم : أنك إنما تعصي الله تعالىٰ بجوارحك وهي نِعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك وأمانةٌ لديك فاستعانتُك بنعمة الله علىٰ معصيته غايةُ الكُفْرَان و خيانتُك في أمانةٍ أَوْدَعَكَهَا غايةُ الطغيان وأعضاؤك رَعَايَاكَ فانظر كيف ترعاها فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته

(واعلم أنك) بفتح الهمزة كما هو واضح (إنما تعصي الله تعالىٰ بجوارحك)، وليس الحصر لإخراج القلب، لأن المعصية تكون له[1]، وإنما هو لنكتة أشرتُ إلىٰ مأخذها في الشرح، (وهي نِعمةٌ) عظيمة (من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك وأمانةٌ لديك) وسيأتي أنها رعاياك، فإذا كانت نعمة (فاستعانتُك بنعمة الله) الجارحة (علىٰ معصيته) كبيرة أو صغيرة (غايةُ الكُفْرَان) للنعمة، (و) إذا كانت أمانة فإذا (خيانتُك في أمانةٍ) لديك (أَوْدَعَكَهَا) الله تعالىٰ (غايةُ الطغيان) ومجاوزةُ الحدِّ والغاية لها مَبَادٍ وغايةٌ فكُفْرُ الإيمان هو غاية الخسران.

(وأعضاؤك) المعبَّرُ عنها فيما سَلَفَ بالجوارح (رَعَايَاكَ)، أو من جملتها إنْ كنتَ ذا ولاية ولو علىٰ وَلَدٍ للحديث الآتي، (فانظر كيف ترعاها) حق رعايتها مِنْ حِفْظها عما نُهيتْ عنه، واستعمالها فيما أمرت به، (فكلُّكم) ولفظ الحديث الصحيح: كلكم (راعٍ وكلُّكم) وفي رواية فكلٌّ (مسؤول عن رعيته)، والحديث ورد في ولاة الأمر، ففيه إشارة لما ذكره المصنِّف من الأعضاء، وقد بسطتُ عليه الكلام في الشرح.

---

(١) يبدأ القول في معاصي القلب ص ١٩٦.

واعلم: أَنَّ جميعَ أعضائك سَتَشْهَدُ عليك في عَرَصَاتِ القيامة بِلِسَانٍ طَلِقٍ ذَلِقٍ يَفْضَحُكَ به علىٰ رؤوس مَلَإٍ من الخَلْق قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ ....

(واعلم أَنَّ جميعَ أعضائك) جوارحك كاللسان واليد والرجل (سَتَشْهَدُ) حقيقة بغير اختيارك (عليك)، وأول شاهد منها فخذُكَ اليسرىٰ (في عَرَصَاتِ القيامة) جمع عَرْصَة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه أو لا بناء ولا شجر، وقيل: الشهادة الواردة في الآية من الأعضاء كناية عن ظهور آثار المعاصي عليها، ويُبْعِدُه هنا قوله (بِلِسَانٍ طَلِقٍ[1]) بالتحريك ماضي القول سريع النطق (ذَلِقٍ) فصيح، وفي نسخة ذالق (يَفْضَحُكَ به) بالمثناه التحتية والفوقانية، لأنه يجوز تذكير اللسان وتأنيثه (علىٰ رؤوس) الأشْهاد بحضرة (مَلَإٍ) جمع كثير (من الخَلْق) إشراف الخلق في عرصات القيامة.

وشَاهِدُ شهادة الأعضاء هو ما (قال الله تعالىٰ) في سورة النور (﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾) حقيقة أو كناية علىٰ ما في «البيضاوي[2]»

---

(١) طلق لسانه بالضم طلوقاً وطلوقة فهو طلِق اللسان وطليقه أيضاً أي فصيح عذب المنطق. (المصباح/طلق).

(٢) عبارته: يعترفون بها بإنطاق الله تعالىٰ إياها بغير اختيارهم، أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب. من الآية ٢٤ من سورة النور في تفسير البيضاوي.

﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فاحفظ يا مسكينُ جميعَ بدنك من المعاصي وخصوصاً أعضاءَك السبعة فإنَّ جهنم لها سبعةُ أبواب لكلِّ بابٍ منهم جُزْءٌ مقسوم ولا يتعيَّنُ لتلك الأبواب إلا مَنْ عصىٰ الله تعالىٰ بتلك السبعة......

(﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) يقترفون بها، **(وقال الله تعالىٰ)** في سورة يس: (﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾) نمنعها من الكلام، (﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾) الآية ٦٥. وفي الشرح إشكال وجواب فيهما بسط فلذلك طويتهما.

(فاحفظ) ندباً أو وجوباً **(يا مسكينُ)** وخاطبه بهذا تَحَنُّناً **(جميعَ بدنك من المعاصي)** الكبائر التي بتجنبها تُكَفَّر الصغائر، وقوله جميع بدنك فيه شمول وعموم، ولكن أريد التنصيص علىٰ بعضه بقوله: **(وخصوصاً أعضاءَك السبعة)** الآتية لا أعضاء السجود، **(فإنَّ جهنم)** النار **(لها سبعةُ أبواب)** قيل: طبقات جهنم، ثم لَظَىٰ، ثم الحُطَمَة، ثم السَّعِير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوِيَة، أو أبواب بمعنىٰ فِرَق، لأن أهلها سبع فرق، **(لكلِّ بابٍ منهم)** من الفرق علىٰ ما في الشرح عن البيضاوي؛ أو من الأعضاء علىٰ ما في الشرح **(جُزْءٌ مقسوم)** أُفْرِزَ، **(ولا يتعيَّنُ)** يستحق **(لتلك الأبواب)** بمعنىٰ الطبقات **(إلا مَنْ عصىٰ الله تعالىٰ بتلك)** يعني: أعضائك **(السبعة)** وفي نسخة: بهـذه السبعة،

وهي : العين والأذن واللسان والبطن والفَرْج واليد والرِّجل. أما العينُ : فإنها خُلِقَتْ لك لتهتديَ بها في الظلمات وتستعينَ بها في الحاجات وتَنْظرَ بها إلىٰ عجائب مَلَكُوتِ الأرض والسموات وتعتبرَ بما فيهن من الآيات فاحفظها عن أربع :

(وهي العين والأذن واللسان والبطن والفَرْج واليد والرِّجل).

ثم شَرَعَ في بيان ما يُطلب من هذه السبعة فِعْلاً وكَفّاً فقال: (أما العينُ) اللَّطِيفة البَاصِرَة (فإنها خُلِقَتْ لك) يا صاحبها لمنافع منها منفعة الاهتداء والاستعانة والاعتبار، واليها أشار بقوله: (لتهتديَ بها في الظلمات) البَرِيَّة والبَحْرية، (وتستعينَ بها في) أي: علىٰ قضاء (الحاجات) الدينية والدنيوية، (وتَنْظرَ بها) نَظَرَ اعتبار (إلىٰ عجائب مَلَكُوتِ الأرض والسموات) يعني: عجائب مُلك الأرض وملكوت السموات، ولا يُشكلُ علىٰ الثاني أن الملكوت لا يُدركُ بحاسة البصر لِمَا ذُكِرَ في الشرح[١]، ويشير إلىٰ أن نظره نظر اعتبار قولُه: (وتعتبرَ بما فيهن) أي: السموات والأرض (من الآيات) المبيِّنات.

إلىٰ ما يطلب من العين كما أشار بقوله (فاحفظها عن أربعٍ) خصال ستأتي، وفي نسخة ثلاث بِطَيٍّ واحدة، ويمكن رَدُّ الجميع

---

(١) قال: من كان نظره البصري مقروناً بنظر الاعتبار والتفكر لا يشكل عليه أن عالم الملكوت كله لا يدرك بحاسية (هكذا في الأصل) البصر؛ لأن ما استقر عنه خرقته لطيفة البصيرة الربانية.

أن تنظُرَ بها إلىٰ غير مَحْرَم و إلىٰ صورة مَلِيحة بشَهْوَةِ نَفْس أو تنظرَ بها إلىٰ مسلم بعين الاحتقار أو تَطَّلعَ بها إلىٰ عَيْبِ مسلم. وأما الأُذُن: فاحفَظْها أن تُصغي بها إلىٰ البدعة..........

إليها وهي: (أن تنظُرَ بها إلىٰ مَحْرَم)؛ وفي نسخة: إلىٰ غير ذي محرم؛ الثانية، عبر عنها بقوله (و) أن تنظر بها (إلىٰ صورة مَلِيحة) أي: حَسَنَة، والحُسْنُ: إما بحسب الناظر أو غالب الناس، والظاهر الأول (بشَهْوَةِ نَفْس) لأن السَّالكَ مَفْطُومٌ عن الشهوات، فإن نَظَرْتَ إلىٰ صورة حسنة تَحِلُّ لك فليكن بقصد تحصين الفرج الذي النظر دواؤه وداؤه، الثالثة: عبر عنها بقوله: (أو تنظرَ بها إلىٰ مسلم) ولو فاسقاً (بعين الاحتقار) له، وإن كان من أعمال القلب، واعتبر البصر جارحة، وقد ينظر بها احتقاراً وكما يمتنع نظر المسلم بهذه العين يمتنع نظر الذِّمِّي بها علىٰ وجه لم يؤذن فيه شرعاً بأن كان فيه أذية له؛ الرابعة عبر عنها بقوله: (أو تَطَّلعَ) أي: تنتظر (بها إلىٰ) وفي نسخة علىٰ (عَيْبِ مسلم) أي: عورته كما في نسخة، والعيب أَعَمُّ، وقد يعبر عنه بالعورة، ومنع الشرع أيضاً من نظر عورة الذمي وعيبه علىٰ سبيل التجسس، والإشراف عليه مما فيه إيذاء لم يؤذن فيه شرعاً، وفي الشرح بَسْطٌ فيه فوائد تتعلق بالنظر.

(وأما الأُذُن) حاسة السمع المفضل علىٰ البصر علىٰ المعتمد (فاحفَظْها أن تُصغي بها إلىٰ البدعة) الذميمة المحمول عليها حديث «كُلُّ بدعة ضلالة» وإلا فبعض البدع واجبة، وكذا القيام في زمننا إذا

وإلىٰ الغِيبة أو إلىٰ الفحش أو الخوضِ في الباطل أو ذِكْر مَسَاوِي الناس. . . . .

ترتب في تركه إيذاء، وبوجوبه أفتىٰ ابن الصلاح والنووي في زمنه، وللثاني فيه مصنف، ومندوبة بل فيها الأحكام الخمسة كما ذكره الزركشي ومَثَّل له[1]، (و إلىٰ الغِيبة) المحرَّمة (أو إلىٰ الفحش) من الكلام ولو مكروهاً، (أو الخوضِ في الباطل) أي: المبالغة في الفحش، والمراد الخوض فيما لا يعني؛ لأن الباطل بإزاء معان: يطلق ويراد به الحرام، ويطلق ويراد به ما يضاد الحق، ويطلق ويراد به غير ذلك، كما بينته في كتابي: «شريعة الورود في الكلام علىٰ آية يا داود» (أو ذِكْر مَسَاوِي الناس) الـذي لا يخـرج ذكرها عن الوقوع في

---

(١) في كتابه المنثور في القواعد ٢١٩/١: قال: فمن البدع الواجبة تعلم النحو الـذي يفهم منه القرآن والسنة.. ومن البدع المحرمة مذهب القدرية والجبرية والمرجئـة والمجسمة والرد علىٰ هؤلاء من البـدع الواجبـة ومـن البـدع المندوبـة إحـداث المدارس والرُّبُط وصلاة التراويح وكل إحسان لم يعهـد في العصـر الأول ومـن المباحة: المصافحة عقب الصبح والعصر ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمـام ومـن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف اهـ.

وتقسيم البدعة إلىٰ الأحكام الخمسة عليه أساطين علماء هذه الأمة من أمثال العز ابـن عبد السلام ومحيي الدين النووي والقرافي وابن الأثير وجماعة من الحفاظ من آخرهم شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ونقلها عنه الشوكاني وقد سـبقهم الإمـام الشـافعي إلىٰ تقسيمها وكذا الحافظ أبو بكر بن العربي (انظر: السنة والبدعـة لعبـد الله محفـوظ محمد الحداد باعلوي الحضرمي بحث فريد من مطبوعات دار القلم دمشق).

فإنها خُلِقَتْ لك لتستمعَ بها كلامَ الله وسنَّةَ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم وحكمةَ أوليائه وتتوصلَ باستفادة العلم إلىٰ المُلْك المُقِيم والنَّعيمِ الدائم فإذا أصغيتَ بها إلىٰ شيء من المَكَارِهْ. . . . .

الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل.

(فإنها) أي: حاسة السمع (خُلِقَتْ) وفي نسخة: فإنما خلقت (لك) أي: لنفعك، ومنه السمع والاستماع المخصوص المشار إليه بقوله: (لتستمعَ) أو تسمع كما في نسخة (بها كلامَ الله) المحفوظ في صدورنا، المقروء بألسنتنا، المكتوب في مصاحفنا، الدال علىٰ الكلام النفسي القديم، (وسنَّةَ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم) التي يصلح أن يقال فيها كلام الله بمعنىٰ من عنده، وهي بهذا المعنىٰ عبارة عن الأخبار، وتطلق عليها مع الآثار، (وحكمةَ أوليائه) العلماء والصالحين، والمراد بها العلم والمواعظ، وفي الشرح بيان وجوه لهذا الاستماع.

وإلىٰ ثمرته الجامعة أشار بقوله: (وتتوصلَ باستفادة العلم) أي: الحكمة المتلقاة من كلام الله تعالىٰ وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم وحكمة أوليائه (إلىٰ المُلْك) ملك الآخرة بضم الميم وسكون اللام (المُقِيم) الذي لا يزول ولا يَرْتَحِل، (والنَّعيمِ) في دار النعيم (الدائم) التي المشار إليه في حديث: «يا أهل الجنة خلودٌ بلا موت».

(فإذا أصغيتَ) أي: ألقيت السمع (بها) أي: بحاسته (إلىٰ شيء من المَكَارِهْ) أي: التي يكرهها الشرع وإن استلذ بهـا السمع كصـوت

صار ما كان لكَ عليك وانقلبَ ما كان سببَ فَوزِكَ سبب هلاكك وهذا غاية الخُسْران ولا تَظُنَّنَّ أَنَّ الإثم يَختصُّ به القائل دون المستمع ففي الخبر : أن المستمع شريكُ القائل. . . . .

محرم (صار ما كان لكَ) أي: ما خُلِقَ أو جعل لك (عليك) بمعنىٰ: أنه سبب في حصول الإثم والملامة عليك والضرر، بعد أن كان سبباً في نفعك وجَرِّ الثواب إليك.

وهذا المعنىٰ الذي ذكره المصنف جاء في حديث البيهقي ذكرته في الشرح ويؤيده أو يوضحه قوله (وانقلبَ ما كان سببَ فَوزِكَ) بالملك والنعيم، أو فوزك بالتوصل والاستفادة، (سبب هلاكك[1]) باستحقاقك الجحيم، (وهذا) أي: الانقلاب، أو هو موضع الصيرورة قبله (غاية الخُسْران) لك، ونهاية الإساءة، وفي الحديث «إياك وما يَسوء الأُذُن».

(ولا تَظُنَّنَّ أنَّ الإثم) إثم الغيبة كما يدل عليه الخبر، أو إثم كل مقال حرام (يَختصُّ به القائل) المغتاب، أو كل قائل مقالاً حراماً (دون المستمع) للغيبة، أو كل مقالة ذات إثم؛ (ففي الخبر) أي: الحديث المذكور في «الإحياء» ولم يخرجه العراقي، لكن ورد نحوه عند الطبراني: (أن المستمع شريكُ القائل) في الإثم، ولفظ حديث «الإحياء»: المغتاب والمستمع شريكان في الإثم، وعند الطبراني ما

---

(١) في نسخة (م) فصار سبب.

وأن المستمع أَحَدُ المغتابَين. وأما اللسانُ: فإنما خُلق لك لتُكثِرَ به ذِكْر الله تعالىٰ وتلاوةَ كتابه العزيز. . . . .

معناه: (وأن المستمع أَحَدُ المغتابَين)، ولفظه كما في «الإحياء» بإسقاط أداة التوكيد.

(وأما اللسانُ فإنها) أو فإنما[١] كما نسخة (خُلق) يجوز تذكيره وتأنيثه[٢] (لك) أي: لأجلك أو نفعك (لتُكْثِرَ به ذِكْر الله تعالىٰ) الشامل لكل ذكر من تسبيح وتهليل واستغفار (وتلاوةَ كتابه العزيز)، والتلاوة

---

(١) وهي أولىٰ لقوله: خلق.

(٢) قال أبو حاتم السجستاني: واللسان: يذكر ويؤنث، ونقل قول أبي زيد: في الجسد أربعة أشياء تؤنث وتذكر: الذراع والقفا والعنق واللسان. اهـ.

ولعل ذكر اللسان آخر الأربعة لعدم تأنيثها عند بعضهم، والسجستاني يقول: وما في القرآن منه يدل علىٰ التذكير؛ لأن في القرآن (ألسنة) في غير موضع (وهي ١٠ مواضع) وهي جمع المذكر. (انظر: المذكر والمؤنث للسجستاني ص ١١٢و١٣٠).

وقال أبو البركات بن الأنباري في: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٨١: واللسان إن عنيت به هذا العضو فهو مذكر، وإن عنيت به اللغة فهو مؤنث، وقد يجوز في هذا المعنىٰ التذكير قال الشاعر:

ندمت علىٰ لسان كان مني فليت بأنه في جوف عِكْم

فهذا لا يراد به العضو، لأن الندم لا يقع علىٰ الأعيان، وإنما يقع علىٰ الكلام اهـ. لكن في (التاج/لسن) قال الزبيدي: اللسان: المقول يذكر ويؤنث واللسان: اللغة وتؤنث حينئذ لا غير.

وتُرشِدَ بـه خَلْـقَ الله تعـالىٰ إلىٰ طريقـه وتُظهِـرَ بـه مـا في ضـمير من حاجات دينـك ودنيـاك فـإذا استعملتَه في غـير مـا خُلـق لـه فقد كَفَـرْتَ بنعمـة الله تعـالىٰ فيـه وهـو أَغْلَـبُ أعضـائك عليـك

تختص باللسان والذكر يشترك فيه اللسان، والقلب، وهو بهما أفضل، وخَصَّ التلاوة بالذكر مع شموله لها تنويهاً بشأنها وتنبيهاً علىٰ اختصاصها (وتُرشِدَ) تَهدي (به خَلْقَ الله تعالىٰ إلىٰ طريقه) الصراط المستقيم (وتُظهِرَ به ما في ضميرك) فؤادك وقلبك وباطنك قال الشاعر:

إنَّ الكلام لَفِـي الفـؤاد وإنمـا ... جُعِلَ اللسان علىٰ الفؤاد دليلا[1]

(من حاجات دينك ودنياك) المعينة علىٰ دينك.

(فإذا استعملتَه في غير ما خُلق له) من نحو ما تقدم ذِكْره والحال أنه نعمة كما أن الجوارح نعمة وهو منها (فقد كَفَرْتَ بنعمة الله تعالىٰ فيه)، وسَبَقَ أن استعمال الجارحة التي هي نعمة في العصيان غايةُ الكفران، وأن الغاية لها مَبَادٍ ونهاية.

(وهو) أي: العضو اللساني (أَغْلَبُ أعضائك) أكثرها غلبة (عليك) لمـا في حديث: «اتـق الله فينا فإنمـا نحـن بك فإن استقمتَ استقمنا»

---

(١) هو للأخطل، وقبله في ديوانه (ص٢٧١):

لا تعجبنك من خطيب، خطبةٌ ... حتىٰ يكـون مع الكـلام أصيلا

وعلىٰ سائر الخَلْق ولا يكُبُّ الناسَ في النار علىٰ مَنَاخِرِهم إلا حصائِدُ ألسنتهم فاستظهرْ عليه بغايةِ قوَّتك حتىٰ لا يكُبَّكَ في قَعْرِ جهنم ففي الخبر :إِنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة ليُضحكَ بها أصحابه فيَهوي

وحديث: هل يكُبُّ الناس في النار» الآتي إشارة إليه في كلام المصنف، (وعلىٰ سائر) أي: باقي (الخَلْق) المبتَلَين به، وفي الحديث ما معناه، (ولا) وهي بمعنىٰ وهل التي هي لفظ الحديث: (يكُبُّ الناسَ في النار علىٰ مَنَاخِرِهم) وفي لفظ: علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم (إلا حصائِدُ) جمع حَصِيد بمعنىٰ محصود (ألسنتهم)، وفي معناه أقلامهم، بل ورد: «القلمُ أحد اللِّسانَين».

(فاستظهرْ عليه) أي: اطلب ظهور (غايةِ قوَّتك) عليه بحيث تغلب وتَقْوىٰ (حتىٰ لا يكُبَّكَ) يسقطك علىٰ وجهك ومَنْخِرَك (في قَعْرِ) آخر أو وسط (جهنم) النار، أو طبقة مخصوصة من طبقاتها، (ففي الخبر) أي: الحديث (إِنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة) الواحدة من الخناء[1] والباطل أو من سخط الله أو مما فيه غِيبة أو إيذاء قال في «الإحياء» دون محض المزاح (ليُضحكَ بها أصحابه) وفي لفظ: الناس (فيَهوي)

---

(١) المشهور في اللغة الخَنَا (بالقصر) بمعنىٰ الفحش. وورد: خنَا خَنْواً: أفحش. (القاموس/الخنوة).

بها في جهنمَ سبعين خريفاً. ورُوي أنه قُتِلَ شهيدٌ فقال قائل هنيئاً له الجنة فقال صلىٰ الله عليه وسلم: وما يُدْرِيك، لعله كان يتكلم فيما لا يَعْنِيه.........................

يسقط (بها في جهنمَ) النَّار، أو طبقة خاصة من النار[1] (سبعين) مفهومه معتبر أو للتكثير، (خريفاً) عاماً، وهذا الحديث بجميع هذا اللفظ لم أقف عليه، فإنما وقفت علىٰ معناه، وغالب ألفاظه علىٰ ما بينته في الشرح، وفيه بيان كثير من الروايات والفوائد، وفي نسخة: قيل وفي نُسَخ (ورُوي) كما أخرجه الترمذي واستغربه وابن أبي الدنيا بسند ضعيف، وهو حكمة رُوي، وذكره المصنف في «الإحياء» لا بلفظ «البداية» (أنه قُتِلَ) يوم أحد (شهيدٌ) بالمعركة كما في نسخة، وشهيدها شهيد الدارين (فقال قائل) هو أمُّه بعد أن مسحت التراب عن وجهه (هنيئاً له الجنة) أي: بالجنة كما في نسخة، ولفظها: هنيئاً لكَ الجنة يا بني، (فقال صلىٰ الله عليه وسلم) لها: (وما يُدْرِيك) أي: حتىٰ تجزمي له بها، (لعله كان يتكلم فيما لا يَعْنِيه) من الأمر، وما لا

---

(١) قال الإمام الصاوي في شرحه علىٰ الجوهرة: (والنار حق) أعلاها جهنم وتحتها لظىٰ ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية هكذا ذكر الأشياخ تبعاً لبعض الأحاديث في النار، ولكن آيات القرآن شاهدة بأن كل اسم من تلك الأسماء يطلق علىٰ مايعم الجميع، لأنه يذكر صفات الكفار بأي وجه، ويعبر عن وعيدهم بأي اسم من هذه الأسماء. فتدبر (ص٣٨٦-٣٨٨).

أو يَبْخَلُ بما يعنيه. فاحفَظْه عن ثمانية أشياء: الأول: الكذب فاحفظ لسانك منه في الجِدِّ والهَزْل.............

يعني هو: أن يتكلم بكلمات لو سكت عنها الإنسان لم يأثم، (أو يَبْخَلُ بما يعنيه[1]) من المال والحقوق، ولفظ حديث «الإحياء» ويمنع ما لا يضره، لكن لفظ حديث «البداية» جاء في حديث أم كعب وهو مستوفىً في الشرح، وفيه إشكال وجواب طويل يتعلق بالمحل، واستطراد يتعلق به أيضاً.

ولما كان الاحتراز عما لا يعني متأكداً لاسيما في أمور خاصة أشير إلىٰ ذلك بقوله: (فاحفَظْه) علىٰ سبيل التأكيد أو التعيين (عن ثمانية أشياء): ذميمة متعلقة باللسان (الأول الكذب) الغير الجائز[2]، والكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، فإن انضم إليه قصد ذلك أَثِمَ، وقد يجب[3]، وقد يندب، كما بينته في الشرح، (فاحفظ لسانك) مع قلبك (منه) أي: الكذب الذي لا مصلحة شرعية فيه، (في) حالتي (الجِدِّ والهَزْل).

---

(١) في نسخة (م) لا يغنيه.

(٢) غير الجائز: أفصح؛ لأن (غير) موغلة في الإبهام عند أهل النحو.

(٣) قال: كالكذب في الدفع عن وديعة يريد ظالم أخذها، ومن المحمود الكذب للإصلاح بين فريقين، وعلىٰ الزوجة لدفع ضرر المضرة عنها.

ولا تعوَّد لسانكَ الكذبَ هَزْلاً فَيَتَدَاعىٰ إلىٰ الجِدِّ فالكذبُ من أمهات الكبائر فإنك إذا عُرِفتَ به سقطتْ عدالتُك والثقةُ بقولك وتَزْدَرِيكَ الأعينُ، وتحتقرك وإن أردتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ الكذب فانظر إلىٰ قبح كذب غيرك وإلىٰ نُفْرَة نفسِكَ عنه. . . . .

ومن أسباب الحفظ ترك التعوُّد المشار إليه بقوله: (ولا تعوَّد) ولو مرة، فالعادة تَثْبُتُ بها، (لسانكَ الكذبَ) المذموم (هَزْلاً) لشمول النهي له، ففي الحديث «كان لا يمزح إلا حقاً» ولأن اعتياد هَزْلِه ينشأ عنه جِدُّه، كما أشار إليه بقوله: (فَيَتَدَاعىٰ) ويسترسل ويندرج (إلىٰ الجِدِّ) أي: إلىٰ الكذب علىٰ سبيل الجد، وإنما بُولِغَ في التحرز عنه في الحالين لِمَا ذكره من قوله: (فالكذبُ) المحرَّم (من أمهات الكبائر)، والأمهات محصورة، منها السبع الموبقات، والكبائر: هي المرتب عليها الوعيدُ الشديد، أو الدَّالَّة علىٰ عدم اكتراث مرتكبها بالدِّين، علىٰ الخلاف المعروف فيها.

ومن آفات الكذب -وهي كثيرة-: (فإنك إذا عُرِفتَ به) أي: الكذب (سقطتْ عدالتُك) الظاهرة بين الناس، (والثقةُ بقولك)، فلا يصدقونك في شيء منه وإنْ أخبرت بالصدق، (وتَزْدَرِيكَ الأعينُ، وتحتقرك) الأعين و الأنفس.

(وإن أردتَ أَنْ تَعْرِفَ) من بعض الوجوه الواضحة (قُبْحَ الكذب فانظر) بعين بصيرتك (إلىٰ قبح كذب غيرك) عليك، أو علىٰ أحد سواك، (وإلىٰ نُفْرَة نفسِكَ عنه) وثقله علىٰ روحك، فإنه ثقيل عليها،

واستحقارِكَ لصاحبه، واستقباحِكَ له وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك فإنك لا تَدري قُبْحَ عيوبك من نفسك، بل من غيرك فما استقبحتَه مِنْ غيرك فيستقبِحُه غيرُك منك لا محالة فلا تَرْضَ لنفسك ذلك. الثاني: الخُلْفُ في الوعد..............

والثقيل حمَّىٰ الرُّوح كما ورد، (واستحقارِكَ لصاحبه، واستقباحِكَ له) حتىٰ لا تكاد تُغْمض عليه وإن كان حسنَ الصورة، فكيف إذا كان قبيحها؛ ولله دَرُّ بعض الحكماء في قوله: «إذا كان الإنسان قبيح الصورة فاعلم أن باطنه أقبح من ظاهره، وينبغي حمله علىٰ نحو الكَذَّاب، وإلا أَشْكَلَ بكثيرين في الخارج.

(وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك) عند إرادتك معرفتها ثم تجنُّبها (فإنك لا تَدري) وفي نسخة: لا تدرك أي: كمال الإدراك والدِّراية، (قُبْحَ عيوبك من نفسك، بل) إنما تدركها وتَدْريها (من) جهة (غيرك) بنحو النظر السابق، (فما استقبحتَه مِنْ) عيب (غيرك) ذي العيب (فيستقبِحُه غيرُك) وإن كان ذا عيب؛ لأن الإنسان يستقبح من غيره ما لا يستقبحه من نفسه، (منك لا محالة) أي: بلا شك؛ وإذا كان الأمر كذلك (فلا تَرْضَ لنفسك ذلك) إنْ كنت ذا نفس كريمة أبيَّة، وبهذا الفعل والنظر جاء الخبر والأثر، كما بينت مأخذهما في الشرح.

الشيء (الثاني الخُلْفُ في الوعد) المنهي عنه، قيل: وليس منه

فإياك أن تَعِدَ بشيء إلا وتُوفِّيه بل ينبغي أن يكون إحسانك إلىٰ الناس فعلاً بلا قول فإن اضطُرِرْتَ إلىٰ الوعد فإياك أن تُخْلِفَ إلا لعذر أو ضرورة فإنَّ ذلك.................

خلف لم يقصر عن الوعد، وقد يأبىٰ اعتمادَه قوله: (فإياك أن تَعِدَ بشيء) كثير أو يسير (إلا وتُوفِّيه) وفي نسخة: وتُوفِّي به، (بل ينبغي) يتأكد (أن يكون إحسانك إلىٰ الناس) المحتاجين ولو لئاماً، أو المراد الكرام لأنهم الناس (فعلاً)، لا يستند إلىٰ وعد يشغَلُ خاطرهم، وهو المراد المنفي في قوله (بلا قول) أما قولٌ لا يشتغل خاطرُهم به، بل تطمئن به نفوسهم وتتوثق من نفسك بالوفاء، ولا يتيسر لك الفعل- فلا بأس بالقول؛ لما فيه من إدخال السرور، وعليه يُحمل كلام المصنف ويُستشهد عنده بقول القائل[1]:

عِدِيني بوَصْلٍ وامطُلي بنَجَازِهِ ... فعندي إذا صَحَّ الهوىٰ حَسُنَ المَطْلُ

(فإن اضطُرِرْتَ) يعني: احتجت أدنىٰ حاجة (إلىٰ الوعد فإياك) أي: احذر (أن تُخْلِفَ) الوعد، أو تنوي عنده الإخلاف (إلا لعذر) شرعي كحاجة، (أو ضرورة) شرعية، (فإنَّ ذلك) أي: الخلف

---

(١) هو ابن الفارض أبو حفص عمر بن أبي الحسن، ر: ديوانه ص ١١٥ والبيت من قصيدة (٦٢) بيتاً أولها:

هو الحُبُّ فاسلَمْ بالحَشَا ما الهوىٰ سهلُ ... فما اختاره مُضنىً به، وله عقلُ

ونجاز: هنا اسم مصدر، وليس بمصدر.

من أمـارات النِّفاق وخبائث الأخلاق قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلـم : ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهـو منافـق وإن صام وصلىٰ وحج واعتمر مَنْ إذا حـدث كَـذَبَ وإذا وَعَــدَ أَخْلَفَ وإذا اؤتمـن خَانَ. الثالث : الغِيـبة فاحفـظ لسانك من الغيبــة فالغيبةُ أشدُّ من ثلاثين زَنْيَةً في الإسلام كذلك جاء في الخبر. . . . .

(من أمارات النِّفاق) الأكبر، ومن بعض شعبه، (وخبائث الأخلاق) المنهي عن ذلك في حديث أبي الشيخ من رواية أنس قال: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ثلاثٌ) وفي رواية: أربع (من كُنَّ فيه فهو منافق) نفاقاً أصغر، أو كالمنافق النفاق الأكبر، (وإن صام وصلىٰ) فرضاً ونفلاً (وحج واعتمر) كذلك، وفي الرواية وقال إنّي مُسْلم، (مَنْ إذا حدث كَذَبَ) في حديثه، (وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ) في وعده، (وإذا اؤتمن خَانَ) في أمانته، والرابعة: وإذا خاصم فَجَرَ.

الشيء (الثالث: الغِيبة) المحرمة، وتباح في ستة أحوال، ولأسباب كلها ترجع لغرض شرعي بينتها في الشرح، منها: التحذير من الشر علىٰ وجه النصيحة، ومنها الاستعانة علىٰ تغيير المنكر، (فاحفظ) وجوباً (لسانك من الغيبة) المحرمة، (فالغيبةُ) المذكورة (أشدُّ من ثلاثين زَنْيَةً في الإسلام) يزنيها الرجل بأُمِّه، كما في حديث البيهقي وغيره، كما أشار بقوله: (كذلك جاء في الخبر) من رواية المصنف، وفي رواية من خمس وثلاثين، وفي رواية: من ست وثلاثين، والروايات بتمامها في الشرح مع توجيهاتٍ لعبارة المصنِّف.

ومعنىٰ الغيبة أَنْ تَذْكُرَ إنساناً معيناً بما يَكرهُه لو سمعه فأنتَ مُغتابٌ ظالمٌ وإِنْ كنتَ صادقاً. . . . .

(ومعنىٰ الغيبة) وحَدُّها كما يؤخذ من صريح الحديث: (أَنْ تَذْكُرَ إنساناً معيناً بما يكرهُه لو سمعه)، فشمل قوله أنْ تذكر الذِّكْر: حقيقةً باللسان، وحكماً بالقلب، والفِعْلَ كالغَمْزِ والكناية، وقوله إنساناً: الذميَّ والصبي والمجنون، وكذا الغائب بمكان بحيث يمكنه العلم بما قيل فيه فيما يَظْهَرُ، وفي الشرح فوائدُ فرائدُ: منها أن المعتمد أنه لا يشترط في كونها غيبة أن تكون في الغيبة، وربما ينافيه قوله: لو سمعه، فإن ذكرته بما يكرهه هو والشرع ولو في حضوره (فأنتَ مُغتابٌ) له غيبة محرمة، (ظالمٌ) لنفسك وله، والظالم واضعُ الشيء في غير محله، والغيبة كبيرة مطلقاً، أو بالنسبة لأهل العلم والقرآن، أو صغيرة مطلقاً، وأوسط هذه الأقوال أعدلها وأرجحها، وآخرها أضعفها وأسهلها، وفي الشرح بسط في المسألة يحسن الوقوف عليه، (وإِنْ كنتَ صادقاً) فيما ذكرته، وسبق أَنَّ من أنواعها الجائز فلا تغفل[1].

---

(١) قال في الشرح: والحاصل أن الذي جرىٰ عليه الأكثر أنها كبيرة. اهـ.

فنسأل الله السلامة والحفظ ! وقلَّ أن تخلو المجالس من الغيبة وكأن الناس يُسلِّطون علىٰ أنفسهم باختيارهم ما يَمحق حسناتهم، بل من يضمن من هؤلاء أنه قادر علىٰ المكافأة؟! فليستعد الذين هانت عليهم حرماتُ أعراض المسلمين لترضية الخصوم يوم التغابن والبوار!!!.

وإياك وغِيبةَ القُرَّاءِ المُرائين وهو أن تُفهِمَ المقصودَ من غير تصريح فتقول: أَصلحهُ الله وقد ساءني أو غَمَّني ما جرىٰ عليه فأسألُ الله أن يُصْلِحَنا وإياه فإنَّ هذا جَمْعٌ بين خَبيثين أحدهما: الغِيبة إذا حَصَلَ به التفهيم، والآخر: تزكيةُ النَّفْس والثناءُ عليها بالتحرُّج والصَّلاحِ

(وإياك وغِيبةَ القُرَّاءِ) أي: واحذر أن تقع في غيبة القراء للعلم وغيره في تصانيفهم ونحوها (المُرائين) في عملهم، (وهو) أي: الأمر المحذر عنه من هذه الغيبة (أن تُفهِمَ) أنتَ (المقصودَ) من الإيذاء المتضمن له الغيبة (من غير تصريح) في اللفظ بالمقصود، لأن الغيبة كما تكون صريحاً تكون تعريضاً وكناية، وهي هذه الغيبة غيبة القُرَّاء.

ومن أمثلتها مقول القول في: (فتقول: أَصلحهُ الله) لإنسان معين، ومثله: سامحه لله، (وقد ساءني أو غَمَّني ما جرىٰ عليه)، أو (فأَسألُ الله أن يُصْلِحَنا وإياه)، أو الحمد لله الذي ما ابتلاني بقلة الحياء أو الدخول علىٰ السلاطين، أو فلان كان مجتهداً في العبادة أو العلم وفَتَرَ وابتُلِيَ بما ابتلينا به من قلة الصبر، أو نحو ذلك مما فيه ذِكْرُ الأخ بما يكرهه مع تزكية علىٰ ما أوضحتُه في الشرح، (فإنَّ هذا جَمْعٌ بين خَبيثين) قبيحين فاحشين: (أحدهما: الغِيبة) المحرمة، وهي ما (إذا حَصَلَ به) بالقول السابق (التفهيم، و) الخبيث (الآخر: تزكيةُ النَّفْس) الذميمة المنهي عنها بنص الكتاب والسنة، (والثناءُ عليها بالتحرُّج) من الحرج (والصَّلاحِ)، وفي الشرح بيان أن هذا القول جمع بين أربع

وكما تكره أن تُفْضَحَ وتُذْكَرَ عيوبك، فهو أيضاً يكرهُه، فإنْ سَتَرتَه سترَ اللهُ عليك وإنْ فَضَحتَه سَلَّطَ الله عليك ألسنةً حِدَاداً يُمزِّقون عرضَك في الدنيا، ثم يَفضحُكَ الله تعالىٰ في الآخرة علىٰ رؤوس المَلَأ. . . . . . .

خبائث فراجعه فإنه مهم[1].

(وكما تَكره) بفتح أوله (أن تُفْضَحَ) بالبناء للمفعول (وتُذْكَرَ) بالبناء له أيضاً (عيوبك، فهو أيضاً يكرهُه، فإنْ سَتَرتَه) في الدنيا (سترَ اللهُ عليك) في الدارين، (وإنْ فَضَحْتَه) فيها (سَلَّطَ الله) فيها (عليك ألسنةً حِدَاداً) أي: ذَرِبَة لا يلتئِمُ جُرحها، وقد وصف الله تعالىٰ ألسنة الكفار والمنافقين بها، فكان هذا الفاضح يُعامَلُ في العاجل بالشدة، و(يُمزِّقون) أي: أهل الألسنة بها (عرضَك) تمزيقاً (في الدنيا، ثم) بعد ذلك التسليط وهذا التمزيق (يَفضحُكَ الله تعالىٰ في الآخرة) بحَضْرَةِ الخاصِّ والعامِّ (علىٰ رؤوس المَلَأ) أي: أشراف الناس أو الخلائق كما

---

(١) في نسخة (م) زيادة: ولكنْ إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله الدعاء، فادع له في السرِّ. وإن اغتممتَ بسببه.. فعلامته أنك لا تريد فضيحته وإظهار عيبه. وفي إظهارك الغَمَّ بعيبه إظهار لعيبه، ويكفيك زاجراً عن الغيبة قوله عز وجل: (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه).فقد شبَّهك الله بآكل الميتة!! فما أجدرك أن تحترز منها. ويمنعك من غِيبة المسلمين أمرٌ لو تفكرتَ فيه؟ وهو أن تنظر إلىٰ نفسك: هل فيك عيب ظاهر أو باطن، وهل أنت مُقَارِفٌ معصية سراً وجهراً ؟ فإن عرفتَ ذلك من نفسك.. فاعلم أن عَجْزَه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك، وعُذْره كعذرك.

وإنْ نظرتَ إلىٰ ظاهرِكَ وباطِنك فلم تَطَّلع فيهما علىٰ عَيْبٍ ونَقْص في دين، أو في دنيا فاعلم أَنَّ جَهْلكَ بعيوب نفسك أقبحُ أنواع الحماقة ولا عيبَ أعظمُ من الحُمْقِ ولو أراد الله بك خيراً لبَصَّرَكَ بعيوب نفسك فرؤيتُكَ نفسَكَ بعين الرضا غايةُ غَباوَتِكَ وجهلِكَ

في نسخة.

(وإنْ نظرتَ إلىٰ) نفسك (ظاهرِكَ وباطِنك) جميعهما (فلم تَطَّلع) بعين البصيرة والبصر (فيهما) أو أحدهما (علىٰ عَيْبٍ) وهو بمعنىٰ (ونَقْص) إن لم يكن مغايراً له (في دين، أو) علىٰ عيب ونقص (في دنيا)، ويحتمل أن في العبارة لفاً ونَشْراً مرتباً أو مُشَوَّشاً إن كان النقص والعيب متغايرَيْن فليحرَّر.

والظاهر أن المراد بهما واحد بقرينة قوله: (فاعلم أَنَّ جَهْلكَ بعيوب نفسك) كلها أو بعضها (أقبحُ أنواع الحماقة) كلها أو بعضها، وهي وضع الشيء في غير محله مع العلم بقبحه، (ولا عيبَ أعظمُ من الحُمْقِ) مرادفها، (ولو أراد الله بك خيراً لبَصَّرَكَ بعيوب نفسك) أي: باطنك وظاهرك، (فرؤيتُكَ نفسَكَ) الأمارة بالسوء (بعين الرضا غايةُ غَبَاوَتِكَ) وحماقتك (وجهلِكَ[1])، قال القائل:

---

(١) في نسخة (م) ومنتهىٰ جهلك.

ثم إِنْ كنتَ صادقاً في ظَنِّكَ فاشكر اللهَ تعالىٰ عليه ولا تُفْسِدْه بثَلْبِ الناس والتَّمَضْمُضِ بأعراضهم، فإنَّ ذلك من أعظم العيوب الرابع المراءُ

وعينُ الرضا عن كل عيب كليلةٌ ....[1]

(ثم إِنْ كنتَ صادقاً) في ذكر مَسَاوي من اغتبته (في ظَنِّكَ) والأولىٰ أن تُحسِنَ الظن، (فاشكر اللهَ تعالىٰ عليه) علىٰ العافية لك مما فيه، (ولا تُفْسِدْه) أي: ظنك أو صدقك (بثَلْبِ الناس) أي: من اغتبتَه، ومن اغتاب بعضهم كأنه اغتابهم كلهم، ولذا قال: (والتَّمَضْمُضِ بأعراضهم، فإنَّ ذلك) أي: هذا التمضمض الذي هو الثابت (من أعظم العيوب) أي: عظائم الذنوب الكبائر أو الصغائر، علىٰ الخلاف في الغيبة، وفي الشرح بيان بواعثها[2].

الشيء (الرابع المراءُ) قال في «الإحياء» وهو كل اعتراض علىٰ

---

(١) قال الثعالبي في ثمار القلوب (٣٢٦-٣٢٧): أول من ذكر عين الرضا في شعره عبد الله بن معاوية عند جعفر بن أبي طالب حيث قال في الفضيل بن السائب، وأرسل البيت الرابع مثلاً -ويريد-:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكنّ عين السخط تبدي المساويا

وذكر في ديوان الشافعي ص ١١٨.

(٢) إما التسلي بذكر مساوي من أغضبك، وإما موافقة الإخوان ومجاملتهم، وإما التصنع فإراداته رفعة نفسه وخفض غيره، وإما الحسد لثناء الناس عليه، وإما اللعب والهزل، وإما السخرية والاستهزاء به. (باختصار).

والجِدَال ومناقشةُ الناس في الكلام فذلك فيه إيذاءٌ للمخاطَب وتجهيلٌ له وطعنٌ فيه وفيه ثناءٌ علىٰ النفس وتزكيةٌ لها بمزيد الفِطْنَةِ والعلمِ ثم هو مُشَوِّشٌ للعيش فإنك لا تُمَاري سفيهاً

كلام الغير بإظهار خَلَلٍ فيه، (والجِدَال) قال في «النهاية» مقابلة الحجَّة بالحجة في المناظرة، (ومناقشةُ الناس) أي: طائفة منهم (في الكلام) وهي أعمُّ منهما علىٰ ما بينته في الشرح، ومنه أن المراء ومثله الجَدَلُ والجدال ينقسم إلىٰ محمود ومذموم، والمراد هنا الثاني، (فذلك) كله (فيه إيذاءٌ للمخاطَب) تارة، (وتجهيلٌ له) ولو بالتلازم، (وطعنٌ فيه) بما يؤدي إلىٰ تجهيل وزيادة.

(وفيه) أيضاً (ثناءٌ) بالخير (علىٰ النفس) يرجع إلىٰ عين التزكية الذميمة، ولذا قال (وتزكيةٌ) ذميمة (لها)، وذلك الثناء والتزكية (بمزيد الفِطْنَةِ) أي: جَودة الفهم، بحيث يدرك الشيء بسرعة، (و) مزيد (العلمِ) بمعنىٰ: غزارته، (ثم هو) مع هذه الأوصاف (مُشَوِّشٌ) مكدِّر (للعيش) الرغد[1]، والمراد العيشة والحال.

(فإنك لا تُمَاري) تجادل وتناظر (سفيهاً) من شأنه السفه، وهو ضد الرشد[2]، ويطلق علىٰ فُحْش القول وبَذَاءَةِ اللسان،

---

(١) عِيشته رَغْدٌ ورَغَد: واسعة طيبة، والفعل: كسمع وكرم. وقوم رَغَدٌ، ونساء رَغَدٌ (القاموس/عيشة رغد).

(٢) يقال: الرُّشْدُ والرَّشَد.

إلاَّ ويُؤذيك ولا تماري حليماً إلاَّ ويَقْلِيكَ ويحقِدُ عليك وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ المراء وهو مُبْطلٌ بَنَىٰ الله تعالىٰ له بيتاً في رَبَضِ الجنة. ومن ترك المراء وهو مُحِقٌّ بنىٰ الله له بيتاً في أعلىٰ الجنة. ولا ينبغي أَنْ يَخْدَعَكَ الشيطان ويقولَ لك :

(إلاَّ ويُؤذيك) بسَفَهِهِ، ولو كان المراء في مسألة علمية، وهذا من المصنف تنبيه علىٰ أن السفه يتصف به بعض الطلبة في محل الجدل والبحث فاحذره.

(ولا تماري) بإثبات الياء التحتية، لأن لا نافية، كما هو واضح ممن لَحَظَ ما قبله أو ما بعده، (حليماً) من شأنه الحلم، وهو الأناة والعقل، (إلاَّ ويَقْلِيكَ) يَهجُرك ولو بعد حين، (ويحقِدُ) أي: أو يحقد (عليك)، لأن الواو تستعمل بمعنىٰ أو ويحتمل وهو الظاهر الجمع بين الهجر والحقد.

وللحثِّ علىٰ ترك المراء أشير بما في حديث حسن هو: (وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مَنْ تَرَكَ المراء) الجدال (وهو مُبْطلٌ) فيه (بَنَىٰ الله تعالىٰ له بيتاً) عظيماً (في رَبَضِ الجنة) بفتح الموحدة وهو ما حولها، (ومن ترك المراء وهو مُحِقٌّ) فيه (بنىٰ الله له بيتاً في أعلىٰ الجنة)» وفي لفظ: أعلىٰ علِّيين، وفي رواية كالإحياء تقديم وتأخير في الحديث، وكأنه بحسب طُرُقه ومخرجيه.

(ولا ينبغي) أيها العاقل والعارف بنحو الخداع (أَنْ يَخْدَعَكَ الشيطان) الخَدَّاع لأبيك وبنيه (ويقولَ لك) كلمة حق أُريد بها باطل:

أَظْهِرِ الحقَّ ولا تُدَاهِنْ فيه فإنَّ الشيطان أبداً يَسْتَجِرُّ الحَمْقَىٰ إلىٰ الشَّرِّ في مَعْرِضِ الخير فلا تكن ضُحْكَةً له يَسْخَرُ منك فإظهار الحق حَسَنٌ مع من يَقْبَلُ منك، وذلك بطريق النصيحة في الحقيقة لا بطريق المُمَارَاة وللنصيحة صِيغَةٌ وهيئة. . . . .

(أَظْهِرِ الحقَّ) ضد الباطل (ولا تُدَاهِنْ فيه) في الحق المذكور، (فإنَّ) المداهنة حرام، بخلاف المُدَاراة، ومعرفة الفرق بينهما مهمة[1]، وذكرته في كتاب الأخلاق، وكيف لا تكون المداهنة الشيطانية حراماً والحال أن (الشيطان)، وكان القياس فإنه (أبداً يَسْتَجِرُّ) يجر ويطلب جَرَّ (الحَمْقَىٰ) من الناس (إلىٰ الشَّرِّ) المحض (في مَعْرِضِ الخير) محل عروضه، (فلا تكن ضُحْكَةً له) بضم الضاد ومَسْخَرة (يَسْخَرُ) بقوله وخديعته (منك)، وفي نسخة: بك، (فإظهار الحق حَسَنٌ) أي: مندوب، أو واجب، إذ هو شامل لهما، ويراد الأول عند الإطلاق، والثاني عند القرينة، (مع من يَقْبَلُ منك، وذلك بطريق النصيحة) الواجبة إذا ظن القبول، والجائزة إذا تَوَهَّمَ (في الحقيقة) أي: علىٰ سبيل الحقيقة لا علىٰ سبيل التجوُّز، (لا بطريق المُمَارَاة) المذمومة.

(وللنصيحة) من حيث هي شروط وآداب: من ذلك (صِيغَةٌ) من القال، وقد تغني الإشارة، (وهيئة) من الحال، ولعله استغنىٰ بها عـن

---

(١) يمكن أن أوجز فأقول: المداهنة: بَذْل شيء من الدين من أجل دنياي. والمداراة: بذل شيء من الدنيا من أجل ديني.

ويُحتاجُ فيها إلىٰ تلطُّفٍ وإلا صارت فضيحةً وكان فسادُها أكثرَ مِنْ صلاحها ومَنْ خَالَطَ متفقِّهةَ العَصْرِ غَلَبَ علىٰ طبعه المِراء وعَسُرَ عليه الصمت إذ أَلْقىٰ عليهم علماءُ السُّوء أَنَّ ذلك هو الفضل وأن القدرة علىٰ المجادلة والمناقشة هو الذي يُمتدح به فَفِرَّ منهم

ذكر الإشارة، (ويُحتاجُ فيها) أي: النصيحة (إلىٰ تلطُّفٍ) تام (وإلا صارت فضيحةً) عند الخاص والعام، (وكان فسادُها) باعتبار اختلال شرطها، وفي نسخة صحيحة فساده، أي: النُّصْح أو الناصح، (أكثرَ مِنْ صلاحها)، لأن الشيء قد ينشأ عنه فساد وصلاح باعتبارين، فسقط ما يقال هي إما صالحة وإما فاسدة.

(ومَنْ خَالَطَ متفقِّهةَ العَصْرِ) عصر المصنف -رحمه الله- فكيف بعصر بعده وهؤلاء المتفقهة المرادون أكثرُ فقهاء عصرنا في حكمهم؛ لأن غاية الواحد منهم أن يكون كأحد متفقهة عصره، وبقولي أكثر خَرَجَ أفرادٌ فلا تغفل، علىٰ أن الكلام في المخالِطِ للمتفقهة فتنبه، ولا تغفل عن حكم المشتبه، (غَلَبَ علىٰ طبعه) أي: خلقه (المِراء) وسبق بيانه، (وعَسُرَ عليه الصمت)، وإلىٰ عِلَّة هذا أشير بقوله: (إذ أَلْقىٰ عليهم علماءُ السُّوء) فقهاؤهم؛ لأن الكلام في المتفقهة المخالطين، وهم دون الفقهاء في الفَقَاهَة، وإن كان الفقهاء أعلىٰ منهم في الخلق السوء الذي به سُمُّوا علماء سوء، (أَنَّ ذلك) أي: المراء وعدم الصمت (هو الفضل) والزيادة، والسبب للمَنْزِلة في القلوب، (وأن القدرة علىٰ المجادلة والمناقشة) بمعنىٰ المَلَكَة عليهما (هو الذي يُمتدح) بتقديم الميم، وفي نسخة بتأخيرها (به) في الدنيا (فَفِرَّ منهم)

فِرَارَكَ مِنَ الأسد واعلم أن المراء سببُ المَقْتِ عند الله تعالىٰ وعند الخَلْق. الخامس: تزكيةُ النَّفس وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾

لأنهم كمجذوم[1] (فِرَارَكَ مِنَ الأسد) أو أشد، وهذا عندي أشدُّ.

وإلىٰ بيان سبب هذا الفِرَار وبعض آفات المراء وجِمَاعها أشير بقوله: (واعلم أن المراء) بمعنىٰ الجدال المذموم (سببُ) ولو بعيداً (المَقْت) (عند الله تعالىٰ) والعياذ بالله تعالىٰ، فإنَّ مَنْ سَقَطَ من عين الله لَبِسَهُ المقتُ في الوقت، وظهر عليه ذلك في الآخرة (و) في الدنيا (عند الخَلْق)، أما مَقْتُه عند الله فدليله ما جاء في الأدلة الشرعية الشهيرة، وأما مَقْتُه عند الخلق فلِمَا يقع في نفوسهم من كراهته وثَقَالته ونُفْرة طبعهم عنه، وهذا دليلٌ حسي، وما كان شاهده الحس والشرع فجدير أن يَنْفِرَ عنه سليمُ الطبع.

الشيء (الخامس) من الثمانية (تزكيةُ النَّفْس) المذمومة، أي: الثناء عليها ولو بالكناية (وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾)النجم/٣٢. لا تثنوا عليها بِزكَاءِ العمل وزيادة الخير، أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل، وحَسْبُكَ قولُ الكريم ابنِ الكريم: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ

---

(١) نعم! كيف لا يفرُّ المرء ممن جَعَلَ هَمَّه تنقيص فلان من أهل العلم والفضل لأنه قال كذا أو أفتىٰ بكذا، والمألوف والمشاهد أنه لا نور ولا بهاء ولا بركة إلا في مجالس الفقهاء الأنقياء الأصفياء العاملين، وقد كثرت الشهادات والإجازات والمُعوَّل علىٰ علماء الآخرة، وما ابتُغي به وجه الله !!

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ وقيل لبعض الحكماء ما الصِّدْقُ القبِيحُ؟ فقال: ثناءُ المرء علىٰ نَفْسه فإياك أن تتعوَّدَ ذلك واعلم أن ذلك يَنقُصُ مِنْ قَدْرِكَ عند الناس ويُوجبُ مَقْتَكَ عند الله تعالىٰ وإذا أردتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثناءك علىٰ نفسك..........................

نَفۡسِيٓ﴾ يوسف/٥٣. (﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾) فإنه يعلم التقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صُلْب آدم، وهذا لا ينافي الثناء علىٰ النفس عند وجود مقتضاه الشرعي، كما أشرت إليه في الشرح، وإلىٰ مأخذ أدلته.

(وقيل لبعض الحكماء) جمع حكيم، وهو واضع الشيء في محله (ما الصِّدْقُ القبِيحُ؟) عرفاً وكذا شرعاً إن لم يوجد مقتضي الحسن (فقال: ثناءُ المرء علىٰ نَفْسه) لأنه إذا لم يقتض الحال الثناء لكون المقام غير مقام التحدث بالنعمة فهو مذموم شرعاً، وإذا اقتضاه فلا نَظَرَ لكلام الحكيم؛ لأن القبيح ما قَبَّحه الشرع.

(فإياك) أي: احذر (أن تتعوَّدَ ذلك) أي: هذا الصدق، أو تفعله مرة، أو المذكور والخامس وهو التزكية، فإن النفس كالطفل؛ (واعلم أن ذلك) أي: الخامس، أو تعوُّده (يَنقُصُ مِنْ قَدْرِكَ عند الناس) أهل الشرع الذين هم الناس، أو أعم ومنهم الحكيم، والنقص: انحطاط المنزلة في نفوسهم، بل (ويُوجبُ مَقْتَكَ) أي: صيرورتك ممقوتاً (عند الله تعالىٰ) بسبب التعود، ومعنىٰ المقت عنده: بُعْدُك من رحمته، أو نحو ذلك.

(وإذا أردتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثناءك علىٰ نفسك) يتسبب عنه المقت

لا يزيد في قَدْرِكَ عند غيرك فانظر إلىٰ أقرانك إذا أَثْنَوا علىٰ أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكِرُه قلبُك ويستَثْقِلُه طبعُك وكيف تَذُمُّهُم عليه إذا فارقتَهم من المجلس واعلم أنهم أيضاً في حال تَزْكِيَتِكَ نفسَك يذمُّونك بقلوبهم ناجزاً. . . . .

المذكور فانظر إلىٰ دليله الشرعي في كلام الصادق المصدوق، أو دليله العقلي، واقتصر عليه، لأنه سهل علىٰ العامي وغيره، (لا يزيد) مطلقاً ولا بوجه، (في قَدْرِكَ) منزلتك وعظمتك (عند غيرك) من الناس الكُمَّل؛ (فانظر) بعين بصيرتك وتدبيرك (إلىٰ أقرانك) أي: أمثالك الجامع لك ولهم قَرْنٌ، وسبق معناه والأقوال العشرة فيه[1]، (إذا أَثْنَوا علىٰ أنفسهم) وما في معناها كالوالد (بالفضل) نحو العلم (والجاه) المَنْزِلَة في القلب، (والمال) الكثير (كيف يستنكِرُه) غاية الاستنكار (قلبُك) باطنك، بحيث يكاد أن يظهر علىٰ ظاهرك (ويستَثْقِلُه طبعُك) سَجِيَّتُكَ ومزاجك، والثقيل حمًّىٰ الرُّوح، (وكيف تَذُمُّهُم عليه) علىٰ الثناء المذكور (إذا فارقتَهم من المجلس) إِنْ جمعكم مجلسٌ وكان الثناء فيه.

(واعلم أنهم) أي: الأقران (أيضاً) من آضَ إذا رجع (في حال تَزْكِيَتِكَ نفسَك يذمُّونك بقلوبهم) أي: بألسنة قلوبهم بمعنىٰ: ألسنة حالهم يضمرون في أنفسهم الذم (ناجزاً) بمعنىٰ: حاضراً كما في

---

(١) مَرَّ (ص٦١).

أو يُظهرونه بألسنتهم إذا فارقتهم. السادس: اللَّعنُ فإياك أن تَلعَنَ شيئاً مما خَلَقَ الله تعالىٰ مِنْ حيوان أو طعامٍ أو إنسانٍ. . . . .

نسخة، (أو يُظهرونه[١] بألسنتهم إذا فارقتهم)، والمراد أن ذمهم واقع لك في مجلس التزكية لا يتوقف علىٰ المفارقة، فإذا فارقوك ذَمُّوك بالألسنة كلها، وفي الشرح بيان النهي عن تزكية الغير بشرطها، وأنه ورد في مدحها[٢] وذمها أحاديث، مع ذكر بعض الأحاديث في الذم، كحديث: «ذَبْحُ الرجل أن تُزكِّيه في وجهه». «وأن الله تعالىٰ يغضب إذا مُدح الفاسق».

(السادس) من الأشياء الثمانية (اللَّعنُ) الطَّرْدُ والإبعاد عن الرحمة، (فإياك أن تَلعَنَ شيئاً) ولو جماداً (مما خَلَقَ الله تعالىٰ)، ونص علىٰ بعض أفرادها ما شمله شيء وشملته ما (مِنْ حيوان) ولو بهيمة وكافراً مُعَيَّناً لم يُعْلَمْ موته علىٰ الكفر، وفي الحديث «يا عبد الله لا تَسِرْ معنا علىٰ بَعِيرٍ ملعون» وفيه أيضاً «خذوا ما عليها وأعْرُوها فإنها أي: الناقة ملعونة» لَمَّا لَعَنَهُ ولعنها الراكب، (أو طعامٍ) محترم كمأكول ومشروب، ويَلتحق به المشموم، بل قال في «الإحياء» كل جماد، فالمشموم منه، (أو إنسانٍ) ونص عليه مع دخوله في حيوان اهتماماً بشأنه، ولكثرة لعن الخادم ونحـوه علىٰ اللسان، وقَيَّد حـرمه

---

(١) في نسخة (م) (ويظهرونه..).

(٢) انظر التحقيق في هامش (ص٤٨٥).

بِعَيْنِه ولا تَقْطَعْ بشهادتك علىٰ أَحَدٍ من أهل القبلة بِشِرْكٍ أو كُفْرٍ أو نِفَاقٍ ....

لعن الإنسان والنهي عنه بقوله (بِعَيْنِه) لما سَلَفَ أنه لا يحرم لعن الكافر غير المعين، وفي المعين تفصيل سَبَقَ، وعِلَّةُ الحرمة أن اللعن إبعاد عن الرحمة، فيؤخذ منها أنه لا يحرم: لَعَنَهُ اللهُ إن مات كافراً وبه، صرح في «الإحياء[1]» "والفتاوىٰ" وبرهن علىٰ عدم ثبوته لقاتل الحسين رضي الله عنه، وعَدَمِ ثبوتِ أَمْرِه به[2]، وجرىٰ جمع علىٰ جوازه، وفيه تصانيف متضادة، والورع لا يخفىٰ، ولا خلاف في فِسْقه.

(ولا تَقْطَعْ بشهادتك) أي: لا تشهد علىٰ سبيل القطع (علىٰ أَحَدٍ من أهل القبلة) كالرَّافضة، وإن قال الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله: يكفر السَّابُّ منهم للشيخين، وفي الحديث: «رحم الله من كَفَّ لسانه عن أهلِ القبلة» وفي لفظ: «عن أعراض المسلمين» (بِشِرْكٍ) ولو أصغر، (أو كُفْرٍ) ولو للنعمة، (أو نِفَاقٍ) ولو أصغر، بل ولا ينبغي أن

(١) ذكر ذلك في الإحياء: كتاب آفات اللسان –الآفة الثامنة: اللعن، قال: الجائز أن يقال: لعنه الله إن مات علىٰ الكفر. (١٩٧/٣).

(٢) قال: فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد، لأنه قاتل الحسين أو آمرٌ به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت، فضلاً عن اللعنة، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة من غير تحقيق. نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً، وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهم فإن ذلك ثبت متواتراً. (الإحياء٣/١٩٨-١٩٩).

فإنَّ المُطَّلع علىٰ السَّرائر هو الله تعالىٰ فلا تَدْخُلْ بين العباد وبين الله تعالىٰ واعلم أنك يوم القيامة لا يُقال لك لِمَ لَمْ تلعنْ فلاناً ولِمَ سَكَتَّ عنه؟ بل لو لَمْ تَلْعَنْ إبليسَ. . . . .

تشهد علىٰ أحد منهم علىٰ سبيل الظن بذلك كله؛ أما هذا فلظاهر الحديث السابق ونحوه، وأما علىٰ سبيل القطع فلِمَا عَلَّل به المصنف بقوله: (فإنَّ المُطَّلع) أي: الذي اطلع (علىٰ السَّرائر) الضمائر وكل خَفِيَّة (هو الله تعالىٰ) لا غيره، لأن كُلِّيَّةَ الاطِّلاع له تعالىٰ لا يَشْرَكُهُ مخلوق، نعم بعضُ عباده يُطْلِعُهم علىٰ بعض مغيباته فلا ينافي اطلاعهم ذلك، علىٰ أن اطلاعهم من اطلاعه تعالىٰ مجازاً، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ الجن/٢٧. وفي معنىٰ الآية أقوال للمفسرين، فيها الغريب، وبمعناها المتلقَّىٰ عن أهل الذكر يندفع ما فهمه الزَّيدية من منع تجويز الكرامة المتضمنة للاطلاع علىٰ الغيب، وفي حديث ما معناه: أن الإخلاص لا يطلع عليه نبي ولا رسول ولا مَلَكٌ مُقَرَّب، (فلا تَدْخُلْ بين العباد وبين الله تعالىٰ) مولاهم المتولي سرائرهم، وواضح أن هذه البينيَّة مجازية تعالىٰ الله عما لا يليق بجلاله.

(واعلم أنك يوم القيامة) يوم تُسأل عن القليل الكثير، (لا يُقال لك) في شيء لَمْ تكلَّف به في الدنيا، ومنه استفهام (لِمَ لَمْ تلعنْ فلاناً) الصادق بإبليس؟ أي: تَدْعُ باللعنة عليه مع جوازها لك، (ولِمَ سكَتَّ عنه؟) أي: عن لَعْنِه، (بل لو لَمْ تَلْعَنْ إبليسَ) عدو الله مع ندب

طُولَ عمرك ولَمْ تَشْغَلْ لسانَك بذكره لم تُسألْ عنه، ولم يطالب وإذا لَعَنْتَ غيره طُولبتَ به وسُئلتَ عنه ولا تَذُمَّنَّ شيئاً مِنْ خَلْقِ الله تعالىٰ فقد كان صلىٰ الله عليه وسلم لا يَذُمُّ الطعامَ الرديءَ وكان إذا اشتهىٰ شيئاً أكلَهُ، وإلاَّ . . . .

لعنه (طُولَ عمرك) وإن طال، ولا يقال لك (ولَمْ) لا (تَشْغَلْ لسانَك) ولو في وقت أو أوقات (بذكره لم تُسألْ) يوم القيامة سؤال توبيخ، كسؤال عن ترك واجب، فلا يُشكِلُ بأن لعنه مندوب، ولم يسقط الطلب في الندب (عنه، ولم يطالب[1]) بلعنه كما يطالب عند ترك واجب، (وإذا لَعَنْتَ غيره) أي: دعوتَ عليه باللعنة بلفظها أو معناها (طُولبتَ به) باللعن؛ لأن الدعاء به حرام كما تقدم، ومعنىٰ طولبت به: هو معنىٰ (وسُئلتَ عنه) يوم القيامة، فهو عَطْفُ تفسير.

(ولا تَذُمَّنَّ) أو لاتذم نسختان، (شيئاً) لا يستحق الذم (مِنْ خَلْقِ الله تعالىٰ) طعاماً وغيره ونَصَّ علىٰ الطعام ضمن ذكر الدليل لكثرة الوقوع في ذَمِّه بقوله: (فقد كان) سيد الخلق المُتَلَقَّىٰ عنه حُسْنُ الخلق (صلىٰ الله عليه وسلم لا يَذُمُّ) مطلقاً (الطعامَ) أي: المطعوم (الرديءَ)، سواء كان رديئاً من حيث الصَّنْعة، أو من حيثيةٍ أخرىٰ، وإن كان المعتمد الكراهة من غير الحيثية الأولىٰ، ودليلُ هذا التعميم قول الراوي: (وكان إذا اشتهىٰ شيئاً) منه (أكلَهُ، وإلاَّ) أي: وإن لم

---

(١) (ولم يطالب) غير موجودة في نسخة (م).

تَركَه. السابع: الدعاءُ علىٰ الخلق احفظ لسانك عن الدعاء علىٰ أحد مِنْ خَلْق الله تعالىٰ وإن ظَلَمَك فكِلْ أمرَه إلىٰ الله تعالىٰ

يَشْتَهِهْ (تَركَه)، فينبغي التخلُّق بنحو هذا الخلق النبوي.

* (السابع) من الأشياء الثمانية المنهي عنها: (الدعاءُ علىٰ الخلق) عِيَالِ الله، ولو خادماً وزوجة وولداً، فإن الدعاء سهم، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يحب أن لا يُدْعىٰ علىٰ أحد من أمته بشرطه، وربما كان الوقت وقتَ إجابة فينفُذُ السَّهمُ، ولذا قال: (احفظ لسانك) الذي يُورِدُكَ الموارد، وفي نسخة السابع حفظ لسانك (عن الدعاء علىٰ أحد) مطلقاً (مِنْ خَلْق الله تعالىٰ وإن ظَلَمَك) لأنه بظلمه أهدىٰ إليك حسنة والحَكَمُ العَدْلُ يحكم بينك وبينه، ولا يخفىٰ عليه خافية، وعلم الله بذلك كافيك، ولذا قال: (فكِلْ) أي: فَوِّضْ (أمرَه إلىٰ الله تعالىٰ) وقد قال الله تعالىٰ كناية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء/٤٠. ومَنْ عظُمتْ خصوصيته لم يَدْعُ علىٰ أحد وانتقم له الأَحَدُ في الوقت أو بعد حين لحكمة، ولذا نُقل عن كثير من الخواصِّ أنه لم يتحرك باطن أحدهم علىٰ ظالم لهم أو لتابعهم، وإنما سَهْمُ الغَيرة الإلهية يصيبه[1]، بل منهم من يدعو للظالم، فيناله إما رحمة، وإما نقمة علىٰ

---

(١) ومن هؤلاء السيد الحبيب عمر المحضار ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف -رضي الله عنهما- فقد ورد في ترجمته من كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي انظر: ٢/١٤٢ و ١٤٣: أن أملاكه كلها لا يدع أحداً يحرسها ومن =

وفي الحديث: إنَّ المظلوم ليدعو علىٰ ظالمه حتىٰ يكافِئَه، ثم يَبْقَىٰ فضلٌ عنده فيطالبه به في القيامة.

حسب ما تقتضيه الحكمة، بل من حِيَلِ الانتقام منه الدعاء له.

نعم سمعتُ من شيخنا أبي الحسن البكري رحمه الله يقول: اشترط بعض الأشياخ علىٰ بعض أتباعه - وكأنه يشير إلىٰ بعض أشياخه مع نفسه - أن لا يدعو إلا علىٰ جبَّار عنيد، ثم قال: ولم يقع لي ذلك، أي: الدعاء إلا علىٰ فلان وعَيَّنَه، وذكر مظالم شنيعة عامة، سَبَبُه كما شرحتُ القصة وما لزمها من المنقبة العليَّة لشيخنا في آخر شَرْحِ حِزْبِهِ في كتاب مناقبه، وهي من غُرَر مناقبه وذُرَىٰ مراتبه الدَّالَّة علىٰ عَلْيَا مآربه.

(وفي الحديث) ولم أقف علىٰ مخرجه بهذا اللفظ (إنَّ المظلوم ليدعو علىٰ ظالمه) فيستجاب له (حتىٰ يكافِئَه، ثم يَبْقَىٰ) من دعاء المظلوم لتعَدِّيه فيه (فضلٌ) زيادة (عنده) عند المظلوم، (فيطالبه) الظالم (به) أي: الباقي الفضل (في) يوم (القيامة)، وفي لفظ: يطالب

أخذ منها شيئاً عوقب في الحال! حتىٰ إن زرعه إذا أكلت منه دابة ماتت في الحال. وحكي أن غراباً أكل من نخله فطرد ثم عاد فمات لوقته. وربما غضب علىٰ أحد فأصابه الجذام وغيره من الأسقام! ويقول: إني لم أدع علىٰ أحد، وكان مجاب الدعوة - رضي الله عنه ونفعنا بآلهم-.

وطَوَّلَ بعضُ الناس لسانَه في الحَجَّاجِ فقال بعض السلف رحمهم الله إِنَّ الله لينتقمُ للحَجَّاج ممن تَعَرَّضَ له بلسانه. . . . .

يوم القيامة وقد قيل في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الأعراف/٥٥. أي: في الدعاء، بأن يزيد الداعي في دعائه علىٰ مَنْ ظلمه بأكثر مما ظلمه به، ولخَطَرِ أَمْرِ الاعتداء -مع ما قَدَّمْتُه- فَطَمَ المصنِّفُ الناسَ عن الدعاء علىٰ أحد.

(و) في أَثَرٍ (طَوَّلَ) صيغة مبالغة في التطويل (بعضُ الناس) وأبهمه لنكتة لعلها جلالته وتطويله قبله، أو لعدم العلم بعينه (لسانَه) أي: كلامه (في الحَجَّاجِ) بن يوسف الثَّقَفِيِّ بسبب فعله الأفاعيل في الصحابة والتابعين آخرهم سعيد بن جُبَيْر[(١)] الداعي عليه شفقة علىٰ الأمة، ووقائعه مدوَّنة، وذكرتُ غالبها وترجمته في فصل من كتابي: «عُقُود اللطائف في محاسن الطَّائف». (فقال بعض السلف) الصالح (رحمهم الله) وهو من أئمة الورع: (إِنَّ الله لينتقمُ للحَجَّاج) يعني ابن يوسف الثقفي (ممن تَعَرَّضَ له) أي: للحجاج (بلسانه) أي: بكلامه

---

(١) الإمام المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي أحد الأعلام، روىٰ عن التابعين، وقرأ القرآن علىٰ ابن عباس، كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء. كان قتله علىٰ يد الحجاج في شعبان سنة ٩٥. قال خلف بن خليفة عمن حدثه: إن سعيد بن جبير لما ندر رأسه هلَّل ثلاث مرات يفصح بها. وكان مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب.(ر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٣٢١-٣٤٣).

كما يَنتقم مِنَ الحجاج لمن ظَلَمَه. الثامن: المُزاحُ والسُّخْرية...

بغير حق (كما يَنتقم مِنَ الحجاج لمن ظَلَمَه) الحجاج، وفي الشرح كلام مهم يتعلق بالحجاج وأشباهه طويته هنا رعاية للاختصار.

* (الثامن) من الأشياء الثمانية: (المُزاحُ)[١] المذموم، لأن أل للعهد، والمقام يقتضيه، فخرج المحمود، وضابطه ودليله أشرت إليه في الشرح، وأفردته برسالة تضمنت غُرَراً من المزاح النبوي، ودُرَراً من مزاح أصحابه وتابعيه يَتزيَّنُ بها جِيدُ الطالب الشَّهَوي[٢]، (والسُّخْرية)[٣] أي: الاستهزاء كما في «النهاية» أو الاستحقار والاستهانة والتنبيه علىٰ العيوب والنقائص علىٰ وجه يُضحك منه كما

---

(١) مزح: من باب نفع والاسم المُزاح (المصباح/مزح).

(٢) المحب لإيراد ما يُتفكَّه به من النوادر، المشتهي لسماعها. وكان من الصحابة الكرام النعيمان مزَّاحاً وله مواقف مع الحبيب الأكرم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم ضحك من بعضها مع أصحابه حولاً، واستمرت مداعباته مع الخلفاء الراشدين (انظر عن مزاحه صلىٰ الله عليه وسلم وهديه في الضحك في كتاب: سيدنا محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم (ص١٤٩-١٥٧) للمبارك المرحوم الشيخ عبد الله سراج الدين وما قاله الصالحي في سبل الهدىٰ والرشاد عن مزاحه ومداعبته وضحكه وتبسمه صلىٰ الله عليه وآله وسلم (١١١/٧-١٢٥) وبيان المزاح متىٰ يكون مذموماً عند الغزالي في الإحياء (٢٠٣/٣-٢٠٨) حين جعله الآفة العاشرة من آفات اللسان.

(٣) في نسخة (م) زيادة: والاستهزاء بالناس.

فاحفظ لسانك منه فإنه يُرِيقُ ماءَ الوجه ويُسقطُ المَهَابَةَ ويَستَجِرُّ الوَحْشَةَ ويؤذي القلوب وهو مبدأُ اللَّجَاجِ والغضب والتَّصَارُمِ ويَغرس الحقدَ في القلوب.....................

في «الإحياء»، وفيه قيل: التبسم استهزاء صغيرة، والقهقهة استهزاء كبيرة، علىٰ ما فُسِّر به قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ الآية٤٩/الكهف. (فاحفظ لسانك منه) أي: المزاح، مع ما ذُكر معه من السخرية ونحوها، ولتقاربهما واتحادهما حُكْماً ومفهوماً جَعَلهما شيئاً واحداً فعبر عنهما بالثامن، (فإنه) أي: المذكور (يُرِيقُ) يذهب (ماءَ الوجه) بمعنىٰ يذهب حياءه (ويُسقطُ المَهَابَةَ) الهيبة[1]، فلا يُهاب ولا يَهيب، (ويَستَجِرُّ) بمعنىٰ: يَجُرُّ (الوَحْشَةَ) يَجلب النُّفْرة عنه فلا يُؤنس به، (ويؤذي القلوب) باعتبار الصفات السابقة ونحوها.

(وهو) أي: المزاح (مبدأُ اللَّجَاجِ) النزاع، بل قيل فيه: لا يُنتج إلا الشر (والغضب والتَّصَارُمِ) من الجانبين، (ويَغرس[2] الحقدَ) الذي يُثمِرُ أخلاقاً رديئة، كما يَغرِسُ الشجرةَ المداومُ فتثمِرُ من عامها، (في القلوب) السليمة منه قبل حدوثه.

---

(١) هابه يهابه من باب تعب هَيبَةً: حذره، قال ابن فارس: الإجلال فالفاعل هائب والمفعول هَيُوب ومَهيب أيضاً، ويَهِيبه من باب ضرب لغة، وتهيبته: خِفتُه (المصباح/هيب).

(٢) في نسخة (م) ومَغْرِس.

فلا تمازحْ أحداً فإن مازحَكَ غيرُك فلا تُجِبْه فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره وكُنْ من الذين إذا مَرُّوا باللَّغو مَرُّوا كراماً. فهذه مَجَامعُ آفاتِ اللسان...................

(فلا تمازحْ) مطلقاً (أحداً) من الناس شريفاً كان أو دنيئاً خشية من آفة المزاح، ولعدم تحققك بشرطه فيك، فَسَدُّ الذريعة وحَسْمُ المادة أولىٰ بك، وقد أخبرني بعض من طعن في السِّنِّ أنه ما مازح قط، فعجبت، وهو محل عَجَبٍ إنْ صَدَق.

(فإن مازحَكَ غيرُك) لا مفهوم له، وفائدته ليرتب له قوله (فلا تُجِبْه) مطلقاً، وإلىٰ نوع اقتباس[1] مع استدلال أشار بقوله: (فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره)، وفي الشرح بيان نكتة التعبير بالجمع في عنهم ويخوضوا، مع أن القياس في كلامه الإفراد، وإلىٰ اقتباس وتحريض علىٰ تخلق حميد أشار أيضاً بقوله: (وكُنْ من الذين إذا مَرُّوا باللَّغو) وهو ما يُلْغىٰ ويُطْرح (مَرُّوا كراماً)[2] معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه، وفي الشرح نفائس نَبَّه علىٰ استفادتها من الآية.

(فهــذه) الأشياء الثمانـيـة (مَجَامِعُ) جَمْـعُ مَجْمـَعٍ، محــل اجتـماع (آفاتِ اللسان) وهـي فــي «الإحــياء» أبسط مع زيـــادات،

---

(١) الآية ٦٨ من الأنعام.

(٢) الآية ٧٢ من الفرقان.

ولا يُعينُكَ عليه إلاّ العُزْلةُ وملازمةُ الصمت إلا بِقَدْرِ الضرورة وقد كان الصِّدِّيق رضي الله عنه يضع حَجَراً في فِيهِ ليَمْنَعَهُ ذلك مِنَ الكلام لغير ضرورة ويقول: هذا الذي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ. فاحتَرِزْ منه، فإنه أقوىٰ أسبابِ هلاكك في الدنيا..........

(ولا يُعينُكَ عليه) أي: اللسان، وفي نسخة: عليها أي: الآفات (إلاّ العُزْلةُ) الحقيقية، وهي واضحة، والحكمية وهي المخالطة بالظاهر والانفصال بالباطنِ، ولا تكون إلا للكُمَّل، وأحياناً لمن شاء الله وإن لم يكن كاملاً واستغفر الله، وإليها أشير بهذه الحقيقة الجامعة بالحَدِّ الجامع: هو العارف كائِنٌ بائن، ومنه استُفيد كمال العزلة (وملازمةُ الصمت إلا بِقَدْرِ الضرورة) في حالة التكلم، أو فيها مع مسألة العزلة.

وإلىٰ دليل فضله أشير بقوله: (وقد كان الصِّدِّيق) أبو بكر (رضي الله عنه) وعن سائر الصحابة (يضع حَجَراً) يمنع التكلم (في فِيهِ) الكريم (ليَمْنَعَهُ ذلك) أي: هذا الحجر، أو الوضع المستفاد من يَضَعُ، (مِنَ الكلام) المنعوت بأنه (لغير ضرورة) شرعية لا يفوت بها واجب أو مندوب، (ويقول) مطلقاً، أو عند الوضع المذكور: (هذا) يعني: اللسان، وفي نسخة: ويشير إلىٰ لسانه: (الذي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ) مع أنه الصِّدِّيقُ الذي علا مقامُه، وسَمَا تحرزه وكلامه؛ ولما نَقَل هذه المقالة عنه في «الإحياء» زاد مع ذلك أنه صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ليس شيء من الجسد إلاّ يشكو إلىٰ الله تعالىٰ اللسان علىٰ حِدَّته» ومن ثَمَّ قيل: (فاحتَرِزْ منه، فإنه أقوىٰ أسبابِ هلاكك في الدنيا) باعتبار ما

وأما البَطْنُ: فاحفظه عن تناول الحرام واحرِص علىٰ طَلَبِ الحلال فإذا وجدتَه فاحرص أن تقتصر علىٰ ما دون الشِّبَعِ فإنَّ الشِّبَعَ يُقَسِّي القلبَ ويُفْسِدُ الذِّهنَ..........................

تَجنيه وتزرعه فيها (والآخرة) باعتبار ما تحصده فيها، وحسبك ما سبق من الخصال الثمانية وغيرها دليلاً علىٰ أشدية هذه الأسباب.

وإلىٰ الرابع من السبعة أشير بقوله: (وأما البَطْنُ) موطن البِطْنَة التي تَمنع الفطْنَة (فاحفظه) وجوباً فيما يجب، وندباً فيما يُندب (عن تناول الحرام[1]) المحض والشبهة الموقعة فيه (واحرِص) ندباً غاية الحرص (علىٰ طَلَبِ الحلال) المحض، فإن عِزَّتَه في هذا الزمان تقتضي ذلك، ولتحصيله طرقَ ستأتي.

(فإذا وجدتَه) وأردت التناول معه (فاحرص) ندباً (أن تقتصر علىٰ ما دون الشِّبَعِ) المُفْرِط، أو الوسط، فإن مُطْلَقَ الشِّبَعِ مذموم، والمفرط حرام، والوسط مكروه أو خلاف الأولىٰ إلا لعذر؛ والأفضل منه علىٰ ما في «الإحياء» أن يتناول بحيث لا يحس بثقل المعدة وألم الجوع.

وللشبع آفات أشير إلىٰ بعضها في قوله: (فإنَّ الشِّبَعَ) أي: المفرط (يُقَسِّي القلبَ) اللـين الرقـيق، ويـزيد القاسي قساوة (ويُفْسِدُ الذِّهنَ)

---

(١) في نسخة (م) الحرام والشبهة.

ويبطلُ الحِفْظَ ويُثَقِّلُ الأعضاءَ عن العبادةِ و العلمِ ويُقَوِّي الشهوات وينصُرُ جنود الشيطان والشِّبَعُ من الحلال مبدأُ كُلِّ شَرٍّ فكيف من الحرام؟! وطلبُ الحلال فريضةٌ علىٰ كل مسلم والعبادةُ والعلمُ مع أكل الحرام كالبِنَاءِ علىٰ السِّرْجِينِ. . . . .

المُدْرِكَ، بحيث يمنعه سرعة الإدراك، أو يزيله عنه أصلاً، (ويبطلُ الحِفْظَ) يعطل قوة الحافظة أو يضعفها، (ويُثَقِّلُ الأعضاءَ) يزيل نشاطها (عن العبادةِ) فيعتريها الفُتور، (و) عن (العلمِ) مطالعة وتعليماً، (ويُقَوِّي الشهوات) النفسية المنهي عنها، (وينصُرُ جنود الشيطان) اللازم من نصرتها نصرته، وجنوده لا تُحصر، أو جنوده الشهوة والنفس والهوىٰ، وفي الشرح بسط، (والشِّبَعُ) المذموم (من الحلال) المحض أو الشبهة فإنها حلال أو الصدقة بها، (مبدأُ كُلِّ شَرٍّ) متعدٍّ وقاصر علىٰ النفس والغير، (فكيف من الحرام؟!) المَحْضِ.

(وطلبُ الحلال) ضد الحرام (فريضةٌ علىٰ كل مسلم) إذا توقف علىٰ الطلب المذكور مالا بد منه، كما أن ترك الحرام المحض واجب، (والعبادةُ) المجردة (والعلمُ) المجرد اللذان بسببهما نُهي عن الشبع المثقِّل فكيف إذا اقترنا (مع) أي: عند (أكل الحرام) أي: تناوله (كالبِنَاءِ) علىٰ غير أساس، بل كالبناء (علىٰ السِّرْجِينِ[1]) أي: الروث،

---

(١) السِرجين والسِرقين تعريب سَرِكين وهو الزبل (ر: معجم الألفاظ الفارسية المعربة للسيد أدي شير ص ٨٩).

وإذا قَنِعْتَ في السَّنَةِ بقميص خَشِنٍ وفي اليوم برغيفين من الخُشْكَارِ وتَرَكْتَ التَّلَذُّذَ بأطايب الأُدُم لَمْ يُعْوِزْكَ من الحلال ما يكفيك

والمراد علىٰ النجس الذي لا تصح العبادة معه.

ولا يَعِزُّ الحلال أو المقصود منه علىٰ وجود القناعة، فمن ثَمَّ قيل: (وإذا قَنِعْتَ) والخطاب للسالك المجاهد، لا العارف ولا المريد الجمالي الشاذلي، أو للجميع علىٰ ضَرْبٍ من التجوُّز (في السَّنَةِ) كلها (بقميص) مثلاً، فيشمل ساتر العورة فقط، (خَشِنٍ) لأن لبسه لغرض شرعي ليس مكروهاً، بخلافه بدونه، والغرض هنا تحصيل القناعة التي بها لا يعزُّ الحلال، (وفي اليوم) كله مع الليلة (برغيفين) معتدلين (من) الدقيق (الخُشْكَارِ[١]) وهو مالا يُعتنىٰ بغَسْل قمحه أو نَخْله، والخشكار الرديء من كل شيء، (وتَرَكْتَ التَّلَذُّذَ بأطايب الأُدُم) أي: أعاليه وأوسطه، بأن اقتصرتَ علىٰ أقله، والإدام بالكسر والأُدُم بالضم[٢]: ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان، (لَمْ يُعْوِزْكَ) يحوجك (من الحلال) ضد الحرام (ما يكفيك) لُبساً وقوتاً وأدماً، لكن في الاقتصار علىٰ هذا الحد الكفاية آفةُ رياء فاحذره، فإن الوقوع في شهوة الرياء بترك شهوة الطعام أعظم من آفةِ تناوله، وهو كمـن هرب

---

(١) فارسية: معناها ما خَشُن من الطحين، (ر: معجم أدي شير ص ٥٥).

(٢) ويجوز تسكين الدال تخفيفاً، مثل كُتُب وكتْب في جمع كتاب والإدام مـا يؤتـدم به مائعاً كان أو جامداً. (المصباح/أدم).

فالحلالُ كثيرٌ وليس عليك أن تَتَيَقَّنَ باطنَ الأمر بل عليك أن تَحتَرِزَ مما تعلمُ أنه حرام، أو تظنُّ أنه حرام ظنّاً حَصَلَ مِنْ علامـة نـاجزةٍ مقرونـة بالمـال أَمَّـا المَعْلُـومُ: فظـاهرٌ وأَمَّـا المظنـون بعلامـة:

من عقرب إلىٰ حية، وفي الشرح شرح حال طائفة تتناول الأطايب ونحوها لما هو أهم من تركها وبيَّنته.

(فالحلالُ) المذكور (كثيرٌ) وإن كان مقابله أكثر، (وليس) بواجب (عليك أن تَتَيَقَّنَ باطنَ الأمر) لأنّا لم نكلَّفْ به، (بل) الواجب (عليك أن تَحتَرِزَ) في تناولك (مما تعلمُ) تتيقن (أنه حرام، أو تظنُّ أنه حرام) ولو اقتصر علىٰ الظن لأغْنىٰ، وكذا علىٰ العلم بناء علىٰ تناولِهِ للظن الغالب من اصطلاح الفقيه، لكن قَصَدَ التوضيح، وسيأتي بيان المعتمد في مسألة الظَّنِّ، (ظنّاً) وهو الطَّرَف الراجح، والشك التردُّد علىٰ السواء، والوهم الطرف المرجوح، وللظن بالمعنىٰ المذكور حكم اليقين، ويعبر عنهما بالعلم، وقد يطلق الظن علىٰ الشك، (حَصَلَ مِنْ علامة ناجزةٍ مقرونة[١] بالمال) المتناول في نحو المَلْبس.

(أَمَّا) المتناول (المَعْلُومُ) حِلُّه المشار إليه آنفاً بقوله: تعلمُ بمعنىٰ تتيقن (فظاهرٌ) حكمه.

(وأَمَّـا المظنـون بعلامة) أي: أَمَـارة أو قـرينة دالَّة علىٰ خُبْـثِهِ

---

(١) في نسخة (م)..لعلَّة مقرونة..

فهو مالُ السلطان وعُمَّالِه ومالُ مَنْ لا كَسْبَ له إلا من النِّياحَةِ أو بيع الخمر أو الرِّبا أو المزامير حتىٰ علمتَ أَنَّ أكثرَ ماله حرامٌ قطعاً فلا تأخذْه من يده وإِنْ أمكَنَ أن يكون حلالاً نادراً فهو حرام لأنه الغالبُ علىٰ الظن. . . . .

(فهو مالُ السلطان) الغير العادل، (وعُمَّالِه) الغير العادلين كقضاته أَكَلَة الرشوة ومكَسَتِه، (ومالُ مَنْ لا كَسْبَ له) مطلقاً (إلا من النِّياحَةِ) عملِ الجاهلية، (أو) من (بيع الخمر) البيع الباطل، ولا يكون بيعه إلا باطلاً، (أو) من (الرِّبا) علىٰ حرمته أو المختلف فيه عند من لا يَرىٰ الحيلة الصحيحة فيه، نسأل الله السلامة من القسمين، فإن الورع لا يَتم إلا برعاية الخروج من الخلاف (أو المزامير) يعني: آلات اللهو المحرمة، أو أشباه هذه المكاسب الأربعة (حتىٰ علمتَ) يعني: تيقنت (أَنَّ أكثرَ ماله حرامٌ قطعاً) أي: بلا شبهة ولا ريب (فلا تأخذْه) أي: يحرم عليك تناوله (من يده) أي: استلائه لا بطريق الاتِّهاب ولا بطريق غيره مما هو في معناه، وهل منه طريق الاستيداع؟ فيه تفصيل لا يخفىٰ علىٰ فقيه، (وإِنْ أمكَنَ أن يكون) الذي يريد تناوله (حلالاً نادراً) أي: علىٰ سبيل النُّدور (فهو حرام) أيضاً بناء علىٰ ترجيح المصنِّف، قال: (لأنه الغالبُ علىٰ الظن) وهذه العلة مع ما قبلها هي الموافِقة لقوله فيما سلف: بل عليك أن تحترز عما تظن أنه حرام، وإن كان في فهم هذا المراد منها عُسْر، والمعتمد أخذاً من كلام النووي وغيره أنه ليس بحرام، فيجوز التناول ممن أكثر ماله حرام،

ومن الحرام المَحْضِ ما يُؤْكَلُ من الأوقاف من غير شَرْطِ الواقف فمن لم يشتغل بالفقه فما يأخذُه مِنَ المدارس حرامٌ ومن ارتكبَ معصية وتُرَدُّ بها الشهادة فما يأخذُه باسم الصُّوفيَّة مِنْ وَقْفٍ

لكن الورع ما ذكره المصنف من الترك.

(ومن الحرام المَحْضِ) لا علىٰ احتمال وهو المشتبه: (ما يُؤْكَلُ) يُتناول (من الأوقاف) لا مطلقاً، بل (من غير شَرْطِ الواقف)، أما إذا كان بشرطه فكُلْ؛ لأنه كنَصِّ الشارع، والشرطُ أَمْلَكُ عليك أَمْ لَكَ، (فمن لم يشتغل بالفقه) السابق تعريفه (فما يأخذُه مِنَ المدارس) الموقوفة علىٰ المشتغل به (حرامٌ)، وفي الشرح اعتذار مهم عن فقيه أو متفقه لم يَجْرِ علىٰ الشرط بحسب الظاهر.

(ومن ارتكبَ معصية) ولو صغيرة بحيث تَسْلُبُ العدالة (وتُرَدُّ[١] بها الشهادة)، وقد تُرَدُّ بغير معصية، وضابط ما ترد به هو ما يُخِلُّ بالمروءة كلُبْسٍ غير لائق بأبناء جنسه، وفي الشرح بسط وبيان لصغيرة تَسْلُبُ العدالة، وواضح أنها تسلبها مع الإصرار بشرطه، (فما يأخذُه) هذا المرتكب المذكور (باسم الصُّوفيَّة) وهم الراسخون في العلم، الصافية سرائرهم، القائمون علىٰ قَدَمِ الاستقامة[٢]، (مِنْ وَقْفٍ)

---

(١) في نسخة (م) ترد.

(٢) من تعاريف الصوفية؛ قال عبد الرحمن باوزير الحضرمي فيهم: إن قرأتَ مكتوب سعدهم فيحبهم ويحبونه، وإن نظرت منشور مجدهم رضي الله عنهم =

أو غيره حرامٌ وقد ذكرنا مداخلَ الشبهات والحلال والحرام في كتاب مُفْرَدٍ مِنْ كُتُبِ. . . . .

عليهم (أو غيره) صدقة ولو هدية لم يتصدق بها صاحبها إلاّ علىٰ مَنْ ظنه صوفياً (حرامٌ) سُحْتٌ داخل في وعيد آكله، بل جزم جَمْعٌ منهم الزركشي بحرمة أخذ صدقة مَنْ تصدق عليكَ لظنٍّ وصفِ صلاح فيك، والحال أنك خالٍ عنه[1]، ومثل هذا الوصف وَصْفُ عِلْمٍ رُبطت الصدقة به كما هو ظاهر.

(وقد ذكرنا مداخلَ الشبهات والحلال والحرام في كتاب مُفْرَدٍ) أي: مستقل، أو واحد في بابه كالدرة اليتيمة[2] (مِنْ كُتُبِ) كتابنا

ورضوا عنه وإن سألت عن مقامهم فعند مليك مقتدر، وإن أردت وصفهم فأولئك أعظم درجة، وإن كبر ما ظهر منهم فما تخفي صدورهم أكبر، وإن علمت نفس ما أحضرت فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. (من الشرح).

(١) هذه الدقائق لا يقف عندها إلا أهل النور والصدق !.

(٢) هو بحقٍّ دُرَّة يتيمة ويحسن نشره مفرداً مع تعليقات لمسائل معاصرة لتنبه علىٰ ما ينجِّي من الحرام، ويهيج علىٰ الورع. وقد جعل حجة الإسلام الورع عن الحرام علىٰ أربع درجات: ورع العدول، وورع الصالحين، وما لا تحرمه التقوىٰ ولا شبهة في حلّه ولكن يُخاف منه أداؤه إلىٰ محرم، والرابعة: ما لا بأس به أصلاً، ولا يخاف منه أن يؤدي إلىٰ ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله، وعلىٰ غير نية التقوي به علىٰ عبادة الله... (انظر هذا الكتاب النفيس: كتاب الحلال والحرام ٢/١٤٥-٢٥٢).

«إحياء علوم الدين» فعليك بطلبه فإن معرفةَ الحلال و طَلَبَه فريضةٌ عيناً علىٰ كل مسلم كالصلوات الخمس. وأما الفَرْج: فاحفَظْه عن كل ما حَرَّم الله تعالىٰ وكُنْ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾

(إحياء علوم الدين) المطابق اسمه مسماه، (فعليك) إغراءٌ علىٰ سبيل الوجوب، أو الندب، أو عليك بمعنىٰ: يجب عليك (بطلبه) أي: «الإحياء» لتعرف الحلال منه، (فإن معرفةَ الحلال) فريضة (و) إنَّ (طَلَبَه) المحصل لها (فريضةٌ) عيناً أو كفاية (علىٰ كل مسلم) مُكَلَّف (كالصلوات الخمس) في أصل الفريضة أو تأكد فريضتها.

وإلىٰ الخامس من السبعة أشار بقوله: (وأما الفَرْج) فرجك أيها الرجل، لأن الكلام فيه، (فاحفَظْه) وجوباً (عن كل ما حَرَّم الله تعالىٰ) خوفاً منه تعالىٰ، لا لنحو عجز وحياء، (وكُنْ كما قال الله تعالىٰ) في الثناء علىٰ حافظيه في سورة «قد أفلح» في هذه الآية[1]: (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝﴾) لا يبذلونها (﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾) أي: زوجاتهم؛ لأن الزوج في الأصح أفصح من الزوجة (﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾[2]) أي: سُرِّيَّاتهم، وفي الشرح حكمة التعبير عنهن بما ذكر.

---

(١) الآية السادسة.

(٢) في نسخة (م) زيادة: فإنهم غير ملومين.

ولا تَصِلُ إلىٰ حِفْظِ الفَرْجِ إلاَّ بحفظ العين عن النظر وحفظِ القلب عن التفكير وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشِّبَعِ فإنَّ هذه مُحَرِّكَاتُ الشهوةِ ومَغَارِسُها. وأما اليدان: فاحفظهما عن أن تَضْرِبَ بهما مسلماً أو تتناول بهما مالاً حراماً أو تُؤذيَ بهما أحداً........

(ولا تَصِلُ) كمال الوصول أو مطلقاً (إلىٰ حِفْظِ الفَرْجِ) عن زِنَاه (إلاَّ بحفظ العين عن) زناها (النظر)، وفي «الإحياء» من لم يقدر علىٰ غَضِّه لم يقدر علىٰ حفظ دينه أي: لأن حفظ النظر مهم عَسِرٌ والآفات كلُّها منه كما بيَّنه في «الإحياء» وأشرتُ إليه في الشرح، (وحفظِ) أي: وإلا بحفظ (القلب عن التفكير) في محاسن المنظور، (وحفظ البطن عن) دخول (الشبهة) لأنها تَجُرُّ إلىٰ الحرام، (وعن الشِّبَعِ) بالحلال لِمَا تقدم أنه مبدأ كل شر، فكيف الحرام؟ (فإنَّ هذه) المذكورات النظر والفكر والشبهة والشبع (مُحَرِّكَاتُ) كمال التحريك (الشهوةِ) الساكنة الخفية (ومَغَارِسُها) علىٰ معنىٰ مظهِرةٌ لها ومن منابتها، وفي «الإحياء» بسط مهم في هذا الخامس، وإلىٰ السادس أشير بقوله: (وأما اليدان) الباطشَتان (فاحفظهما) وجوباً (عن أن تَضْرِبَ بهما) أو بما معناهما (مسلماً) أو ذمياً؛ لأن ذِمَّة الإسلام تمنع منه، ويشمل الذمي قوله الآتي: أحداً (أو تتناول بهما مالاً) أو اختصاصاً (حراماً)، ويندب حفظهما عن المكروه وخلاف الأولىٰ (أو تُؤذيَ) أدنىٰ أذيَّة (بهما) وما في معناهما كما تقدم، (أحداً) ولو ذمياً وبهيمة

من الخلق، أو تخونَ بهما في أمانة أو وَدِيعةٍ أو تَكتبَ بهما ما لا يجوز النُّطْقُ به فإِنَّ القلمَ أحدُ اللِّسَانيَنِ فاحفظ القلمَ عما يجبُ حفظ اللسان منه. وأما الرِّجْلاَنِ: فاحفظهما عن أن تَمشيَ بهما إلىٰ الحرام أو تسعىٰ بهما إلىٰ باب سلطان ظالمٍ فالمشي إلىٰ السلاطين

(من الخلق، أو تخونَ بهما[1] في أمانة) وديعة أو نحوها، (أو) في رَدِّ (وَدِيعةٍ) الأخص من الأمانة، وفي الشرح بيان نُكَتٍ في عبارة المصنف، وعطف بعض الجمل والكلمات علىٰ بعض، (أو) أن (تَكتبَ بهما) أي: بكل منهما أو بإحداهما (مالا يجوز النُّطْقُ به)، ويندب حفظهما عن كتابة المكروه كما يؤخذ مما أسلفناه، (فإِنَّ القلمَ) كما في الحديث (أحدُ اللِّسَانيَنِ) فهو لسان أُمِرَ بحفظه شرعاً، فلذا قال: (فاحفظ القلمَ عما يجبُ حفظ اللسان منه)، بل للقلم آفات ودسائس تعرفها الكُتَّاب، ورب إنسان له قلم وليس له لسان، وبالعكس، والطامة ذو اللسانين.

وإلىٰ السابع أشير بقوله: (وأما الرِّجْلاَنِ) آلتا السعي (فاحفظهما) وجوباً (عن أن تَمشيَ بهما إلىٰ الحرام) ويُندب حفظهما عن المكروه وخلاف الأولىٰ، وبيان صور ذلك لا يخفىٰ علىٰ متفقه (أو تسعىٰ بهما إلىٰ باب سلطان) أي: ذي ولاية، فشمل الإمام ونائبه، (ظالمٍ) لنفسه وغيره، (فالمشي إلىٰ السلاطين) أي: الملوك

---

(١) في نسخة (م) بهما مسلماً.

الظَّلَمة من غير ضرورة وإِرْهَاقٍ معصيةٌ فإنه تواضع وإكرام لهم وقد أَمَرَ الله تعالىٰ بالإعراض عنهم وهو تكثيرٌ لسَوَادِهم وإعانةٌ لهم علىٰ ظُلْمِهِم فإِنْ كان. . . . .

(الظَّلَمة) ونُوَّابهم كقضاة السوء وأرباب المَكْس (من غير ضرورة) حاجة أو شدتها، (وإِرْهَاقٍ) غِشْيان الضرورة علىٰ ما في الشرح (معصيةٌ) عظيمة، أما مع الحاجة الخاصة أو العامة فلا، ويلحظ أنه كمَشْيِ ذي الحاجة من بول أو غائط إلىٰ محل قضائها علىٰ ما بسطته في الشرح، (فإنه) أي: المشي لغير الضرورة أو الإرهاق (تواضع) ذميم (وإكرام) غير حميد (لهم).

وهذا التواضع لأجْل ظلمهم والإكرام له منهيٌّ عنه، (وقد أَمَرَ الله تعالىٰ) المكلف في الكتاب والسنة (بالإعراض عنهم) أما الكتاب فنحو قوله تعالىٰ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ النجم/٢٩. وأما السنة فنحو حديث «من تواضع لغنيٍّ» إلىٰ آخره وسيأتي قريباً، (وهو) أي الشيء المذموم (تكثيرٌ لسَوَادِهم) ومن كَثَّر سَوادَ قوم فهو منهم، (وإعانةٌ لهم علىٰ ظُلْمِهِم) المنهي عنها في الكتاب والسنة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ المائدة/٢. وحديث ابن عساكر: «من أعان ظالماً لِظُلْمه سَلَّطه الله عليه». ففيه إشارة للنهي عنها.

(فإِنْ كان) المشي بمعنىٰ السعي لهم لنحو إغاثة ملهوف فواضح،

لسَبَب طَلَبِ مَالِهِم فهو سعيٌ إلىٰ الحرام وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: من تواضع لغَنِيٍّ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ. وهذا في غنيٍّ صالح فما ظَنُّكَ بالغني الظالم وعلىٰ الجُمْلَةِ: فحركاتُكَ وسكَناتكَ. . . .

أو لأسباب مذمومة أشير إلىٰ بعضها بقوله: (لسَبَب طَلَبِ مَالِهِم[1]) الحرام أو غالبه (فهو) علىٰ ما تقدم (سعيٌ إلىٰ الحرام) يقيناً أو ظناً غالباً، (وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: «من تواضع لغَنِيٍّ لِغنَاهُ). أي: لأجل غناه كما في حديث، لا لدفع ضرره ولو موهوماً لحديث المداراة، ولا لصفة فيه كعِلْمٍ وإحسان (ذَهَبَ ثُلُثَا دِينه) فليتق الله في الثلث الآخر». والحديث شهير وفي الشرح بيان مُخَرِّجه ورتبته، وبعض ما في معناه وما يلائمه[2]، (وهذا في غنيٍّ صالح) أي: غير ظالم، وحُمل الحديث علىٰ الصالح بالمعنىٰ المتبادر ولِمَا قام عند المصنف، (فما ظَنُّكَ بالغني الظالم) لغيره، المتواضع له لأجل غناه، سواء انضم إليه قَصْدُ ظلمه أو لا، وفي الشرح بسط.

(وعلىٰ الجُمْلَةِ) بعد سابق التفصيل (فحركاتُكَ وسكَناتكَ) كلها

---

(١) في نسخة (م) ذلك سبباً لطلب أموالهم.

(٢) ونقل عن بشر الحافي: سلموا علىٰ أبناء الدنيا بترك السلام عليهم. قال في الشرح: وهو محمول علىٰ ذي دنيا يتكبر علىٰ المساكين أو تخشىٰ من نفسك طمعاً في دنياه، أو مداهنة بسببها. اهـ ومن هنا يقول الناس: التكبُّر علىٰ المتكبر صدقة!.

نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك فلا تُحَرِّكْ شيئاً منها في معصية الله تعالىٰ أصلاً فاستعملها في طاعة الله واعلم: أَنَّكَ إِنْ قَصَّرتَ فعليكَ يَرجعُ وَبَالَهُ وإِنْ شَمَّرْتَ..........

(نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك) كما سبق بيانه في أول القسم الثاني: وإن عَبَّر هناك بالأعضاء، (فلا تُحَرِّكْ شيئاً منها) أي: الأعضاء الدال عليها ذِكْرُ الحركات، أو من المذكورات علىٰ ضَرْبٍ من التجوز (في معصيةِ الله تعالىٰ)، حتىٰ الصغيرة (أصلاً) ورأساً مطلقاً، بل ولا في مكروه ونحوه، (فاستعملها[1]) أي: الأعضاء والحركات والسكنات (في طاعة الله) تعالىٰ ولو مفضولها وقليلها الدائم، بل هو خير من كثير منقطع، ويجزء العمل القليلُ الكثيرُ الثواب، وهو كثير في السنة، وحَرَّضتُ عليه وأفردت غرراً جَمَّةً منه في رسالتين، الصغرىٰ منهما: "خلاصة الوسيلة في عِظَمِ ثواب الأعمال القليلة"[2].

(واعلم أَنَّكَ إِنْ قَصَّرتَ) في تَحَرِّيك وترك عمل (فعليكَ يَرجعُ وَبَالَهُ) وندمه، والوبال هنا المكروه والمضرة والإثم؛ (وإِنْ شَمَّرْتَ) عــن ساعــد الجِدَّ في استعمالها في الطاعة وترك التحريك المذكور

---

(١) في نسخة (م) واستعملها.

(٢) وممـا كُتب حديثاً في هذا الباب: " الأربعــون المنيرة في الأجـور الكـبيرة علـىٰ الأعمال اليسيرة" للدكتـور عيــادة بن أيوب الكبيسي. صدر في دار البحـوث في دبــي.

فإليك تَعُودُ ثَمَرَتُه والله تعالىٰ غنيٌّ عنك وعن عملك وإنما كلُّ نفس بما كسبت رهينة وإياك أن تقول: إن الله تعالىٰ كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة فإن هذه كلمة حق أُريد بها باطل وصاحبها ملقَّب بالحماقة بتلقيب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حيث قال:

(فإليك تَعُودُ ثَمَرَتُه) أي: ثمرة التشمير المستفاد من شَمَّرتَ، وهي ثمرة جَنِيَّة مقصورة عليك، أُخذ من تقديم فإليك؛ (والله تعالىٰ) سبحانه (غنيٌّ) بذاته وصفاته وأفعاله (عنك) وعن غيرك (وعن عملك)، وتوضيح المعنىٰ المراد ما اقتبسه المصنف من قوله تعالىٰ في سورة المدثر[1]، لكنه لم يأت بنظمها (وإنما كلُّ نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله، وفي الشرح بيان حكمة ترك نظم الآية.

(وإياك أن تقول) ترخيصاً وركوناً مجرَّداً إلىٰ الرجاء مع الارتِبَاكِ في الذنب: (إن الله تعالىٰ كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة) بكرمه ورحمته (فإن هذه) الجمل المفيدة (كلمة حق أُريد بها باطل) ضده، (و) لهذه الإرادة (صاحبها) المتلفظ بها والحال ما ذُكِرَ (ملقَّب) موصوف (بالحماقة) منشأ الرذائل، حتىٰ كأنها عَلَمٌ مقصور عليه (بتلقيب) سيد الخلق (رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حيث قال) مـــا

---

(١) الآية ٣٨: كل نفس بما كسبت رهينة.

الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه وعَمِلَ لما بعد الموت، والأحمق مَنْ أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّىٰ علىٰ الله الأَمَانِيَّ. واعلم: أَنَّ قولك هذا يُضَاهِي قولَ من يريد أن يَصيرَ فقيهاً في علوم الدين فاشتغل بالبَطَالَةِ وقال إن الله كريم رحيم قادر أن يُفيضَ علىٰ قلبي.....

يؤخذ منه ذلك في الحديث الشهير: (الكَيِّس) أي: العاقل (مَنْ دَانَ نَفْسَه) أذلَّها واستعبدها أو حاسبهما (وعَمِلَ لما بعد الموت، والأحمق) أي: غير العاقل (مَنْ أَتْبَعَ نفسه هواها) المذموم (وتمنَّىٰ علىٰ الله) تعالىٰ في حال مقارفة الذنب، أو قبل التوبة منه (الأَمَانِيَّ) جمع أُمْنِيَّة وهي: ما يتمنىٰ، وفي "الصحاح" الأماني[1] جمع أمنية، ثم فسرها بما يُتمنىٰ.

(واعلم أَنَّ قولك هذا) السابق وهو: أن الله كريم إلىٰ آخره (يُضَاهِي قولَ من يريد أن يَصيرَ فقيهاً) عالماً بالأحكام الشرعية إلىٰ آخر ما سبق في تعريف الفقيه أو فهماً (في علوم الدين) بلا كَسْبٍ وجِدٍّ في الطلب، (فاشتغل بالبَطَالَةِ) التي لا تجامع العلم والعبادة، (وقال) مع بطالته: (إن الله كريم رحيم قادر أن يُفيضَ علىٰ قلبي) بيت

---

(١) جاء في التاج: بتشديد الياء وتخفيفها. قال الراغب: الأُمْنِيَّة: الصورة الحاصلة في النفس من تمنِّي الشيء. (مادة: مني).

مِنَ العلومِ ما أفاضَهُ علىٰ قلوبِ أوليائه بل قلوبِ أنبيائه من غير جُهد وتَكرَارٍ وتعلق وحرصٍ وتعلُّم.................

ربي (مِنَ) مُزْنِ[1] (العلوم) اللدنيَّة ومن بحارها الوَهْبيَّة (ما أفاضَهُ علىٰ قلوب أوليائه) كلقمان[2]، وكان نائماً فانتبه ينطق بالحكمة، وفي نبوته خلاف، (بل) أجلُّ من ذلك، وهو ما أفاضه علىٰ (قلوبِ أنبيائه) البالغين مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، والبالغين[3] خواصهم الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر، علىٰ اختلاف الروايات (من غير جُهد) بفتح وضم لأوله بمعنىٰ مشقة، أو بذل وُسْع[4]، (وتَكرَارٍ وتعلق[5]) في الطلب والتعلم، (وحرصٍ) عليه (وتعلُّم).

---

(١) المزن، بالضم: السحاب، الواحدة مُزْنة، وتصغيرها مزينة وبها سميت القبيلة (المصباح/المزن).

(٢) رُجِّح أن لقمان وذا القرنين وليَّان ليسا بنبيين؛ قال عوض الغمراوي:

لقمانُ ذو القرنين كانا أتقيا ... ولم يكونا في الأنام أنبيا

انظر: نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام (ص٩٣).

(٣) العبارة في الشرح أوضح وهي: وخواصهم الرسل البالغة ثلثمائة...

(٤) إذ المشهور في اللغة أن فتح الجيم للمشقة وضمها لبذل الوسع، ففي الكلام لفٌّ ونشر مرتَّب.

(٥) في نسخة (م) وتعليق.

وهو كقول من يريد مالاً فيترك الحِرَاثةَ والتجارةَ والكسبَ و تَعطَّل وقال إِنَّ الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض، وهو قادر علىٰ أن يُطْلِعَنِي علىٰ كَنْزٍ من الكنوز وأستغني به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت إذا سمعتَ كلام هذين الرجلين استحمقتَهما وسَخِرْتَ بهما.....................

وهو كقول من يريد مالاً) عظيماً (فيترك الحِرَاثةَ) بمعنىٰ الزراعة ذات الثواب الكثير والأفضلية، ولذا قَدَّمها علىٰ قوله: (والتجارةَ) المخصوصة في العرف لا تتناول الزراعة، وإن تناولتها من حيث إنه يتاجر به، (والكسبَ) وهو أعم مما قبله، فأُخِّر للاهتمام بشأن الأخص (و) إذا تركها (تَعطَّل) عن الكسب (وقال إِنَّ الله كريم) يرزق بلا حرث وتجارة وكسب (رحيم) بترك الكسب وغيره، (وله خزائن السموات) جمع خزانة بكسر الخاء (والأرض، وهو قادر علىٰ) كل شيء، ومنه (أن يُطْلِعَنِي) اطلاع تمكُّن وتصرُّف (علىٰ كَنْزٍ) عظيم، وهو مال مدفون في الأرض (من الكنوز) العظيمة، (وأستغني به عن الكسب) المتعِب، (فقد فعل ذلك) سبحانه (لبعض عباده) فاستغنىٰ فاستراح.

(فأنت إذا سمعتَ كلام هذين الرجلين) القائلين ما سبق (استحمقتَهما) قَضَيتَ عليهما بالحُمْقِ، (وسَخِرْتَ بهما) من

وإن كان ما وصفناه مِنْ كَرَمِ الله وقدرته صِدْقاً وحقاً كذلك يَضحك عليك أربابُ البصائر في الدِّين إذا طَلَبتَ المغفرةَ بغير سعي لها والله تعالىٰ يقول لك : ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾

السخرية، (وإن كان ما وصفناه[١]) من الكرم (مِنْ كَرَمِ الله)، وما وصفناه من القدرة من جملة سَلْطَنَة الله (وقدرته صِدْقاً) ليس بكذب، (وحقاً) ليس بباطل، (كذلك يَضحك) حقيقة أو حكماً (عليك أربابُ البصائر) النيرة (في الدِّين) الذي لا ينافس أهله إلا في عمله الصالح والمجاهدة في الله، (إذا طَلَبتَ المغفرةَ) للذنب (بغير سعي لها)، أي: لسببها كالتوبة والعمل الصالح، (و) الحال أن (الله تعالىٰ يقول لك:) أيها الإنسان في سورة والنجم (﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾) من خير ﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾ الآيتان: ٣٩و٤٠. أي: يُنظر في الآخرة، فليس له شيء من سعي غيره، وكما لا يؤاخَذ أحدٌ بذنب الغير، لا يثاب بفعله[٢].

---

(١) في نسخة (م) وصَفَاه.

(٢) للإمام السيوطي باب نفيس بعنوان: في قراءة القرآن للميت أو علىٰ القبر في كتابه: شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور، وانتصر لرأي الجمهور في وصول ثواب القراءة للميت، وذلك بالقياس علىٰ الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق وورود أحاديث يدل مجموعها علىٰ أن لذلك أصلاً، وبأن المسلمين ما زالوا في كل عصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعاً، وللحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي جزء في

=

ويقول : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويقول : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ فإذا لم تَتْرُكِ السعيَ في طلب العلم والمال اعتماداً علىٰ كَرَمِه فكذلك لا تَتركْ تزوداً للآخرة

وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت، فلكون الناوي له كالنائب عنه، وفي الشرح بيان وجه الاستدلال بالآية وخلافه، وحكاية بعضٍ في معناها، (ويقول) تعالىٰ في سورة والطور: (﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) الآية١٦. وفي الشرح ما يُشْكِلُ ظاهرُ هذه الآية عليه وجوابُه، (ويقول) في سورة الانفطار: (﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾) جنة، (﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾) الكفار (﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾) الآيتان: ١٣و١٤. نار محرقة.

(فإذا لم تَتْرُكِ السعيَ) الصادق بالمشي والركوب مع سرعة وعدمها (في طلب العلم والمال اعتماداً علىٰ كَرَمِه) تعالىٰ احتجاجاً بما سبق ذكره، (فكذلك لا تَتركْ تزوداً للآخرة) لآية "وتزودوا"[1]

هذا وأما القراءة علىٰ القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم، ونقل السيوطي قول النووي في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن، ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب، وأن الإمام أحمد كان ينكر أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع حين بلغه (ص٤٠٢-٤٠٦).

(١) البقرة /١٩٧.

ولا تَغْترَّ فإنَّ ربَّ الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم رحيم ليس يَزيدُ له كرم بتمنِّيك إنما كَرَمُهُ أن يُيسِّرَ لك طريقَ الوصول إلىٰ المُلك المقيم المخلَّد بالصبر علىٰ تَرْكِ الشهوات أياماً قلائلَ وهذا نهايةُ الكرم فلا تُحَدِّثْ نفسك. . . . .

(ولا تَغْترَّ) فتقف مع آيات الكرم والرجاء قاطعاً النظر عن آيات الخوف والنقمة، (فإنَّ ربَّ الدنيا والآخرة) أي: مالكهما (واحد) لا شريك له، قديم، (وهو فيهما كريم رحيم) شديد البطش منتقم لا يختص كرمه ورحمته بإحداهما، وإن كانت مظاهر الرحمة والكرم في الآخرة أكثر وأظهر (ليس يَزيدُ له) تعالىٰ (كرم بتمنِّيك) السابق ونحوه، (إنما كَرَمُهُ) بحسب عادته الإلهية الجارية في خلقه النوع الإنساني، (أن يُيسِّرَ لك) يا مَنْ هو بعض أفراد هذا النوع (طريقَ الوصول إلىٰ المُلك) بضم الميم: ملك الجنة، (المقيم) لطول الإقامة فيه قيل: معنىٰ جنة عدن: جنة إقامة، وإن كان الأصح أن هذا الاسم لجنة مخصوصة، (المخلَّد) بفتح اللام وكسرها (بالصبر) الجميل (علىٰ تَرْكِ الشهوات) الظاهرة والخفية، (أياماً) أوقاتاً أو الأيام المعروفة علىٰ أنها مثال، (قلائلَ) لأن الصبر وسيلة إلىٰ كل مقصد عَلِيٍّ وسعي مشكور.

(وهذا) المذكور السابق، وفي نسخة: وهذه (نهايةُ الكرم) أي: مبادئ نهاية الكرم الإلهي الجاري علىٰ خلقه ولا نهاية لكرم الكريم تعالىٰ، (فلا تُحَدِّثْ نفسك) بعد هذه التأصيلات والتقريرات

بتَهْوِيساتِ البَطَّالين واقتد بأولي العَزْم والنُّهَىٰ من الأنبياء والصالحين ولا تَطْمَعْ في أن تَحصُدَ ما لا تزرع وليتَ مَنْ صام وصلىٰ وجاهد واتَّقىٰ غُفِرَ له..................

والتأسيسات (بتَهْوِيساتِ[1]) جمع تَهوِيسة[2] (البَطَّالين) المشتغلين بالبطالة السابق بيانها، (واقتد بأولي العَزْم) أو الحَزْم كما في نسخة ولكل مناسبة في الشرح، وهم أرباب البصائر، والضاحكون علىٰ من طلب المغفرة بلا سعي في نحو التوبة وإن تفاوتت مقاماتهم، (والنُّهَىٰ) العقول، جمع نُهْيَة بالضم: العقل، (من الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام (والصالحين) كالصحابة والتابعين وأكابر الوارثين بعدهم، وفي الشرح بيان طريق الاقتداء بالمعصوم فمَنْ بعده، والوقوف عليه مهم.

(ولا تَطْمَعْ في أن تَحصُدَ مالا تزرع) لأنَّ الحَصَادَ فرعُ الزرع، وهو كناية بديعة وعبارة منيعة (وليتَ مَنْ صام وصلىٰ وجاهد) الفرض والنفل من الثلاثة (واتَّقىٰ) المنهيَّ عنه (غُفِرَ له) جزماً، بل هو تحت الخَطَرِ؛ لأن المغفرة مَحْضُ فَضْلٍ، والحق تعالىٰ لا يجب عليه شيء

---

(١) في نسخة (م) بهَوسات.

(٢) جاء في اللغة: الهَوَس طرف من الجنون، وهاسَ الشيء أفسده، والمُهَوَّس: الذي يُحدث نفسَه، وهَوِسَ الناس هَوَساً، وقعوا في اختلاط وفساد (ر: التاج: هوس والمعجم الوسيط/هاس).

وهذا جُمْلَةُ ما ينبغي أَنْ تحفظ عنه جوارحَك الظاهرة وأعمالُ الجوارح إنما تترشَّحُ من صفات القلب فإنْ أردتَ حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب فهو التقوىٰ والقلبُ هو المضغة التي إذا صَلَحَتْ صَلَح بها سائرُ الجسد، وإذا فَسَدَتْ فَسَد بها سائر الجسد

ويجوز له تعذيب الطائع ولأن الإخلاص في غاية العِزَّة؛ فما كلٌّ من أتىٰ بالصلاة ونحوها أخلص في فعله حتىٰ يغفر له، وفي الشرح أبسط من هذا مما يوضحه.

(وهذا جُمْلَةُ) أو جمل كما في نسخة (ما ينبغي) أي: يتأكد و يجب (أَنْ تحفظ عنه جوارحَك الظاهرة) السبعة، أو جميع بدنك، (وأعمالُ الجوارح) والمذكورة (إنما تترشَّحُ) ويتولد فتنشأ وتتفرغ (من صفات القلب) مَلِكِها (فإنْ أردتَ حفظ الجوارح) رَعِيَّته (فعليك بتطهير) مَلِكِها، (القلب) من خبثه وعَيْبِه الخُلُقِ الرديء كالحقد، وحفظُ الرعية وهي هنا الجوارح بحفظ مَلِكِها القلب، (فهو) أي: تطهيره (التقوىٰ)[1] أي: التقىٰ، (والقلبُ) كما صح في الحديث (هو المضغة التي إذا صَلَحَتْ صَلَح بها) أو به (سائرُ الجسد، وإذا فَسَدَتْ فَسَد بها سائر[2] الجسد)؛ وفي الشرح كلام علىٰ بعض هـــذه الألفاظ

---

(١) في نسخة (م) التقوىٰ الباطن.

(٢) سائر: هنا جميع، ويأتي بمعنىٰ باقي، لكن قوله في الحـديث: إذا فسـدت فسـد الجسد كله باعتبار لفظ كل قد ترجح الأول ببادئ الرأي، وعند التحقيـق يمكـن

=

فاشتغل بإصلاحه لِتُصلِحَ به جوارحَك.

ولفظ الحديث الشهير غير هذا، ولعله روي بالمعنىٰ أو ورد بهذا اللفظ من طريق غير مشهورة؛ (فاشتغل) ندباً أو وجوباً (بإصلاحه) التام (لِتُصلِحَ به جوارحَك) التي تؤدي بها واجباتك ومندوباتك وتتقي آفاتِك.

تصحيح الأمرين فليتأمل. (من الشرح).

ويخطئ من يُخطِّئ استعمال(سائر) بمعنىٰ جميع وأن معناها الباقي دائماً؛ فإن عدَّة معاجم منها: اللسان تجيز إطلاق كلمة(سائر) علىٰ(الباقي)، وعلىٰ (الجميع). انظر معجم الأخطاء الشائعة للعدناني ص١٢٥.

القول في معاصي القلب

اعلم : أن الصفات المذمومةَ في القلب كثيرةٌ وطريقُ تطهير القلب من رذائلها طويلةٌ وسبيلُ العلاج فيها غامض وقد اندَرَسَ بالكُلِّية عِلْمُه وعَمَلُه لِغَفْلَةِ الخَلْق عن أنفسهم واشتغالِهم بزخارف الدنيا

القول في معاصي القلب

(القول في معاصي القلب) المخالفة للنفوس بالاعتبار: (اعلم أن الصفات المذمومةَ في القلب كثيرةٌ) ولكنها قابلة للعلاج المَكْنِيِّ عنه بالتطهير في قوله (وطريقُ تطهير القلب) بمعنىٰ النَّفْس (من رذائلها) أو رذائل الصفات (طويلةٌ) علىٰ سالكها؛ (وسبيلُ العلاج فيها غامض) خَفِيٌّ، ومن شأنه أن لا يُدرَك بسهولة، (وقد اندَرَسَ) العلاج أو سبيله بحيث لم تبق له بقية (بالكُلِّية)، ولكن المراد أن المندرس من السبيل أو العلاج (عِلْمُه وعَمَلُه) وهذا بحسب ما عند المصنف رحمه الله في ظنه، أو بالنسبة إلىٰ زمنه، أو للمبالغة، ومثل هذا يُغتفر فيها، وفي الشرح بسط لما يحقق هذه الاحتمالات ومداركها (لِغَفْلَةِ الخَلْق) أي: أغلبهم (عن أنفسهم) التي يَطلب الحكيم تكميلها بالرياضة ونحوها، والشرعُ تطهيرَها بمحاسن الأخلاق، (واشتغالِهم بزخارف الدنيا)، وهـذا يـدلُّك علىٰ أن المـراد بالخَلْـقِ الأغلب؛ لأن الخاصة قلوبهم

وقد استقصَيْنا ذلك في «إحياء علوم الدين» في (رُبْعِ المُهْلِكات) و(رُبْعِ المنجيات) ولكن نُحَذِّرك الآن ثلاثاً هي من خبائث القلب وهي الغالبة علىٰ مُتَفَقِّهَةِ العَصْر لتأخذَ منها حِذْرَكَ. . . . .

طاهرة من حب الدنيا والاشتغال بزخارفها؛ وفي الشرح بعض نعوتهم التامة[١] وإشارات تؤخذ من العبارة هي في المقام مهمة.

(وقد استقصَيْنا ذلك) المتقدم بيانه وعلاجه أتمَّ بيان (في) (إحياء علوم الدين في رُبْعِ المُهْلِكات) الموضوع بالذات لبيان هذه الصفات، (ورُبْعِ المنجيات) المذكور فيه بعضها، وجوامع الترغيبات.

(ولكن نُحَذِّرك الآن) أي: في هذا الوقت في هذا الكتاب المسمىٰ بالبداية (ثلاثاً) خبائث (هي من خبائث القلب) القابلة للعلاج وإن كان غامضاً، (وهي) يعني: الثلاث (الغالبة) في أزمنة المصنِّف، فكيف ما بعده؟ (علىٰ مُتَفَقِّهَةِ العَصْر) لا الفقهاء صوناً لهذا الاسم عن هذا الوَسْم، فلذا يَنْتَحِلُه[٢] غيرُ أهله وفي الشرح ما يلائم هذا بأبسط عبارة (لتأخذَ منها) أي: الثلاث وأربابها (حِذْرَكَ) ومَـــنْ حَـــذَّر فقـد أنذر،

---

(١) مما قال: وأرباب الولاية والمراتب العلية ضُربت عليهم من الله سرادق حراساته فلم تتطرق الغفلة لأنفسهم ولا يزالون في تقدسهم.

(٢) يقال: فلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه، ونَحَلْتُه القـولَ أَنْحَلُه نَحْلاً: إذا أضفتُ إليه قولاً قاله غيره، وادعيته عليه. (اللسان/نحل).

فإنها مُهْلِكَاتٌ في أنفسها وهي أُمَّهَاتٌ لِجُمَلٍ من الخبائث سواها وهي : الحسدُ والرياءُ والعُجْبُ فاجتهد في تطهيرِ قلبك منها فإنْ قَدِرتَ عليها فتعلَّمْ كيفية الحَذَرِ من بقيتها من (ربع المهلكات)

(فإنها مُهْلِكَاتٌ) بالفعل وبالقوة (في أنفسها)، وحكمة التصريح بهذا المستَغنىٰ عنه بقوله مهلِكاتٌ مبينة في الشرح.

(وهي أُمَّهَاتٌ) أصول، جمع أُمَّهَة، والأصل فيها لمن يعقل[1] (لِجُمَلٍ من الخبائث) القلبية مع غيرها (سواها وهي) أي: الثلاث (الحسدُ) لأنه لا يَسْلم منه جَسَد علىٰ ما ورد، وسيأتي تعريفه ونحوه، (والرياءُ) وحكمة تعقيبه في الشرح، وسيأتي بيانه في مقام الكلام عليه تفصيلاً، (والعُجْبُ) وسيأتي الكلام فيه؛ (فاجتهد) ابذل المجهود (في تطهيرِ قلبك) المتنجس بهذه الخبائث (منها) بدوائها إن بُليت بها، أو التحرز عنها إن سَلِمتَ منها وخَشِيتَ الوقوع فيها؛ (فإنْ قَدَرتَ عليها) أي: الثلاث (فتعلَّمْ كيفية الحَذَرِ من بقيتها) أي: الخبائث المتفرعة عنها المتولدة منها، وليكن تعلمك (من ربع المهلكات) من "الإحياء" وفي هذا تنبيه علىٰ أن قارئ "البداية" لا

---

(١) وأُمَّات لمن لا يعقل قال ابن بَرِّي: هذا هو الأصل وربما جاء بعكس ذلك (التاج/أمم).

فإِنْ عَجَزتَ عن هذا فأنت عن غيره أَعْجَزُ ولا تظننَّ أنه تسلمُ لك نية صالحة في طلب العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعُجْب وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: ثلاثٌ مُهْلِكَات: شُحٌّ مُطَاعٌ وهَوَىً مُتَّبَع وإعجابُ المرء بنفسه.

يكتفي بها عنه، (فإِنْ عَجَزتَ عن هذا) التعلم (فأنت عن غيره أَعْجَزُ)؛ لأن من عجز عن الأخف عجز عن الأشد.

(ولا تظننَّ أنه) الضمير للشأن (تسلمُ لك نية صالحة في طلب العلم) وخَصَّه بالذكر لنكتة ذكرتها في الشرح، (وفي قلبك شيء) أي: والحال أن في قلبك شيئاً (من الحسد والرياء والعُجْب) وهي الثلاث الأمهات، وكلٌّ منها له شعبة متمكنة في قلب طالب العلم، لأن الحسد كثير في أهله، والعجب بالفهم والفضيلة والغلبة في الجدل كذلك، والرياء ليقع به المنزلة في قلوب الناس كذلك، نسأل الله العافية، وفي الشرح بسط في هذا الموطن.

(وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم) في حديث أورده المصنف في "الإحياء" في موطنين أحدهما في باب العلم: (ثلاثٌ) من الخصال (مُهْلِكَات: شُحٌّ) وهو شدة البخل أو رديفه (مُطَاعٌ) لطواعية صاحبه له، (وهَوَىً) بالقصر (مُتَّبَع) تَبِعَه صاحبُه، لأنه غالب، (وإعجابُ المرء بنفسه) الأمَّارة أو اللَّوَّامة.

أما الحسد : فهو متشعِّب من الشُّحِّ فإن البخيل هو الذي يبخل بما في يده علىٰ غيره والذي يبخل بنعمة الله وهي في خِزانة قدرة الله لا في خزائنه علىٰ عباد الله فشحُّه أعظم قُبْحاً والحسود : هو الذي يَشُقُّ عليه إنعامُ الله تعالىٰ من خزائن قدرته علىٰ عبد مِنْ عباده بمالٍ

(أما الحسد) المذموم (فهو متشعِّب) اسم فاعل بمعنىٰ: شعبة (من الشُّحِّ) السابق بيانه، وهل هو مرادف البخل؟ ويدل عليه: (فإن البخيل) شرعاً (هو الذي يبخل بما في يده) أي: استيلائه من مال واجب شرعاً علىٰ الأصح، وكذا مروءة علىٰ مرجَّح المصنف (علىٰ غيره) أي: يبخل علىٰ غيره لا نفسه، (والذي يبخل بنعمة الله) كمالٍ زكاة ونفقة واجبة، (وهي) أي: النعمة الشاملة لهما (في خِزانة) بكسر الخاء (قدرة الله) تعالىٰ الواسعة المتعلقة بالممكنات (لا في خزائنه[1]) أي: البخيل (علىٰ عباد الله) متعلق ببخيل (فشحُّه) بمعنىٰ: بُخْله المذكور (أعظم قُبْحاً) من كل عظيم في القبح.

(والحسود) ومنه يؤخذ تعريف الحسد (هو الذي يَشُقُّ عليه) مشقة شديدة (إنعامُ الله تعالىٰ) بمعنىٰ نعمته: أثر إنعامه تعالىٰ البارزة (من خزائن قدرته) وفضله (علىٰ عبد) مخصوص أو غير مخصوص (مِنْ عباده) المؤمنين لا سيما خاصتهم (بمالٍ) أو اختصاص وقوله بمال ومعطوفه متعلق بإنعام سواء كان قليلاً أو كثيراً وإن كان لا يحسد غالباً

---

(١) في نسخة (م) خزانته.

أو علمٍ أو محبة في قلوب الناس، أو حَظٌّ من الحظوظ حتىٰ إنه لَيُحِبُّ زوالها عنه وإنْ لم تَحْصُلْ له وهذا منتهَىٰ الخُبْثِ ولذلك قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: الحسدُ يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب. والحسود: هو المُعَذَّبُ في قلبه الذي لا يُرْحَمُ. . . . .

إلا في كثير عظيم، ويدل عليه التنوين، (أو علمٍ) نافع، (أو محبة في قلوب الناس، أو حَظٍّ) بَخْتٍ[1] أو جَدٍّ أو سَعْد أعم مما قبله (من الحظوظ) البُخُوت، (حتىٰ إنه) بحيث إنه (لَيُحِبُّ زوالها) أي النعمة المستفادة من إنعام (عنه) أي عن العبد (وإنْ لم تَحْصُلْ) النعمة (له) أي: الحسود.

(وهذا) الحُبُّ منه (منتهَىٰ الخُبْثِ) أي: غايته، (ولذلك) أي: لذَمِّه أو خبثه (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) كما في حديث ابن ماجه وأبي داود: (الحسدُ يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب)، وفي حديث الديلمي في المسند: «الحسد يُفْسد الإيمان كما يفسد الصَّبِرُ العسل». وهو أو قريبه أو سببه الكبر أول ذنب عُصي به، ومن علاجه لزوم ذكر الموت.

(والحسود) الــذي لا يسود (هو المُعَذَّبُ في قلبه الذي لا يُرْحَمُ)

---

(١) في (المصباح/بخت): البخت الحظ وزناً ومعنىٰ وهو عجمي. وقال الخفاجي في شفاء الغليل(بخت): بمعنىٰ الجَدّ تكلمت به العرب، وهو معرب عند الجوهري.

ولا يزال في عذاب دائم فإن الدنيا لا تخلو قَطُّ من خَلْقٍ كثيرٍ مِنْ أَقْرَانِه ومعارفه ممن أَنعم الله تعالىٰ عليهم بعلم شرعي أو جاه أو مال فلا يزال في عذابٍ دائم في الدنيا إلىٰ موته ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأكبر بل لا يَصِلُ العبدُ إلىٰحقيقة الإيمان ما لم يُحِبَّ لسائر

الذي لا تقع عليه الرحمة أو لايستحقها مبالغة، (ولا يزال في عذاب)، وأكد بقوله (دائم) وبَيَّن هذه الديمومة بقوله: (فإن الدنيا) أي: دارها (لا تخلو قَطُّ) كلمة لا تستعمل إلا في الماضي، وفي الشرح ما يُعلم به العذر عن المصنِّف، (من خَلْقٍ) من الناس (كثيرٍ مِنْ أَقْرَانِه) السابق معناهم (ومعارفه) الأعم من الأقران (ممن أَنعم الله تعالىٰ عليهم) موهبة أو كسباً (بعلم شرعي[1])، لأنه الذي يُعَدُّ نعمة عند أهل العلم، (أو جاه) يستعمل في غير معصية، (أو مال) يؤدي زكاته؛ (فلا يزال) كما تقدم (في عذاب دائم في الدنيا إلىٰ موته) الذي هو راحة له بالنسبة لما كان فيه من العذاب.

ولما خشي أن يَلْحَظَ الحاسد هذه الرحمة والغاية شَدَّدَ عليه بقوله: (ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأكبر) من ذلك، ومن موته يدخل إلىٰ برزخ الآخرة، فيجد من عذابها في قبره بل في سكراته، وفي الشرح بيان بعض أسباب الأشَدِّيَّة المذكورة؛ (بل لا يَصِلُ العبدُ) وهو لغة شامل للذكر والأنثىٰ (إلىٰ حقيقة الإيمان) الكاملة (ما لم يُحِبَّ لسائر)

---

(١) في نسخة (م) بعلم.

المسلمين ما يُحِبُّ لنفسه بل ينبغي أن يُساهم المسلمين في السَّرَّاء والضَّرَّاء والمسلمون كالبنيانِ الواحد يَشُدُّ بعضُه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتَكَىٰ منه عضوٌ اشتكىٰ سائرُ الجسد فإنْ كنتَ لا تُصَادِفُ هذا مِنْ قلبك فاشتغالُكَ بطلبه لِتَخَلُّصَ عن الهلاك أهمُّ من اشتغالك

أي: لباقي (المسلمين) حتىٰ أعداءه منهم (ما يُحِبُّ لنفسه) لحديث: «لا يؤمن أحدكم"[1] (بل ينبغي) يتأكد (أن يُساهم المسلمين) يجعل لهم سهماً معه، أو له سهماً معهم بحيث لا يَستأثر عليهم (في السَّرَّاء) الرخاء، (والضَّرَّاء) الشدة؛ لأن الإسلام والمروءة والفتوة تقتضيه.

(والمسلمون) وفي نسخة: والمؤمنون وورد ما فيهما بالمعنىٰ في الحديث الشهير الصحيح حديث الشيخين، (كالبنيانِ الواحد) بالجر صفة للبنيان، (يَشُدُّ بعضُه بعضاً) بيان لفظ هذا الحديث وورد في حديث آخر ما معناه (وكالجسد الواحد إذا اشتَكَىٰ منه) لمرض (عضوٌ) من أعضائه (اشتكىٰ سائرُ) أي: باقي (الجسد)، وفي الشرح لفظ هذا الحديث أيضاً من حديث مسلم وأحمد.

(فإنْ كنتَ لا تُصَادِفُ) بمعنىٰ: لا تجد (هذا) الحُبَّ (مِنْ قلبك) أي: فيه (فاشتغالُكَ بطلبه) ليحصل فيه (لِتَخَلُّصَ عن الهلاك) وقربه وسببه (أهمُّ) مطلقاً، أو باعتبار (من اشتغالك) فيما بقي من عمرك

---

(١) تتمته: "حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه من رواية أبي حمزة أنس بن مالك والحديث من الأربعين النووية.

بِنَوَادِرِ الفروع وعِلْمِ الخُصُومَاتِ. وأما الرِّياءُ: فهو الشِّرْكُ الخَفِيُّ وذلك طَلَبُكَ للمنزلة في قلوب الخَلْق لِتَنَالَ به الجاهَ والحشمةَ وحُبُّ الجاه مِنَ الهوىٰ المتَّبَع المُهْلك وفيه هَلَكَ أكثرُ الناس

(بِنَوَادِرِ الفروع) العملية (وعِلْمِ الخُصُومَاتِ) علم الجدل[1] وما جرَّ إليه، وفي الشرح فوائد ملائمة.

(وأما الرِّياءُ) أحد أمهات الثلاث (فهو) كما جاء في الحديث علىٰ ما ذكره المصنف لكن بالمعنىٰ، (الشِّرْكُ الخَفِيُّ)[2]، وفي الشرح حكاية لفظ الحديث، والجواب عما قد يَرِدُ من سؤال مقدر، (وذلك) أي: الرياء (طَلَبُكَ للمنزلة في قلوب الخَلْق) أي: بعضهم، وعلل ذلك بقوله: (لِتَنَالَ به الجاهَ) الذميم (والحشمةَ) بمعنىٰ: التحشيم من الناس، (وحُبُّ الجاه) الراجع لحب الرياسة (مِنَ الهوىٰ المتَّبَع) المذموم في الحديث السابق (المُهْلك)، وفي الشرح بيان جميع ما يقع به الرياء وبيان أوجز تعاريفه.

(وفيه) أي: في الرياء (هَلَكَ أكثرُ الناس)، واحترز بالأكثر عن الأقل هنا، ولم يحترز عنه فيما سَلَفَ في قوله لغفلة الخلق لحكمة ذكرتها في الشرح أوجهُها أن المقامين واحد، والمراد ثَمَّ الأكثر،

---

(١) سمي علم الخصومات للزومها غالباً (الشرح).

(٢) في نسخة (م) زيادة: وهو أحد الشركين.

فما أَهْلَكَ الناسَ إلا الناسُ ولو أنصفَ أكثرُ الناس لعَلِمُوا أَنَّ أكثر ما هم فيه من العلومِ والعبادات فَضْلاً عن أعمال العادات ليس يَحْمِلُهم عليها إلاَّ مُرَاءاةُ الناس وهي مُحْبِطَاتُ الأعمال كما ورد في الخبر :

واعتمد علىٰ ذهن اللبيب فلذا عَمَّمَ فقال: (فما أَهْلَكَ الناسَ إلا الناسُ) أي: بعضهم أهلك بعضاً، ولا ينافيه بل يشهد له قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآية البقرة/٢٥١ والحج/٤٠. وفي الشرح بيان نكتة إسناد الإهلاك إليهم ونحوها من اللطائف[1] (ولو أنصفَ أكثرُ الناس) المشتغلين بالعلوم والعبادات (لعَلِمُوا) علم يقين (أَنَّ أكثر ما هم فيه من العلومِ) المتداولة بيهنم (والعبادات) التي ليس لهم منها إلا صورها لفقدهم ذوق لذتها ونفع العلم (فَضْلاً عن أعمال العادات) التي لا ثواب فيها، لأن ذات الثواب عادة جميلة من قبيل العبادات (ليس يَحْمِلُهم) يبعثهم (عليها إلاَّ مُرَاءاةُ الناس[2]) أي: بعضهم.

(وهي مُحْبِطَاتُ الأعمال) أي: ثوابها (كما ورد) ما يشهد له (في الخبر) حديث مسلم وغيره، وبينت لفظه بتمامــه في الشرح، وروىٰ

---

(١) يقول: إسناد الإهلاك في هذا المقام باعتبار أن المرائي من الناس ما حمله علىٰ الرياء المهلك إلا طلبه المنزلة في قلوبهم.

(٢) في نسخة(م) مراعاة.

إِنَّ الشهيد يُؤمرُ به يوم القيامة إلىٰ النار، فيقول: يارب استُشهدتُ في سبيلك فيقولُ أردتَ أن يُقال إنك شجاع وقد قيل وذلك أَجْرُكَ. وكذلك يُقال للعالِمِ والحَاجِّ والقارئ وأما العُجْبُ والكِبْرُ والفَخْرُ: فهو الدَّاءُ العُضَال

المصنف هنا لفظه بالمعنىٰ بقوله: (إِنَّ الشهيد) شهيد المعركة غير المخلص (يُؤمرُ به) أي: يأمر الله به (يوم القيامة) بحضرة الملأ (إلىٰ النار، فيقول: يارب استُشهدتُ) بالبناء للمفعول، أو الفاعل علىٰ تعسف (في سبيلك) سبيل جهاد الكفار، (فيقولُ) الرب تعالىٰ: (أردتَ أن يُقال إنك شجاع) لاغير، أو شَرَّكت في قصدك، (وقد قيل) في شأنك هكذا، (وذلك أَجْرُكَ) ثوابك وجزاؤك؛ (وكذلك يُقال للعالِمِ) غير العامل (والحَاجِّ)[1] المرائي، وليس هو في حديث مسلم، بل في حديث آخر علىٰ ما في الشرح، (والقارئ) وكل من الثلاثة مراءٍ كما صرح به في رواية ذكرتها في الشرح مع أحاديث في الرياء ومداخلها في ضمن تتمة.

(وأما العُجْبُ والكِبْرُ والفَخْرُ) وبينها افتراق واجتماع، وإليه أشير بقوله: (فهو) أي: كل منها (الدَّاءُ العُضَال) القلبي المُعْجِز للطبيب إلا

---

(١) زادت نسخة(م) والغازي.

وهو نَظَرُ العبد إلىٰ نفسه بعَينِ العِزِّ والاستعظام و نظرُه إلىٰ غيره بعين الذُلِّ والاستحقار ونتيجته أَنْ يقول : أنا وأنا كما قال إبليسُ اللَّعين : ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ . . . .

طبيب القلوب، ودواؤه في كتبه كالإحياء، (وهو) أي: العجب (نَظَرُ العبد إلىٰ نفسه) ذاته وصفاته (بعَينِ) نفسه الأمارة عين (العِزِّ) الاستعزاز (والاستعظام) علىٰ الخلق، (و) مع (نظرُه إلىٰ غيره بعين الذُلِّ) الإذلال (والاستحقار) للغير.

(ونتيجته)[1] أي: نتيجة التجنب (أَنْ يقول:) مثلاً (أنا وأنا) بصفة كذا من التُّرَّهات النفسية، وحكمة التمثيل بالضمير في الشرح، ويوضحها قوله: (كما قال إبليسُ) من الإبلاس، أبو الجن وإِبْلاَسُها تحيُّرها ودَهَشُها[2]، (اللَّعين:) الملعون، بمعنىٰ المبعد المطرود جواباً لما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك؟ (﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ) كأنه قال: المانع أني خير منه، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، (خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[3]) تعليل لعظمه عليه، وقد غَلِطَ في ذلك، وفي

---

(١) في نسخة(م) ونتيجته علىٰ اللسان.

(٢) دهش، كفرح، فهو دَهِش: تحير، أو ذهب عقلُه من ذَهَلٍ أو وَلَهٍ ودُهِش كعُني، فهو مدهوش (القاموس/دهش).

(٣) إشارة إلىٰ: الآية ١٢ في الأعراف ووردت في سورة ص ٧٦.

وثمرتُه في المجالس: الترفُّع والتقدُّم وطلبُ التصدُّر وفي المحاورة: الاستِنْكافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كلامُه عليه والمتكبرُ: هو الذي إن وُعظ أَنِفَ وإِنْ وَعظ عَنَّفَ وكُلُّ مَنْ رأىٰ نفسَه

الشرح بيان وجه الغلط أخذاً من كلام البيضاوي وغير ذلك[١].

(وثمرتُه) أي: العجب (في المجالس) المشغولة بالناس: (الترفُّع) بمعنىٰ التكبر (والتقدُّم) عليهم الحسي، بقرينة ذكر المجالس، (وطلبُ التصدُّر) فيها (في[٢] المحاورة:) المجاذبة في الكلام، (والاستِنْكاف[٣]) الاستكبار والتأبِّي، (مِنْ أنْ يُرَدَّ كلامُه عليه) ولو كان الرد بحق.

(والمتكبرُ) الذي يؤخذ من تعريفه تعريف التكبر: (هو الذي إن وُعظ) بالبناء للمفعول (أَنِفَ) بالبناء للفاعل، بمعنىٰ كرهتْ نفسُه الوعظ وصَدَفَت[٤] عنه، أو اغتاظ، (وإِنْ وَعظ) بالبناء للفاعل (عَنَّفَ) قَرَّع ووبَّخ، من العنف بالضم: الشدة والمشقة.

وإلىٰ تعريف ثان أشير بقوله: (وكُلُّ مَنْ رأىٰ نفسَه) بمعنىٰ ظنها

---

(١) قال: لأنه رأىٰ الفضل باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل، وانظر الكلام عنها في تفسير البيضاوي ٢/٦٩.

(٢) الصواب: وفي.

(٣) الصواب: الاستنكاف.

(٤) صدفت عنه أصدف من باب ضرب: أعرضت. (المصباح /صدف).

خيراً من أحدٍ مِنْ خَلْق الله تعالىٰ فهو متكبر بل يجب أن تعلم أن الخَيِّر مَنْ هو خَيِّرٌ عند الله في الدار الآخرة وذلك غَيْبٌ موقوف علىٰ الخاتمة فاعتقادك في نَفْسِكَ أنك خيرٌ مِنْ غيرك جهلٌ مَحْضٌ بل ينبغي أن لا تنظر إلىٰ أحد إلا وترىٰ أنه خير منك

(خيراً) أي: أفضل (من أحدٍ) ولو ذمياً، كما يأتي من قوله: ولو كافراً (مِنْ خَلْق الله تعالىٰ فهو متكبر) أو مستكبر، نسختان، وبينهما فرق كما في الشرح، والمراد هنا واحدة، قال: (بل يجب) الوجوب الذي لابد منه (أن تعلم) تتيقن، فإن كنت عالماً فاستمر علىٰ علمك (أن الخَيِّر) بتشديد المثناة أو تخفيفها، أي: صاحب الخير، أو الأفضل (مَنْ هو خَيِّرٌ عند الله في الدار الآخرة)، وفي الشرح بيان معنىٰ[1] العِنْدِيَّة، ونُكَت في العبارة، (وذلك غَيْبٌ) غائب أو مُغَيَّب، (موقوف[2]) علمه أو حكمه (علىٰ الخاتمة) نسأل الله حُسْنها؛

(فاعتقادك) الجازم (في نَفْسِكَ) المُسَوِّلة (أنك خيرٌ) بالمعنىٰ السابق (مِنْ غيرك) المحتمل أنه أفضل منك (جهلٌ) مركَّب (مَحْضٌ) لن يشوبه علم، (بل ينبغي) يتأكد (أن لا تنظر) مطلقاً (إلىٰ أحد) من الخلق (إلا وترىٰ أنه خير منك) ولو احتمالاً، ولعله المراد بقرينة ما

---

(١) قال: المراد بالعندية خيريته في الدار الآخرة؛ تعالىٰ الله عن عندية الزمان والمكان وسائر نوائب الحدثان.

(٢) في نسخة (م) وهو موقوف.

وأَنَّ الفضل له علىٰ نفسك فإِنْ رأيتَ صغيراً قلتَ هذا لم يَعْصِ اللهَ تعالىٰ وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني وإن رأيتَ كبيراً قلتَ هذا عَبَدَ الله تعالىٰ قبلي وإن كان عالماً قلتَ: هذا قد أُعطي ما لَمْ أُعْطَ وبَلَغَ ما لم أَبْلُغْ وعَلِمَ ما جهلتُ فكيف أكونُ مثلَه؟!.

سبق، (وأَنَّ الفضل) بمعنىٰ: الزيادة أو المزية (له علىٰ نفسك[1])، هذا نظر إجمالي.

وأما التفصيلي فإليه أشير بقوله: (فإِنْ رأيتَ) بعين البصيرة (صغيراً) في السِّنِّ لم يكلف (قلتَ) بفتح التاء بمعنىٰ قل: (هذا لم يَعْصِ اللهَ تعالىٰ) أي: لم يرتكب ما يُؤَثِّمه، (وأنا عصيته) أي: ارتكبتُ ذلك، (فلا شك) بالاعتبار المذكور (أنه خير مني) قطعاً، (وإن رأيتَ كبيراً) في السن (قلتَ) بفتح التاء (هذا[2] عَبَدَ الله تعالىٰ قبلي)، فهو خير مني بهذا، هذا تقسيمٌ باعتبار الصغر والكِبَر ونحوهما علىٰ ما في الشرح.

وأما تقسيمه باعتبار العلم وخلافه، وإليه أشير بقوله (وإن كان عالماً) عاملاً (قلتَ: هذا قد أُعطي) من الله (ما لَمْ أُعْطَ وبَلَغَ) منه (ما لم أَبْلُغْ) إليه، أو أبلغه (وعَلِمَ ماجهلتُ) بالضم، (فكيف أكونُ مثلَه؟!) وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

---

(١) في نسخة (م) له عليك وتزدري نفسك.

(٢) في نسخة (م) هذا خير مني.

وإن كان جاهلاً قلتَ: هذا قد عصىٰ الله تعالىٰ بجهل وأنا عصيتُه بعلم وما أدري بم يُختم لي وبم يُختَمُ له؟! وإن رأيتَ كافراً قلتَ: لا أدري عسىٰ أَنْ يُسْلِمَ ويُختَمَ له بخـــير العمل ويَنْسَلُّ بإسلامه من ذنـــوبه كما تَنْسَلُّ الشَّعـــرة مـن العجين وأمـا أنـــا والعياذ بالله تعالىٰ فعسىٰ أن يضلني الله تعالىٰ فأكفـــرَ ويُختمَ لي بِشَرِّ العمل فيكونَ غداً هو عند الله من المقربين، وأنا..................

الزمر/٩ أي: لا يستوون؛ (وإن كان جاهلاً) وأنت عالم (قلتَ: هذا قد عصىٰ الله تعالىٰ بجهل) أي: بسببه، أو معه، (وأنا عصيتُه بعلم[1]) أي: معه فحجة الله عليّ آكد، (وما أدري) مع ذلك (بم يُختم لي) عند الموت (وبم يُختَمُ له؟!) لأنهما غَيْبٌ.

وإلىٰ تقسيم ثالث باعتبار الإسلام والكفر أشير بقوله: (وإن رأيتَ كافراً) ولو حربياً أخذاً من العِلَّة (قلتَ: لا أدري عسىٰ أَنْ يُسْلِمَ ويُختَمَ له بخيرِ العمل) أو عمل كما في نسخة، وهو الموت علىٰ الإسلام، (ويَنْسَلُّ) يخرج (بإسلامه) الجَابِّ لما قبله (من ذنوبه) كلها، (كما تَنْسَلُّ الشَّعرة من العجين) بقوله علىٰ سبيل الحكاية والخطاب للنفس، (وأما أنا) يعني البعيد (والعياذ بالله تعالىٰ) أي: أستعيذه، (فعسىٰ أن يضلني الله تعالىٰ فأكفرَ) به يعني: الكفر الأكبر، (ويُختمَ لي بِشَرِّ العمل) أي: أعظمه الكفر، (فيكونَ غداً هو عند الله من المقربين، وأنا)

---

(١) في نسخة (م) زيادة: فحجة الله تعالىٰ عليَّ أكبر.

من المُبعدين ولا يَخرج الكِبْرُ من قلبك إلا أن تَعْرِفَ أن الكبير من هو كبير عند الله تعالىٰ وذلك موقوفٌ علىٰ الخاتمة وهو مشكوكٌ فيه فَيشغلكَ خوفُ الخاتمة عن أَنْ تتكبر مع الشك فيها. . . . . . .

والعياذ بالله (من المُبعدين) بالتخفيف والتشديد، وفي الشرح بيان نكت في العبارة.

(ولا يَخرج الكِبْرُ من قلبك) المتمكن فيه (إلا أن تَعْرِفَ أن الكبير) في الحقيقة (من هو كبير عند الله تعالىٰ) يوم القيامة، (وذلك) أي: وهذا العرفان (موقوفٌ علىٰ الخاتمة) كالسابقة؛ لأنَّ من حَسُنَتْ خاتمته حسنت سابقته، وبالعكس، (وهو) الآن (مشكوكٌ فيه) لا يُتلقىٰ علمه إلا عن معصوم، فإذا كان كذلك (فَيشغلكَ خوفُ الخاتمة[1]) المُشْغِل لأكابر العارفين[2] (عن أَنْ تتكبر مع الشك فيها)

---

(١) في نسخة (م) سوء الخاتمة.

(٢) نعم هذا ما يشغل أكابر العارفين! ومارأيتُ تكرر السؤال بحسن الخاتمة وكمالها نظماً ونثراً عند أحدٍ كالسادة آل باعلوي الأشراف في حضرموت نفعنا الله بهم وقد جمع سيدي القدوة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ في (الخلاصة) من عيون أوراد وأدعية العارفين من قدامىٰ ومعاصرين ما يقفك علىٰ خوف العارفين هؤلاء، فهذا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر يقول نظماً: واختم بأحسن ختام / إذا دنا الانصرام. وفي راتب الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس ورد: ياالله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة(ثلاثاً). ويزاد بعد الراتب الشهير للإمام عبد الله بن علوي الحداد أيضاً: يا الله بها، يا الله بها، يا الله بحسن

=

علىٰ عباد الله ويقينُك وإيمانك في الحال لا يناقض تَجويزَكَ التغيُّر في الاستقبال فإن الله تعالىٰ مُقَلِّبُ القلوب يَهدي مَنْ يشاء ويُضلُّ من يشاء. والأخبار في الحسد والرياء والعجب شهيرة، ويكفيك فيها حديثٌ واحد. . . . .

هل هي حَسَنَة أم لا؟ (علىٰ عباد الله) متعلق بتكبر (ويقينُك وإيمانك في الحال لا يناقض تَجويزَكَ التغيُّر في الاستقبال) خلافاً لمن زعمه وهذه المسألة فيها التفات وإشارة إلىٰ المسألة الخلافية: أنا مؤمن إن شاء الله تعالىٰ، والكلام فيها طويل شهير، وإن قيل الخلاف فيها لفظيٌّ.

وإلىٰ عِلَّة هذا التجويز أشير بقوله: (فإن الله تعالىٰ مُقَلِّبُ القلوب) جمع قلب، سمي به لكثرة تقلبه، وفي الحديث: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء». (يَهدي مَنْ يشاء) قبل الموت وعنده (ويُضلُّ من يشاء) كذلك.

(والأخبار) والآثار (في الحسد والرياء والعجب[1] شهيرة، ويكفيك فيها[2]) أي: الثلاثة وما تفرَّعَ عنها (حديثٌ واحد) في الباب

الخاتمة (ثلاثاً) ومما رتبه سيدي الحبيب عمر- أمتع الله به - في(الخلاصة) بعد صلاة الضحىٰ أن يدعو؛ وضمن الدعاء: واختم لنا بالحسنىٰ في لطف وعافية.اهـ فيارب استجب.

(١) في نسخة (م) (الكبر/ بدل العجب).

(٢) في نسخة (م) منها.

جامع فقد رُوي عن ابن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ : حدثني حديثاً سمعتَه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال فبكىٰ معاذٌ . . . .

مشتمل علىٰ النهي عنها (جامع) مقاصده: (فقد رُوي) بالبناء للمفعول، وهذا يشعر بضعف المروي وهو كذلك، وإنَّ الحديث قال فيه الحافظ المرجح المنذري: آثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وألفاظه، ولم يخرجه السيوطي في جامعيه، فلا أقل من ضعفه، لكنْ عُذْرُ المصنِّف تخريج ابن حبان له في صحيحه والحاكم وغيرهما، وروده عن علي وغيره، ولضعفه طويتُ بُسُط الإطناب في شرحه، وإن أرخيت بعض العِنَان فيه في الشرح (عن) عبد الله[1] (ابن المبارك) وترجمتهما جليلة شهيرة ذكرت طرفاً صالحاً منها في الشرح (بإسناده) أي: إسناد عبد الله في كتاب "الزهد"(عن رجل) لم يُسَمِّه، عن معاذ ابن جبل (أنه قال لمعاذ: حدثني حديثاً سمعتَه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال) الرجل: (فبكىٰ معاذٌ) رضي الله عنه لكثرة دواعي

---

(١) قال الإمام النووي في وصفه: الإمام المجمع علىٰ إمامته وجلالته في كل شيء، الذي تُستنزل الرحمة بذكره، وترتجىٰ المغفرة بحبه. (تهذيب الأسماءواللغات١ / ٢٨٥). وانظر ما قاله شيخنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه: شخصيات استوقفتني عن رَدِّ الأبيات المنسوبة له وهي: يا عابد الحرمين لو أبصرتنا...(ص٦٧-٧٢). وقد ولد رحمة الله عليه ١١٨ وتوفي١٨١هـ.

حتىٰ ظننتُ أنه لا يَسْكُتُ ثم قال سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: يا معاذ قلتُ له لبيك بأبي وأمي، قال: إني محدثك بحديث إِنْ أنتَ حفظتَه نفعَكَ وإِنْ أنتَ ضيَّعته ولم تحفظه انقطعتْ حُجَّتك عند الله يامعاذ إن الله خَلَقَ سبعةَ أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض..................

البكاء وبه يشعر قوله: (حتىٰ ظننتُ أنه لا يَسْكُتُ[1]) عن البكاء، وكيف لا يبكي ويظن ذلك وكثرة دواعي البكاء مع تذكر العهد النبوي يقتضي ما هنالك، (ثم قال) ثم الدَّالَّة علىٰ التراخي من القول وزمن البكاء، أو هي بمعنىٰ الفاء: (سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول) وفي لفظ: قال (يا: معاذ)، والخطاب له: ولمن في معناه من كل مكلَّف (قلتُ له لبيك بأبي وأمي، قال: إني محدثك) الآن (بحديث) وفي لفظ: حديثاً (إِنْ أنتَ حفظتَه) بمعنىٰ: عملتَ به وهو بمعنىٰ ما في نسخة: حفظته ولم تضيعه (نفعَكَ) في الدنيا والآخرة، (وإِنْ أنتَ ضيَّعته)، وهو المراد من قوله: (ولم تحفظه) أي: في الدنيا، (انقطعتْ حُجَّتك) أي: دليلك وبرهانك (عند الله) أي: في الآخرة، ومن انقطاعها خِفَّةُ ميزانك: (يا معاذ إن الله خَلَقَ سبعةَ أملاك) قيل: المراد ملائكة، ويشهد له ما يأتي: (قبل أن يخلق السموات والأرض) السبع، ولإفرادها حكمة، وفي الشـــرح كلام في

---

(١) في نسخة (م) زيادة: ثم سكت.

ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة مَلَكاً بَوَّاباً عليها فتصعَدُ الحَفَظَةُ بعمل العبد من حينِ يصبح إلىٰ أن يمسي له نورٌ كنور الشمس حتىٰ إذا صَعِدتْ به إلىٰ سماء الدنيا زَكَّتْه وكبَّرته فيقول الملَك الموكَّل بها للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه

السبع الأرضين.

(ثم خلق السموات) قبل الأرض، (فجعل لكل سماء من السبعة) أي: من الأملاك السبعة، أو من السموات السبع (مَلَكاً) بفتح اللام (بَوَّاباً) أي: كالبواب (عليها) أي: علىٰ بابها، زاد المنذري في روايته لحديث معاذ: قد جَلَّلها وعظَّمها، (فتصعَدُ الحَفَظَةُ) من الملائكة علىٰ الخلاف في عددهم اثنان أو أربعة أو عشرون أو ثلاثمائة وستون، (بعمل العبد) المكلف (من حينِ يصبح) أي: يطلع الفجر، وإنْ قيل: الصباح يدخل بنصف الليل (إلىٰ أن يمسي)، والمساء بالزوال (له) أي: للعمل (نورٌ كنور الشمس)، والمراد بالنور: الضوء كما في الشرح، ولهذا النور غايةٌ يشعِرُ به قوله: (حتىٰ إذا صَعِدتْ به إلىٰ سماء الدنيا زكَّتْه) أثنت عليه بخير نظراً لنوره وعملاً بظنها فيه، وفي لفظ حديث معاذ عند ابن المنيِّر: وذكرته (وكبَّرته) أو كثَّرته بموحدة أو مثلثة، (فيقول الملَك) بفتح اللام (الموكَّل بها) بالسماء الدنيا (للحفظة) الصاعدين به: (اضربوا بهذا العمل) الذي زكيتموه وكثرتموه وذَكَرْتموه (وجه صاحبه) أي: عامله، والظاهر أن المراد بالوجه العضو المخصوص لا الـذات إن حُمِـلَ الضرب علىٰ ظاهره،

أنا صاحب الغِيبة أمرني ربي أن لا أَدَعَ عَمَلَ مَنِ اغتاب الناس يجاوزني إلىٰ غيري قال ثم تأتي الحفظةُ بعملٍ صالح من أعمال العبد فتمرُّ به فتزكِّيه وتُكبِّره حتىٰ تبلغَ به إلىٰالسماء الثانية

ولأنه سيأتي في زيادة العقوبة المزيد بذكر البطن والظهر، تنبيهاً علىٰ تفاوت مراتب القُبْح، والأظهر في هذا وفيما يأتي أن المراد بنحو ضرب الوجه: الكناية بذلك عن عدم قبول العمل، ومزيد العقوبة به مثلاً، أو استخفافاً بالعامل، فلا تغفل، وليكن ذلك مهداً لذلك، (أنا صاحب الغِيبة) الملك الموكل بها (أمرني ربي أن لا أَدَعَ) أي: لا أترك (عَمَلَ مَنِ اغتاب الناس) أو بعضهم (يجاوزني) أي: يتعدَّىٰ (إلىٰ غيري) من الملائكة لِمَا سبق من الوعيد الشديد في الغيبة، لاسميا في غيبة أهل العلم أو القرآن.

(قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (ثم تأتي الحفظةُ) المذكورة (بعملٍ) أي: بصحيفة عمل (صالح) أي: سالم من الغيبة (من أعمال العبد) غير العبد الأول، وغير العمل الأول، وهكذا في كل ما يأتي فيما يظهر، (فتمرُّ به فتزكِّيه) بالمعنىٰ السابق، (وتُكبِّره) أو تكثره علىٰ ما سبق، (حتىٰ تبلغَ به إلىٰ السماء الثانية) وهي من مَرْمَرَةٍ[1] بيضاء،

---

(١) واحدة المرمر وهو الرخام وقيل نوع منه صلب وهو شائع في التصوير والجمال قال الأعشىٰ:

كدُميةٍ صُوِّر محرابها بمُذْهَبٍ ذي مَرْمَرٍ مائرِ

(انظر التاج/مرر).

فيقول لهم المَلَكُ الموكل بالسماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبه أنا مَلَكُ الكِبْر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري، إنه كان يتكبر علىٰ الناس في مجالسهم قال وتَصْعَدُ الحفظة بعمل العبد يُزْهِرُ كما يزهر الكوكب الدُّرِّيُّ

(فيقول لهم) للحفظة، ولا ينافي ضمير الجميع القول بأنهما ملكان (المَلَكُ) فلان (الموكل بالسماء الثانية: قفوا) ولم يذكر هذا فيما سبق إما اختصاراً من الراوي وهو بعيد، (واضربوا بهذا العمل) أي: بصحيفته (وجهَ صاحبه) أي: للعلة المصرح بها في هذه المقالة: (أنا مَلَكُ الكِبْر) المذموم، (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري، إنه) لأنه (كان يتكبر علىٰ الناس) أي: بعضهم، وخَصَّ قوله (في مجالسهم) لأنها أظهر مظاهر الكبر.

(قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (وتَصْعَدُ الحفظة) المذكورة (بعمل العبد يُزْهِرُ) من زَهَر أو من أَزْهَرَ: يُنوِّر أو يُنير[1] (كما يزهر الكوكب) أو الكواكب، كما في نسخة ورواية المنذري لحديث معاذ ويؤيده الوصف (الدُّرِّيُّ) وإن أمكن توجيه وصف الكواكب به، والكواكب إذا وصفت يقال: الدَّرَارِيّ بمعنىٰ الشديدة الإنارة والدري نسبة إلىٰ الدُّرِّ تشبيهاً بصفائه؛ وقيل هو العظيم المقدار، وقيل أحد الكواكب

---

(١) في اللغة: أَزْهَرَ النبتُ أخرج زهره وزَهَر بفتحتين لغة، وزهر الشيء بفتحتين صفا لونه وأضاء. (المصباح/زهر).

له دَوِيٌّ من تسبيح وصلاة وصوم وحج وعمرة حتىٰ يجاوزوا إلىٰ السماء الثالثة فيقول لهم المَلَك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبه وظهرَه وبطنه أنا صاحب العُجْبِ أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري، إنه كان إذا عمل عملاً أَدْخَلَ العُجْبَ فيه. . . . .

الخمسة السيارة؛ (له) أي: للعمل (دَوِيٌّ) صوت ليس بالعالي كصوت النَّحْل ونحوه (من تسبيح) أي: ذكر، لأنه يطلق التسبيح ويراد به الذكر، وقد قيل به في قوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ الآية١٧في الروم. (وصلاة وصوم وحج وعمرة) فرضاً ونفلاً في الأولَين، وكذا في الآخرَين علىٰ ما فيه، وإن قيل: لا يقعان إلا فرضاً (حتىٰ يجاوزوا[1]) أو يجاوزون علىٰ اختلاف النسخ أو الروايات، ولكلٍّ توجيه (إلىٰ السماء الثالثة) وهي من دُرَّة بيضاء أو من نحاس أثَرَانِ في ذلك، (فيقول لهم المَلَك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبه)، وفي المراد بالوجه ما تقدم، ولزيادة النَّكَال قيل: (وظهرَه وبطنه)، وفي الشرح إشارة لحكمة ذكر ذلك، (أنا صاحب العُجْبِ) أي: الملك الموكل به، (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري، إنه) أي: لأنه (كان إذا عمل عملاً أَدْخَلَ العُجْبَ فيه) شَابَه به.

---

(١) في نسخة (م) حتىٰ يجاوزوا به.

قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتىٰ يجاوز إلىٰ السماء الرابعة كأنه العَرُوس المَزْفُوفَةُ إلىٰ بَعْلِها فيقول لهم المَلَكُ الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه علىٰ عاتقه أنا مَلَكُ الحسد، إنه كان يحسُد الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله وكُلُّ مَنْ يأخذ فضلاً من العباد ويقع فيهم. . . . .

(قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (وتصعد الحفظة) المذكورة (بعمل العبد حتىٰ يجاوز) بالإفراد، وفي نسخة كما سلف وفيه ما فيه، (إلىٰ السماء الرابعة) وهي من فضة أو ياقوتة أو ذهبة حمراء علىٰ الخلاف في الشرح، وفيه الخلاف في اسمها، (كأنه) أي: العمل (العَرُوس)، ولم يقل العروسة لأن الفصيح العروس (المَزْفُوفَةُ) المهداة (إلىٰ بَعْلِها) زوجها، (فيقول لهم المَلَكُ الموكل بها) أي: السماء الرابعة: (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه[1])، وزيد في توبيخه بقوله: (واحملوه علىٰ عاتقه) عنقه تنبيهاً علىٰ غاية قبح الحسد، (أنا مَلَكُ الحسد، إنه) أي: لأنه (كان يحسُد الناس)، وفي هذا كالآية إشعار بأن المحسود هو الناس، (علىٰ ما آتاهم الله من فضله[2])، وفي نسخ هنا اختلاف نبهتُ عليه في الشرح، (و) كان يحسد (كُلُّ مَنْ يأخذ فضلاً) زيادة (من العباد) يحسدهم عليه، (ويقع فيهم) أي: في الكلِّ،

---

(١) في نسخة (م) زيادة: وظهره.

(٢) آل عمران / ٥٤.

أمرني ربي أن لا أَدَعَ عمله يجاوزني إلىٰ غيري قال وتَصْعَدُ الحَفَظَة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به إلىٰ السماء الخامسة فيقول لهم المَلَك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه كان لا يرحم إنساناً قطُّ من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر بل كان يَشْمَتُ به أنا ملك الرحمة، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري. . . . . .

(أمرني ربي أن لا أَدَعَ) أي لا أترك (عمله يجاوزني إلىٰ غيري).

قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (وتَصْعَدُ الحَفَظَة) المذكورة (بعمل العبد) أي: الذي لا يستحق الرحمة (من صلاة) عَارِيَة عن الثواب والصحة (وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام) كذلك وفي الشرح حكمة بديعة هنا، (فيجاوزون به إلىٰ السماء الخامسة) وهي من ياقوتة صفراء، (فيقول لهم المَلَك) فلان واسمه في الشرح، (الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه) لأنه (كان لا يرحم إنساناً) يستحق الرحمة (قطُّ من عباد الله) المستحقين لها، (أصابه بلاء) مع أنه سبب للعطف علىٰ صاحبه، (أو ضرر) عظيم أو مطلقاً، وعلىٰ الثاني هو أعم، والعطف بأو يدل علىٰ أن عطف الضَّرَرِ علىٰ ما قبله ليس عطف تفسير، (بل كان) يضم مع عدم الرحمة الشماتةَ حيث قال: (يَشْمَتُ به) أي: يفرح ببلائه وضرره، وفي الشرح إشكال وجوابه، (أنا ملك الرحمة، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري).

يقال وتصعَدُ الحفظة بعمل العبد إلىٰ السماء السادسة وذلك من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دَوِيٌّ كدويِّ النَّحْل وضوءٌ كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف مَلَك، فيجاوزون إلىٰ السماء السابعة فيقول لهم الملك قفوا واضربوا بهذا العمل. . . . .

(يقال) صلىٰ الله عليه وسلم: (وتصعَدُ الحفظة بعمل العبد) أي المرائي (إلىٰ السماء السادسة) وهي من نور (وذلك) العمل (من صوم) وقدمه لعله لكونه أغلب أعمال هذا العامل، (وصلاة) وهي أفضل الأعمال، (ونفقة) في سبيل الله، (واجتهاد)، ويحتمل وجهاد، والتغيير من الناسخ، (وورع) لأنه مِلاَكُ العمل وعِمَاده (له) أي: للعمل المذكور المتضمن للأعمال (دَوِيٌّ) أي: صوت خفي، كذا قيل في تفسيره، (كدويِّ النَّحْل) وفي لفظ: كَدَوِيِّ الرعد، وفي الشرح بيان المُرتَّب عليهما، (وضوءٌ) ساطع (كضوء الشمس) في وقت الضحىٰ (معه) أي: مع العمل، أو معها أي: المذكورات، (ثلاثة آلاف مَلَك، فيجاوزون[1]) أي: يريدون المجاوزة به (إلىٰ السماء السابعة) أي: عنها، علىٰ ما في الشرح، والأَوْجَهُ أن كلمة إلىٰ علىٰ بابها، (فيقول لهم الملك) فلان الموكل بها: (قفوا) عن المجاوزة المذكورة، (واضربوا) أي: ثم اضربوا فالواو هنا وفيما تقدم بمعنىٰ: ثُمَّ، (بهذا العمل) المنتفي عنه القبول، العائد عليه الإبطال، وعلىٰ

---

(١) في نسخة (م) فيجاوزون به.

وجهَ صاحبه واضربوا به جوارحه، وأَقْفِلُوا به علىٰ قلبه إني أَحْجُبُ عن ربي كلَّ عمل لم يُرِدْ به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله إنه أراد به رِفعةً عند الفقهاء وذِكْراً عند العلماء وصيتاً في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري وكلُّ عمل لم يكن لله تعالىٰ خالصاً فهو رياء، ولا يُقبَلُ عملُ المرائي يقال وتصعَدُ الحَفَظَة بعمل العبد من صلاة. . . . .

صاحبه الخمول، (وجهَ صاحبه) وزِيدَ في العذاب: (واضربوا به جوارحه، وأَقْفِلُوا به) أي: بسببه (علىٰ قلبه)، حتىٰ لا ينفتح لخبير ما لم يتب، أو تدركه عنايةُ السابقةِ والخاتمة (إني) أي: لأني (أَحْجُبُ عن ربي) أي: عن حضرته المقدسة: (كلَّ عمل لم يُرِدْ) أي: لم يَقْصِدْ (به وجه ربي) أي: ذاته (إنه) أي: لأنه (أراد بعمله غير الله)، وبيَّن هذا الغير في قوله: (إنه أراد به رِفْعةً) أي: منزلة (عند الفقهاء) أي: في قلوبهم، (وذِكْراً عند العلماء) الأعم من الفقهاء، وفي الشرح حكمة عدم الاقتصار علىٰ أحدهما، (وصيتاً) أي: شُهْرَة (في المدائن)، وفي الدَّارين علىٰ ما في حديث معاذ في رواية المنذري، وعليها كلام مهم في الشرح، (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلىٰ غيري)؛ ومن كلام المَلَك أو النبوة فقط قوله: (وكلُّ عمل لم يكن لله تعالىٰ خالصاً فهو رياء، ولا يُقْبَلُ عملُ المرائي.

قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (وتصعَدُ الحَفَظَة) المذكورة إلىٰ السماء السابعة (بعمل العبد من صلاة)، وتقديمها هنا علىٰ الأصل

وزكاة وصيام وحج وعمرة وخُلُق حَسَن وصَمْتٍ وذكرِ الله تعالىٰ وتُشيِّعُه ملائكةُ السموات السبع حتىٰ تَقْطَعَ به الحُجُبَ كلَّها، إلىٰ الله تعالىٰ فيقفون بين يديه وتشهد له بالعمل الخالص لله تعالىٰ قال فيقول الله أنتم الحفظة علىٰ عمل عبدي وأنا الرقيب علىٰ قلبه

لأنها الأفضل فلا يسأل عنه، (وزكاة) وحكمة ذِكْرها هنا في الشرح، (وصيام وحج وعمرة وخُلُق حَسَن وصَمْتٍ وذكرِ الله تعالىٰ)، وفي الشرح حِكَمٌ في نُكَتِ العطف وهذه المعطوفات ومهمات تتعلق بها، داعيةُ الاختصار اقتضَتْ طَيَّها هنا، (وتُشيِّعُه ملائكةُ السموات السبع)، وليست هذه اللفظة فيما رواه المنذري (حتىٰ تَقْطَعَ) أي: تجاوز وتخرق (به الحُجُبَ) النورانية (كلَّها)، وهي كثيرة، فعن مجاهد: بين الله وبين العرش سبعون ألف حجاب؛ فتصل به (إلىٰ) حضرة (الله تعالىٰ) حضرة خاصة من حضراته التي هي وراء الحجب تعالىٰ الله سبحانه أن يحجبه شيء أو يحيط به مكان أو زمان، وإنما هذه كنايات يعرفها الراسخون في العلم وأهل العرفان، وفي الشرح ما يبين لك بعض ما ذكرته؛ (فيقفون بين يديه) تعالىٰ أي: يدي حضرته المقدسة، (وتشهد له بالعمل الخالص لله تعالىٰ) بحسب علمهم أو ظنهم، (قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (فيقول الله) أي: بعد شهادتهم في ذلك المرتب: (أنتم الحفظة علىٰ عمل عبدي) أي سوىٰ عمل قلبه، (وأنا الرقيب) أي: الحفيظ (علىٰ قلبه) موطن الإخلاص منه، وفي

إنه لم يُرِدْنِي بهذا العمل، وإنما أراد به غيري، فعليه لعنتي فتقول الملائكةُ كلُّها: عليه لعنتُك ولعنتنا ولعنة السموات السبع ومن فيهن ثم بكىٰ معاذٌ وانتَحَبَ انتحاباً شديداً وقال معاذ يا رسول الله أنت رسول الله. . . . .

نسخة علىٰ نفسه، (إنه لم يُرِدْنِي بهذا العمل، وإنما أراد به غيري، فعليه لعنتي) أي طردي: عن رحمتي والإبعاد عنها، (فتقول الملائكةُ) أي: الحفظة، أو هم والملائكة المشيِّعون (كلُّها: عليه لعنتُك ولعنتنا ولعنة[1] السموات السبع ومن فيهن) تبعاً لِلَعنتك[2]، وحكمة مقالتهم هذه ذكرتها في الشرح مع غيرها من المهمات في هذا الموطن، وفيه أيضاً حكمة الإطناب في شأن غير المخلِص حيث ذكرت حالته مرتين: الأولىٰ: عند قول الملك إنه أراد به رِفْعة عند الفقهاء، والثانية عند قول الله تعالىٰ بعد شفاعة ملائكته: أنتم الحفظة إلىٰ آخره.

(ثم بكىٰ معاذٌ) بن جبل (وانتَحَبَ انتحاباً شديداً) أي: بكىٰ بكاء بصوت طويل ومَدٍّ، (وقال) أي: ثم قال (معاذ) المذكور: (يا رسول الله) صلىٰ الله عليه وسلم (أنت رسول الله) أي: إلىٰ الخلق الرحمة

---

(١) في نسخة(م) وتلعنه.

(٢) قال في الشرح: وإسناد اللعنة إلىٰ السماوات إما حقيقة شرعية بأن ينطقهم بلعنة؛ وإما مجاز.

وأنا معاذ فكيف لي بالتخلص والنجاة من ذلك قال اقتد بي وإِنْ كان في عملك تقصيرٌ يا معاذ اقتد بسُنَّة نبيك في الدِّين يا معاذ حافظ علىٰ لسانك من الوقيعة في إخوانك من حَمَلَة القرآن. . . .

المحضة، طبيبُ الباطن والظاهر، والعالمُ بالمَخَالِص ومواطن النجاة، ومالكُ أَزِمَّتها، (وأنا معاذ) المقصر المعترف بتقصيري، (فكيف لي بالتخلص والنجاة من ذلك)؟ أو مما ذكرتَ، كما في نسخة، والمراد من آفة العمل.

(قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (اقتد بي) أي: اتبعني، فإن الاتِّباع فيه الخير كلُّه (وإِنْ كان في عملك تقصيرٌ) فإن الاتِّباع يخلصك وينجيك، ويحتمل غير هذا علىٰ ما بينته في الشرح، (يا معاذ) علىٰ ما في نسخة (اقتد بسُنَّة نبيك في الدِّين)، وفي نسخ الحديث المتفق عليه: (يا معاذ حافظ علىٰ لسانك من الوقيعة في إخوانك) أي: من المؤمنين، لا مطلق الأخوة من آدم، وإن كنتَ مخاطباً بحفظه عن عِرْض الذمي لأنه مراد بدليل قوله: (من حَمَلَة القرآن) أي: حفظته، وليس ذكرهم قيداً مُخْرِجاً لبقية المؤمنين كما في الشرح[1]، وفيه أيضاً فوائد ملائمة.

---

(١) قال: فإن الحامل يشرف بشرف الحمل اهـ.

واحمِلْ ذنوبكَ عليك ولا تَحْمِلْها عليهم ولا تُزَكِّ نفسك بذمِّهم، ولا تَرْفَعْ نفسَك عليهم ولا تُدْخِلْ عملَ الدنيا في عمل الآخرة ولا تُرَاءِ بعملك ولا تتكبر في مجلسك لكي يَحْذَرَ الناسُ من سوء خُلُقك

(واحمِلْ ذنوبكَ عليك) وصرح بالمفهوم فقال: (ولا تَحْمِلْها عليهم) أي: علىٰ الإخوان الصادقين، وكأن المراد: انسب تقصيرك إلىٰ نفسك ونحو ذلك، (ولا تُزَكِّ نفسك) التزكية المذمومة (بذمِّهم، ولا تَرْفَعْ) علىٰ سبيل التكبر (نفسَك عليهم)؛ لأن وصفهم العام والخاص، وهما: الإيمان والحفظ للقرآن مانعُك من الذم والترفع.

(ولا تُدْخِلْ) بالتشريك المانع للثواب أو كماله (عملَ الدنيا في عمل الآخرة)، فإن المصنف ومن تبعه يمنع الثواب إذا غلب باعثُ الدنيا، والنووي ومن تبعه يراه بحسب الباعث علىٰ ما هو مبسوط في محله، ومن خلط هذين العملين، ولعله المراد هنا كان ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، والكلام فيه معلوم، وإلىٰ بعضه أشرت في الشرح.

(ولا تُرَاءِ) من الرياء (بعملك) لأن الرياء الشرك الأصغر، ولما نهىٰ عن مطلق التكبر نَصَّ علىٰ بعض أفراد قبائحه فقال: (ولا تتكبر في مجلسك)، وعِلَّته (لكي يَحْذَرَ الناسُ) ومنهم إخوانك الحفظة للقرآن (من سوء خُلُقك)، والمراد لا تجعله مَطْرَدَةً للناس عن مجلسك، وبهذا التقريب بذكر المجلس شَرَعَ في بعض آدابه فقال:

ولا تُنَاجِ خِلاًّ وعندك آخر ولا تتعظَّمْ علىٰ النـاس فينقطـعَ عنـك خـيرُ الدنيا والآخرة ولا تُمَزِّقِ الناسَ فتُمزِّقَكَ كـلابُ النـار يـوم القيامـة في النار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشۡطٗا﴾ هل تدري مـا هـي يـا معـاذ

(ولا تُنَاجِ) تُسَارِرْ (خِلاًّ[١]) بمعنىٰ: خليلاً، والمراد جليساً، وحكمة إيثار ذكر الخليلَ في الشرح[٢]، (وعندك آخر) بخلاف اثنين أو أكثر، والمعتمد أنَّ المُسَارَّة وفي المجلس واحدٌ غيرُ المتسارِرَين حرامٌ لتأذِّيه ومن العلة يؤخذ أن تكلم اثنين جِهاراً بِلُغَةٍ لا يعرفها الثالث كذلك، كما بحثه بعضهم إلا أن يُفرَّقَ بأن المناجاة موردُ النَّصِّ فلا يُقاس عليه.

(ولا تتعظَّمْ علىٰ الناس) مع علمك بكونك من نطفة مَذِرة[٣]، وفي الشرح رَدُّ هذا إلىٰ ما قبله، وحكمة ذِكْره يغاير فهمه، (فينقطعَ عنك خيرُ الدنيا والآخرة)، وفي الشرح أيضاً بيان ترتب هذا الانقطاع.

(ولا تُمزِّقِ[٤] الناسَ) أي: أعراضهم بلسان ذَمِّك (فتُمزِّقَكَ كلابُ النار) وكَلاَلِيبُ صراطها (يوم القيامة في النار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشۡطٗا﴾ هل تدري ما هي) الناشطات (يا معـاذ) بـن جـبل؟

---

(١) في نسخة(م) رجلاً.

(٢) قال: خصَّ الخلَّ بالذكر ليعلم غيره بالأولىٰ.

(٣) المذرة: القذرة (القاموس/مذرت).

(٤) في نسخة (م) زيادة: بلسانك.

قلت : ما هي بأبي أنت وأمي قال : كلاب في النار تَنْشِطُ اللحم من العظم، قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من يطيق هذه الخصال ومن ينجــو منها؟ قال : إنه ليسيرٌ علىٰ من يَسَّرَهُ الله عليــه. قــال الراوي فما رأيتُ أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث. فتأمل أيها الطالب للعلم ....

(قلت: ما هي) أفديك (بأبي أنت وأمي) يا رسول الله (قال: كلاب في النار تَنْشِطُ اللحم من العظم، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال) صلىٰ الله عليه وسلم: (إنه)[1] أي: الشأن، أو الأمر الذي استبعدتَ النجاة منه (ليسيرٌ) بفتح اللام (علىٰ من يَسَّرَهُ الله عليه) بمعونة التوفيق والشفاعة، (قال الراوي) عن معاذ: (فما رأيتُ أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث) خشية من فوات حفظه ومن تضييعه المحذر منهما في صدره بقوله: إنْ أنت ضيعتَه ولم تحفظه وكثرة تلاوته تشعر بأن حفظ ألفاظه مراد في الأمر وبنظير ذلك قيل في حديث: «مَنْ حَفِظَ علىٰ أمتي أربعين حديثاً». وإن كان فيه أقوال، قيل: حفظ ألفاظها، وقيل معانيها، وقيل العمل بها، وقيل أعم.

(فتأمل) حَقَّ التأمل (أيها الطالب للعلم) الحريص علىٰ اقتباسه

---

(١) في نسخة (م) يا معاذ إنه.

هذه الخصال. واعلم: أن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث في القلب طلبُ العلم لأَجْلِ المُبَاهَاةِ والمُنَافَسَةِ فالعاميُّ بمعزل عن أكثر هذه الخصال والمتفقـه مُسْتَهْدَفٌ لها، وهو متعرض للهلاك بسببها، فانظر: أيَّ أمورك أهم أن تتعلـم كيفية الحَذَرِ مـن هذه المهلكات، وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارةِ آخرتك أمِ الأهمُّ أَنْ تخوضَ مع الخائضين وتطلبَ من العلم ما هو سبب لزيادة الكبر والرياء والحسد والعُجْب...............

(هذه الخصال) ولو بعضها النافع في باقيها، (واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث) بمعنىٰ الأمراض (في القلب طلبُ العلم) لا هو (لأَجْلِ المُبَاهَاةِ والمُنَافَسَةِ)، وسبق أنها تأتي بمعنىٰ الحسد، (فالعاميُّ) وهو غير الطالب المذكور (بمعزل عن أكثر هذه الخصال) الخبيثة، (والمتفقه) وهو من ليس بفقيه ولا عامي (مُسْتَهْدَفٌ) أي: كالهدف (لها، وهو متعرض للهلاك بسببها، فانظر أيَّ أمورك أهم) هل هو (أن تتعلم كيفية الحَذَرِ من هذه المهلكات، وتشتغل) مع هذا التعلم (بإصلاح قلبك) المرتبط بصلاحه صلاحُ قالِبَك، (وعمارةِ آخرتك) التي لم تخلق دنياك إلا لعمارتها، ولم تجعل إلا قنطرة ومزرعة لها.

(أمِ الأهمُّ) من هذا (أَنْ تخوضَ مع الخائضين) في الباطل ولو بألسنة الحق، (وتطلبَ من العلم) الرسمي (ما هو سبب لزيادة الكبر والرياء والحسد والعُجْب) أمهات الخبائث كما يأتي وصفها بذلك،

حتىٰ تَهلَكَ مع الهالكين؟!. واعلم: أن هذا الخصال الثلاث من أُمَّهَاتِ خبائث القلب، ولها مَغرِسٌ واحد، وهو حب الدنيا ولذلك قال صلىٰ الله عليه وسلم: حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة. ومع هذا الدنيا مزرعةُ الآخرة ومن أخذ..............

(حتىٰ تَهلَكَ مع الهالكين؟!).

(واعلم أن هذا الخصال الثلاث) أي: بِعَدِّ الكبر والعجب واحدة لما ذكرته في الشرح (من أُمَّهَاتِ خبائث القلب، ولها مَغرِسٌ) بفتح الراء وكسرها (واحد، وهو حب الدنيا ولذلك) جاء في الحديث الحسن الذي خرجه البيهقي وابن أبي الدنيا بلفظ: (قال صلىٰ الله عليه وسلم: حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة) وبعض الحفاظ رواه أثراً، وعليه فيكون من قبيل المرفوع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، ومن ثَمَّ أسس الصوفية عليه كتبهم علىٰ ما بسطتُه في الشرح، وذكرت فيه هنا مهمات ينبغي الوقوف عليها[١].

(ومع هـذا الدنيا مزرعةُ الآخـرة ومن أخـذ) تناول أو كَسَبَ[٢]

---

(١) مما قال: المدار في جلب المصالح ودرء المفاسد وصلاح الباطن والظاهر والتخلقات وجماع الامتثال للمأمورات والاجتناب للمنهيات: ترك حب الدنيا الذميم، وأطلق النهي عن حبها، ولم يقيد به لوضوحه.

(٢) من باب: ضرب، قال ثعلب: وكلهم يقول: كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابي؛ فإنه يقول: أكسبك بالألف. (المصباح/ كسب).

من الدنيا بقَدْرِ الضرورة يستعينُ به علىٰ الآخرة فالدنيا مزرعتُه ومن أراد الدنيا ليتنعمَ بها فالدنيا مَهْلكتُه.

(من الدنيا) أي: أموالها وحطامها، ولفظ الدنيا له إطلاقات بإزاء معان أفرده بعضُ مشايخي برسالة في وريقات (بقَدْرِ الضرورة) بمعنىٰ الحاجة، بدليل قوله: (يستعينُ به) أي: بالقدر المأخوذ (علىٰ الآخرة) أي: علىٰ التزود لها، لأن المسافر لا بد له من زاد، وسفر الآخرة هو السفر، والمال عند أربابه معدود لمرض أو عَرَض، ولا أعظم من مرض القلوب وعرض الآخرة، فصَرْفُ هذا المقدار فيهما من أجل غرض، فمن أخذ منها لذلك لا ملام عليه بل يثاب (فالدنيا مزرعتُه) أي: مزرعة القدر المأخوذ، وكان القياس والأوضحُ مزرعتها، لكن عدَلَ عنه لنكتة لا تخفىٰ.

(ومن أراد الدنيا) بمعنىٰ حطامها (ليتنعمَ بها) علىٰ فرض أنه يجد صورة التنعيم بعد تحصليها عن نَصَبٍ وصَخَب، (فالدنيا مَهْلكتُه) محل هلاكه وعذابه العاجل، وإن ضممتَ الميم وكَسَرتَ اللام كان المعنىٰ المباشرة لهلاكه، ولم لا وصفاؤها كدر وأهلها منها علىٰ حَذَر؟ كما قيل:

هي الدنيا تقول بملء فيـها ... حَذارِ حذار من بطشي وفَتْكي[1]

---

(١) هكذا في معاهد التنصيص ٢٤١/٤ ولم يـذكر الثـاني وقـال: البيـت لأبي الفـرج الساوي، من قصيدة من الوافر يرثي بها فخر الدولـة ابـن بُويـه. وأوردهمـا ابـن =

فهذه نُبذةٌ يسيرة هي ظاهِرُ عِلْمِ التقوىٰ وهي بداية الهداية فإن جَرَّبتَ بها نفسَك فطاوعتْ عليها فعليك بكتاب «إحياء علوم الدين» لتعرف به كيفية الوصول إلىٰ باطن التقوىٰ فإذا عمرت بالتقوىٰ. . . . . . .

فـلا يَغْرُرْكُـمُ مني ابتسـامٌ — فقَوْلي مضـحكٌ والفعل مبـكي

(فهذه نُبذةٌ) كلمات (يسيرة) توضيح لمعنىٰ النبذة؛ لأن كل نبذة يسيرة، (هي ظاهِرُ[1] عِلْمِ التقوىٰ) الراجعة إلىٰ امتثال الأوامر واجتناب النواهي، (وهي) أي: النبذة (بداية الهداية)، المراد الإعلام بأن اسمها ذلك، مع الإعلام بأن تعلمها والعمل بما فيها بداية الهداية ففيها من التورية البديعة مالا يخفىٰ علىٰ من له إلمام بمعنىٰ التورية وقد سلف للمصنف في الديباجة نحو ما ذكر هنا، فتطابق الأول والآخر، (فإن جَرَّبتَ بها نفسَك) أي: بأن عرضتها عليها (فطاوعتْ عليها) بأن عملتَ بما فيها أو أقبلت عليه (فعليك بكتاب إحياء علوم الدين) لتَتَلقىٰ ما فيها من مَشْرَعِها ومنبعها الأول لأنه أصلها (لتعرف به كيفية الوصول إلىٰ باطن التقوىٰ) أتمَّ معرفة لم تعرفه من كتاب "البداية" فإن "الإحياء" في ذلك غاية ونهاية، وإن تفاوتت مراتب النهاية فلا يقال: كم فاته؟ لأن المواهب لا تَنْحَصِرُ.

(فـإذا عمرت) بتخفـيف الميم أو بتشديدهما وهو أبلغ (بالتقوىٰ)

هشام في شرح شذور الذهب دون نسبة ص ١٢٨.

(١) في نسخة (م) مِنْ ظاهِرِ.

باطنَ قلبك فعند ذلك ترتفع الحُجُبُ بينك وبين ربك تعالىٰ وتَنْكَشِفُ لك أنوار المعرفة وتَنْفَجِرُ من قلبك ينابيعُ الحكمة، وتَتَّضِحُ لك أسرارَ المُلْكِ والملكوتِ ويتيسرَ لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم.......................

ولها مراتب أعلاها قطعُ النظر عن السِّوىٰ (باطنَ قلبك) أي: باطناً هو قلبك، فالإضافة بيانية، ويدل عليه ما في نسخة قلبك، أو المراد سِرّك بناء علىٰ أنه قَلْبُ القَلْب، والتحقيق أن القلب والسر والفؤاد بمعنىٰ واحد، وأن النفس قد يراد بها ذلك، (فعند ذلك ترتفع) بمعنىٰ تزول، لكن في التعبير بالارتفاع لَطَافةٌ تناسب مقام المحب والمحبوب، (الحُجُبُ) الموانع للشهود (بينك وبين) حضرة (ربك تعالىٰ) عن البَيْنِ والمكان والزمان، وسائر شوائب الحَدَثان (وتَنْكَشِفُ لك أنوار المعرفة) فتراها بعين بصيرتك، (وتَنْفَجِرُ[1] من قلبك) الظاهر مَنْبَعِ الفيض (ينابيعُ الحكمة، وتَتَّضِحُ لك أسرارَ المُلْكِ) وهو ما تشهده بعين بصرك، (والملكوتِ) وهو ما تدركه بعين بصيرتك، فيتم لديك نِصَابُ الاستدلال بالظواهر ونصاب الإدراك لأسرار الباطن، فيا لها حُجَّة، تم بها ضياء المَحَجَّة، من كلام الغزالي الحُجَّة.

(ويتيسرَ لك من العلوم) الوَهْبية اللدنية الناشئة عن ذلك الارتفاع والتفجُّر والاتِّضـاح (ما تستحقـر) تستصغر (به هذه العلوم) الرسمـية

---

(١) في نسخة(م) وتتفجَّر.

المحدَثة التي لم يكن لها ذِكْر في زمن الصحابة والتابعين وإِنْ كنتَ تَطْلُبُ المعرفةَ من القِيلِ والقال. . . . .

(المحدَثة) المفسَّرُ حدوثها بقوله: (التي لم يكن لها ذِكْر في زمن الصحابة والتابعين) هذا مراده بكونها محدَثة، لا ذَمٌّ كُلٍّ المحدَثات؛ لأنها تأتي فيها الأحكام الخمسة فبعض المحدَثات كالكتب المصنفة في بعض العلوم من فروض الكفايات، ومقصودُ المصنف الأعظم رَفْعُ همَّتك علىٰ جناح الرغبة في علم باطن التقوىٰ لئلا يؤدي بك الإخلاد إلىٰ حضيض الرُّسوم[1] وإن جَلَّت، والطيران بها إلىٰ سماء رفعة الصحابة وأُفُق التابعين ولو في الجملة، قبل قَصٍّ جناحها بمقص الشهوات والموت، والركون إلىٰ المحدثات، ولو صَدَرَتْ في محلها عن بعض[2] الجِلَّة، والاشتغال بالأهم أولىٰ وأعلىٰ، وما شَاكَلَ حَالَ الصدر الأول أجل قيمة وأغلىٰ، لاسيما ولسواه قواطع وآفات، ومِحَن وإِحَن[3] وتُرَّهَات[4] أشير إليه بقوله.

(وإِنْ كنتَ تَطْلُبُ) يا طالب العلم (المعرفةَ) لله تعالىٰ، أو معرفة كيفية الوصــول إلىٰ التقـوىٰ، أو أنوار المعرفة (من القِيلِ والقال) هما

---

(١) أي: علوم الرسوم كما هو في الشرح.

(٢) قوم جلة، بالكسر: عظماء سادة، ذوو أخطار (القاموس/جلل).

(٣) الإِحنة، بالكسر: الحقد، والغضب الجمع كعِنَب (القاموس/الإحنة).

(٤) التُّرَّهة: الباطل كالتُّرَّه، الجمع: ترهات وتراريه. (القاموس/الترهة).

والمِرَاءِ والجدال فما أعظمَ مصيبتكَ وما أطول تَعَبَكَ وما أعظم حِرْمانك وخُسْرانك فاعمل ما شئتَ فإن الدنيا لا تَسْلَمُ لك والآخرةُ تُسْلَبُ منكَ. . . . .

بمعنىٰ واحد، (و) من (المِرَاءِ والجدال) مترادفان أو متقاربان، وعلىٰ ما تقدم (فما أعظمَ مصيبتكَ) أي: لا أعظم منها، أو للتعجب، ويأتي مثله فيما بعده، ولعله من موضحات عِظَمِها، (وما أطول تَعَبَكَ) في المال، (وما أعظم حِرْمانك) لعلم الباطن الجامع لكل كمال، فإن مَنْ حُرِمَه حُرِمَ الأسرار والنفائس ولطائف الغيب والشهادة، واستجلاء ما لهما من عرائس، (وخُسْرانك) وأي خسارة أعظم من هذا الحرمان، والخسران هو النقصان.

(فاعمل ما شئتَ) بمعنىٰ: اصنع وفي الحديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» ولما كان الحياء منتفياً عنه قال: اعمل ما شئت، وإلىٰ بعض وجوه عِظَم المصيبة ونحوه، أو إلىٰ عِلَّة أعظميتها لا إلىٰ قوله فاعمل أشير بقوله: (فإن الدنيا[1]) بمعنىٰ حطامها وجاهها ونحوهما (لا تَسْلَمُ لك) يقيناً، (والآخرةُ) ضَرَّتُها التي لا تجامعها (تُسْلَبُ منكَ) بمعنىٰ تمنع عنك، لكن عَبَّر بالسَّلْبِ تحقيقاً ومبالغة في معنىٰ الثَّلْبِ والتقريع والتوبيخ، وتنبيهاً علىٰ أنك لو كنتَ مستولياً عليها فإنها تُسْلَبُ منك، فندامة المسلوب منه ليست كندامة غيره.

---

(١) في نسخة (م) زيادة: التي تطلبها بالدِّين.

فمَنْ طَلَبَ الدنيا بالدِّين خسرهما جميعاً ومن طلب الدنيا للدين رَبِحَهُما جميعاً فهذه جملة الهداية إلىٰ بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالىٰ بأداء أوامره واجتناب نواهيه ونُشيرُ الآن عليك بجُمَلٍ من الآداب..............................

(فمَنْ طَلَبَ الدنيا) الدنيئة (بالدِّين) علىٰ سبيل أنه بدل عنها (خسرهما جميعاً) فيصير ذا صفقة خاسرة، (ومن طلب الدنيا للدين) بمعنىٰ ترك الطلب المذكور (رَبِحَهُما جميعاً) فيصير ذا صفقة رابحة؛ لأن من ترك شيئاً لله عوضه الله تعالىٰ خيراً منه، وهما جميعاً خير من إحداهما الدنيا لو انفردت، وربحهما صادقٌ بإتيانها له راغمة يُقَلِّبها في يديه، وقلبه سالم من حُبِّها، وعلىٰ هذا يصح أن يقال اجتمعا له، ولا يُشْكِلْ بأن الضَرَّتين كيف تجتمعان! فلا تغفل.

(فهذه جملة[1] الهداية) أي: الدلالة الموصلة أو الإيصال (إلىٰ بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالىٰ)، وفي نسخة الهداية التي هي نهاية الطريق إلىٰ آخرة (بأداء أوامره) الواجبة والمندوبة، (واجتناب نواهيه) المحرمة والمكروهة، باستدخال خلاف الأولىٰ حقيقة أو توسعاً، (ونُشيرُ الآن) أي: في هذا الوقت بعد ما تقرر (عليك) إشارة ناصح (بجُمَلٍ) وفي نسخة: جملة (من الآداب) الشرعية الشاملة لآداب الصوفية التي أفردها المصنِّف بالرسالة القدسية وعَدَّ منها أن

---

(١) في نسخة (م) جُمَلُ.

لتؤاخذ نفسَك بها في مخالطتك مع عباد الله و صحبتك في الدنيا .

القادم إلىٰ مكة من أدبه أن يُسَلِّمَ علىٰ أهلها تعظيماً لها، وهذا بمجرده لا يقتضي أن يندب لمن بها أن لا يسلم علىٰ القادم إليها كما توهمه بعض طلبة العصر فنسبه إلىٰ المصنِّف تارة وإلىٰ غيره أخرىٰ، وعلىٰ زعمه فهو ضعيف مخالف لإطلاقهم (لتؤاخذ) تحاسب (نفسَك) الغير المطمئنة واتهمها فإن لها دسائس، (بها) أي بالمذكورة (في) حال (مخالطتك) ومجاورتك (مع عباد الله) تعالىٰ علىٰ اختلاف مراتبهم وأجناسهم، (و) في حال (صحبتك)، ولعلها المراد بالمخاطبة (في الدنيا[1]) لاسيما في أسفارها المُسْفِرَةِ عن أخلاق الرجال؛ ولما كانت آدابها متأكدة خَصَّها بعنوان فقال:

---

(١) في نسخة (م) لهم في الدنيا.

القول في آداب الصحبة
والمعاشرة مع الخَلْق والخالق

القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخَلْق والخالق

(القول في آداب الصحبة) المرادة بقوله: (والمعاشرة مع الخَلْق و) حضرة (الخالق) تعالىٰ، وعندي وقفة في إضافة الصحبة والمعاشرة إليه تعالىٰ علىٰ مذهب من يرىٰ منع إطلاق ما لم يَرِدْ علىٰ الله تعالىٰ، وأن الأسماء توقيفية، لا علىٰ مذهب المصنِّف ومن تبعه من جواز ما لا يُشْعِر بشائبة نَقْصٍ، ولا يقال قد ورد: «أنت الصاحب في السفر» فيستدل به؛ لأنه لا مجال للقياس هنا، فيُقتصر علىٰ مورد النص، ولا يُتجاوز إلىٰ كل ما يشتق منه مادة الصحبة، ولم أَقُلْ ذلك اعتراضاً علىٰ المصنف عياذاً بالله، وإنما قلته أداء لمنصب الشرح، وبياناً للحق، وتنبيهاً للطالب علىٰ استطلاع فجره الصادق، وعسىٰ أن يفتح بما يزيل هذه الوقفة.

وللقوم والمؤلفين في آداب الصحبة كلام طويل الذيل حتىٰ أُفردتْ بباب وكتاب[١]، وأفردها بعض مشايخي برسالة، وذكرتُ

---

(١) ما كتبه حجة الإسلام في هذا من أهمه ما جعله في الإحياء بعنوان: كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو من أنفس ما كُتب في هذا الباب (٢/٢٥٣-٣٥٧).

اعلم: أَنَّ صاحبك الذي لا يُفارِقكَ في حَضَرِكَ وسفرِكَ ونومِكَ ويَقَظَتِكَ بل في حياتك وموتك هو ربك. . . . .

منها في كتاب الأخلاق غُرَراً جمة ودُرَراً مهمة في حرف النون في النصحية، وغير ذلك من المواطن، وفيما ذكره المصنف كفاية بقوله.

(اعلم أَنَّ صاحبك الذي لا يُفارِقكَ) بوجه، ولا يلزم من جوار صاحبك جوار معاشرك هنا (في حَضَرِكَ) أي: في زمن إقامتك (وسفرِكَ) زمن سفرك، فهما متقابلان لا يخرج زمنك عنهما، وهذا تقسيم شامل، وإلىٰ تقسيم باعتبار آخر أشير بقوله: (ونومِكَ ويَقَظَتِكَ) بفتح القاف، وإلىٰ تقسيم ثالث أشمل أشير بقوله: (بل في حياتك وموتك) اللذين لا يخرج عنهما (هو ربك) لاغيره، والرب مشترك بين معان: كالسيد والمالك والخالق، فلذلك ذكر الرب، فلو اقتصر عليه إعمالاً للمشترك في معانيه لأغنىٰ عن التصريح؛ لكن لما كانت مسألة إعماله مختلفاً[1] فيها، أو المقام مقام إطناب عطف عليه بقوله:

---

(١) فقال أكثر الحنفية والآمدي من الشافعية: يجب التوقف حتىٰ يقوم الدليل علىٰ تعيين معنىٰ من معاني المشترك، ولايصح أن يستعمل المشترك في كل معانيه في إطلاق واحد، سواء في حالة النفي أو الإثبات..وقال جمهور الشافعية والقاضي عبد الجبار المعتزلي، وابن الحاجب ونقله القرافي عن الإمام مالك: يصح استعمال المشترك في معانيه، ويجوز إرادة كل واحد من معانيه سواء أكان وارداً في النفي أم في الإثبات. (ر: أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ١/٢٨٧).

وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذَكَرْتَه فهو جليسُكَ إذ قال الله تعالىٰ: أنا جليس من ذكرني. ومهما انكسَرَ قلبك حزناً علىٰ تقصيرك في حَقِّ دينك. . . . .

(وسيدك ومولاك) ناصرك، والمولىٰ مشترك بين معان كثيرة جداً كما في "القاموس"[(١)] (وخالقك) موجدك.

(ومهما) أي: في أي وقت (ذَكَرْتَه) بقلبك أو لسانك أو بهما (فهو جليسُكَ) من غير أن يحيط به مكان، تعالىٰ عن أن يحويه مكان أو زمان، قيل: ولا يقال هو في كل مكان، وكأن حكمة منع هذا القول لما فيه من إيهام الظرف للمظروف تعالىٰ الله وتقدس، (إذ قال الله تعالىٰ) في الحديث القدسي المشهور: (أنا جليس من ذكرني) رواه[(٢)].

(ومهما انكسَرَ قلبك حزناً) أي: لأجله أو من جهته (علىٰ تقصيرك في حَقِّ) أي: في جَنْب (دينك[(٣)]) الذي لا تعويل إلا عليه، لا علىٰ

---

(١) وهي المالك، والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعِم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر.(مادة/الولي).

(٢) نقص في الأصل. وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال: قال: موسىٰ عليه الصلاة والسلام: يارب أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك؟ فقيل له يا موسىٰ أنا جليس من ذكرني، وعند غيره (انظر كشف الخفا للعجلوني ١/٢٣٢-٢٣٣).

(٣) في نسخة (م) ربك.

فهو صاحبُك وملازِمُك إذ قال الله تعالىٰ: أنا عند المُنْكَسِرَةِ قلوبهم من أجلي. فلو عرفتَه حَقَّ معرفته لاتخذته صاحباً. . . .

دنياك، (فهو) تعالىٰ (صاحبُك وملازِمُك)، وهذا أخف من معاشرك، (إذ قال الله تعالىٰ) في حديث قدسي أيضاً، رواه وكُلُّ الأحاديث القدسية[1] يصح أن يقال فيها قول الله، وسئل السيوطي: هل يقال في كل حديث أنه قول الله؟ فقال: نعم إنه من عند الله، لقوله تعالىٰ في حقه صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ النجم/ ٣، ٤. (أنا عند المُنْكَسِرَةِ قلوبهم من أجلي) الحديث، (فلو عرفتَه) أيها الغافل عن معرفته أو الطالب لها، (حَقَّ معرفته)، لكن أنىٰ لك ذلك مع ما ورد: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، (لاتخذته صاحباً) حق الاتخاذ.

فإن قلتَ: سَلَفَ أنه سبحانه وتعالىٰ صاحبك الذي لا يفارقك فكيف يقال هنا لاتخذته صاحباً المشعر أنه لا يَتخذ صاحباً إلا من يتصف بها قلتُ: المراد حملك علىٰ الاتخاذ بالجري علىٰ مقتضاه

---

(١) ويقال لها الأحاديث الإلهية؛ وهي التي يرويها النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم عن ربه عز وجل، والنبوية ما لايكون كذلك. ويقول بعضهم: القدسية من قوله صلىٰ الله عليه وسلم ولفظه كالأحاديث النبوية، وحكمة إضافتها لله تعالىٰ علىٰ هذا لزيادة الاهتمام بمضمونها. (انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي١/ ٦٢٩ وكتاب: الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو ص١٦-١٨).

وتركتَ الناس جانباً فإِنْ لم تَقْدِرْ علىٰ ذلك في جميع أوقاتك فإياك أَنْ تُخْلِيَ ليلَك ونهارَك عن وقتٍ تخلو فيه بمولاك وتتلذَّذُ معه بمناجاتك. . . . .

وإن كانت الصحبة ثابتة من جانبه تعالىٰ في نفس الأمر ويدل علىٰ المراد ونحوه، أو يشعر به هنا قوله: (وتركتَ الناس جانباً) كأن المراد أن هذا من مقتضياته، وسيأتي في كلام العارف أحمد[١] المشرع ما يشهد له.

(فإِنْ لم تَقْدِرْ علىٰ ذلك) الاتخاذ والترك (في جميع أوقاتك) الليلية والنهارية (فإياك أَنْ تُخْلِيَ) بتخفيف اللام وتشديدها من الإخلاء أو التخلية، (ليلَك ونهارَك) لاسيما الفاضل منهما (عن وقتٍ تخلو فيه بمولاك) سيدك وناصرك ومن أولاك، (وتتلذَّذُ معه بمناجاتك) في قراءتك ودعائك، فإنَّ مَنْ فقد لذة المناجاة ما وَجَدَ، كما أن من وَجَدَه تعالىٰ أو وجدها ما فَقَدَ، والمراد بالخلوة مع المولىٰ المناجاة والذكر له في الخلوة، فقوله بمناجاتك متعلق بتخلو أو تتلذذ.

---

(١) الشيخ الصالح أبو القاسم الجنيد أحمد بن موسىٰ المشرع عجيل توفي يوم الأربعاء ٢٨ من ذي الحجة الحرام (٩١٧هـ) بمكة المشرفة، وكان قد انقطع للمجاورة بالحرمين الشريفين فكان يقيم بمكة أياماً وبالمدينة أياماً، وصلي عليه بالحرم الشريف بعد صلاة العصرمن ذلك اليوم وشيعه جمع عظيم، ودفن بالمعلاة.

. . . .

قال العارف أحمد بن موسىٰ المشرع: اِصحب الله علىٰ كل حال، فإن لم تُطِقْ فاصحب من يصحبه لحسن المآل، فإن لم تطق فعليك بالتشبه بالكرام حتىٰ تصبح وتمسي غانماً والسلام، فإن لم تطق فالرحمة واسعة يا غلام، فمن أحسن به الظن فقد شرب الخمرة والسلام اهـ وفي كلام المصنف في غير هذا الكتاب أظنه كتاب "نصيحة[1] الملوك" الحث علىٰ اتخاذ يوم الجمعة وقتاً للخلوة أو ساعة منه، عسىٰ في مثل تلك الساعة تُصادِفُ الساعةَ[2]، وتستعد بها منها لأهوال الساعة، لاسيما وفي يوم الجمعة تقوم الساعة.

---

(١) نعم ذكر في كتابه التبر المسبوك في نصيحة الملوك استحسان اتخاذ يوم الجمعة لخدمة الرب ومما قال: وماذا عليك إذا أفردت من سبعة أيام يوماً واحداً لخدمة ربك. (انظر: ص٦و٧).

(٢) أي ساعة الإجابة: قال الإمام الشعراني -رحمة الله عليه- في لواقح الأنوار القدسية: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن نستعد لساعة الإجابة التي في يوم الجمعة ونقلل الأكل والشرب، ونمنع اللهو واللغو والغفلة.. وهذه الساعة مبهمة في اليوم كليلة القدر في ليالي رمضان وتنتقل بيقين كما يؤيده الأحاديث والأخبار.. فتارة تكون في بكرة النهار وتارة تكون في آخر النهار، وتارة تكون بعد الزوال إلىٰ أن تنقضي الصلاة وهو الأغلب.

روىٰ الشيخان وغيرهما مرفوعاً أن النبي ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وأشار بيده يقللها". (انظر اللواقح ص٩٤-٩٦). ويقال لمنتظر الصلاة مصل. وفقنا الله للموافقة دائماً.

وعند ذلك : فعليك أَنْ تتعلم أدب الصحبة. أدبُ الصحبة مع الله تعالىٰ. وآدابها : إطراقُ الطَّرْفِ. . . . .

(وعند ذلك) أي: عند وقت الخلوة (فعليك) أي: يجب عليك الوجوب بالمعنىٰ المراد عند أهل الطريق الذين هم المراد (أنْ تتعلم[١] أدب الصحبة) لحضرة ربك الذي هو أقرب إليك من حبل الوريد، وكأن المراد بأدبها أدب الخدمة، قيل: وهو أشق من الخدمة، فإذا تعلمته فاعمل بما عَلِمتَه ليتجلىٰ عليك في الخلوة، تجليات أهل الصفوة.

ثم عَنْوَنَ لها بقوله: (أدبُ الصحبة مع الله تعالىٰ) أي: أدبها في حال مراقبته، والحضور بين يديه في شرائف طاعته، (وآدابها) كثيرة منها: (إطراقُ الطَّرْفِ) ترك رفعه إلىٰ السماء إلا في حالات طلبها الشرع، ولا أدري هل منها عند ختم الدعاء؟ كما رأيت بعض أهل العلم والصلاح يفعله، ويُوَجَّه بأن السماء قبلة الدعاء والداعي، فكأنه يستمطر قبوله منها،ثم رأيت في "الحلية" لصاحب المختصر بافضل[٢]

---

(١) في نسخة(م) آداب.

(٢) هو الإمام العلامة الصالح الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بافضل الحاج الحضرمي توفي يوم الأحد وقت العصر خامس شهر رمضان سنة ٩١٨ بالشحر كان حافظاً أوقاته لا يرىٰ إلا في تدريس علم، أو مطالعة كتاب أو اشتغال بعبادة أو ذكر، وانتهت إليه رياسة الفقه، وكان عمدة أهل زمنه في =

وجَمْعُ الهَمِّ ودوامُ الصَّمْتِ وسكونُ الجوارِح ومبادرةُ الأمر

الحضرمي حكاية قولين: إطراق الطرف ورفعه في الدعاء وأوردتهما في الشرح مع الكلام عليهما، (وجَمْعُ الهَمِّ) القصد، والمراد ترك التفرقة[1].

وطريقه: التفكر في جلال الله وعظمته، وبدائع صنعه وقدرته، وفي الشرح هنا مهمات؛ (ودوامُ الصَّمْتِ) بغير الذكر، بدليل قوله فيما يأتي: ودوام الذكر، ومثله نحو الأمر بالمعروف علىٰ ما ذكرته مع دليله في الشرح، (وسكونُ الجوارح) عن العبث؛ لأن هذا السكون شطر الخشوع الشرعي المطلوب في الصلاة، وشَرْطُه في بعضها عند المصنِّف، وفي جميعها عند بعضهم، وفي ثوابها عند الكل، ولأن هذا السكون دليل علىٰ سكون القلب، لحديث «لو خشع قلب هذا لسكنت أو لخشعت جوارحه» فاكتفىٰ بذكره عن ذكر الخشوع، مع شمول الخضوع الآتي ذكره له.

(ومبادرةُ الأمر) أي: امتثاله علىٰ سبيل المبادرة، بأن يسبق كمال السبق إلىٰ فعل الواجب والمندوب من غير تراخ ولا مُهْلَةٍ، مع شوق

الفتوىٰ والتدريس له جملة من التصانيف أهمها: المختصر في الفقه اقتصر فيه علىٰ ربع العبادات واشتهر بالمقدمة الحضرمية، وله شروح (ر: النور السافر ص ٩٨-١٠٠).

(١) قال صاحب الرسالة القشيرية: والتفرقة شهود الأغيار لله عز وجل. (ص٣٠).

واجتناب النهي وقِلَّةُ الاعتراض علىٰ القَدَرِ ودوامُ الذِّكْرِ

وتَوْقٍ، قال بعض مشايخي: بأن يصير بِدَارُه[١] إلىٰ المندوب كبِدَارِه إلىٰ الواجب؛ (واجتناب النهي) علىٰ سبيل المبادرة أيضاً لأنه أهم.

(وقِلَّةُ الاعتراض) يعني: عدم الاعتراض (علىٰ القَدَرِ) والقضاء بالتسليم له، وأكمل منه الرضا به، وهو مقام الكُمَّل، وعلامة التحقق به: أن يتلذذ بمُرِّه ويستحليه؛ وما أكثر زاعمي التَّحَلِّي بهذا المقام ومدعيه، ولعزَّته عَبَّر المصنف بالقِلَّة، وكان جديراً أن يعبر عنه بالانعدام، لأن التعبير به أزجر وأوضح.

(ودوامُ الذِّكْرِ) القلبي أو اللساني إلا في حال المخاطبات المحتاج إليها وحالة الضرورات، ومن لزم الذكر اللساني ترقَّىٰ به إلىٰ الجَنَانِي الموصل إلىٰ المقعد الجِنَاني؛ وفي ترجمة العارف بالله أبي سعيد الجزار[٢]: أن كل جارحة منه تقول: الله الله، وسمع بعضهم بعض جوارحـه كفخـذه يذكر الله بلسان فصيح؛ وفي حزب شيخنا البكري:

---

(١) بادره مُبادرة وبِداراً، وابتدره، وبَدَرَ غيرَه إليه: عاجَلَه (القاموس/ بادره).

(٢) هكذا في الأصل والصواب: الخَرَّاز. قال ابن الطرسوسي: أبو سعيد الخرَّاز قمـر الصوفية. قال السلمي: أنكر أهل مصر علىٰ أبي سعيد، وكفروه بألفاظ. فإنه قـال في كتاب (السِّرّ): فإذا قيل لأحدهم: ماتقول؟ قال: الله. وإذا تكلم قـال: الله وإذا نظر قال: الله فلو تكلمت جوارحه، قالت: الله. وأعضاؤه مملوءة من الله. فأنكروا عليه هذه الألفاظ، وأخرجوه من مصر. قال: ثم رُدَّ بَعْدُ عزيـزاً. (ر: سـير أعـلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٤١٩-٤٢٢).

ومُلازمةُ الفِكْرِ وإيثارُ الحَقِّ واليأسُ من الخَلْق. . . . .

وكُلٌّ كَوني يقول: الله الله؛ وٰالظاهر أن قول المصنف: ودوام الصمت ثم قوله ودوام الذكر ليس للاحتراز عن طلب الدوام فيما بينهما مما يمكن فيه الدوام ويحسن، ويحتمل أن نحو السكوت معطوف علىٰ الصمت، وإنما فائدة التخصيص الاهتمام بشأن الصمت، والذكر أكثر من عوارض اللسان وأحكامه، وهو أعظم الجوارح آفات، وأهمها في أكثر الحالات.

(ومُلازمةُ الفِكْرِ) في مصنوعات الله وصفاته، لا في ذات الله للنهي عنه فيها في حديث: «لا تَفَكَّروا في ذات الله» الحديث؛ وفي الشرح بيان بعض ما يُتفكر فيه، (وإيثارُ الحَقِّ) علىٰ الباطل بالرجوع إليه بأداء واجبه ومندوبه، وأما إيثار الخلق بعضهم بعضاً ففيه تفصيل، فهو في القُرَبِ مكروه[1]، ولا يستحب إلا في حظوظ النفس وأمور الدنيا علىٰ ما في الشرح؛ (واليأسُ من الخَلْق) في النفع والضر كالعطاء والمنع أخذاً من الأمر بذلك في نحو الصباح: لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما مَنَعْتَ.

---

(١) جعل الإمام السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر القاعدة الثالثة من القواعد الكليةِ بعنوان: الإيثار في القرب مكروه، وفي غيرها محبوب. ففيها الدليل، وبعض الصور، وما يشكل عليها. (ص٢٢٦-٢٢٨).

والخضوعُ تحتَ الهيبة والانكسارُ تحت الحياء والسكونُ عن حِيَلِ الكَسْبِ ثقةً بالضَّمَانِ والتوكلُ علىٰ فضل الله تعالىٰ معرفةً بحُسْنِ الاختيار وهذا كلُّه ينبغي أن يكون شعارَك في جميع ليلك ونهارك، فإنه أدبُ الصحبة........................

(والخضوعُ) والذبول (تحتَ الهيبة) الإلهية، (والانكسارُ تحت) سلطان (الحياء) من الله، قال يحيىٰ[1] بن معاذ الرازي: وَاحَيَائي منه وإن عفا، أليس عَلِمَ ما قد كان؛ (والسكونُ عن حِيَلِ الكَسْبِ ثقةً بالضَّمَانِ)، ولا ينافي هذا مباشرة سبب الكسب مع مشاهدة المسبِّب علىٰ ما في الشرح، (والتوكلُ علىٰ فضل الله تعالىٰ معرفةً) منك (بحُسْنِ الاختيار) أي: اختيار الله لك علىٰ الشرط المبسوط في الشرح فإن هذا المقام فيه تفصيل لا يُتلقىٰ فيه كلام المصنف علىٰ إطلاقه وظاهره، لئلا يُشْكِلْ بما وَرَدَ في فضل الكسب ونحو ذلك، وهذا من مواطن البداية المحتاج إلىٰ شرح.

(وهذا كلُّه ينبغي) أي: يتأكد (أن يكون شعارَك) علامتك (في جميع ليلك ونهارك، فإنه) أي: هذا الشعار (أدبُ الصحبة) الكاملة

---

(١) الواعظ الشهير من أكابر القوم مات في نيسابور سنة ٢٥٨ وكانوا ثلاثة إخوة يحيىٰ وإسماعيل وإبراهيم، وكلهم كانوا زهاداً. من كلامه رحمه الله: ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنىٰ به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء (طبقات الصوفية للسلمي ر: ص ١٠٧-١١٤).

مع صاحبٍ لا يفارقك والخَلْقُ يفارقونك في بعض أوقاتك فإنْ كنتَ عالماً فأدبُ العالم : سَعَةُ الاحتمال ولزومُ الحِلْم والجلوسُ بالهيبة علىٰ سَمْتِ الوَقَارِ. . . . .

(مع صاحبٍ لا يفارقك) في جميع أوقاتك، (والخَلْقُ) أي: والحال أن الخلق كلهم (يفارقونك في بعض أوقاتك)، وفي الشرح إشكال بعدم مفارقتك الكرام الحَفَظَة وجوابه ونحو ذلك.

(فإنْ كنتَ عالماً) تريد العمل بأدبه، (فأدبُ العالم) أي: آدابه نحو العشرين[١] منها: (سَعَةُ الاحتمال) للمتعلم، بالصبر علىٰ أسئلته أو بلادته أو تقصيره، (ولزومُ الحِلْم) عليه إذا قَصَّر، وهذا يقتضي الفرق بين الحلم والاحتمال، وبينته في الشرح، (والجلوسُ بالهيبة) أي: بالخوف والوقار، ومثل الجلوس القيام إن اقتضاه الحال، (علىٰ سَمْتِ الوَقَارِ) أي: علىٰ طريقه. والسمتُ: حسن الهيبة والمنظر في الدين، قال أبو نعيم: وليوقِّر من يُعَلِّمهم كما يحب أن يوقروه،

---

(١) جعل الإمام الغزالي – رحمه الله – الباب الخامس من كتاب العلم في إحيائه في آداب المتعلم والمعلم، عشرَ وظائف للمتعلم، وثمان للمرشد المعلم. وهي من نفيس ما ينبغي الوقوف عليه. وانظرها في كتابه: ميزان العمل. (ص٣٤١-٣٧٢). وهي جديرة أن تفرد بالنشر وتنتشر في أوساط المعاهد والكليات الشرعية وغيرها فكم من خيرات وبركات تضيع بتضييع هذه الآداب !

مع إطراقِ الرأس وتَركُ التكبُّرِ علىٰ جميع العباد إلا علىٰ الظَّلَمِة زَجْراً لهم عن الظلم........................

لحديث أبي هريرة في ذلك[(١)]، وذكره ثم ذكر حديثاً: «أنه صلىٰ الله عليه وسلم: ما أخرج ركبتيه بين يدي جليس له قط[(٢)]». (مع إطراقِ الرأس) بلا ميل وانحناء.

(وتَركُ التكبُّرِ علىٰ جميع العباد) أي: علىٰ كل عبد لله من الطلبة وإن صغر وغيرهم، لا يستثنىٰ إلا عبيد السوء المشار إليهم بقوله: (إلا علىٰ الظَّلَمِة) بشرط أن يكون (زَجْراً لهم عن الظلم)، فليكن هذا ملحوظاً عند التكبر عليهم، وفي الشرح كلام علىٰ التكبر، وما المراد بالظلمة؟ هل يدخل غيرهم بالتكبر فيهم؟ أو يختص اسم الظلمة بنحو

---

(١) في مجمع الزوائد١/١٢٩-١٣٠ باب أدب الطالب، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم-: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه. رواه الطبراني في الأوسط. وفيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث. وهو في الطبراني الأوسط برقم: ٦١٨٠.

(٢) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: ما أخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ركبتيه بين يدي جليس له قط ولا يبادر يده أحد قط فيتركها حتىٰ يكون هو يدعها، وما جلس إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أحد قط فقام حتىٰ يقوم، وما وجدت شيئاً قط أطيب ريحاً من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (ر: سبل الهدىٰ للشامي ٧/١٥٤).

وإيثارُ التواضع في المجالس والمحافل وتركُ الهَزْلِ والدُّعابة والرِّفقُ بالمتعلم والتأنِّي بالمُتَعَجْرِفِ. . . . .

المَكَسَةِ[1] وذوي الولاية الجائرة.

(وإيثارُ التواضع) لاسيما لمن يعلِّمه العلم، لاسيما (في المجالس) العلمية، (والمحافل) وهي المجالس التي يجتمع الناس فيها بكثرة، جمع مَحْفِلٍ[2]؛ وفي الحديث: «كان صلىٰ الله عليه وسلم إذا انتهىٰ إلىٰ القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه». (وتركُ الهَزْلِ والدُّعابة) بالدال المهملة والمراد ترك المزاح مطلقاً سداً للذريعة وحسماً للباب، أو تركه إلا نادراً بشرطه وعليه يحمل المزاح النبوي ومَزْحُ بعض الصحابة مع بعض.

(والرِّفقُ بالمتعلم) في تعليمه كعدم نَهْرِه وسَبِّه بنحو: يا مُهْمِل إلا إن اقتضاه الحال، (والتأنِّي) التربص علىٰ وجه الرفق (بالمُتَعَجْرِفِ) وهو من لا يحسن السؤال، أو يَدَّعي العلم ولا يعلمه، قال في "القاموس" العَجْرَفَة: جَفْوة في الكلام، وخُرْق في العمل، والإقدام

---

(١) جمع ماكس، قال في المصباح المنير: وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء (مادة/مكس).

(٢) بوزن مجلس.

وإصلاحُ البَلِيدِ بحُسْنِ الإرشاد وتركُ الحَرَدِ عليه وتركُ الأَنَفَةِ مِنْ قول لا أدري وصَرْفُ الهِمَّةِ إلىٰ السائل. . . . .

في هَوَج، والتَّعَجْرُف[1]: قلة المبالاة، وفلان يتعجرف بمعنىٰ يتكبر ولا يهاب.

(وإصلاحُ البَلِيدِ) أي: بعيد الفهم (بحُسْنِ الإرشاد) له حسب الطاقة والجُهد، وفي حديث أبي نعيم «إن الله لم يبعثني حَنِقاً[2]، ولكن بعثني معلماً ميسِّرا» (وتركُ) أي: بترك (الحَرَدِ) بالحاء المهملة أي: الحَنَق والحِدَّة (عليه)، وإن كان الصبر عليه كالصبر علىٰ بعض المِحَن العظام، ولا ينبئك مثل خبير، (وتركُ الأَنَفَةِ) أي: الكراهية والغَيظ وأَشَر النفس وتمنُّعها (مِنْ قول لا أدري) أو لا أعلم، فقول ذلك نصف العلم كما ورد.

(وصَرْفُ الهِمَّةِ) أي: الوجه والاهتمام (إلىٰ السائل) لاسيما النجيب أو العامي، وفي حديث أبي نعيم من رواية أبي سعيد: «كان إذا جاءه الشباب أي: من طلاب العلم قال: مرحباً بوَصِيَّةِ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أُمِرْنَا أن نُفَهِّمكم الحديث ونُوَسِّع لكم في المجلس». وفي رواية: «كنا نأتي أبا سعيد الخُدْري ونحن غلمان نسأله، فكان يقول: مرحباً بوصية رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم،

---

(١) والعَجْرَفَة والعَجْرَفية بمعنىٰ واحد (القاموس/العجرفة).

(٢) الحنَق: الغيظ، أو شدته، وحنق كفرح (القاموس/ الحنق).

وتفهُّمُ سؤاله وقَبولُ الحُجَّة والانقيادُ للحق بالرجوع إليه عند الهَفْوَةِ، ومَنْعُ المتعلم مِنْ كلِّ علم يَضُرُّه. . . . .

سمعته صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «سيأتي عليكم ناس يتفقهون ففقِّهوهم وأحسنوا تعليمهم» وكان يُجيبنا إلىٰ مسائلنا، وإذا نَفِدَتْ حدثنا حتىٰ نَمَلَّ. (وتفهُّمُ سؤاله) كيف إن كان مما يفهم، (وقَبولُ الحُجَّة) أي: الدليل الواضح الحجة.

(والانقيادُ للحق بالرجوع[1] إليه عند الهَفْوَة، ومَنْعُ المتعلم مِنْ كلِّ علم يَضُرُّه) كعلم السِّحر والنجوم والرَّمْل[2] علىٰ ما صرح به المصنف في الثلاثة، أو المراد من كل تعلُّمِ عِلْم يضرُّه، فالضرر راجع

---

(١) في نسخة (م) والرجوعُ.

(٢) ويسمىٰ علم الرمال، يحرم تعلمه وتعليمه لما فيه من إيهام الاطلاع علىٰ الغيب؛ وهو الاستدلال علىٰ أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل، وهي اثناعشر شكلاً علىٰ عدد البروج، وأكثر مسائله تخمينية مبنية علىٰ التجارب. فليس بتام الكفاية فهو غير يقيني. وكأن الاشارة إليه بقول النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-: «إنه كان نبيٌّ يخطُّ، فمن وافق خطَّه فذاك»؛ إلىٰ هذه التجارب. وقيل هو إدريس عليه السلام، وهو معجزة له والمراد التعليق بالمحال، وإلا لَمَا بقي فرق بين المعجزة والصناعة. (ر: إرشاد القاصد إلىٰ أسنىٰ المقاصد للمعروف بابن الأكفاني ص ١٣٧ وحاشية الجمل علىٰ الجلالين ٤/ ١٢٤ عند الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ الأحقاف/٤ وأبجد العلوم للقنوجي ص ٤٠٧ وفتوىٰ ابن حجر الهيتمي في فتاواه الحديثية (ص ١٥٩-١٦١).

وزَجرُه عن أن يريد بالعلم النافع غيرَ وجه الله تعالىٰ وصَدُّ المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وإصلاحُ ظاهره وباطنه بالتقوىٰ ومؤاخَذَةُ نَفْسِهِ بالتقوىٰ ليقتديَ المتعلم أولاً بأعماله، ويستفيد ثانياً بأقواله. . . . .

إلىٰ التعلم، حتىٰ لو ضَرَّه تعلم بعض العلوم المتداولة منعه منه، والعالم مع المتعلم كالطبيب مع المريض.

(وزَجرُه عن أن يريد بالعلم النافع غيرَ وجه الله تعالىٰ) ويتأكد هذا الزجر إذا دلت القرينة علىٰ فساد مراد المتعلم، والبصيرة لها نفوذ في الباطن، ونور التفرُّس من نور الإيمان، (وصَدُّ المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين) الآكد من فرضها علىٰ الأصح، وما أحسن التعبير بالصد هنا، وفيما قبله بالزجر والمنع، ولا يخفىٰ نكتته للمتأمل.

(وإصلاحُ[1] ظاهره وباطنه) جميعاً (بالتقوىٰ) الراجعة للامتثال والاجتناب، (ومؤاخَذَةُ نَفْسِهِ) أي: نفس العالم بمحاسبتها (بالتقوىٰ) المذكورة، وفي الشرح بيان لنوع من محاسبة النفس (ليقتديَ المتعلم أولاً بأعماله، ويستفيد ثانياً بأقواله[2]) أي منها، وفي الشرح أيضاً بيان لجملة من آداب العالم تفصيلاً لم يذكرها المصنف وإن أشار إليها إجمالاً.

---

(١) في نسخة (م) وفرض عينه إصلاح.

(٢) في نسخة (م) من أقواله.

وإن كنتَ متعلماً فأدب المتعلم المذكور مع العالِمِ : أَنْ يبدأه بالتحية وبالسلام وأن يُقِلَّ بين يديه الكلامَ ولا يتكلَم ما لَمْ يَسْأَلْه أستاذُه ولا يسألَ أستاذَه أولاً ولا يقولَ - في معارضة قوله -: قال فلانٌ

(وإن كنتَ متعلماً) مريدا لآداب المتعلم (فأدب المتعلم المذكور) أي: آدابه (مع العالِمِ) بمعنىٰ الشيخ في العلم، وإن لم يكن عالماً بالمعنىٰ المتعارف؛ لأن العالم بهذا المعنىٰ قليل، فالمراد صاحب علم يُعَلِّم غيره (أَنْ يبدأه بالتحية وبالسلام) إذا لقيه، وفي الشرح فائدة نفيسة[١]، (وأن يُقِلَّ) المتعلم (بين يديه) أي: في حضرته (الكلامَ) المباح، (ولا) أي: بل لا (يتكلَم) في شيء (ما لَمْ يَسْأَلْه أستاذُه) العالم، (ولا يسألَ) المتعلم إذا أراد سؤالاً، وإذا سأل فبلطف وحُسْن، ففي الحديث: «حُسْنُ السؤال نصف العلم» رواه أبو نعيم (أستاذَه أولاً[٢]) في السؤال.

(ولا يقولَ -في معارضة قوله-:) أي: قول الأستاذ (قال فلانٌ)

---

(١) أخذ الشارح من قول المصنف هنا: الردَّ علىٰ ما يعتقده أهل الرياسة الدنيوية أن من الأدب أن لا يسلم إلا الكبير، وقد قالوا: من أخلاق المؤمن من حيث هو: أن يبدأ بالسلام من لقيه. اهـ، أقول: هناك سقط، والصواب: أن لا يسلم إلا علىٰ الكبير.

(٢) في نسخة (م) ما لم يستأذن أولاً.

خلافَ ما قلتَ ولا يشير عليه بخلاف رأيه فَيرىٰ أنه أعلمَ بالصواب من أستاذه ولا يُسَارَّ جليسَه في مجلسه ولا يلتفتْ فيه إلىٰ الجوانب بل يجلسُ مُطْرِقاً ساكناً متأدباً كأنه في الصلاة ولا يُكْثِرَ عليه عند مَلاَلَتِه. . . . .

وإنْ جلَّ (خلافَ ما قلتَ) أيها الأستاذ، أو بخلاف ما قلتم إلا إن وثق منه بمحبة التنبيه علىٰ ذلك علىٰ ما بينته في الشرح من أدب (ولا يشير) له بيده، ولا يشير (عليه بخلاف رأيه) إذا كان المتعلم أهلاً (فَيرىٰ أنه أعلمَ بالصواب من أستاذه)، فإن رؤية المتعلم ذلك في نفسه من غلطها أو تزكيتها.

(ولا يُسَارَّ) أي: يُسَارِر (جليسَه في مجلسه) أي: في مجلس الأستاذ، (ولا يلتفتْ فيه إلىٰ الجوانب) وإلىٰ بعضها، (بل يجلسُ) إن اقتضىٰ الحال جلوسه (مُطْرِقاً) بطَرْفه أو رأسه، (ساكناً) عمَّا لايعني، (متأدباً) بآداب الشريعة، لا آداب الأعاجم التي لا أصل لها، وإلىٰ بعض آداب الشريعة المتلقىٰ من آداب الصلاة أشير بقوله: (كأنه في الصلاة) ومنه ترك العبث، (ولا يُكْثِرَ) السؤال (عليه عند مَلاَلَتِه) ولو احتمالاً، لأثر عن علي[1].

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في الإحياء في الوظيفة الثالثة من وظائف المتعلم؛ قال علي رضي الله عنه: إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنِّته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سراً، ولا تغتابن =

وإذا قام قام له ولا يَتْبَعَهُ بكلامه وسؤاله ولا يسأَلَه في طريقه إلىٰ أن يبلغَ إلىٰ منزله ولا يُسيءَ الظنَّ به في أفعالٍ ظاهرُها منكَرةٌ عنده فهو أعلمُ بأسراره.........................

(وإذا قام) أو أقبل (قام له) ندباً، خلافاً لمن جنح إلىٰ الترك إذ قد يجب القيام، وبينتُ مواطن الندب والوجوب في الشرح، (ولا يَتْبَعَهُ) عند قيامه وبعده (بكلامه وسؤاله) إلا الضروري من ذلك، (ولا يسأَلَه) عن مسألة (في طريقه) لأنه ليس محل سؤال تاركاً له (إلىٰ أن يبلغَ إلىٰ منزله) أو مجلسه، والضابط أن لا يسأله في مظانِّ الاشتغال، ومنها حالة الغضب، وفَرْطِ السرور والحزن، كما بينته في الشرح.

(ولا يُسيءَ) وجوباً (الظنَّ به) مطلقاً، أو لا يسيء الظن به وجوباً أو ندباً (في أفعالٍ ظاهرُها) لا باطنها (منكَرةٌ عنده) عند التلميذ بحسب ظنه المتبينِ غالباً خطؤه، (فهو) أي: الأستاذ (أعلمُ بأسراره)

أحداً عنده، ولا تطلبن عثرته، وإن زلَّ قبلتَ معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالىٰ ما دام يحفظ أمر الله تعالىٰ، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقتَ القوم إلىٰ خدمته. اهـ

قال الزبيدي: فهذه اثنا عشر جملة تضمنت الآداب وكشفت عن وجه الحق النقاب..

وكثرة السؤال ليس بممنوع وإنما الممنوع منه الكثرة الموجبة لملل المعلم ولحدوث الغرور في نفس المتعلم. (ر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١/٣١٧-٣١٨).

وليذكُرْ عند ذلك قولَ موسىٰ للخَضِرِ عليهما الصلاة والسلام : ﴿أَخَرَقْتَهَا

أسرار نفسه، ولأن سوء الظن عند فَقْدِ مقتضاه الشرعي مذموم مطلقاً فكيف مع الأستاذ المطلوب معه حسن الاعتقاد، المَخْشِيّ عند ضده العَطَب، نسأل الله السلامة والسداد؛ وأخبرني بعض الأشياخ عندما أَحَسَّ مني خشية من معاشرته أن الشيخ المتمكِّن لا يحصل منه عطب ولا سَلْب، وغاية ما يحصل منه فقد الانتفاع والازدياد عند الموجب.

(وليذكُرْ عند ذلك) أي: عند شهود الأفعال المذكورة (قولَ موسىٰ) الكليم (للخَضِرِ) أبي العباس (عليهما الصلاة والسلام)، وهذا يشهد لترجيح نبوته، وهو المعتمد، وفي الشرح بيان الخلاف فيها، وفي اسمه ووالده وعمره، وغرائب في ذلك[1]، (أَخرَقْتَها) بالفأس

---

(١) للحافظ ابن حجر العسقلاني ترجمة واسعة عن سيدنا الخضر • عليه وعلىٰ نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه- في كتابه الإصابة ١/٤٨٩-٥١٣: وأنه داخل في تعريف الصحابي علىٰ أحد الأقوال، ونقل قول النووي في تهذيبه: قال: الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرها. وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين اهـ. وقد سئل السيوطي عن حياة الخضر نظماً فأجاب نظماً ومنه:

خضر وإلياس بأرض مثل ما ... عيسىٰ وإدريس بقوا بسماء

انظر السؤال والجواب في الحاوي للفتاوي ٢/١٣٩.

﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وكونَه مخطئاً في إنكاره اعتماداً علىٰ الظاهر وإنْ كان لك والِدَانِ فأدب الولد مع الوالدين: أَنْ يسمع كلامَهُما. . .

بإخراج لوحين من ألواحها (لتغرِقَ أهلها[١]) فإن خَرْقها سببٌ لدخول الماء فيها المفضي إلىٰ غرقهم (و) ليذكر (كونَه) أي: كون المتعلمْ (مخطئاً) لا موسىٰ عليه السلام؛ لأنه معصوم من الخطأ بمعنىٰ العصيان ولو سهوا علىٰ الأصح، فيتعين التأويل علىٰ ما بسطته في الشرح، ولا يقال هذا خلاف الظاهر، لأنا نقول: هذا شأن التأويل.

فإن قلتَ: لم لَمْ يُحمل علىٰ الظاهر بإعادة الضمير إلىٰ موسىٰ مع حمل الخطأ علىٰ خطأ الاجتهاد الذي لا إثم فيه؟.

قلتُ: هذا الحَمْلُ فيه وَحْشَةُ نسبة الخطأ إلىٰ المعصوم، وإن لم يلزم من الخطأ العصيان واللائق بنا صَوْنُ مَنْصِبِه عن هذه النسبة، (في إنكاره) الذي سببه ما نبه عليه بقوله: (اعتماداً علىٰ الظاهر) الذي لا يليق الاعتماد عليه مع رفض رعاية الباطن.

(وإنْ كان لك والِدَانِ) أو جَدَّان لأن الجَدَّ والد، (فأدب الولد) ولو ولدَ رضاع لأنه ولد شرعاً (مع الوالدين) الشاملَين للأجداد والجدات (أَنْ يسمع كلامَهُما) استماع قبول، فتركُه إذا ترتب عليه تَأَذٍ ليس بالهَيِّن عقوقٌ، وهو كبيرة، لكن يُشْكِلُ الحال في الوالد

---

(١) تتمة الآية: لقد جئت شيئاً إمراً (الكهف /٧١).

ويقومَ لقيامهما ويَمتثلَ أمرهما ولا يمشي أمامَهما ولا يَرفعَ صوتَه فوق صوتهما ويلبِّي دعوتَهما ويَحرصَ علىٰ طلب مرضاتهما ويَخفضَ لهما جَنَاحَ الذُّلِّ ولا يَمُنَّنَّ عليهما بالبِرِّ لهما. . . . .

الأحمق، والجواب في الشرح؛ (ويقومَ لقيامهما) عن قدوم سفر وغيره، (ويَمتثلَ أمرهما) ما لم يكن في معصية، والظاهر: وجوب الامتثال وإن عُدَّ في الآداب، (ولا يمشي) ندباً (أمامَهما) كما نقل عن عليٍّ بالنسبة إلىٰ الشيخ، وهو في المعنىٰ والد علىٰ تفصيل في الشرح، (ولا يَرفعَ) ندباً (صوتَه) لاسيما الجَهْوَرِيَّ[1] (فوق صوتهما) لمأخذ في الشرح، (ويلبِّي) ندباً (دعوتَهما) أي: نداءهما بأي صيغة كانت، لا فرق بين لبَّيك ونعم، (ويَحرصَ) ندباً كمال الحرص (علىٰ طلب مرضاتهما) فعلاً وقولاً فإنَّ فيها رضا الله تعالىٰ.

وفي هذا الحرص والطلب جميع الآداب المطلوبة، لكن نَصَّ علىٰ ما بعده اهتماماً واتباعاً لما في الآية فقال: (ويَخفضَ لهما جَنَاحَ الذُّلِّ) أي: يتذلل ويتواضع لهما علىٰ ما في الشرح أخذاً مما قيل في الآية، (ولا يَمُنَّنَّ عليهما) لأن المَنَّ حرام، (بالبِرِّ) المالي الحاصل منه (لهما)، فإن المال لا يفتخر به ذوو المروآت، فكيف مع الآباء

---

(١) من الأخطاء الشائعة قول بعضهم: فلان له صوت جَهُوري. بفتح الجيم وضم الهاء. والصواب: بتسكين الهاء أو جَهِير الصوت. معجم الأخطاء الشائعة للعدناني ص (٥٨).

ولا بالقيام بأمرهما ولا يَنظرَ إليهما شَزْراً ولا يُقَطِّبَ وجهَه في وجوههما ولا يُسافرَ إلا بإذنهما واعلم: أَنَّ الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أقسام: إما مَجَاهيل وإما أصدقاء وإما معارف فإن بُلِيتَ بالعَوَامِّ المجهولين فأدبُ مُجالسة العامَّةِ: . . . .

والأمهات، بل ولا بالبِرِّ غير المالي كما يشعر به قوله: (ولا بالقيام بأمرهما) الأعم من البر كما ذكرته في الشرح، (ولا يَنظرَ إليهما شَزْراً) لأنه إيذاء إذ يَجُرُّ إليه، والشَّزْرُ نظرُ غَضَبٍ بمُؤخرِ العين عن اليمين والشمال[١]، (ولا يُقَطِّبَ وجهَه) يقبِّض ما بين عينيه كما يفعل العَبوس (في وجوههما) للعلة المذكورة، (ولا يُسافرَ) ندباً أو وجوباً إن كان مقيماً، ولا يقيم إن كان مسافراً (إلا بإذنهما)، نعم سفره لعلم أو تجارة بشرطها جائز وإن تأذَّيا، لكن إن جَازَ فالأولىٰ تركه إلا إِنْ أوقعه الترك في ضرر الجهل، أو الضرورة علىٰ بحثٍ في الشرح.

(واعلم: أنَّ الناس) من حيث هم (بعد هؤلاء) المذكورين (في حقك ثلاثة أقسام: إما مَجَاهيل) وهذا قسم أول (وإما أصدقاء) وهذا ثان، (وإما معارف) وهذا ثالث؛ (فإن بُلِيتَ) من القسم الأول (بالعَوَامِّ) منه (المجهولين) فلهم آداب مخصوصة نحو الستة أشير إليها بقوله: (فأدبُ مُجالسة العامَّةِ) هذه الستة: الأول:

---

(١) شَزَرَه، وإليه يَشزِرُه: نظر منه في أحد شقيه، أو هو نظر فيه إعراض، أو نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر عن يمين وشمال. (القاموس/ شزره).

تركُ الخوض معهم في حديثهم وقِلَّةُ الإصغاء إلىٰ أراجيفهم والتغافُلُ عما يجري من سُوء ألفاظهم و الاحترازُ من كثرةِ لقائهم والحاجةِ إليهم.........................

(تركُ الخوض معهم في حديثهم)، وفي التعبير بالخوض إشارة إلىٰ أن بعض المشاركة فيه لا تُخِلُّ بهذا الأدب.

(و) الثاني (قِلَّةُ الإصغاء) أي: الاستماع (إلىٰ أراجيفهم) الباطلة المُرْجفة، والإرجاف يدور معناه علىٰ الزلزلة والاضطراب والخوض في أخبارهم السيئة ونحوها، والأليق بالمقام: الأخير، وفي التعبير بالقلة دون عدم الإصغاء إشارة إلىٰ أن الإصغاء علىٰ سبيل الندور لا يخل بالأدب أيضا بل ربما يترتب علىٰ بعض المشاركة والإصغاء مصلحةٌ واستمالة لهم، ونَسجُ مودَّة بِجَلْب مصلحة أو درء مفسدة.

(و) الثالث (التغافُلُ عما يجري) يَسْبِقُ (من سُوء ألفاظهم) أي ألفاظهم السيئة.

(و) الرابع (الاحترازُ من كثرةِ لقائهم و) من (الحاجةِ إليهم)، فإن لقاءهم ضياع للوقت، وفي ألفاظهم وَحشة للسمع، وفي أراجيفهم إرجاف للقلب، وفي الخوض في حديثهم تَشْغُيبُ اللسان بما يشبه الهَذَيان، وفي الحاجة إليهم ذُلٌّ للقلب والجُثْمان.

والتنبيهُ علىٰ منكراتهم بلطف و النُّصْح عند رجاء القَبول منهم وأما الإخوة و الأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان إحداهما : أَنْ تَطْلُبَ أولاً شروطَ الصحبة والصداقة. . . . .

وإلىٰ الأدب الخامس أشير بقوله (والتنبيهُ علىٰ منكراتهم بلطف[1]) وهذا اللطف شرط في النهي عن كل منكر، ولعمري إن للُّطف سَرَياناً في النفع وإزالة للشدة، ومن ثَمَّ كان لاسم الله اللطيف تأثير في زوالها ليس لغيره من الأسماء.

(و) السادس (النُّصْحِ عند رجاء القَبول منهم)؛ ولَمَّا تكلَّم علىٰ آداب القسم الأول من الثلاثة لم يَبْقَ إلا التكلم علىٰ آداب القسمين، ·· كرها ضمناً فيما سيذكره فقال:

(وأما الإخوة و) هم المراد بِـ(الأصدقاء) ولم يعكس؛ لأنه جعل أحد الأقسام لا الإخوة ولأنه ليس كالأخ صديق؛ ولذا قيل لبعضهم: أيما أحب إليك أو أفضل لديك أخوك أم صديقك؟ فقال: أخي إذا كان صديقي، (فعليك فيهم وظيفتان) مهمتان (إحداهما: أَنْ تَطْلُبَ أولاً) قبل علمك بآداب الأصدقاء (شروطَ الصحبة) التي هي أعم من الصداقة وأوسع دائرة، (و) شروط (الصداقة) التي منها رُقِّيَ الصِّدِّيق من بين الصحابة إلىٰ مرتبة عَلاَ بها علىٰ أعيان القرابة.

---

(١) في نسخة (م) باللطف.

فلا تُوَاخِ إلا من يَصْلُحُ للمؤاخاة قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : المرء علىٰ دين خليله فلينظُرْ أحدُكم مَنْ يُخالِلْ. فإذا طلبتَ رفيقاً ليكون شريكَكَ في التعلم وصاحبَكَ في أمر دينك ودنياك، فَرَاعِ فيه خَمْسَ خصال الأولىٰ ـ العقل : فلا خَيْرَ في صُحْبَة الأحمق فإلىٰ الوَحْشَةِ والقَطِيعَةِ يَرجعُ آخِرُهَا.........

(فلا تُوَاخِ) أي: تجعل أخَا مودةٍ تعدّه للسراء والضراء، والمراد فلا تصاحب (إلا من يَصْلُحُ للمؤاخاة) المشار إليها آنفاً لها، أو المؤاخاة بمعنىٰ الصحبة، ودليل طلب هذا التواخي حديث أبي هريرة الذي خرجه الحافظ أبو داود والترمذي واستدل به حيث قال: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «المرء علىٰ دين خليله») صاحبه، أو أخي مودته، أو رفيقه، أو صديقه، لكن لفظ حديثهما: «الرجل علىٰ دين خليله». (فلينظُرْ أحدُكم) بعين الاختيار والاصطفاء ويلتمس (مَنْ يُخالِلْ) أي يُخَالُّه في دينه ودنياه.

(فإذا طلبتَ رفيقاً) في السفر، وكذا في الحضر (ليكون شريكَكَ في التعلم) للعلم، (وصاحبَكَ في أمر دينك ودنياك، فَرَاعِ فيه خَمْسَ خصال: الأولىٰ العقل:) الغريزي والاكتسابي، لكن الظاهر أن المراد الثاني؛ لأن الأول مناط التكليف، ويشعر بهذا المراد قوله: (فلا خَيْرَ في صُحْبَة الأحمق) أي: غير العاقل بالمعنىٰ الثاني، (فإلىٰ الوَحْشَةِ والنُّفْرة (والقَطِيعَةِ يَرجعُ آخِرُهَا) أي: صحبته، لأنه يريد النفع فيضر،

وأحسنُ أحوالِهِ أن يَضُرَّكَ وهو يريد أن ينفعك والعدُوُّ العاقلُ خيرٌ من الصَّدِيقِ الأحمق قال أميرُ المؤمنين عليٌّ. . . . .

بل قال المصنف: (وأحسنُ أحوالِهِ) أي: وُدِّه (أن يَضُرَّكَ وهو يريد أن ينفعك) لعل المراد أنه يريد أن ينفعك فيضرك، (والعدُوُّ العاقلُ) أي: غير الأحمق (خيرٌ من الصَّدِيقِ الأحمق) للعلة السابقة.

(قال أميرُ المؤمنين) بتأميره صلىٰ الله عليه وسلم له عليهم بالفعل في مواطن، ولثبوت معنىٰ الأمر به له عليهم في جميع الأماكن، وسَمَه في بعضها بأمير النَّحْل[1]، ولذلك نكتة لطيفة وحكمة شريفة ليس هذا محل ذِكْرها (عليٌّ) اسماً ومعنىٰ، المرتضىٰ لقباً وقولاً وفعلاً الوارد في مناقبه من حيث الكثرة ما لم يَرِدْ في غيره، حتىٰ نقل الذهبي في تاريخه في ترجمة بعض الأئمة أن لـه سبعين خصوصية[2]، ومـن حيث الجَلاَلَة ما لم يَرِدْ مثله عند أهل السنة في حق غير الشيخين، وعند

(١) في الأمثال للرامهرمزي: عليٌّ يعسوب المؤمنين. ورواه الطبراني من حـديث أبي ذر وسلمان، وعند الديلمي من حديث الحسن بن علـي.. وأخـرج الخطـابي في غريبه عن أسيد بن صفوان قال: لما مات أبو بكر قام علي علىٰ باب البيت الـذي هو مسجّىٰ فيه، فقال: كنتَ والله للدين يعسوباً: أولاً حين نفر الناس عنه، وآخراً حين فيَّلوا (أي حين قال رأيهم فلم يستبينوا الحق) طرت بعبابها، وفـزت... اهـ فيسمون كل رئيس يعسوباً. قال ثعلب: اليعسوب الذكر من النحل الـذي يقـدمها ويحامي عنها. (ر: كشف الخفا للعجلوني ١/ ٢٢٨).

(٢) ترجم الإمام الذهبي لسيدنا علي – رضي الله عنه – في تاريخه (عهد الخلفاء الراشـدين) من ص ٦٢١-٦٥٢ قال آخرها: ولو استوعبنا أخبار أمير المؤمنين لطال الكتاب.

رضي الله عنه وعنهم هذه الأبيات :

ولا تَصْحَبْ أخـا الجهـل وإيـــــاك وإيـــــاه
فكــم مِــنْ جاهــل أَرْدىٰ حليمــاً حــين واخــاه
يُقــاسُ المــرء بــالمرء إذا مــا هُــوَّ ماشــاه
كحَــذْوِ النَّعْــل بالنعــل إذا مــا النَّعْــل حــاذاه
وللشــيء مــن الشــيء مقــاييسٌ وأشــباه
وللقلــب علــىٰ القلــب دليــلٌ حــين يلقــاه

أكثرهم في حق غير الثلاثة (رضي الله عنه وعنهم) وعن سائر الصحابة، (هذه الأبيات) وفي نسخة شعراً أو يؤيد هذه النسخة قوله فيما يأتي:

(ولا تَصْحَبْ أخـا الجهـل وإيـــــاك وإيـــــاه
فكــم مِــنْ جاهــل أَرْدىٰ حليمــاً..................)
من الحلم، أو "حكيماً" من الحكمة، والمراد أردىٰ عاقلاً

.... (حــين واخــاه
يُقــاسُ المــرء بــالمرء إذا مــا هُــوَّ ماشــاه
كحَــذْوِ النَّعْــل بالنعــل إذا مــا النَّعْــل حــاذاه
وللشــيء مــن الشــيء مقــاييسٌ وأشــباه
وللقلــب علــىٰ القلــب دليــلٌ حــين يلقــاه)

. . . .

أي: صاحبه، ولا يقال العاقل لا يَرْدَىٰ[١]؛ لأنا نقول وَرَدَ: " إذا أراد الله نَفَاذَ أَمْرٍ سَلَبَ ذوي العقول عقولهم حتىٰ يَنْفُذَ فيهم قضاؤه" ولأن للصحبة تأثيراً عجيباً في النفع والضُّرِّ يشير إليه الحديث الصحيح «ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور، فإنما يُلَبِّسُ علينا القرآن أولئك» والمراد بالقرآن الصلاة، وفي لفظ: يلبسون علينا الصلاة أو صلاة، ويشير إليه حديث: «يا أيها الناس إنها كانت أُبِينَتْ لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم، فتلاحىٰ فلان وفلان فَرُفِعَتْ». وحديث أحمد والبيهقي: «يا رسول الله أَبْطَأَ عنك جبريل، فقال: ولِمَ لا يُبطِئ عني وأنتم حولي لا تَستَنُّون[٢]، ولا تُقلِّمون أظفاركم، ولاَ تقصُّون شواربكم، ولا تنقُّون رَوَاجِبكم[٣]».

قال بعضهم: والصاحب الصالح في أصحاب السوء كبياض في سواد، وعكسه بعكسه، لكن الأول أرجىٰ لنفع أصحابه دون الثاني، فإنَّ أدنىٰ سواد في بياض يعيبه بخلاف عكسه، وقد قال بعض العارفين لمن ذكر الدنيا بلسانه: أن يطهره بالمضمضة؛ وهذا منه تنبيه علىٰ أن مجرد المصاحبة القولية من الذكر السوء باللسان دَعَتْ إلىٰ تطهيره، وهذا غاية المبالغة في ذم الدنيا، وإن كان ورد في ذمها البليغ

---

(١) رَدِيَ، كرَضِيَ، رَدًىٰ: هَلَكَ، وأرداه (القاموس / ردىٰ).

(٢) استَنَّ: استاك.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية: هي ما بين عقد الأصابع من داخل، واحدها راجبة. [زاد القاموس: رُجْبَة] والبَرَاجم: العقد المتشجنة في ظاهر الأصابع. (مادة: رجب).

من القول في الخبر والأثر ما هو شهير، حتىٰ ذكر المصنف في "الإحياء" منه فوق العشرين[١]، ولو جمعتُ لك الأخبار والآثار في ذلك لبلغت سِفْراً ويُقرِّب لك هذا المعنىٰ ويوضحه ما سلف من بناء الأخلاق الذميمة علىٰ كون حب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنه خَبَرٌ بَنَىٰ المصنِّف رحمه الله بدايته بل إحياءه عليه، وفي حديث الديلمي: «إياك وصاحب السوء فإنه قطعة من نار لا ينفعك وُدُّه، ولا يفي لك بعهده». وفي رواية ابن حبان: "إياك وقرين السوء فإنك به تُعْرَفُ".

الخصلة (الثانية) من الخصال الخمس: (حُسْنُ الخُلُق) وهىٰ باعتبار شاملة للخصلة الأولىٰ لأن من لم يرزق عقلاً غريزياً وكسبياً لم يكن متصفاً بحسن الخلق؛ لأن حسنه حائز جميع الأوصاف الحسنة، وحيث كانت هذه الخصلة الثانية معتبرة في الصحبة حَسُنَ أن يقال: (فلا تَصْحَبْ مَنْ ساءَ خُلُقه)، ولما كان سيء الخلُق قد يُغْلَظُ فيه لاسيما وقد وَرَدَ: «الحِدَّةُ تعتري خيار أمتي» وفي لفظ: حَمَلَةَ القرآن،

(١) في كتاب ذم الدنيا عقد فصلاً بعنوان: بيان ذم الدنيا ذكر حُجَّةُ الإسلام فيه الآثار والأشعار وعيون كلام السلف من مثل قول الفضيل: لو كانت الدنيا من ذهب يفنىٰ، والآخرة من خزف يبقىٰ لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقىٰ علىٰ ذهب يفنىٰ فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنىٰ علىٰ ذهب يبقىٰ (ر: الإحياء٣/ ٣٢٠-٣٣٤) وهكذا لا يفضح الدنيا إلا العامل العارف، وصدق القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن تُرَدَّ الودائع

وهو الذي لا يَمْلِكُ نَفْسَه عند الغضب والشَّهْوَة وقد جَمَعَهُ عَلْقَمَةُ العُطَارِدِيُّ في وصيته لابنه لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ قال : يا بني إذا أردت صحبة إنسان فاصحب مَنْ إذا خدمتَه صانَكَ وإذا صَحِبْتَه زانَكَ وإن قَعَدَتْ بِكَ مُؤْنَةٌ. . . . .

لعِزَّة القرآن في أجوافهم، حتىٰ فَرَّقَ بعضهم بين الحدة الذميمة والحميدة بأن علامة الثانية أن يتبعها صفاء.

(وهو الذي لا يَمْلِكُ نَفْسَه) اللوامة والأمارة (عند الغضب) المذموم العَقُور، (والشَّهْوَة) الضارية الخفية والظاهرة القاهرة عند الوقوع في المحذور، ومن بُلِيَ بداء الغضب المذكور فعليه بدوائه المرقوم في كتب السنة المشهور، وبينته في كتابي كتاب الأخلاق، وبتعريف المصنِّف لسوء الخلق عُرِفَ تعريف حسن الخلق لأنه ضده، لكن عَرَّفه بعضهم بالاعتدال في قُوَىٰ النفس وأوصافها، وهو تعريف حسن، وقد جمعته مع الكلام فيه في كتابي كتاب الأخلاق المرتبة علىٰ الحروف علىٰ أحسن سَنَنٍ.

(وقد جَمَعَهُ) أي: حسن الخلق بمعنىٰ: جمع خصاله أومهماتها (عَلْقَمَةُ العُطَارِدِيُّ في وصيته) المشهورة (لابنه لما حَضَرَتْهُ) أي: حضرت علقمة (الوفاةُ قال: يا بني إذا أردت صحبة إنسان) من الأناسي (فاصحب) منهم (مَنْ إذا خدمتَه) بالفعل، أو بالقوة بأن أردتَ خدمته (صانَكَ) أكْسَبَكَ الصيانة، أو مَنَعَكَ ما شانَكَ، (وإذا صَحِبْتَه زانَكَ) بصحبته، (وإن قَعَدَتْ بِكَ مُؤْنَةٌ) أي: عَجَزْتَ عن

مانَكَ اصحَبْ مَنْ إذا مَدَدْتَ يدَكَ بخير مَدَّها وإنْ رأىٰ منك حسنةً عَدَّها وإنْ رأىٰ منك سيئة سَدَّها.....................

تحصيل مؤنتك (مانَكَ[١]) قام بمَؤُنَتك، نفقتك وما تحتاج إليه من دواء ونحوه، والمَؤُنَة[٢] أعم من النفقة، وإنْ أُطلِقَ أحدهما علىٰ الآخر.

(اصحَبْ مَنْ إذا مَدَدْتَ يدَكَ بخير مَدَّها) كناية عن إذا فعلت أو أردت خيراً أعانك عليه ويسَّر لك سببه، وفي نسخة: يدك للخير مَدَّها، وفي أخرىٰ: لخيرٍ، والمعنىٰ لائح، واليد في اللغة: النعمة، (وإنْ رأىٰ منك حسنةً) واحدة أو أكثر (عَدَّها) ذكرها أو عَدَّدها في مقام الثناء عليك إنْ قَبِلَتِ العَدَّ، فقوله عَدَّها: إما كناية عن ذِكْرِها وإما عبارة عن تعدادها وحِسْبانها، وإما عَدَّها: جعلها عُدَّةً وذخيرة لصاحبها تُنشَر في وقت الحاجة؛ (وإنْ رأىٰ منك سيئة) أي: خَلَّة لمناسبة قوله (سَدَّها) لكن عبر بالسيئة للمقابلة التي هي من أنواع البديع والبلاغة، ومعنىٰ سَدَّها أصلحها بالستر والإخفاء والتوجيه،

---

(١) مَانَه يَمونُه مَوْناً: قام بكفايته فهو رجل مَمُون، والاسم: المَانَة، والمُونَة بغير همز. والتَمَوُّن كثرة النفقة علىٰ العيال (التاج/مون) فالتموُّن والمونة من العامي الفصيح.

(٢) تكتب بواوين، وبواو واحدة مما اختلفوا فيه، وكلُّه حَسَن وهي بوزن فَعُولة. وكذا اختلفوا في: شؤون ورؤوس ورجل سَؤول ويؤوس. (ر: أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٦٥).

اصحب مَنْ إذا قلتَ صَدَّق قولك وإذا حاولتَ أمراً أَمَّرَكَ وإنْ تنازعتما آثَرَكَ. وقال عليٌّ -رضي الله عنه- رَجَزاً:

بحيث فعل اللائق من السَّداد، وهو بالفتح القصد في الدِّين والسبيل، وبالكسر هو المراد في قولهم: سِدَاد من عَوَزٍ[1]، ومما يجوز فيه الوجهان: طوبىٰ لمن قوله سداد، وعَيْشُه سداد، الأول: بمعنىٰ القَصْد، والثاني: بمعنىٰ البُلْغَة، ويشهد لما أسلفته في معنىٰ سَدَّها قول الفضيل: الفُتُوَّة الصفح عن عَثَرَات الإخوان؛ وقول بعض المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ الحجر/٨٥. هو ترك التقريع والتأنيب والمعاتبة، أو هو الرضا بلا عتاب، وقيل: تَنَاسَ مساوئ الإخوان يَدُم لك وُدُّهم.

(اصحب مَنْ إذا قلتَ صَدَّق قولك) حسب إمكانه شرعاً (وإذا حاولتَ أمراً) أمراً أو غيره (أَمَّرَكَ) عليه، (وإنْ تنازعتما) فيه (آثَرَكَ) علىٰ نفسه، ولم يوجهها إليه علىٰ تفصيل سَلَفَ في مسألة الإيثار.

(وقال عليٌّ) بن أبي طالب كما في نسخة (-رضي الله عنه- رَجَزاً) أي: مقالاً علىٰ سبيل الزجر، وهو نوع معروف من الشعر، وقيل ليس منه، بل هو نوع مستقل: (إنَّ أخاكَ الحَقَّ) أي: الحقيقي الذي أخـــوته

---

(١) من الأمثال المشهورة والعَوَز: الحاجة قال في النهاية: والسِّداد: كل شيء سَدَدتَ به خَلَلاً. وبه سمي الثغر، والقارورة، والحاجة (مادة سدد).

إِنَّ أخاكَ الحَقَّ مَنْ كان معك ومَنْ يَضُرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا رَيبُ الزمان صدَّعك شَتَّتَ فيك شملَه ليَجمَعَك
الثالثة ـ الصَّلاحُ: فلا تصحب فاسقاً مُصِراً علىٰ معصية كبيرة. . .

حق وصدق (مَنْ كان معك) في حالتَي الرخاء والشدة، وإن فارقك ببدنه، (ومَنْ يَضُرُّ نفسه) حقيقة، أو لو فُرِضَ أن يَضُرَّها (لينفعك) المراد: من يبذل نفسه في نفعك علىٰ كل تقدير، (ومن إذا رَيبُ الزمان) حادِثُه وغيبُه (صدَّعك) كسَّرك، والكسر كما يكون حِساً يكون معنىٰ، أو الصدع كناية عن تكديره أو تشتيته وتفريقه، ويؤيده: (شَتَّتَ) فَرَّق (فيك) أي: في شأنك أو مِنْ أَجْلِكَ (شملَه) أي: أمره وحاجته وحاله، (ليَجمَعَك[1]) لأن جمع الأمر والشمل والهِمَّة والفِكْر من المهمات، وكأنه أريد بِجَمْعِهِ ذلك.

(الثالثة) من الخصال، وفي نسخة الثالث أي: من الأمور ومجموع الخمس: (الصَّلاحُ) أي: صلاح الدين، بل والدنيا، لأن من لم يكن صالحهما فهو غير صحيح التصرف شرعاً، (فلا تصحب فاسقاً) مطلقاً، وهو مرتكب الكبيرة، والمُصِرُّ علىٰ الصغيرة التي لا تغلب طاعاتُه علىٰ معاصيه ولا فاسقاً (مُصِرّاً علىٰ معصية كبيرة)،

---

(١) البيتان في نسخة (م) هكذا:

إن أخاك الحق من كان معك ومَنْ يَضُرُّ نَفْسَه لينفعك
ومن إذا رَيبُ الزمان صدَّعك شتَّتَ فيه شَمْلَه ليَجْمعك

لأنَّ مَنْ يخافُ الله تعالىٰ لا يُصِرُّ علىٰ كبيرة ومَنْ لا يخاف الله تعالىٰ لا تُؤْمَنُ غَائِلَتُه بل يتغيَّر بتغيُّرِ الأَعْراض قال الله تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ . . . .

وَوَصْفُ المعصية بالكِبَر والصِّغَر طريقةُ الجمهور، ونَظَرَ آخرون إلىٰ خلافه نظراً إلىٰ عظمة المَعْصِيِّ وليس المراد في كلام المصنف إخراج الفاسق غير المصر، وإنما خصه لأَجْل قوله: (**لأنَّ مَنْ يخافُ الله تعالىٰ**) كمال الخوف، أو من حيث كونه خائفاً (**لا يُصِرُّ علىٰ كبيرة**) بل خوفه يحجُرُه عن الإصرار ويمنعه منه، بل يمنعه عن مجرد الاقتراف للأوزار (**ومَنْ لا يخاف الله تعالىٰ لا تُؤْمَنُ غَائِلَتُه**) فكيف يُصْحَب؟ والغائلة العاقبة، والغائلة غوله وحِقْده وشَرُّه، (**بل**) مع عدم الأمن المذكور (**يتغيَّر**) حاله (**بتغيُّرِ الأَعْراض**) جمع عَرَض وهو ما لا يَقُوم بنَفْسه، ضد الجَوهر، لاسيما وأعراض غير الخائف المذكور فاسدة، وأحواله غير منضبطة، وغير راجعة إلىٰ قاعدة؛ نَعَم تَرْجِعُ إلىٰ قاعدة الفساد، والبناء علىٰ غير السَّداد.

وإلىٰ ذلك أشار بقوله: (**قال الله تعالىٰ**) خطاباً (**لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم:**) في سورة الكهف/ آية ٢٨ (﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾) أي: جعلناه غافلاً (﴿عَن ذِكْرِنَا﴾) أي: عبادتنا وطاعتنا وقرآننا كأمية بن خَلَف[1] في طلبه منك يا محمد أن تطرد الفقراء عن مجلسك لأجل

---

(١) قال الإمام البغوي في تفسيرها: يعني عيينة بن حصن وقيل: أمية بن خلف وقال =

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ واحذَرْ صُحْبَةَ الفاسِقِ فإِنَّ مشاهدة الفاسق والمعصية علىٰ الدَّوام تُزيلُ عن قلبك كَرَاهَةَ المعصية فيَهُونُ عليك أمرُها. . . . .

صَنَادِيد قريش، (﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾) الآية، وفي الشرح كلام علىٰ اتباعه، وبسطتُ الكلام عليه في الكلام علىٰ آية: يا داود[1]، وفي بعض النسخ ذكرها إلىٰ آخرها.

(واحذَرْ) أي: اجتنب مع الحذر (صُحْبَةَ الفاسِقِ) المتقدم تعريفه، وهذا يشهد لما قدمتُه من المزج، لأن المراد نفي صحبة فاسق مخصوص، ولا يقال إن أل في الفاسق إلىٰ المعهود، فإن العلة ترشد إلىٰ المقصود، وهي: (فإِنَّ مشاهدة الفاسق والمعصية) الملاحظة في ضمن مشاهدته، أو الحاصلة من مجالسته إيناساً له في وقت من الأوقات، أو في كثير من الأحوال (علىٰ الدَّوام) النسبي (تُزيلُ) باعتبار شؤم الفسق والمعصية، (عن قلبك كَرَاهَةَ المعصية)، وفي نسخة: وقع المعصية، والمعنىٰ قريب، ويزيده توضيحاً قوله: (فيَهُونُ عليك أمرُها) فإن إِلْفَ النَّفْس شيئاً ومخالطتها له علىٰ وجه لا هيبة معه يقتضي ذلك.

ابن عطية في تفسيرها: روىٰ سلمان: أن المؤلفة قلوبهم عيينة بن حصن والأقـرع ابن حابس وذويهم قالوا: ماذكر، فنزلت الآية في ذلك.

(١) سورة ص٢٦.

ولذلك هَانَ علىٰ القلوب معصيةُ الغِيبَةِ لِإِلْفِهم لها ولو رأوا خاتَماً من ذهب، أو ملبوساً من حرير علىٰ فقيه لاشتدَّ إنكارهم عليه، والغيبةُ أشدُّ من ذلك.........................

وإليه أشير بقوله: (ولذلك) أي: ولأجل ذلك (هَانَ) حَقُرَ وصَغُر (علىٰ القلوب) أي: النفوس الأمَّارات أو اللَّوَّامات، أو علىٰ أرباب النفوس المذكورة (معصيةُ الغيبَةِ) أي: معصية هي الغيبة (لإِلْفهم لها) في مجالسهم ومحافلهم، حتىٰ صارت عادة مُحكَّمَةً، بل لحماً مأكولاً فيها حتىٰ كادوا لا يرونها محرمة، بل يرونها نَقْلَ[1] مجالسهم وفاكهةَ مجالسهم ومن أنكرها عليهم باللسان زجروه ومَقَتُوه بالجَنان، (ولو رأوا) أي: أرباب القلوب المذكورة، أو هي والإسناد إليها مجاز (خاتَماً) بفتح التاء وكسرها (من) فضة وقد كبر عُرْفاً، أو (ذهب، أو ملبوساً من حرير) خالص أو أكثره حرير (علىٰ فقيه) في باب اللباس (لاشتدَّ إنكارهم عليه، والغيبةُ) لو دَرَوا (أشدُّ من ذلك) لِمَا تقدم في كلام المصنف: أنها أشد من ثلاثين زَنْية، ولما تقدم في الحديث أنها أشد من ستة وثلاثين زنية بالأُمِّ، بل روي، جوف الكعبة.

وأذْكَرَنِي قولُ المصنف هنا ما سمعته ذات يوم من شيخنا أبي الحسن البكري، وهو أنه يقع من بعض الناس بالمَسْعَىٰ مَكْسٌ أو

---

(١) النَّقْلُ: ما يُتنقل به علىٰ الشَّراب، وقد يُضَمّ.وذُكر بفتح النون والقاف، وجمعه: أنْقَال. (التاج/نقل).

الرابعة- أن لا يكون حريصاً علىٰ الدنيا: فصحبة الحريص علىٰ الدنيا سُمٌّ قاتلٌ لأنَّ الطِّبَاع مَجْبُولةٌ علىٰ التشبُّه. . . . .

ضرب ظلماً، فلا تنكره النفوس كإنكارها علىٰ شارب خمر علىٰ باب المسجد، مع أن الأول أفحش وأشد إثماً، ولا سبب لذلك إلا . . ف وعدَمه، وإنما خَصَّ المصنِّف رحمه الله الفقيه بالذِّكْر لأنه مُمْتَهَن في ألسنتهم، مضغة فيها، هَدَفٌ لسِهَام طَعْنِهم، يَغُضُّون عن مَحَاسِنه ويسترونها، وينظرون إلىٰ مساويه وينشرونها، وفي مساويهم شاغل ومَقْنَع لهم، كما أن في محاسنه ما يَغفِرُ: منها تَصَدِّيه لكشف معضلة تنزل بهم يبين فيها حُكْمَ الله لهم.

ومن عجائب بعضهم إنكارهم علىٰ بعض الفقهاء نحو طُول الكُمِّ وكِبَرِ العمامة، جاهلين تفصيل الأئمة في ذلك، ولو أنْصَفَ لَعَلِمَ أن الفقهاء هم الناس، ودعا لهم بما يَذُودُ ويدفع عنهم كل باس، لِمَا سلف أنهم بصدد بيان أحكام الله ونفع عباده، علىٰ أن ما يراه في أحدهم من عِوَجٍ حَسَنٌ اعتقادُه.

(الرابعة) من الخصال الخمس، وفي نسخة الرابع، وتقدم توجيهها: (أن لا يكون حريصاً علىٰ الدنيا)، والحرص وإن كان قلبياً فله أمارات لا تَخفىٰ، فلذا لم يذكرها ولم يبال بكونه قلبياً فقال: (فصحبة الحريص علىٰ الدنيا) الضارة القاتلة (سُمٌّ) مثلث السين (قاتلٌ) حالاً أو مآلاً لكن في قتله خفاء، وإليه أشير بقوله: (لأنَّ الطِّبَاع) بحسب ما خُلقت عليه (مَجْبُولةٌ) مطبوعة (علىٰ التشبُّه

والاقتداء بل الطَّبْعُ يَسْرِقُ من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تَزيد في حِرْصِكَ ومجالسةُ الزاهد تَزيد في زهدك الخامسة- الصِّدْقُ: فلا تصحب كاذباً..............

والاقتداءِ) بجليسها أو صاحبها، (بل الطَّبْعُ) الإنساني السليم (يَسْرِقُ من الطبع) الملائم له (من حيث لا يدري) الطبع أن لو كان له دراية بمعنىٰ إدارك لقوة السريان، وتوفر دواعي المسارقة، أو من حيث لا يُدرىٰ بالبناء للمفعول، وفي نسخة من حيث لا يدري الإنسان.

(فمجالسة الحريص) علىٰ الدنيا (تَزيد في حِرْصِكَ) وطمعك، (ومجالسةُ الزاهد) ضد الحريص، أو المراد بالزاهد المخصوص باسم خاص في اصطلاحهم (تَزيد في زهدك)، فإن من كان لباسه ومأكله ومأواه شعار الزهد حَمَلَه عليه، أو علىٰ الزيادة منه، وعكسه بعكسه، ولهذا كانت الملابس الفاخرة شعَار الطائفة الشاذلية فتنة للضعفاء بل بعض الأقوياء في صحبتهم أحياناً نسأل الله الثبات.

(الخامسة) من الخصال (الصِّدْقُ) في المقال لأنه أساس، والكذب حَيْضُ الرجال، وفائدة الصدق عند الصوفي عمارة القلب بالأنس، (فلا تصحب كاذباً) في المقال، بل ولا في فعل ولا حال، لأن الصدق يدخل في جميع الأحوال، وفي نسخة كذاباً أي: كثير الكذب؛ لأن كذاب صيغة مبالغة، وقد يراد بها أصل الفعل، فيحتمل أن يكون المراد النهي عن صحبة كثير الكذب، لاسيما المشهور به، أو صحبة الكاذب ولو مرة لغير عذر، لأن الكذب مراراً يجوز لأعذار، والكذب لو مَرَّةً لغير عذر

فإنك منه علىٰ غُرور وهو كالسَّراب يُقرِّبُ منك البعيد، ويبعد منك القريب ولعلَّكَ تَعْدَمُ اجتماعَ هذه الخصال في سُكَّانِ المدارس والمساجد فعليك بأحدِ أمرينِ إما: العُزْلَةِ والانفرادِ

أمارة رديئة، (فإنك منه علىٰ غُرور) تظن صدقَه ويتبين خلافُه فتتأذىٰ والغرور -بضم المعجمة- الباطل أو نحوه، (وهو كالسَّراب) أي: مثله في كونه (يُقرِّبُ) بالتشديد (منك البعيد، ويبعد) بالتشديد أو التخفيف (منك القريب)، وفي تشبيه المصنف له من الحيثية المذكورة لا يمنع أن يحفظ أنه كالسراب من حيث إنه كالعدم وتدبر قوله تعالىٰ ـ عند ملاحظة حاله ـ: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ النور/٣٩. (ولعلَّكَ تَعْدَمُ اجتماعَ هذه الخصال) الخمس (في سُكَّانِ المدارس[١]) والرُّبُط[٢] (والمساجد) الذين يظهرون للناس أنهم عُمَّارها، وهم بخلاف ذلك، لأن المساجد لم تُبْنَ للسكنىٰ بل للعبادة، قال النووي: وفي قول المصنف لعلك إلىٰ آخره دلالة خبير قصد بها التحذير، فإنه رحمه الله ورضي عنه خَبَرَ أهلَ المدارس في مبدأ طلبه، وعَرَفَ مَحكَّهم معرفةَ من مَيَّزَ الدُّرَّ من مخلبه[٣].

(فعليك بأحدِ أمرينِ) أي: الزم (إما: العُزْلَةِ و) معــناها (الانفرادِ)

---

(١) في نسخة (م) المدارس والمجالس.

(٢) جمع رِباط ككتب جمع كتاب (المصباح / ربط).

(٣) هكذا في الأصل. والصواب: مَشْخَلَبِه. جاء في القاموس مادة شخلبة. المشخلبة: كلمة عراقية خَرَزٌ بيض يشاكل اللؤلؤ أو الحلي يتخذ من الليف والخـرز. أفادنيـه الأخ الموفق الصديق فوزي العنجري. جزاه الله خيراً.

ففيها سلامتُك. وإِمَّا: أن تكون مخالطتك مع شركائك بقَدْرِ خصالهم بأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الإِخْوة ثلاثةٌ: أَخٌ لآخرتك فلا تُراعِ فيه إلا الدِّين. وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخُلُق الحسن. وأخ لتأنَسَ بـه

من المخالفة إلا فيما لا بد منه المخالطة، (ففيها) أي: العزلة، وفي نسخة: ففيه أي: الانفراد، (سلامتُك) من آفات الخُلْطة، وهي كآفات العزلة مبينة في "الإحياء" وغيره، فينبغي الوقوف عليها لمزيد الحاجة إليها، (وإِمَّا: أن تكون مخالطتك) وهي عدم العزلة (مع شركائك) في الصحبة (بقَدْرِ خصالهم[1]) تقريباً خصال المعاشر والمعاشرة، وإلىٰ بيان المخالطة بقَدْرِ الخصال، والحث علىٰ سلوك سبيلها الأقوم، والإعلام عما لابد منه من العلم المطلوب، مع تسمية العمل المحبوب -أشار بقوله: (بأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الإِخْوة) بسكون الهاء بعد همزة مكسورة جمع أخ، والمراد بهم: الأصحاب (ثلاثةٌ: أَخٌ) بمعنىٰ صاحب؛ لأن الكلام في بحث الصحبة (لآخرتك) وَحْدَها، أو هي مع الدنيا لكن الدنيا تابعة، (فلا تُراعِ فيه إلا الدِّين)، فإن كان دَيِّناً فاصحبه، وإلا فاجتنبه؛ (وأخ لدنياك) المعينة علىٰ الآخرة وإن كانت من قَبِيلها أو دنياك مطلقاً (فلا تراع فيه إلا الخُلُق) بضم الخاء (الحسن)، فإن كان حَسَنَه فاصحبه؛ (وأخ لتأنَسَ به) في دار الوحشة

---

(١) في نسخة (م) بقدر صَالِح خصالهم.

فلا تراع فيه إلا السلامة من شَرِّه وفتنته وخُبْثِه والناسُ ثلاثةٌ : أحدُهم : مَثَلُه مَثَلُ الغِذاءِ لا يُستغنىٰ عنه والثاني : مثله مثل الدَّوَاءِ يُحتاج إليه في وقتٍ دون وقت والثالث : مثله مثل الدَّاء لا يُحتاج إليه قَطُّ قط

دار الدنيا، (فلا تراع فيه إلا السلامة من شَرِّه وفتنته وخُبْثِه)، فاصحب هذا الثالث مداراة له فقط، وقد حَثَّ الشرع عليها، وهذا عندي أهم من الوسط؛ لأنه يرجع إلىٰ جلب المصالح والثالث يرجع إلىٰ درء المفاسد، ودرؤها مقدَّم اتفاقاً وقد جرَّبتُ ذلك بالفعل مع أفرادٍ أراح الله منها البلاد، والعياذ بالله، وقد استراح العارف بالعزلة من هذا الثالث، فإنه دائماً فيها وإن كان مع الناس بجسده أعاد الله علينا من بركاته.

(والناسُ) في حق الصحبة باعتبار قِسْمةٍ عقلية (ثلاثةٌ) أقسام: (أحدُهم) لم يقل أحدها نظراً إلىٰ الناس العقلاء (مَثَلُه) بفتح الميم والمثلثة، ويجوز تسكينها مع كسر الميم، (مَثَلُ الغِذاءِ) بمعجمتين شأنه (لا يُستغنىٰ عنه والثاني) من الأقسام (مثله مثل الدَّوَاءِ يُحتاج إليه في وقتٍ) نزول الداء (دون وقت) عدم نزوله (والثالث) من الأقسام (مثله مثل الدَّاء لا يُحتاج إليه قَطُّ) هذه الكلمة التي هي كلمة (قط) استعملها المصنف في حيز المستقبل كما استعملها في غيره لكن غيره كابن هشام خَصَّ استعمالها بالماضي[1]، فليُلتمس سَنَدُ المصنف فيها

---

(١) وقال في كتابه مغني اللبيب ٥٤٩/٢: ظرف زمان لاستغراق ما مضىٰ، وتختص بالنفي.اهـ والتقرير هذا هو المشهور من كلام أهل العربية.

ولكنَّ العبدَ قد يُبتلىٰ به وهذا هو الذي لا أُنسَ فيه ولا نَفْعَ فتجب مُدَاراته. . . . .

لغة واستعمالاً من كلامهم[١] (ولكنَّ العبدَ قد يُبتلىٰ به) فيصبر ليُثَاب ويجد مخرجاً، ويتيقن أن المداراة أمر مهم وأنها مطلوبة شرعاً، وأن الحماقة أَعْيَتْ من يداويها، فإذا ابتُلِيَ العبد بصاحب أحمق فلا طريق له إلا الصبر عليه.

وإلىٰ بعض أوصافه وبعض ما ذكرته أشير بقوله (وهذا) أي الثالث (هو الذي لا أُنسَ فيه[٢] ولانَفْعَ) بوجه وحسبك سلبهما، (فتجب مُدَاراته) دفعاً لشرِّه لأن فرض المسألة أنه كالداء أو داء، وإنما شبه بالداء من حيث عدمُ الحاجة إليه، و إلا فهو داء للقلب، والمشبه به داء للجسد، وواضح أن الأول أعظم، ولذا قيل: الثقيل حُمَّىٰ الرُّوح،

---

(١) نعم وَرَدَ؛ فقد جوَّز الأستاذ محمد العدناني-رحمه الله-: في معجم الأخطاء الشائعة: لا أفعله أبداً، ولا أفعله قط. واستشهد بقول الزمخشري – وهو من أئمة العربية- عند تفسير قوله تعالىٰ في الآية ٣٢ من سورة لقمان: ﴿ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾: إن ذلك الحادث عند الخوف لا يبقىٰ لأحد قط. وقال المالكي: استعمال (قَطُّ) غير مسبوق بالنفي مما خفي علىٰ النحاة، وقد جاء في الحديث بدونه، وله نظائر. (ر: ص٢٠٧).

(٢) في نسخة (م) ولا نفع معه.

إلىٰ الخَلاَصِ من شَرِّه. . . . .

وللسيدة عائشة رضي الله عنها فيه أثر مشهور[١]، وعن بعض الكبار في مقام مُزاحه: إني إذا جلس إليَّ الثقيل أستثقل الجانب الذى يليه من بدني، وللجلال السيوطي كتاب سماه "تحفة النبلاء بأخبار الثقلاء" (إلىٰ الخَلاَصِ[٢] من شَرِّه) بمفارقته، علىٰ أن بعضهم أشار في نظم له أنه لا غنىً للإنسان عن الصحبة حيث قال منه[٣]:

النـاسُ بالنـاس فلا تنفـردْ وكـن أخَا عـزم وتَفْتـيـشِ
ما لقويٍ عن ضعيف غنىٰ لابـد للسـهم من الرِّيـش

ونحوه قول ابن عمر: "ذَلَّ من لا سفيه له".

---

(١) لم يذكره في الشرح ويريد به الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما. أما الإمام البخاري فقد أورده في بابين: باب ما يجوز من اغتاب أهل الفساد والريب، وفي باب: المداراة مع الناس؛ وهو عن عروة بن الزبير أن عائشة – رضي الله عنها– أخبرته قالت: استأذن رجل علىٰ رسول الله –صلىٰ الله عليه وسلم – فقال: ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة فلما دخل ألان له الكلام قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنتَ له الكلام؟ قال: أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه. وأورده في الأدب المفرد برقم: ١١٥٣ وله تخريج واف عند تحقيق رواية أحمد في مسنده: برقم ٢٤١٠٧

(٢) في نسخة (م) منه.

(٣) ما وقفت علىٰ القائل.

وفي مشاهدته فائدة عظيمة إِنْ وُفِّقْتَ لها وهو أَنْ تشاهِدَ من خبائِثِه وأحواله ما تستقبِحُه فتجتَنِبُه، فالسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره والمؤمن مِرْآةُ المؤمن وقيل لعيسىٰ عليه السلام مَنْ أَدَّبك؟ فقال: ما أَدَّبني أَحَدٌ، رأيتُ جهلَ الجاهل فاجتنبتُه. ولقد صَدَقَ صلىٰ الله عليه وسلم فلو اجتنب.........................

(وفي مشاهدته) الحسية بأن تكون حاضراً، أو المعنوية بأن تكون غائباً فتلحظ بفكرك أوصافه (فائدة عظيمة) من فوائد الاتعاظ (إِنْ وُفِّقْتَ لها) بأن كنتَ من أهل الشهود والاعتبار، (وهو) أي: التوفيق لها، إذ لو أريد لفائدة لقيل: وهي إلا أن يراد: المذكور (أَنْ تشاهِدَ) بعين البصيرة أو الفكر (من خبائِثِه و) سائر (أحواله) الظاهرة والباطنة (ما تستقبِحُه) أما خبائثُه فلا كلام في قبحها واستقباحها، وأما أحواله فمنها ما يُستَقبح، فلذا قال تستقبحه (فتجتَنِبُه، فالسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره والمؤمن مِرْآةُ المؤمن) وهاتان حكمتان مأثورتان جاء بهما الخبر والأثر.

(وقيل لعيسىٰ عليه) الصلاة و (السلام) كما خرجه السيوطي وغيره (مَنْ أَدَّبك؟ فقال: ما أَدَّبني أَحَدٌ، رأيتُ جهلَ الجاهل فاجتنبتُه[1]) وفي لفظ: فجانبته قال المصنف رحمه الله (ولقد صَدَقَ صلىٰ الله عليه وسلم[2]) وإلىٰ مصداق ذلك أشار بقوله: (فلو اجتنب

---

(١) في نسخة (م) فتجنبته.

(٢) في نسخة (م) علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام.

النّاسُ ما يكرهونه من غيرهم لكمُلَت آدابهم واستغنَوا عن المؤدِّب. الوظيفة الثانية: مراعاةُ حقوق الصحبة فمهما انعَقَدَتْ الصحبة وانتظمت بينك وبين شريكك فعليك حقوقٌ يُوجِبُها عقدُ الصحبة وله آدابٌ. . . . .

النّاسُ ما يكرهونه من غيرهم لكمُلَت آدابهم) الظاهرة والباطنة (واستغنَوا عن المؤدِّب) فيهما، ولذا من اجتنب منهم ما يكرهه كَمُلَ أدبه بحسب ما اجتنب.

(الوظيفة الثانية) من الوظيفتين السالفتين في قوله: فعليك وظيفتان: إحداهما أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصداقة إلىٰ آخره ثم قال: الوظيفة الثانية: (مراعاةُ حقوق الصحبة) وهي كثيرة متأكدة (فمهما) أي وقت (انعَقَدَتْ) بمعنىٰ ارتبطت وتحققت (الصحبة) لكن عَبَّر بالانعقاد؛ لقولهم عقد الصحبة، فالعقد والعهد يستعمل فيها، (وانتظمت بينك وبين شريكك) في الصحبة (فعليك) أي: يجب عليك (حقوقٌ) لا تجب بأصل الشرع أَصَالَةً، ولكن (يُوجِبُها عقدُ الصحبة) الجاري بين المتصاحبين، (وله[1]) في اصطلاحهم أركانَ وشروط و (آدابٌ)، وسبق ذكر الشروط في قوله: شرط الصحبة.

---

(١) في نسخة (م) وفي القيام بها.

وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: مثل الأخوين مَثَلُ اليدين تَغسِلُ إحداهما الأخرىٰ. ودَخَلَ صلىٰ الله عليه وسلم أَجَمَةً فاجْتَنَىٰ منها سِوَاكَين أحدُهما مُعْوَجّ، والآخر مستقيم، وكان معه بعضُ أصحابه

وإلىٰ ذكر الآداب أشير بقوله: (وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: مثل الأخوين) أي: الصاحبين في الله (مَثَلُ اليدين تَغسِلُ إحداهما الأخرىٰ) حديث رواه وخرّجه[١]، والمقصود في الحديث الحث علىٰ إعانة الصاحب الآخر، وقد جاء الحث عليها في أحاديث شتىٰ أفردها العلماء بالتصنيف منهم المنذري.

(ودَخَلَ صلىٰ الله عليه وسلم أَجَمَةً) بفتح الجيم المُلتفَّة من الأشجار، جمعها آجَام[٢]، قال في "مختصر النهاية" الآجام الحُصُون، واحدها أُجُم بالضم[٣]، (فاجْتَنَىٰ منها سِوَاكَين) أي: عُودَي استياك يحتمل أنهما من أَرَاك (أحدُهما مُعْوَجّ، والآخر مستقيم، وكان معه بعضُ أصحابه) وهو عبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان

---

(١) ناقص من الأصل وفي إتحاف السادة المتقين ٦/٢٠٤: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سلمان بلفظ: مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقي إحداهما الأخرىٰ. وهو في أول الحربيات من قول سلمان موقوف عليه.

(٢) وإِجام وأَجَمات وأُجْم وأُجُم وأَجَم. (القاموس/أجم).

(٣) أي للهمزة مع ضم الجيم. جاء في النهاية: واحدها أجم بضمتين اهـ، ويجوز: الأجم بفتح الهمزة وتسكين الجيم (القاموس/ أجم).

فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله كنتَ أحقَّ مني بالمستقيم فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما مِنْ صاحب يَصْحَبُ صاحباً ولو ساعة من نهار إلا ويُسأل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعَه؟!» وقال صلىٰالله عليه وسلم: ما اصطَحَبَ اثنان قَطُّ إلا وكان أحبُّهما إلىٰ الله أرفقَهُما بصاحبه.

(فأعطاه المستقيم) منها، (وأمسك لنفسه) الكريمة (المعوج) كراهة أن يستأثر، (فقال) البعض المذكور: (يا رسول الله كنتَ أحقَّ مني بالمستقيم) فلم تركتَ أخذه؟ (فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما مِنْ صاحب يَصْحَبُ صاحباً ولو ساعة من نهار إلا ويُسأل[1] عن صحبته هل أقام فيها حق الله) أي: حق الصحبة؟ كما في نسخة (أو أضاعَه؟!») رواه وخرّجه الحافظ السيوطي في بعض رسائله.

قلتُ: ومن حقها أن لا يستأثر الصاحب بالحَسَن علىٰ صاحبه، كما دلَّت عليه فحوىٰ الحديث المذكور، وفي الحديث: «إن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه» قال ذلك صلىٰ الله عليه وسلم فيه قصة الشاة التي قال فيها: «وعَلَيَّ جَمْعُ الحَطَب» وهي شهيرة في السِّيَر؛ (وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «ما اصطَحَبَ اثنان قَطُّ إلا وكان أحبُّهما إلىٰ الله أرفقَهُما بصاحبه»). رواه وخرجه الحافظ.

---

(١) في نسخة (م) وسُئل.

فأَدَبُ الصحبة : الإيثارُ بالمال فإن لم يمكن هذا فبَذْلُ الفَضْلِ مِنَ المال عند الحاجة والإعانةُ بالنفس في الحاجات علىٰ سبيل المبادرة مِنْ غير إِحْوَاجٍ إلىٰ التماسٍ وكتمانُ السِّرِّ وسَتْرُ العيوب والسكوتُ عن تبليغ ما يسوؤه من مَذَمَّةِ الناس إياه. . . . .

(فأَدَبُ الصحبة الإيثارُ بالمال) بأن يعطيه مع الحاجة إليه علىٰ تفصيل في الحاجة بينتُه في الشرح مع قول بعضهم بشرط أن لا يقطع الإيثارُ عليك طريقاً، ولا يُفَرِّقَ خاطرك بعد أن كان مجموعاً، (فإن لم يمكن هذا) بأن لا تقدر عليه أو لا تسمح به (فبَذْلُ الفَضْل) أي: الزيادة (مِنَ المال عند الحاجة) أي: حاجة الآخذ المتناول، لأن الصاحب إذا احتاج إلىٰ هذه الزيادة يَقْبُحُ منعه، (والإعانةُ) مع ذلك (بالنفس) فضلاً عن الولد فضلاً عن الخادم (في الحاجات) المهمة فضلاً عن السهلة (علىٰ سبيل المبادرة) التي لا يشوبها تراخ (مِنْ غير إِحْوَاجٍ إلىٰ التماسٍ) سؤال من الصاحب.

(وكتمانُ السِّرِّ) لأن في إفشائه الشَّرَّ (وسَتْرُ العيوب) المراد العيب لأن الجميع ليس بشرط، ولا يبعد أن يكون الكتمان والسَّتر واجباً، ولا ينافيه عَدُّهما في خلال الآداب، أو يقال لا كلام في وجوب الستر، وأما الكتمان فتارة وتارة (والسكوتُ عن تبليغ ما يسوؤه من مَذَمَّةِ الناس إياه) إن ترجحت مصلحة السكوت علىٰ خلافه فالمقاصد تختلف، لكن لا يقدم علىٰ التبليغ إلا إن تحقق وجود مقتضيه

وإبلاغُ ما يَسُرُّه من ثناء الناس عليه وحُسْنُ الإِصْغَاءِ عند الحديث

(وإبلاغُ ما يَسُرُّه من ثناء الناس عليه) ما لم يظن حصول الإعجاب له، وهو من المعنىٰ الذي اقتضىٰ مَنْعَ المدح في الوجه، حتىٰ ورد النهي فيه كحديث: «احثُوا التراب في وجوه المَدَّاحين». وقد جَمَعَ النوويُّ وغيره بين الأدلة الشاهدة بجواز المدح والأدلة الشاهدة بمنعه[1].

(وحُسْنُ الإِصْغَاءِ عند الحديث) الصادر من الصاحب المحادث له، ومن علامته عدم غض الطَّرْف أو صرفه عنه، ولا يقال: ينبغي أن يفصَّل بين حديث مندوب ومباح وبين خلافهما، فإن المباح فيه بطالة

(١) جاء في باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط. وخيف منه علىٰ الممدوح من كتاب الزهد في صحيح مسلم قول الإمام النووي شارحاً: [١٨/٣٢٦] قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب، ونحوه إذا سمع المدح. وأما من لا يُخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله، ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه، أو كالدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحباً والله أعلم.
وحثْو التراب في وجوههم له معنيان: إما إرادة التغليظ ولم يُرد إيقاع الفعل، وإما علىٰ طريقة العرب، تقول للمادح بالباطل: بفيك التراب، ومثله في الحديث "وللعاهر الحجر" لم يرد أنه يدفع إليه حجر وإنما أراد أنه لا شيء له إلا ما يهينه ولا ينفعه (ر: كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لابن قتيبة ص ١٤٥-١٤٩).

وتَرْكُ المُمَاراة فيه، وأن يَدْعُوَه بأَحَبِّ أسمائه إليه وأَنْ يُثْنِيَ عليه بما يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِه. . . . .

وتضييع للوقت، لاسيما إذا كان بعد صلاة العشاء، أو كان في إحرام طلب الشرع فيه ترك اللغو، لأنا نقول ينبغي أن يصغي إلىٰ حديث الصاحب وإن كان مباحاً ما لم يَطُلْ إطالة فاحشة يترتب عليها فوات مصلحة هي في نظر الشرع أهم من الإصغاء، أو يترتب عليها سآمة أو مشقة، (وتَرْكُ المُمَاراة) أي: المجادلة (فيه[1]، وأن يَدْعُوَه) يناديه ويخاطبه (بأَحَبِّ أسمائه إليه) إن تعددت الأسماء، أو باللقب أو الكنية إن لم تتعدد لأنهما أبلغ من الاسم في التعظيم، ولا يبعد أن يراد بالأسماء ما يشملهما؛ لأن الاسم يطلق علىٰ ما يشمله ويشملها كما يطلق علىٰ ما يقابلهما، وقد ورد في الحديث أن يدعوه بأحب أسمائه إليه.

(وأَنْ يُثْنِيَ عليه بما يَعْرِفُ) يتيقن أو يغلب علىٰ الظن (مِنْ مَحَاسِنِه) قيل: إذا مُدح المؤمن زِيدَ في إيمانه؛ وهذا يختلف باختلاف المؤمنين، وقال بعض العارفين: الزاهدون إذا مُدحوا انقبضوا، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا؛ لأنهم لا يشهدون الثناء إلا من

---

(١) في نسخة (م) له.

وأن يشكُرَه علىٰ صُنْعِه في حَقِّه وأن يَذُبَّ عنه في غَيْبته إذا تُعُرِّضَ لِعِرْضِه كما يذُبُّ عن نفسه وأن يَنصحه باللُّطْفِ، و التَّعريض لا إذا احتاج إليه وأن يَعفوَ عن زلَّته وهَفْوته. . . . .

الفاعل الحقيقي[١]؛ (وأن يشكُرَه علىٰ[٢] صُنْعه) الحسن فعلاً وقولاً (في حَقِّه) فإن شكره من شكر الله[٣]، (وأن يَذُبَّ عنه) أي: يطرد عنه السوء (في غَيْبته إذا تُعُرِّضَ) بضم أوله وكسر ما قبل آخره أي: تَعَرَّض أحدٌ (لعرْضه) بثَلْم، فإنَّ رَدَّ الغيبة في الغَيبة من نُصرة المسلم أخاه (كما يذُبُّ عن نفسه) إذا تُعُرِّضَ لعِرْضه.

(وأن يَنصحه) لكن (باللُّطْفِ، و) منه (التَّعريض) لا التصريح (إذا احتاج إليه) أي: إلىٰ النصح، أو إلىٰ التعريض، أو إلىٰ اللطف، أو إلىٰ المذكور الشامل للثلاثة، فإن احتاج إلىٰ التصريح صَرَّح أو إلىٰ المذكور أتىٰ به، (وأن يَعفوَ عن زلَّته وهَفْوته) إذا زَلَّ أو هَفَا[٤]، وهما

---

(١) وهذا هو التوحيد الكامل رزقنا الله حقيقة التوحيد وأنسه، ونوره وبركته وهداه.

(٢) في نسخة (م) صنيعه.

(٣) عن أبي هريرة-رضي الله عنه – عن النبي –صلىٰ الله عليه وسلم – قال: لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناسَ. رواه أبو داود والترمذي، وقال صحيح. قال الحافظ المنذري: روي هذا الحديث برفع (الله)، وبرفع (الناس)، وروي أيضاً بنصبهما، وبرفع (الله) ونصب (الناس)، وعكسه، أربع روايات (الترغيب والترهيب ٢/٧٨).

(٤) هَفَا الرجل: زَلَّ هَفْواً وهفْوةً وهفَوَاناً. (القاموس/هفا).

ولا يَعْتِبَ عليه وللناس في ذلك أبيات شتىٰ. . . . .

مترادفان أو متقاربان قال الشاعر:

ومن لم يُغَمِّضْ عينه عن صديقه　　وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُه[(١)]

وقد حث الله تعالىٰ علىٰ العفو مطلقاً عن الصديق وغيره.

(ولا يَعْتِبَ[(٢)] عليه) ظاهره مطلقاً، وفي المسألة تفصيل بين قِلَّة العَتْبِ وكثرته، (وللناس في ذلك أبيات شتىٰ) جَنَحَتْ طائفة: إلىٰ استحسان العَتْبَ وقد قيل:

إذا ذهبَ العِتابُ فليس وُدٌّ　　ويَبقىٰ الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ[(٣)]

وأخرىٰ: علىٰ خلافه، واستشهدوا علىٰ ذلك وقالوا فيه ما يستحسن، ولعل المصنف من هذا القِسْم، والحقُّ: أن الحال يختلف باختلاف الناس والدَّوَاعي والله أعلم.

---

(١) لكثير عزَّة، وفي الديوان: وهَو عاتبُ. (ص٣٣) والقصيدة في ٣١ بيتاً.

(٢) عَتَبَ عليه عَتْباً من بابي: ضرب وقتل، وعاتبه معاتبة وعِتاباً (المصباح/ عتب).

(٣) ورد في عدة كتب بلا نسبة منها: في اللسان /عتب والتاج /عتب، وفي الكتابين ذُكر قبله:

أعاتب ذا المودة من صديق　　إذا مـا رابـني منـه اجتـناب

وورد في معجم العين للفراهيدي٢/٧٦:

إذا ذهب العتاب فليس حبٌّ　　ويبـقىٰ الحبُّ ما بقي العتاب

وأن يَدعو له في صلاته، في حياته وبعد مماته وأن يُحْسِنَ الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يُؤْثِرَ التخفيفَ عنه ولا يُكَلِّفَه شيئاً من حاجاته فيُرَوِّحَ سِرَّه عن مُهِمَّاته وأَنْ يُظْهِرَ الفرحَ بجميع ما يُباح له مِنْ مَسَارِّه و الحزنَ بما يناله من مكارهه. . . . .

(وأن يَدعو له) مع إساءته في حق صاحبه (في صلاته، في حياته) حياة المسيء (وبعد مماته) ممات المسيء، فإن هذا الدعاء له من الإحسان، والإحسانُ للمسيء من الأخلاق الحِسَان فكيف الصاحب، (وأن يُحْسِنَ الوفاء مع أهله) زوجته وحَلِيلته (وأقاربه بعد موته) فحسن وفاء العهد من الإيمان، (وأن يُؤْثِرَ، التخفيفَ عنه) لعل معنىٰ هذا الإيثار هو قوله: (ولا يُكَلِّفَه شيئاً من حاجاته فيُرَوِّحَ) بسبب ذلك (سِرَّه) قلبه وباطنه (عن مُهِمَّاته) فلا يشتغل بها.

(وأَنْ) يفرح (يُظْهِرَ الفرحَ) لكن اكتفىٰ بإظهاره للإشعار بحصوله (بجميع ما يُباح له[1] مِنْ مَسَارِّه) لأن من الفرح ما يكون علىٰ مباح، وما يكون علىٰ محظور فلا يباح، فلذا قال بجميع ما يباح له، (و) يظهر (الحزنَ بما يناله من مكارهه)، فهذا الإظهار في الشِّقَّين من نُعُوتِ الصِّدِيق والصاحب ومن صدق فيهما فهو الذي يُعَضُّ عليه بالنواجذ، ويَسعىٰ في تحصيله الطالبُ، ويَصرف عليه أَسْنَىٰ المطالب.

---

(١) في نسخة (م) بجميع ما يناله له من مسرَّاته.

وأن يُضْمِرَ له مثل ما يُظْهِرُ له يكون صادقاً في وُدِّه سِراً وعَلَناً وأَنْ يَبدأه بالسلام عند إقباله وأن يُوَسِّعَ له في المجلس ويَخرجَ له عن مكانه وأَنْ يُشَيِّعه عند قيامه عن مكانه..............

(وأن يُضْمِرَ) في قلبه وسِرِّه (ما يُظْهِرُ[1] له) أو مثل ما يظهر له كما في نسخ، وهذا هو معنىٰ الصدق في الإظهار وهو أيضاً مُغْنٍ عن قولي سابقاً يفرح قبل قوله ويظهر الفرح، ويؤيد ما ذكرته قوله: (يكون[2] صادقاً في وُدِّه سِراً) بحسب الإضمار (وعَلَناً) بحسب الإظهار.

(وأَنْ يَبدأه بالسلام عند إقباله) بحيث يعد محل الإبداء محل لقاء الحديث، وأن يبدأه بالسلام إذا لقيه، وواضح أنه لو كان أحدهما مستقراً في مجلس فأقبل الثاني، فهو الذي يُسلِّم علىٰ مَنْ فيه.

(وأن يُوَسِّعَ له في المجلس) إنْ قَبِلَ التوسعة وإلا فيفعل ما نبَّه عليه بقوله (ويَخرجَ له عن مكانه) فإن لم يفعلهما لعذر فحسنٌ فيما يُظهر إيهامَه الفعل مجاملةً إذا وَثِقَ، ولو ظناً منه بعدم الموافقة علىٰ المضايقة والخروج.

(وأَنْ يُشَيِّعه عند قيامه عن مكانه) من المجلس بأن ينتهي تشييعــه

---

(١) في نسخة (م) وأن يُضمر له مثل ما يُظهرُ.

(٢) في نسخة (م) فيكون.

وأن يَصمُتَ عند كلامه حتىٰ يَفرُغَ من خطابه ويَتركَ المداخلةَ في كلامه وعلىٰ الجُمْلةِ: فيعاملُه بما يحبُّ أَنْ يُعامَلَ فمن لا يُحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه فأُخوَّته نفاقٌ وهو عليه في الدنيا والآخرة وَبَالٌ فهذا أدبك في حق العوامِّ. . . . .

إلىٰ آخره أو باب داره أو نحو ذلك مما يليق بإكرامه، وينفي عنه عِظَمَ مَلاَمِه، وإن كان ضيقاً استحب أن يشيعه إلىٰ باب الدار.

(**وأن يَصمُتَ عند كلامه حتىٰ يَفرُغَ من خطابه**) أي: كلامه لأن عدم الصمت قبله نوع اعتراض، (**ويَتركَ المداخلةَ في كلامه**) بذكر كلام أجنبي، وهذه المداخلة مانعة من الصمت وفُهِمَ طَلَبيةُ تَرْكِها مِنْ طَلَبِه، لكن نَصَّ علىٰ تركها اهتماماً وتحذيراً منها.

(**وعلىٰ الجُمْلةِ: فيعاملُه**) ويعاشره (**بما يحبُّ أَنْ يُعامَلَ**) ويعاشر (**فمن لا يُحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه فأُخوَّته**) أي: صحبته (**نفاقٌ**) أي: أخوَّة نفاق بمعنىٰ: صحبة نفاق، والمراد النفاق الأصغر لأنهما قسمان، (**وهو**) أي: النفاق المذكور (**عليه في الدنيا والآخرة وَبَالٌ**) إن لم يتداركه الله بالغفران، والوَبَال: الثِّقَل والمكروه، والوبلة[1]: المَضرَّة والإثم.

(**فهـذا أدبـك**) أي: هـــذه آدابك (**في حـق العــوامِّ**) لا الخواصِّ

---

(١) الوَبَلَة: الوَخَامة، مثل الأَبَلَة. وقد وبل ككرم وَبَالة ووبالاً ووُبولاً ووَبَـلاً. وأرض وبيلة: وخيمة المرتع، ووَبَلَة الطعام: تخمته. (القاموس والتاج/الوبل).

المجهولين وفي حق الأصدقاء المُؤَاخِين. أما القسم الثالث وهم المعارف فاحذرْ منهم فإنك لا تَرىٰ إلا ممن تَعْرِفُه. . . . .

(المجهولين) الذين بُلِيتَ بهم، (وفي حق الأصدقاء المُؤَاخِين) العاقدين عقد الإخوة بمعنىٰ الصحبة.

(أما القسم الثالث) أحد الأقسام الثلاثة في قوله: واعلم أن الناس في حقك ثلاثة: إما أصدقاء وإما معاريف وإما مجاهيل، وسبق القِسْمان، وأشار إلىٰ الثالث وإن كان علىٰ خلاف ترتيبه بقوله أما القِسم الثالث (وهم المعارف)، ولا ينافيه أن الأصدقاء معارف، لأن المراد من العبارة واضح، (فاحذرْ منهم) وإنْ كان لا ينفع حَذَرٌ مِنْ قَدَر[1]، (فإنك لا تَرىٰ) أي: لا تجد الشَّرَّ (إلا ممن تَعْرِفُه) إذا وجدته: لا أن كل من تعرفه تجده منه، فالمعرفة طريقه غالباً، وإنما قلتُ غالباً؛ لأنه قد يختلف فيها، ولأن الأصدقاء معرفة، ويختلف الشر في طريق معرفتهم إلا الأصدقاء المجازِفين الملبِّسين المنبَّه

---

(١) من أمثال العرب، ويقولون: لا يُنْفَع حَذَرٌ من قَدَر، ويروىٰ: لا ينفعك من ردىٰ حذر. (أمثال الميداني ٢/٢٣٧).والعرب يقولون في هذا: إذا جاء الحَين حارت العَين، ويقولون: إذا حان القضاء ضاق الفضاء. ثم رأيت الحديث عن عائشة — رضي الله عنها— قالت: قال رسول الله صلىٰ عليه وسلم: لا يُغني حَذَر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلىٰ يوم القيامة. رواه البزار والطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد (الترغيب والترهيب للمنذري٢/٤٨٢)

أما الصَّدِيقُ فيُعينك وأما المجهول فلا يتعرضُ لك وإنما الشَّرُّ كلُّه من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم فأَقْلِلْ من المعارف ما قَدَرتَ

عليهم فيما يأتي قريباً.

(أما الصَّدِيقُ) الحقيقي (فيُعينك)، لأن معرفته خير، (وأما المجهول) من العامة (فلا يتعرضُ لك) بوجه، (وإنما الشَّرُّ) حَصْرٌ سَنِيٌّ (كلُّه) تأكيد لقصد المبالغة (من المعارف) لا مطلقاً، بل (الذين يظهرون الصداقة) لك (بألسنتهم) وفي قلوبهم العداوة أو خلاف الصداقة، فقد لا يكون الإنسان عدواً ولا صديقاً.

(فأَقْلِلْ من المعارف) المذكورين، فإن قلت: لا اطلاع علىٰ ما في قلوبهم، قلنا: قرائن الأحوال لا تخفىٰ علىٰ عقلاء الرجال، والحزم أو مِنَ الحزم سوءُ الظَّنِّ علىٰ[1] ما وَرَدَ، وبُيِّن معناه في محله (ما قَدَرتَ).

---

(١) ورد في كشف الخفا: ١/٥٦-٥٧ (الحزم سوء الظن) من قول علي، وجميع طرقه ضعيفة يتقوىٰ بعضها ببعض وقد يجاب بحمل حديث: احترسوا من الناس بسوء الظن (من قول مطرف بن الشخير وروي مرفوعاً) ونحوه علىٰ أهل التهمة ونحوهم، والآية ونحوها كحديث عائشة: من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه، علىٰ خلافهم. اهـ. وفي كتاب الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة ص ٢٦٥: يقال إن أكثم بن صيفي أول من قال: (الحزم سوء الظن) وجاء في تفسير ابن عطية (١٥١/٥): ومازال أولو العلم يحترسون من سوء الظن ويسدُّون ذرائعه. قال سلمان الفارسي: إني لأعدُّ عِراق قدْري مخافة الظن..وكان أبو العالية يختم علىٰ بقية طعامه مخافة سوء الظن بخادمه.وقال ابن مسعود: الأمانة خير من

=

فإذا بُلِيتَ بهم في مدرسة أو مسجدٍ جامع أو بلد أو سوق فيجب أن لا تستصغر منهم أحداً فإنك لا تدري لَعَلَّه خيرٌ منك. . . . . .

أي: أَقْلِلْ منهم جُهدك وطاقتك، (**فإذا بُلِيتَ**) وامتُحنت (**بهم**) بالمخالطة معهم (**في مدرسة**) لأجل الدرس والقراءة، (**أو مسجدٍ**[1] **جامع**) أو غير جامع لأجل الجماعة والجمعة ونحو ذلك، (**أو بلد**) وطن أو غير وطن دَعَتِ الحاجة إلىٰ الإقامة فيه، (**أو سوق**) لنحو شراء، أو إتيان بذِكْرٍ وارد فيه، أو لغير ذلك.

(**فيجب**) وجوباً يأثم بتركه أو يجب بمعنىٰ يتأكد أخذاً من العلة، والأول أقرب، (**أن لا تستصغر منهم أحداً**) أي: تحتقره، أو ترىٰ أنك أكبر منه، (**فإنك لا تدري**) أي: لا تعلم (**لَعَلَّه**) في نفس الأمر (**خيرٌ منك**)، والمَدَارُ علىٰ ما في نفس الأمر في مثل هذا المقام،

الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء. وللإمام الشعراني في التربية هنا كلام رائق طويل منه: واعلم ياأخي أن الحق تعالىٰ لا يسأل عبداً في الآخرة قط لم حسنت ظنك بعبادي؟ وإنما يسأله عن سوء ظنه بهم، ولا تصل ياأخي إلىٰ مقام حسن الظن بجميع الناس إلا إن طهر باطنك من جميع النقائص وما دام هناك نقيصة فسوء الظن من لازمك؛ لأنك لا تقيس الناس كلهم إلا علىٰ نفسك. وفي الحديث: (المؤمن مرآة المؤمن) فاعلم ذلك فإنه نفيس. (ر: البحر المورود ١٧٩-١٨٠).

(١) في نسخة (م) أو جامع أو مسجد.

ولا تنظرْ إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلِكَ لأن الدنيا صغيرةٌ عند الله ومهما عَظُمَ أهلُ الدنيا في قلبك فقد سَقَطْتَ مِنْ عين الله تعالىٰ وإياك أَنْ تَبْذُلَ لهم دينَكَ لتنالَ به دنياهم ولَمْ يفعل ذلك أحدٌ إلا صَغُرَ في أعينهم ثم. . . . .

(ولا تنظرْ إليهم) إلىٰ المعارف، وكذا المجاهيل أرباب الدنيا (بعين التعظيم لهم في حال دنياهم) أي: من أجلها فأنت مخاطب أن لا تنظر إليهم بعين الاحتقار وعين التعظيم من حيث الدنيا، لكن نَهْيُكَ عن النظر بالعين الثانية آكَدُ لقوله: (فتهلِكَ)؛ وبيَّنَ وجه الهلاك بقوله: (لأن الدنيا) الدنيئة (صغيرةٌ) حقيرة، (عند الله) أي: في نظر الشرع وأهله، (ومهما عَظُمَ أهلُ الدنيا) من حيث دنياهم (في قلبك)، لأن التعظيم محله القلب، فلا يضر تعظيمهم بجوارحك كقيامك؛ لأن الشرع لا يكرهه إذا كان للمداراة، (فقد سَقَطْتَ مِنْ عين الله تعالىٰ) وعين أهله، والسقوط من عينه كناية بديعة واضحة منيعة كما أن من كان تحت عين الله المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور/٤٨. ونحو ذلك مما جاء في السُّنَّة مكْفُول بعنايته مكْلُوءٌ بكلاءته وحراسته وحمايته.

(وإياك أَنْ تَبْذُلَ لهم دينَكَ) ومنه علمك (لتنالَ به) ببذله (دنياهم) الصغيرة عند الله (ولَمْ) وفي نسخة: فلا (يفعل ذلك أحدٌ) من الناس (إلا صَغُرَ في أعينهم) أي: أعين المعارف أهلِ الدنيا، (ثم) بسبب

حُرِمَ ما عندهم وإِنْ عادَوْكَ فلا تقابلهمْ بالعداوة فإنك لا تُطيقُ الصبر علىٰ مكافأتهم وتُذهبُ دينَك فيهم ويَطولُ عناؤك معهم ولا تَسْكُنْ إليهم في إكرامهم إياك و ثنائهم عليك في وجهك. . . . . .

البذل والصِّغَر (حُرِمَ) يضم أوله وكسر ثانيه (ما عندهم) مما قصد نيله ببذله، وهذا من جزائه وقضاء الله وعدله؛ وفي الحديث: «من ابتغىٰ أو اتَّبع رضا الناس بسَخَطِ الله سَخِطَ اللهُ عليه وأسخط عليه الناس». وحكاية مالك مع الخليفة عند طلبه لإقراء ولديه شهيرة من شواهد ما نحن فيه فلا تَعْزُبْ عنك وإن لم نذكرها، فاسأل أهل الذكر عنها، فإنها نافعة في المقام[1].

(وإِنْ عادَوْكَ) وجَفَوْكَ (فلا تقابلهمْ بالعداوة) والجفاء (فإنك لا تُطيقُ) بحسب ما جَرَّبَ أمثالك (الصبر علىٰ مكافأتهم) ومجازاتهم، (وتُذهبُ دينَك) كلَّه أو بعضه (فيهم) إنْ سلكتَ طريق مكافأتهم (ويَطولُ عناؤك) تعبك في هذا الطريق (معهم.

ولا تَسْكُنْ) أي: تطمئن (إليهم في) أي: بسبب أو لأَجْلِ (إكرامهم إياك) إذا أكرموك (و) في (ثنائهم عليك في وجهك) أو غَيبتك، أو فيهما إذا أثنوا عليك، وهذا كله إن وُجد منهم فنادر عزيز؛ كما يدل عليه قوله فيما يأتي عـن قريب، وإن وُجـد سريع التناقص أو الزوال،

---

(١) ممن أوردها الإمام الذهبي في كتابه: سير أعلام النبلاء ٨/٦٣-٦٤ والخليفة هـو المهدي، والولدان: هارون وموسىٰ.

وإظهارِهم المودَة فإنك إِنْ طلبتَ حقيقةَ ذلك لم تَجِدْ في المائة واحداً ولا تَطْمعْ أن يكونوا لك في العَلَنِ والسِّرِّ واحداً ولا تتعجب إن ثَلَبُوكَ في الغَيبة. . . . .

(و) في (إظهارِهم) أي: ولا تَسكُن إليهم في إظهارهم (المودَة) المجازية، (فإنك إِنْ طلبتَ حقيقةَ ذلك لم تَجِدْ في المائة) من أبناء الدنيا المعارفِ (واحداً[1])، بل تجده فيما زاد عليها، أو المراد لم تجده مطلقاً مبالغة، أو لم تجده في المائة و مازاد عليها محتمل، أو المراد أن وجود الواحد في العدد الكثير نادر عزيز جداً والمائة مِثالٌ، و أَوْجَهُ هذه الاحتمالات ثانيها وآخرها، وأكَّد هذا المعنىٰ الذي أشار إليه ووضَّحه بقوله: (ولا تَطْمعْ أن يكونوا لك في العَلَنِ) أي: الظاهر، (والسِّرِّ) أي: الباطن، (واحداً) أي: علىٰ حال واحد، بل حالهم فيهما مختلِف.

(ولا تتعجب إن ثَلَبُوكَ) بالموحدة بعد اللام، يقال: شَرُّ الناس الثَّلِب[2]، والمعنىٰ إن عابوك بغِيبة (في الغَيبة)، فإن محبوبهم الدنيا - التي حُبُّها رأسُ كل خطيئة- لا يمنعهم من ثَلْبِكَ بل يوقعهم فيك ولهم قدرة علىٰ مواجهتك بالمَسَاءَةِ في الوجه، فلا عَجَبَ أن تُثْلَبَ في الغيبة.

---

(١) في نسخة (م) إلا واحداً.

(٢) رَجُلٌ ثِلْب، وثلب ككتف أي مَعِيب، وهو مجاز (التاج/ثلب).

ولا تغضبْ منهم فإنك إن أنصفتَ وَجَدْتَ مِنْ نفسك مثل ذلك حتىٰ في أصدقائك وأقاربك، بل في أستاذك ووالديك فإنك تذكرُهُم في الغَيبة بما لا تشافِهُهُم به فاقطعْ طَمَعَكَ عن مالِهِم وجَاهِهِم ومعونتهم فإنَّ الطامع في الأكثر لا محالة خائبٌ في المآل وهو ذليلٌ لا محالة في الحَالِ.......................

(ولا تغضبْ منهم) بسبب الثَّلْب أو أعم، وفي نسخة منه أي: الثَّلْب، (فإنك إن أنصفتَ) من نفسك (وَجَدْتَ مِنْ نفسك مثل ذلك) الثَّلْب في الناس (حتىٰ في أصدقائك وأقاربك، بل في أستاذك) في العلم أو التصوف أو الصنعة أو أعم، (ووالديك) جميعاً وإِنْ عَلَيَا، (فإنك تذكرُهُم في الغَيبة) دون الحضور (بما لا تشافِهُهُم به) مما يكرهونه، ولا شك أن هذا ثَلْبٌ شِبْهُ ثَلْبِ الأغنياء المعارفِ لك، ولا يشترط الشَّبَه والمِثْلية من كل وَجْهٍ، بل يقال ثَلْبُكَ في نحْوِ أستاذك أقبحُ من ثَلْب الأغنياء لك، فاعمل بموجب الإنصاف ومقتضاه معهم بالمسامحة لهم، والتماسِ وجه المعذرة ومزيد الاستغفار لهم.

(فاقطعْ طَمَعَكَ) بالكلية (عن مالِهِم) عَديلِ أنفسهم (وجَاهِهِم)، فإنهم به أَشَحُّ لاحتياج إقامة ناموسهم حيناً إلىٰ المال (ومعونتهم) الصادقة بالمال والجاه والنفس، (فإنَّ الطامع في الأكثر) من الأوقات والأحوال (لا محالة خائبٌ) عادمٌ مرادَه، راجع علىٰ نفسه بالخَيْبة والتقهقر (في المآل) أي: العاقبة والمرجع، فتجرَّعَ كؤوس الهَوَان، ولذا قال: (وهو ذليلٌ لا محالة في الحَالِ) فالطمع له مَرَارَتَان: ناجــزةٌ

وإذا سألتَ واحداً حاجةً فقضاها فاشكرِ الله تعالىٰ واشكره وإنْ قَصَّر فلا تعاتِبْه ولا تَشْكِه فتصيرَ عداوةً وكن كالمؤمن يَطلب المَعَاذِيرَ. . . . .

وهي الذل، ومترقَّبةٌ وهي الخيبة والرد وعدم بلوغ السؤال.

(وإذا سألتَ واحداً) من الناس (حاجةً فقضاها) بنفسه أو بواسطته (فاشكرِ الله تعالىٰ) علىٰ قضائها؛ لأنه الفاعل الحقيقي، واشهَدْهُ ولا تشهَدِ الخَلْق، (واشكره) أي: ذلك الواحد من الناس؛ لأن شكره من شكر الله، باعتبار طَلَبِ الشرع منك ذلك[1]، ولأن شُكْرَه حَمْلٌ له علىٰ فعل الخير؛ (وإنْ قَصَّر) في قضائها (فلا تعاتِبْه) إنْ شهدتَ أن الفاعل هو الله، والتمس له مَحْمَلاً سديداً ووَجْهَ معذرةٍ، ولا ينافي هذا الالتماس فرض المسألة أنه قَصَّرَ فتأمل، ولا يأتي هنا أن العَتْب دليل الودَّ، ولكل مقام مَقَالٌ (ولا تَشْكِه) إلىٰ أحد (فتصيرَ) الشِّكَاية، أو هي مع العتب جالبة (عداوةً)، أو تصير نفس الشكاية عداوة مبالغة باعتبار أنها سببها.

(وكن) كما ورد في الحديث (كالمؤمن يَطلب المَعَاذِيرَ) وهذا يؤيد ما أسلفته مع الالتماس مع قوله فيما قبل: لعله إلىٰ آخره، والمراد كن مؤمناً يطلب المعاذير أي: وجوهَ الالتماس، ومَحَامِلَ

---

(١) سبق الدليل في التعليق علىٰ قول المصنف: (وأن يشكره علىٰ صنعه). (ص٤٨٧).

ولا تكن كالمنافق يطلب العيوبَ وقُلْ لعلَّه قَصَّرَ لعذر له لَمْ أَطَّلِعْ عليه ولا تَعِظَنَّ أحداً منهم ما لم تتوسَّمْ فيه أولاً مَخَايِلَ القبول وإلا لم يَسْمَعْ منك، وصار خصماً عليك وإذا أخطؤوا في مسألة وكانوا يأنُفون من التعليم منك فلا تعلِّمهم فإنهم يستفيدون منك علماً

التسديد، ووجوه الأعذار؛ (ولا تكن كالمنافق يطلب العيوبَ) أي: عيوب غيره يكشفها ويُذيعها، وهذه الجملة الفعلية كالجملة الفعلية قبلها منبِّهة للمراد من التشبيه في قوله كالمؤمن وكالمنافق، ومَثَّلَ لطلب المعذرة هنا بقوله: (وقُلْ لعلَّه قَصَّرَ لعذر) صحيح (له لَمْ أَطَّلِعْ عليه) لعدم البحث.

(ولا تَعِظَنَّ أحداً منهم) أي: المعارف الأغنياء (ما لم تتوسَّمْ فيه أولاً) أي: قبل الوعظ (مَخَايِلَ) علامات (القبول) للوعظ، (وإلا) بأن لم تتوسَّم فيه المخايل ولم تُوجَدْ فيه، المنعدمُ بعَدَمِهَا القبول؛ (لم يَسْمَعْ منك، وصار) إذا لم يسمع منك غالباً (خصماً عليك) أي: لك، أو المراد: صار عليك خصماً أو صار خصماً مائلاً عليك، ففي الكلام: تضمينٌ أو تقديم أو تقدير[1].

(وإذا أخطؤوا في مسألة و) الحال أنهم (كانوا يأنَفُون) ويكرهون وتَشْرُفُ أنفسُهم (من التعليم منك) تلك المسألة على السداد، (فلا تعلِّمهم) إياها، أو فلا تعلمها لهم، (فإنهم يستفيدون منك علماً)

---

(١) في الكلام لفٌّ ونَشْرٌ مرتب. وهذا من بديع عناية الشارح بكلام المصنف.

ويَصيرون لك أعداء إلا إذا تعلَّقَ ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل فاذكر الحَقَّ بلطف من غير عُنْفٍ وإذا رأيتَ منهم كرامة وخيراً فاشكر الله تعالىٰ الذي حَبَّبَكَ إليهم وإِنْ رأيتَ منهم شراً فكِلْهُمْ إلىٰ الله تعالىٰ واستعذ بالله مِنْ شَرِّهم ولا تعاتبهم. . . . .

المسألة (ويَصيرون لك أعداء) وفي نسخة: ويصبحون لك عدواً بسبب أنك صرت في مقام تعليمهم ذا رفعة ومُفَضَّلاً عليهم، وهذا جهل منهم وعدم إنصاف، حيث لم يشكروك علىٰ ذلك، لكن خُبْثُ الكِبْر والحسد منعهم مما هنالك (إلا إذا تعلَّقَ ذلك) التعليم (بمعصية يقارفونها) بمعنىٰ يأتونها (عن جهل) منهم، (فاذكر الحَقَّ) أي: عَلِّمهم وجوباً (بلطف) أي: لين بدليل قوله (من غير عُنْفٍ) وشدة؛ والحاصل أنك تعمل الحيلة في إرشادهم إلىٰ حكم المسألة بكل طريق سهلة خروجاً عن عُهْدَةِ واجب التعليم ما أمكنك.

(وإذا رأيتَ) بعين البصر، أو عَلِمْتَ (منهم كرامة وخيراً) أي إكراماً وإحساناً (فاشكر الله تعالىٰ) المحسن (الذي حَبَّبَكَ إليهم) أي: صيرك محبوباً عندهم باعتبار ما رأيته منهم، وإن كانت المحبة باطنة فالظاهر عنوان الباطن، والآثار والقرائن مفيدة شاهدة.

(وإِنْ رأيتَ) بالمعنىٰ السابق (منهم شراً) قولاً أو فعلاً (فكِلْهُمْ إلىٰ الله تعالىٰ) العدل المنتقم العالم الذي لا يخفىٰ عليه خافية، (واستعذ بالله) الذي هو المَعَاذ حقيقة (مِنْ شَرِّهم) وقبائحهم، (ولا تعاتبهم)

ولا تَقُلْ لهم لِمَ لا تَعرفون حقِّي؟! وأنا فلان ابن فلان، وأنا الفاضل في العلوم فإنَّ ذلك كلامُ الحمقىٰ فأشدُّ الناس حماقة مَنْ يُزكِّي نفسه ويُثْنِي عليها واعلم: أن الله تعالىٰ لم يُسلِّطهم عليك إلا لذنب سَبَقَ منك فاستغفرِ اللهَ عز وجل من ذنبك واعلم. . . . . . .

بوجه، (**ولا تَقُلْ لهم لِمَ لا تَعرفون حقِّي؟!**) وتَجرُوا علىٰ مقتضاه من إكرامي؟ (**وأنا فلان ابن فلان، وأنا الفاضل في العلوم**) كلها، أو علومٍ كذا، أو العلوم المتداولة، وأطلَقَها للعلم بها من الإطلاق، (**فإنَّ ذلك**) أي: هذا القول إذا لم يكن تحدثاً بالنعمة وتذكيراً بها (**كلامُ الحمقىٰ**) والمغفَّلين، ومَنْ في حكمهم وسبق تفسير الأحمق؛ (**فأشدُّ الناس حماقة مَنْ يُزكِّي نفسه ويُثْنِي عليها**) في مثل هذا المقام، وليس هذا مقام التحدث بالنعمة ولا مقام التزكية المحمودة.

(**واعلم أن الله تعالىٰ لم يُسلِّطهم عليك إلا لذنب سَبَقَ منك**) ومن مصداق ذلك أن بعض العارفين افتقد أحواله فرأىٰ كلَّ حادثة له سابقةُ جِنَاية، وجنايةُ كل أحد بحسَبه، قال حتىٰ يعرف ذلك في قَفَاه ومركوبه وتَلَقِّي ذلك من الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد/١١. (**فاستغفرِ اللهَ عز وجل من ذنبك**) العظيم، وكلُّ ذنب بالنظر إلىٰ عظمة مولاك عظيمٌ، وإن كان النظر إلىٰ سعة كَرَمِهِ العميم هو حقيرٌ عديم.

(**واعلم**) أتي بها وقد سَبَقَ مِثْلُها مع قُرْبِ ما بينهما –للاهتمام بما

أن ذلك عقوبةٌ من الله تعالىٰ لك، وكن فيما بينهم سميعاً لِحَقِّهم أَصَمَّ عن باطلهم نَطوقاً بمحاسنهم صَمُوتاً عن مساويهم. واحذر مُخالطةَ متفقهة العَصْر لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال. . . .

يتلوها (أن ذلك عقوبةٌ من الله تعالىٰ لك، وكن) إذا حَضَرْتَ (فيما بينهم سميعاً لِحَقِّهم)، فالحق يُسمع ويُصغىٰ إليه علىٰ كل تقدير؛ فكيف إذا ترتَّب علىٰ ترك استماعه تكبُّرٌ لا يحتمله الفقير والجليس من حيث هو جليس له حق الاستماع لحديثه إلا الباطل، ولذا قال: (أَصَمَّ عن باطلهم) أي: غير مستمع له؛ إذ الاستماع يلزمه القَصْدُ، بخلاف السَّمَاع، والإنكار له باللسان لا يجب إذا لم يوجد شَرْطُه، ومِنْ رَدِّ الكلام الإنكارُ القلبيُّ (نَطوقاً بمحاسنهم)؛ إذ ما من مسلم إلا وله محاسن[1]، (صَمُوتاً عن مساويهم) لأن السَّتْر مطلوب، وصيغة: نَطوق وصَموت مبالغة آثرها هنا للحث علىٰ كمال المبالغة في النطق بالمحاسن والصمت عن المساوي، واستغنىٰ بالصموت عن ذكر غض البصر عن المساوي لفهم اللبيب لذلك منه ومن المقام.

(واحذر مُخالطةَ متفقهة العَصْر) وفي نسخة: الزمان (لاسيما المشتغلين بالخــلاف) أي: بمسائله (والجـدال) والمـراء، ويغلب في

---

(١) وهذا باب عريض للدعاة الصادقين وأصحاب الإرث النبوي لجَمْع الموحـدين علىٰ الله ورسوله!.

منهم فإنهم يتربَّصون بك رَيْبَ المَنُونِ ويَقْطَعُون عليك بالظُّنون

الأعاجم (منهم) أي: من المتفقهة، أي: بالنسبة لعصر المصنف رحمه الله تعالىٰ، وقَلَّ اشتغال المتفقهة في هذا الزمان بمسائل الخلاف والجدال، وإنما عظم التحذير من هؤلاء المشتغلين بذلك لغلبة الكِبْر والعجب فيهم، والازدراء لغيرهم من الطلبة وسائر الناس، فإنهم يرون أنفسهم في قسم الحيوان الناطق، وغيرهم من بقية الناس من قسم النَّاهِق أو الجَمَاد، كأنه والله أعلم نشأ لهم ذلك من علوم الهندسة والمنطق والفلسفة وعلوم الأوائل التي يعتنون بطلبها في الأوائل من عُنْفُوان اشتغالهم؛ وقد بالغ الحافظ السيوطي في الذَبِّ عن الاشتغال بالمنطق الذي هو لباب علومهم في كتابه: "المشرق في تحريم المنطق" وإن كان الحق فيه تفصيلاً وسطاً بيَّنته في غير هذا المحل تبعاً لجماعة محققين من معاصريه وغيرهم.

وإلىٰ ذِكْر بعض عيوبهم أشير بقوله: (فإنهم يتربَّصون بك رَيْبَ المَنُونِ) ما يعلو النفوس من حوادث الدهر، أو المنون الموت، من مَنَّه إذا قطعه كما قيل بنظير ذلك في الآية[1]، (ويَقْطَعُون عليك بالظُّنون) أي: يعملون بظنونهم في نسبة الأشياء المسيئة إليك علىٰ سبيل القطع، ولا سند لهم فيه إلا الظن الفاسد السيِّئ،

---

(١) يريد قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ الطور / ٣٠.

ويتغامَزُون من ورائك بالعيون يُحصونَ عليك عثَرَاتِكَ في عِشْرتهم حتىٰ يَجْبَهونك بها في غضبهم ومناظرتهم لا يُقيلون.........

(ويتغامَزُون من ورائك بالعيون) ورَاءَ من أسماء الأَضْدَاد[1] بمعنىٰ خَلْف وبمعنىٰ أمَام، ومن الثاني ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ - وخَصَّ الغَمْزَ بالوراء مع أنه لا يتقيد به- لغلبته فيه، ولنكتة أخرىٰ لا تَخفىٰ علىٰ الفَطِن.

(يُحصونَ) يَعُدُّون ويَضبِطون (عليك عثَرَاتِكَ) هَفَواتك وزلاَّتك، (في) حال (عِشْرتهم) معك، (حتىٰ يَجْبَهونك) في وجهك (بها في) حال (غضبهم) عليك، ومعنىٰ يجبهونك: يشافهونك ويواجهونك أو يذلُّونك؛ لأن الجبهة تستعمل بمعنىٰ المَذَلَّة كما يستعمل جبتهم[2] بمعنىٰ سيِّدُهم، (ومناظرتهم) مجادلتهم معك (لا يُقيلون) من الإقالة

---

(١) والأضداد، والتضاد، نوع خاص من أنواع الاشتراك اللفظي، يكون للكلمة معنيان متضادان. والظاهر ما قاله بعضهم من أن القبيلة الواحدة لا تتكلم به إلا بمعنىٰ، وضده في قبيلة أخرىٰ فالجَلَلَ أراد به جمع (العظيم) وأراد به آخرون (الحقير) ونعرف المعنىٰ المراد من سياق الكلام. وقد جمعتُ عام ١٤٠٣هـ(٤٠٠) كلمة إلا ثلاث كلمات من كلام العرب فيها التضاد من ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت ويليها ذيل في الأضداد للصغاني ضمت في مجلد يطلب من دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: جَبْهَتُهُم.جاء في التاج / جبه: ومن المجاز: الجبهة: سيد القوم، كما يقال: وجه القوم.

لك عَثْرة ولا يغفِرون لك زَلَّة ولا يسترون لك عورة يُحاسبونَ علىٰ النَّقِير والقِطْمير. . . . .

(لك عَثْرة) واحدة، وإن كنتَ من ذوي الهيآت الوارد فيهم: "أقبلوا من ذوي الهيآت عثراتِهم[1]" (ولا يغفِرون[2]) يستُرون (لك زَلَّة) نادرة ولا يسامحون بها، والظاهر أن المراد بالغفر العفو لا معناه اللغوي لقوله: (ولا يسترون لك عورة) أو الغفر علىٰ معناه اللغوي، ولا ينافيه التعبير بالسَّتر؛ لأنه يستعمل في معنيين: في الدِّين والعَورة.

ولم يعملوا بما حث عليه من الستر والعفو الكتاب والسنة، بل لمبالغتهم في إحصاء العثرات (يُحاسبونَ علىٰ النَّقِير والقِطْمير) النقير: النُّقْرة في ظَهْر النَّوَاة، والقطمير: لُفَافتها، ويقال جِلْدتها، والفَتِيل: هو الذي في شق النَّواة، ويقولون: حقير نَقِير علىٰ سبيل الإِتْباع، والمـراد

---

(١) المشهور في كتب السنة: (أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم)، قال العجلوني فيه: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن عدي والعسكري والعقيلي عن عائشة مرفوعاً بزيادة: إلا في الحدود... وفسرهم الشافعي: بمن لم يعرف بالشر، وقيل أصحاب الصغائر، وقيل من يندم علىٰ الذنب ويتوب منه، وفي عثراتهم وجهان: صغيرة لا حد لها، أو أول زلة كبيرة صدرت من مطيع، وكلام ابن السلام صريح في ترجيح الأول انتهىٰ.. (كشف الخفا ١/١٨٣-١٨٤).

(٢) في نسخة(م) زيادة: ولا يسترون لك عورة.

وَيَحسُدون علىٰ القليل والكثير ويُحَرِّضُون عليك الإخوان بالنَّميمة والبَلاَغَاتِ و البهتانِ إن رَضُوا فظاهرُهم المَلَق وإنْ سَخِطُوا فباطنهم الحَنَق........................

في كلام المصنف: يحاسبون علىٰ أقل القليل[١]، (ويَحسُدون علىٰ القليل والكثير) من الخير يودُّون زوالهما عنك، (ويُحَرِّضُون) يحثُّون غاية الحث (عليك الإخوان) الأصحاب (بالنَّميمة) نقل الكلام علىٰ جهة الإفساد، (والبَلاَغَاتِ) أي: الإبلاغات لهذا الكلام، ولا يكتفون بمجرد الإبلاغ والنقل المذكور، (و) إنما يَضُمُّون إلىٰ ذلك كلمات بالزور و(البهتانِ) الكذب المُبْهِت.

(إن رَضُوا) حقيقة أو صورة عليك (فظاهرُهم) باعتبار ما يجري علىٰ ألسنتهم (المَلَق)[٢] بالتحريك: الزيادة في التودُّد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، (وإنْ سَخِطُوا) غضبوا (فباطنهم الحَنَق[٣])

---

(١) واستعمل القرآن الكريم الكلمات الثلاث مثالاً للقلة ففي النقير قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ النساء/١٢٤ وفي القطمير: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ فاطر/١٣ وفي الفتيل: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ النساء/٤٩.

(٢) ملق كفرح (القاموس: ملق).

(٣) وحنق كفرح (القاموس: حنق).

ظاهرهم ثيابٌ وباطنُهم ذِئَابٌ هذا ما قَطَعَتْ به المشاهدةُ في أكثرهم إلا من عصمه اللهُ تعالىٰ فصحبتُهم خُسْرانٌ ومعاشرتهم خِذْلانٌ.........................

بالنون: الغَيظ، (ظاهرهم) بحسب ما ترىٰ (ثيابٌ) عمائمُ كالأَبْراج، وأكْمَام كالأَخْرَاج[1]، أو ثياب مُزَوَّقَةُ الظاهر، (وباطنُهم ذِئَابٌ) ضَارِيَةٌ باعتبار ما اشتملوا عليه من الخُبْث والإيذاء الذي هو وصف الذئاب الحقيقية.

(هذا) الوصف ثابت قطعي الثبوت بحسب (ما قَطَعَتْ به) دلت علىٰ سبيل القطع (المشاهدةُ) الناشئة عن إحدىٰ الحواس الظاهرة والباطنة، حاسة البصر والبصيرة، لكن (في أكثرهم) لأن الاستيعاب متعذر، أو لأن ما سوىٰ الأكثر يستَتْبعه (إلا من عصمه) حفظ (اللهُ تعالىٰ)، وهذا استثناء من الأكثر فيكون متصلاً أو المراد لكنْ من عصمه الله يَسْلَم من هذا الذي قَطَعَتْ به المشاهدة فيكون منقطعاً، (فصحبتُهم) أي: المتقدم ذكرهم سوىٰ المعصوم (خُسْرانٌ) نقصان في الدين والدنيا، (ومعاشرتهم خِذْلانٌ) لمعاشرهم والخذلان: عدم النصر وقت الحاجة.

---

(١) جمع الخُرج: الوعاء المعروف الأصح أنه عربي ويجمع أيضاً علىٰ خِرَجَة بوزن جِحَرة في جمع جُحْر (التاج/خرج).

هذا حكم مَنْ يُظهِرُ لك الصداقة فكيف من يُجَاهِركَ بالعداوة ولذا قيل :

فاحـــذر عـــدوك مَــرَّةً	واحذر صـديقك ألـفَ مـرة
فلربمـــا انْقَلَـــبَ الصديـــ	ـــق، فكان أعـرف بالمَضَـرَّة

وقال آخر :

(هذا) المتقدم ذكره (حكم مَنْ يُظهِرُ لك الصداقة) بلسانه من المعارف الذين ينشأ الشرُّ كله منهم، علىٰ ما تقدم في أول القسم الثالث، (فكيف من يُجَاهِركَ بالعداوة) التي هي أقبح أنواع السوء المشار إلىٰ النهي عنه في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ الآية١٤٨ في النساء. (ولذا قيل: فاحذر عدوك مَرَّةً) أي: واحدة، (واحذر صديقك ألفَ مرة)، وكلام المصنف ظاهر في أن المراد بالصديق في البيت هو من يظهر الصداقة بلسانه لا الصديق الحقيقي وإلا لا يتم الاستشهاد، (فلربما انْقَلَبَ الصديق، فكان أعرف بالمَضَرَّة[1]).

فالظاهر أن المراد بالصديق فيما مضىٰ وفي البيت الآتي الصاحبُ (وقال) قائل (آخر) وفي نسخة: وقال أبو تمام[2] يعني الشاعر المشهور:

---

(١) البيتان في نسخة (م):

احذر عـدوك مـــرة	واحذر صديقك ألف مرهْ
فلربما انقلب الصديـ	ـق فكان أعرف بالمضرهْ

(٢) القائل ابن الرومي أبو الحسن علي بن العباس بن جريج والبيتان في ديوانه ١/٢٣١-٢٣٢ والقصيدة سبعة أبيات هذان مطلعها. ولم أجدهما في ديوان أبي تمام!

عدوُّك مِنْ صديقك مستفادٌ فلا تَستكثرنَّ من الصِّحَابِ
فـإِنَّ الـداءَ أكـثـرُ مـا تـراه يكون مِنَ الطعام أو الشراب

وكُنْ كما قال هِلال بنُ العَلاَء :

لَمَّا عفوتُ ولم أَحْقِد علىٰ أحدٍ أَرَحتُ نفسيَ من هَمِّ العداواتِ
إني أُحَيِّي عدوي حين أنظره لأدفع الشر عني بالتحيات

(عدوُّك مِنْ صديقك مستفادٌ فلا تَستكثرنَّ من الصِّحَابِ

ويفي بمعنىٰ هذا النصف أن يقول:

فأقلل ما استطعت من الصحاب

ولعله أخف مما قبله.

(فـإِنَّ الـداءَ أكـثـرُ مـا تـراه يكون[1] مِنَ الطعام أو الشراب)

فإذا أقللتَ من ذلك كان أسلَمَ لك؛ قال حكماء الهند والروم والفرس: يتولد الداء من خمسة: كثرةُ الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الجماع، وكثرة احتباس البول، وكثرة شرب الماء في جوف الليل، (وكُنْ كما قال هِلال بنُ العَلاَء) الرَّقِّي كما في نسخة في أبياته المشهورة:

(لما عفوتُ ولم أَحْقِد علىٰ أحدٍ أَرَحتُ نفسيَ من هَمِّ العداواتِ
إني أُحَيِّي عدوي حين أنظره لأدفع الشر عني بالتحيات

---

(١) في الديوان: يحول.

وأُحْسِنُ البِشرَ للإنسان أُبْغِضُه   كأنه قـد مَـلاَ قلـبي مَسَـرَّات

ولستُ أَسْلَمُ ممن لستُ أعرفـه   فكيف أسلَمُ من أهل المودَّات

الناسُ داءٌ دواءُ الناس تركُهُم   وفي الجفاء لهم قَطْعُ الأُخُوَّات

فخالقِ الناسَ واصبر مابقيتَ لهم   أصمَّ أبكـم أعمـىٰ [illegible]

فَسَالِمِ الناسَ تَسْلَمْ من غوائلهم   وكن حريصاً علىٰ كَسْبِ التَّقِيَّـات

أي: ألقاه، وفي نسخة: عند رؤيته،

وأُحْسِنُ البِشرَ للإنسان أُبْغِضُـه   كأنـــه)......................

وفي نسخة: كأنما

.... (قـد مَـلاَ قلـبي مَسَـرَّات

ولستُ أَسْلَمُ ممن لستُ أعرفـه   فكيف أسلَمُ من أهل المـودَّات

الناسُ داءٌ دواءُ النـاس تـركُهُم   وفي الجفاء لهم قَطْعُ الأُخُوَّات

فخالقِ الناسَ واصبر ما بقيتَ لهم   أصـمَّ أبكـم أعمـىٰ ذا تَقِيَّـات)

احترازات وتجنُّبات ومخالفات وفي نسخة:

(فَسَالِمِ الناسَ تَسْلَمْ من غوائلهم   وكن حريصاً علىٰ كَسْبِ التَّقِيَّات[1])

---

(١) في نسخة (م) (فسالم) قبل (فخالق) و(المُروَّات) بدل (التقيات).

وكُنْ أيضاً كما قال بعض الحكماء : اِلْقَ صـديقك وعـدوك بعـين الرضا من غير مَذَلَّة لهما، ولا هيبةٍ منهما...............

جمع تقية، والمراد كسب التقوىٰ، وفي البيت الأول من قول هِلاَلٍ: إشارة إلىٰ أن الحقد أساس العداوة، وعدمه مجلبةُ الراحة؛ وفي الثاني: استنتاج من قوله تعالىٰ:﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ الفرقان/٦٣. وفي الثالث: إشارة إلىٰ أن إحسان البِشْر من الإحسان في المداراة الواردة بها السُّنَّة، بل بخصوص البِشْر؛ وفي الرابع: إخبار بالواقع للتسلية لنفسه وغيره؛ وفي الخامس: حَثٌّ علىٰ العزلة وبيان ما فيها؛ وفي السادس: إشارة لما في حديث: «وخَالِقِ الناسَ بخلق حَسَن». وحث علىٰ سلوك النهج الأقوم الجامع للامتثال والاجتناب الأتم.

(وكُنْ أيضاً كما قال بعض الحكماء) الإسلاميين فيما يظهر: (اِلْقَ صديقك وعدوك بعين الرضا[1]) أما الصديق فلصداقته، وأما العدو فلإحالة عداوته إلىٰ ضدها أخذاً من قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فصلت/٣٤. لكن يكون اللقاء (في غير مَذَلَّة) وفي نسخة: ذِلَّة (لهما، ولا هيبةٍ) خوف (منهما)، أما الهيبة بمعنىٰ الخوف فمذمومة فيحسن سَلْبُها، وأما الهيبة بمعنىٰ الإجلال للصديق فحسنة فلا تسلب.

---

(١) في نسخة(م).. بوجه واحد وهو الرضا.

وَتَوَقَّرْ في غير كِبْر وتواضَعْ في غير ذِلَّة وكن في جميع أمورك في أوساطها فَكِلاَ طَرَفَي قَصْدِ الأمور ذميمٌ ولا تنظرْ في عِطْفَيكَ ولا تكثر الالتفات. . . . .

(وَتَوَقَّرْ) عند اللقاء (في غير كِبْر) لأن الظهور بنَامُوس من الوقار، بحيث لا يُنسَبُ الظاهر بذلك إلىٰ كِبْرٍ حميدٌ؛ (وتواضَعْ) عند اللقاء (في غير ذِلَّة) لأن التواضع المَشُوب بمذلة ذميمٌ، ولهذا يُنكر أهلُ العُرْف علىٰ من يُفْرِطُ في التواضع؛ بحيث يَخْرُجُ عن الحَدِّ فيه؛ فإن الشيء إذا خرج عن حده انعكس إلىٰ ضده.

(وكن في جميع أمورك) توقُّرك وتواضعك وغيرهما (في أوساطها) خير الأمور[1] أوساطها، وإلىٰ ذم خلافه أشير بقوله: (فَكِلاَ طَرَفَي قَصْدِ الأمور ذميمٌ)، لأن الأمر له طرفان ووَسَط، والقصد والاقتصاد: سلوك الوسط، فهو الحميد، وسواه ذميم، (ولا تنظرْ) علىٰ سبيل الإعجاب (في عِطْفَيكَ)، لأن هذا النَّظَرَ ليس من صفات أهل النَّظَرِ.

(ولا تكثر الالتفات) إذا مشيتَ؛ لأنه يُذهب الوقار في النهار، ويورث الوَحْشَة في الليل، وربما حدث شيء عند الالتفات في

---

(١) من أمثال العرب الشهيرة يضرب في التمسك بالاقتصاد. قال أعرابي للحسن البصري: علمني ديناً وَسُوطاً، لا ذاهباً فَروطاً، ولا ساقطاً سَقُوطاً، فقال: أحسنت يا أعرابي، خير الأمور أوساطها. (أمثال الميداني ١/٢٤٣).

ولا تَقِفْ علىٰ الجماعات وإذا جلستَ فلا تَستَوْفِزْ وتحفَّظْ من تَشْبِيكِ أصابعك و العبثِ بلحيتك وخاتَمِكَ وتَخليلِ أسنانك، وإدخالِ إِصْبَعِكَ في أنفك وكثرةِ بُصَاقِكَ و تنخُّمك وطَرْدِ الذباب عن وجهك وكثرةِ التَّمَطي والتثاؤب.................

الظلام؛ (ولا تَقِفْ علىٰ الجماعات) الجالسين من غير داعية إليه؛ (وإذا جلستَ فلا تَستَوْفِزْ) لأن جِلْسة الاستِيفَاز لا طمأنينة فيها، واللائق أن يكون مطمئناً لأن العجلة وما شاكلها من الشيطان.

(وتحفَّظْ من تَشْبِيكِ أصابعك) لأنه من الشيطان، (و) من(العبثِ بلحيتك وخاتَمِكَ) لأنَ العاقل يُصَانُ فعله عنه، أما العبث بهما إذا كان الشخص في تدبير أمر أو مهموماً فله أصلٌ في السُّنَّة، وما سوىٰ هذه الحالة فلا، (وتَخليلِ أسنانك، وإدخالِ إِصْبَعِكَ[1] في أنفك) لأن هذا الإدخال والتخليل بمجلس الرُّجل الجليل، إذا كثر يُؤْذِنُ بمزيد التعطيل، وفوات أدب الكمال والتكميل؛ (وكثرةِ بُصَاقِكَ) لأن النفوس تَعَافُهُ والمجالس تُصَانِ عما يُعَاف (و) كثرة (تنخُّمك) لما فيه من عِلَّة البصاق وبشاعة صوت النُّخَامة مع الكثرة، ويحتمل أن المراد التحفظ عن مجرد التنخم لا بقيد الكثرة، (وطَرْدِ الذباب عن وجهك) إلا علىٰ وَجْهٍ لطيفٍ في طَرْدِهِ إذا تأذَّىٰ به؛ (وكثرةِ التَّمَطي) مَدِّ اليدين علىٰ الوجه المعروف؛ (والتثاؤب) فتح الفم للكَسَلِ بقيدٍ فيه وفيما

---

(١) وانظر لغات إصبع ص (١٢٠).

في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكنْ مجلسُك هادئاً وحديثك منظوماً مرتباً وأَصْغِ إلىٰ الكلام الحَسَنِ ممن يحدثك من غير إظهار تعجُّبٍ ولا تسألْه إعادَتَه واسكُتْ عن المَضَاحِكِ والحكايات. . . . .

قبله وهو قوله: (في وجوه الناس) أو بعضهم، (وفي الصلاة وغيرها) من سائر العبادات.

(وليكنْ مجلسُك) إذا تضمنه جليسٌ (هادئاً) أي: ذا هدوء عن اللغط والأصوات المُشَوِّشة، (وحديثك) فيه (منظوماً) لأن العاقل من أَمَارَةِ عقله أن لا يختل كلامُه المنظوم، (مرتباً) كل شيء منه في مرتبته.

(وأَصْغِ) بمعنىٰ استمع (إلىٰ الكلام الحَسَنِ) الشامل للمندوب والمباح علىٰ القول بأن الحسن يشمله، (ممن يحدثك) به (من غير إظهار تعجُّبٍ[1]) مطلقاً إلا لموجب إظهاره، أو من غير إظهار تعجبٍ مُفْرِطٍ، فإن الإفراط يُؤْذِنُ بشيء في عقل المستمع؛ خصوصاً إذا اقترن بحركة واضطراب منه، كما هو مشاهد في بعض أهل العصر، عافانا الله وإياه؛ (ولا تسألْه إعادَتَه) إلا إن ترجَّحت مصلحتها.

(واسكُتْ عن المَضَاحِكِ) أسباب الضحك، فإنه يزيل الهيبة، وكثرتُه تميت القلب (والحكايات) لأن الجليل يَجِلُّ عن أن يكون

---

(١) في نسخة (م) زيادة: مُفْرِطٍ.

ولا تُحدِّثْ عن إعجابك بولدك وشِعْرِكَ وكلامك وتصنيفِكَ وسائرِ ما يخصُّك ولا تتصنَّع تَصَنُّعَ المرأةِ بالتزيين ولا تتبذَّل تبذُّل العَبْدِ

حكَوِيّاً[١] خصوصاً لحكايات هَزْلِيَّة، وقد حضرتُ مجلس بعض السادات الولاة وقد سُئل أن يكتب لبعضهم إلىٰ أبواب السلطنة أمرٌ التَمَسَهُ البعض، وذَكَرَ أَنَّ فعله لا يترتب عليه إلا جلب مصلحة متوهمة، فاعتذر الوالي، فقيل له: يكتب مولانا إن فلانا ذكر كذا، فقال: لا يليق بنا لسنا في مقام من يُحكىٰ عنه، فازدادت عظمةُ الوالي في نفسي، وَوَقَرَتْ في صدري.

(ولا تُحدِّثْ عن إعجابك بولدك) نحو: أعجبني ذكاؤه، وقوله كذا، وفعله كذا، (وشِعْرِكَ) نحو: شِعْري بلغ الغاية، أو من يضاهيه؟ أو أَخَذَ من البلاغة بأطواقها، (وكلامك) الصادق بالنَّثْر، (وتصنيفِكَ) في العلم، (وسائرِ) باقي (ما يخصُّك) من كلام وغيره؛ وهذا كله كما هو واضح ما لم تَدْعُ الحاجة إليه.

(ولا تتصنَّع) للناس (تَصَنُّعَ المرأةِ بالتزيين) المطلوبِ منها فقط فإن الذكوريَّة تأبىٰ تزيُّن النساء، نعم لا بأس أن يتحسن الرجل لأهله، لأنه كما يُطلب منها التزين له يُطلبُ منه التزين لها اللائق بمثله؛ (ولا تتبذَّل تبذُّل العَبْدِ) في مهنته.

---

(١) رجل حكَوِيٌّ، صاحب حكايات ونوادر، عاميّة. (التاج/ حكي).

وتَوَقَّ كثرةَ الكُحْلِ والإسرافَ بالدُّهْنِ ولا تُلِحَّ في الحاجات ولا تُشَجِّع أحداً علىٰ الظُّلْم....................

(وتَوَقَّ كثرةَ الكُحْلِ) قيل: بأن يزيد في كل عين علىٰ ثلاثة أطراف مِيلٍ، وهو محتمل؛ لأن الاكتحال سنة، وهذا أكثر ما ورد، وفي رواية: وربما اكتحل ثلاثة في اليمين واثنين في اليسار، والأوجه أنها لا تتقيد الكثرة بذلك، بل بالعُرف، فقد يكتحل بواحد، ويكون الكحل فيه ما يقتضي سيلانه حول أجفانه، كالاكتحال بشيء يسمىٰ الدلال عند النساء؛ (والإسرافَ بالدُّهْنِ) وعبر بالإسراف هنا وفي الكحل بتوقي الكثرة كأنه لعدم مجيء الإسراف فيه، أو لعدم استعماله فيه، والثاني أظهر، وفي الحديث كان يكتحل وِتراً ويَدَّهِنُ غِبّاً (ولا تُلِحَّ في الحاجات) لأن المخلوق يكره الإلحاح فيها، لا سيما وقد ورد: «اتقوا الله وأجملوا في الطلب[١]» وإنْ كان هذا لما هو أعم؛ (ولا تُشَجِّع) ولا تُغْرِ (أحداً علىٰ الظُّلْم) فإنه كَمينٌ في النفس، قال المتنبي:

والظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النفوس فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[٢]

(١) في ابن ماجه عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم-: أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتىٰ تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حَلَّ، ودعوا ما حَرُمَ". في باب الاقتصاد في طلب المعيشة من كتاب التجارات.

(٢) من قصيدة أولها:

لهوىٰ القلوب سريرةٌ لا تُعلمِ عَرَضاً نظرتُ وخِلْتُ أني أَسْلَمُ

=

ولا تُعلِمْ أهلك وولدك ـ فضلاً عن غيرهم ـ مقدارَ مالك فإنهم إنْ رأوه قليلاً هُنْتَ عليهم وإن رأوه كثيراً لم تَبْلُغْ قَطُّ رضاهم. . . . .

(ولا تُعلِمْ) بتخفيف اللام من الإعلام (أهلك) زوجك (وولدك) لا كبيراً ولا صغيراً (ـ فضلاً عن غيرهم ـ مقدارَ مالك) ولا محلَّه الداعي إلىٰ معرفة مقداره، (فإنهم) لم يُثَنِّ الضمير هنا وفيما قبله وما بعده إما بناء علىٰ أنَّ أقلَّ الجمع اثنان وهو ضعيف؛ أو لإطلاقه عليهما تجوزاً، وإما لما في الولد من معنىٰ الجمعية، لأن المراد أولادك؛ (إنْ رأوه) المال أو مقداره (قليلاً) في أعينهم (هُنْتَ عليهم)، فلم يحتفلوا بك، ولا يَرْعَوك بعد ذلك، لأن أفعالهم معلولة غالباً، (وإن رأوه) في أعينهم (كثيراً لم تَبْلُغْ) بإعطائك الكثيرَ منه لهم (قَطُّ) بمعنىٰ أبداً (رضاهم)، لأنه لا غاية له، لاسيما والمرأة ناقصة عَقْلٍ ودِين[1] وكلمة قَطُّ قال بعضهم: اسم للزمن الماضي غير أنها في

انظرها (ص٤٥٨-٤٧٠) من ديوانه في ٣٧ بيتاً وفيه: والظلم في خِلَق النفوس.

(١) ورد من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- في الصحيحين أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لجمع من النساء في حديث طويل ".. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن ". وظاهرٌ منه مباسطته صلىٰ الله عليه وسلم وليس فيه إهانة لهنَّ بدليل ختم الكلام بأنها تغلب الرجال!فأيُّ إزراء علىٰ من يغلب الرجال؟! والمراد بنقصان الدين قِلَّة التكاليف في وقت الحيض والنفاس لا أنها عاصية وآثمة؛ وكيف ذلك وقد تركت التكليف بأمر الله وبيان رسوله؟! وقد استُخدم الحديث عند بعضهم ذريعةً للنيل من السُّنَّة

=

واجفُهُم مِنْ غير عُنْفٍ ولِنْ لهم من غير ضُعف ولا تُهازلْ أَمَتَكَ ولا عَبْدَكَ فيسقُطَ وَقَارُكَ.................

مثل هذا المحل بمعنىٰ أبداً، وقد تستعمل بمعنىٰ حسب، فإن صح هذا الاستعمال علم منه الجواب عن المصنف هنا لا في الماضي[١].

(واجفُهُم مِنْ غير عُنْفٍ) أي: شدة ومبالغة، بل الإيهام يعمل ما لم يعمل الفعل؛ (ولِنْ لهم من غير ضُعف) بضم الضاد وفتحها، والمراد من غير إظهاره؛ وعن الإمام مالك: يجب أن يَتحبَّب الإنسان إلىٰ أهل الدار حتىٰ يكون أحب الناس إليهم؛ وفي الحديث: «أنه صلىٰ الله عليه وسلم نَصَبَ فَخِذَه لصفية بنت حيي عند إرادتها الركوب علىٰ بعير لتضع رجلها، فلوت ساقها». وينبغي النظر إلىٰ ما يتأكد من نحو ذلك في كتاب الأخلاق، وقد ذكرت منه جانباً في حرب الحاء في حسن المعاشرة، وفي حرف التاء في تدبير المنزل، فراجعه فإنه مهم.

(ولا تُهازلْ) تمازح (أَمَتَكَ ولا عَبْدَكَ) ظاهره لا كثيراً ولا نادراً لكن قد يغتفر النادَر، (فيسقُطَ وَقَارُكَ) هذه علة النهي وإذا سقط

والإسلام ! انظر شرح هذا الحديث ببيان بديع في كتاب المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني لشيخنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – أمتع الله به– (نصوص من أحاديث موهمة ص١٧٣-١٧٩).

(١) انظر ص (٤٧٧و٤٧٨) التعليقة الأولىٰ.

من قلوبهم، وإذا خاصمتَ فتوقَّ وتحفَّظ من جهلك و عجلتك وتفكَّرْ في حُجَّتِكَ ولا تكثر الإشارَة بيدك ولا تكثر الالتفاتَ إلىٰ مَنْ وراءك ولا تَجْثُ علىٰ ركبتيك وإذا هَدَأَ غضبُك فتكلمْ. . . . .

فعَوْدُه فيه عسر، (من قلوبهم، وإذا خاصمتَ) أحداً خصوصاً الشرير أو الأَلَدَّ (فتوقَّ) حال الخصام (وتحفَّظ) فيه (من جهلك) أي: كلماته، فلا تتكلم إلا بما لا تُؤاخذ به شرعاً، ورُبَّ كلمة جَلَبَتْ نِقمة، ورب إشارة أبلغ من عبارة؛ (و) من (عجلتك) لأن العجلة تزيل الأبهة والوقار.

(وتفكَّرْ في حُجَّتِكَ) التي تُلزم بها خَصْمك قبل إبدائها، هل هي قاطعة أو مَعْلولة؟ فإن المِحْجَاج[1] لا يُبدي إلا حجة قاطعة؛ (ولا تكثر الإشارَة بيدك) لاسيما في حال المخاصمة؛ (ولا تكثر الالتفاتَ إلىٰ مَنْ) أي: الذي (وراءك)، لاسيما في حال الخصومة كالمستنصِر به، أو المراد: لا تكثر الالتفات إلىٰ ورائك، لأن كثرته تدل علىٰ الخِفَّة؛ (ولا تَجْثُ علىٰ ركبتيك) أي: في حال الخصام لئلا تُوهم مزيد الاهتمام، بل اجلس متمكناً كأنك لا تعبأ بالخصم؛ (وإذا هَدَأَ) من الهدوء بمعنىٰ: سكَنَ وذهب (غضبُك فتكلمْ)، لأن التكلم حال الغضب قد لا يَبرُزُ في ميدان الاعتدال.

---

(١) المِحجاج بالكسر: الجَدِل ككتف، وهو الرجل الكثير الجَدَل (التاج/ حجج).

وإذا قَرَّبكَ السلطان فكن منه علىٰ مِثْلِ حَدِّ السِّنَان وإياك وصديقَ العافية فإنه أعدىٰ الأعداء ولا تجعلْ مالَكَ أكرمَ مِنْ عِرْضِكَ.

(وإذا قَرَّبكَ السلطان) إمام أو نائبه (فكن منه علىٰ مِثْلِ حَدِّ السِّنَان) لأن هذا القرب كالنيران، إما ينضج وإما يُحْرِق، أو كالبحر إما يُنَجِّي وإما يُغَرِّق؛ ولله درُّ القائل[1]:

ومصاحِبُ السلطان مثلُ سفينة … في البحر تُرْعَدُ دائماً من خوفه
إن أدخلتْ من مائه في جوفها … أدخلَهــا وماءهــا في جوفــه

(وإياك وصديقَ العافية) أي: الصديق الذي لا يعينك في الشدة، ولا يصحبك إلا في العافية والرخاء، (فإنه أعدىٰ الأعداء)، وقد سَبَقَ من المصنف تحذير منه، فكرره تأكيداً، وإنما كان أعدَاهُم لأن فعله يفعل في النفس أشد من العدو، أو لأنه عدو خفيّ فلا تكون النفس منه علىٰ حذر.

(ولا تجعلْ مالَكَ) المائل بصاحبه (أكرمَ مِنْ عِرْضِكَ) لأن المال لمرض أو عِرْض، فالدفع به عنه أهم الغرض، والعِرْض كاللَّبَن متىٰ تغير لا يُتَدارك، والمال يُكتَسَب، والمال غَادٍ ورائح، ولا يفتخر به ذوو المروءات، بخلاف العِرْض فهم مثابرون علىٰ صَوْنه، وخَتْمُ المصنِّف برعـاية العِـرْض يُؤْذِنُ بإشـارة بديعـة، وحمايـة منيعة، وأن

---

(١) ما وقفت عليه.

فهذا القَدْرُ يا فتىٰ يكفيك من بداية الهداية فجَرِّبْ بها نَفْسَكَ فإنها ثلاثة أقسام:

رعايته جامعة للمقاصد، كافلة بالوسائل والمَرَاصد، يدري ذلك مَنْ تدبره، ويتحققه من تأمله وتفكَّره، وفي الحَثِّ هنا علىٰ جعل المال مغلوباً مرفوضاً رجوعٌ من المصنِّف بطريق لطيف إلىٰ الحث علىٰ عدم اعتبار الدنيا التي عِمَادُها المال، وهو الذي أسس كتابه "البداية" عليه فتأمل.

ولذا قال: (فهذا القَدْرُ يا فتىٰ) أي: يا رجل يا من اجتمعت فيه صفات الفتوة والرجولية الكاملة (يكفيك من بداية الهداية) كتابنا هذا الذي هو لباب إحيائنا، وشَرَكُ أحبابنا وإخواننا، المقصودين بالدلالة علىٰ طريق الآخرة، بالعبارات الظاهرة، والإشارات الباهرة، (فجَرِّبْ بها نَفْسَكَ) المرة بعد الأخرىٰ؛ لأنه أبلغ في ظهور صحة التجربة، بأن تكثر النظر فيها ولو شيئاً فشيئاً علىٰ طريقة توظيفها علىٰ نفسك، فإنك إن شاء الله ترىٰ نفعها العاجل والآجل عند حلول رَمْسِكْ، وهو أول منازلك، والبَرزَخُ بين دارَيك الأُولىٰ والآخرة اللتين يتميز فيهما صحة يقينك من حَدْسِك[١].

(فإنها) أي: البداية (ثلاثة أقسام) وسبق في أول الكتاب تقسيمها

---

(١) الحَدْسُ: الظن والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور، يحدُس ويحدِس (القاموس/حدس).

قسم في أداء الطاعات وقسم في ترك المعاصي وقسم في مخالطة الخَلْق. وهي جامعة لجُمَلِ معاملة العبد مع الخالق والخَلْق فإن رأيتَها مناسبةً لنفسك، ورأيتَ قلبَكَ مائلاً إليها راغباً في العمل بها فاعلم أنك عبد نَوَّر الله بالإيمان قلبَكَ وشَرَحَ له صدرَكِ.

باعتبار إلىٰ قسمين، الأول من الثلاثة: (**قسم في أداء الطاعات**) أي: فعلها أداء وقضاء، والطاعات شامل واجبها ومندوبها؛ (**وقسم**) وهو الثاني (**في ترك المعاصي**) كبائرها وصغائرها، ولا ينافيه أن يكون معه بطريق الضَّمِيمَة المكروهات، وقسم خلاف الأولىٰ من نوع الكَفِّ والترك؛ (**وقسم**) وهو الثالث (**في مخالطة الخَلْق**) باعتبار بيان حكمها وآدابها؛ (**وهي**) أي: الأقسام الثلاثة، أو البداية (**جامعة لجُمَلِ**) مقاصد (**معاملة العبد**)، وهي أَوْلىٰ من التعبير بمخالطة العبد أو مصاحبته (**مع الخالق**) سبحانه وتعالىٰ، (**والخَلْق**) علىٰ اختلاف أقسامهم السابقة.

(**فإن رأيتَها**) أي: البداية (**مناسبةً لنفسك، ورأيتَ**) بمعنىٰ وَجَدْتَ في المَوطنين (**قلبَكَ**)، والقلب والنفس متغايران بالاعتبار، (**مائلاً إليها راغباً في العمل بها**) بنفسك وقلبك، والنفس تطلق ويُراد بها الذات الشاملة للقلب، فعليه كأنه أريد الرغبة في العمل بالجوارح والقلب حسب استعمال كل شيء فيما يناسبه؛ (**فاعلم أنك عبد نَوَّر الله بالإيمان**) والإسلام (**قلبَكَ**) الصَّنَوبَري أو اللطيفة الإلهية، (**وشَرَحَ له**) للإيمان والإسلام (**صدرَك**) ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ

وتحقَّقْ أَنَّ لهذه البداية نهايةً ووراءها أسرارٌ وأغوار وعلوم ومكاشفات وقد أودعناها في كتاب «إحياء علوم الدين» فاشتغل بتحصيله فإن رأيتَ نفسَكَ تستثقلُ العملَ بهذه الوظائف. . . . . .

مِن رَّبِّهِۦ﴾ الزمر/٢٢.

(وتحقَّقْ أَنَّ لهذه البداية نهايةً) لأنه ما من بداية إلا لها نهاية (ووراءها) أمامها وخَلْفها (أسرارٌ) بديعة غامضة، ولذا قال: (وأغوار) أشياء بعيدة العمق لا تُدرك حقيقتها، (وعلوم) لَدُنِّيَّة (ومكاشفات) ربانية، (وقد أودعناها) أي: المذكورات من الأسرار والعلوم والمكاشفات (في كتاب إحياء علوم الدين) بالأسرار والعلوم فإيداعها فيه واضح، وأما المكاشفات فباعتبار أن الفتوحات التي منحها المصنف فيه أسبابٌ لها أو ناشئة عنها، فباب المجاز إن لم تَصِحَّ الحقيقة واسعٌ.

(فاشتغل بتحصيله) تملكاً بأي طريق من أنواعه، أو استعارة ثم أدمن مطالعته، وكلام المصنف في هذا الموطن الذي مدح فيه إِحْيَاءَه اللازم منه مَدْحُ نفسه من باب التحدث بالنعمة والتزكية الحميدة والتحمسات المجيدة، وقد ذكرتُ سَلَفَه وكلامَ أمثاله في ذلك، لاسيما في مدح مؤلفاتهم ترغيباً فيها وفي سلوك سبيل الخير في كتاب: "الرياسة في معالي الهمم والحماسة".

(فإن رأيتَ نفسَكَ تستثقلُ العملَ بهذه الوظائف) جمع وظيفة،

وتستنكر هذا الفن من العلم وتقولُ لك أَنَّىٰ ينفعك هذا العلم في محافل العلماء ومتىٰ يُقَدِّمك هذا علىٰ الأَقْران والنظراء.......

وهو ما يقدره الإنسان لنفسه في كل يوم أو ليلة من الطاعات، وسَبَقَ عن المصنف في أول الكتاب الحث علىٰ التوظيف في قوله: ولن تقدر علىٰ ذلك أي: أن لا يراك مولاك حيث نَهَاكَ ولا يَفقِدَكَ حيث أمرك، إلا بأن توزع أوقاتك، وترتب أورادك، من صباحك إلىٰ مسائك؛ (وتستنكر[١])، وفي نسخة تنكر، وفي أخرىٰ تَستَرِكَ من الركَّة[٢]، بمعنىٰ تراه ركيكاً وفي أخرىٰ: تترك أي ترىٰ أن تترك (هذا الفن) والنوع (من العلم) النافع المتقدمة صفاته وثمراته، (وتقولُ لك أنَّىٰ) أي: بعيد (ينفعك هذا العلم في محافل العلماء) مجامع علماء الرسم الذين لهم الوظائف والتداريس[٣] والجَوامِك[٤] والجَاهَات والملابس، (ومتىٰ يُقَدِّمك هذا علىٰ الأَقْران) والأمثال (والنظراء)،

---

(١) في نسخة (م) وتستكثر.

(٢) رَكَّ الشيء يرك بالكسر رِكَّةً وركَاكة: رَقَّ وضعف فهو ركيك. (المختار/ ركك).

(٣) جمع تكسير لتدريس.

(٤) جمع الجَامِكيّة: رواتب خدام الدولة تعريب جَامكي من جَامَه أي قيمة ومن كِـي وهو أداة النسبة. (ر: معجم أدي شير ص٤٥).

وكيفَ يَرْفَعُ مَنْصِبَكَ في مجالس الأمراء والوزراء ليُوصِلَكَ إلىٰ الصِّلَةِ والأرزاقِ وولايةِ الأوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أَغْواكَ وأَنْسَاكَ مُنْقَلَبَكَ ومَثْواك فاطلب شيطاناً مثلَك. . . . .

وتقدم في أول الكتاب[١] معنىٰ القِرْن، ومثله النظير، (وكيفَ يَرْفَعُ مَنْصِبَكَ في مجالس الأمراء والوزراء) فضلاً عن السلاطين والحال أنهم لا يعتبرون بحسب العادة إلا أهل علوم الرسم، وما يرجع إلىٰ تحقيق المنطوق والمفهوم (ليُوصِلَكَ) رفعه (إلىٰ الصِّلَةِ) بمعنىٰ العطية (والأرزاقِ) المعاشية، (وولايةِ الأوقاف) ذات الرَّيع الفائض، (والقضاء)؟ النافذ في تحكيم الجاه القائض[٢]، المُصَيِّر تحت رِبْقَتِك المتحاكمَين: الراضي والغائض[٣].

(فاعلم أن الشيطان) من عاداك وعادىٰ أباك (قد أَغْواكَ) عن الصراط المستقيم (وأَنْسَاكَ مُنْقَلَبَكَ ومَثْواك) مرجعك الكريم، (فاطلب شيطاناً) متمرداً مبعداً (مثلَك) في المعنىٰ الشيطاني، وإن اختلفا في العنصر الجثماني، وشيطان الإنس أبلغ من شيطان الجن لا محالـــة،

---

(١) انظر ص ٦١ عند قوله: (والتقدم علىٰ الأقران).

(٢) من قَاضَ الفرخُ البيضةَ: شقَّها (كتاب لابن القطاع /قيض) فالقضاء فيصل.

(٣) مـن غـاض: قـلَّ ونقـص (القـاموس/ غـاض)، فالمتحـاكمون للقضـاء: منـهم الراضون، ومنهم من تُنتقص حقوقهم.

لِيُعَلِّمَكَ ما تَظُنُّ أنه يُوصِلُك إلىٰ بُغْيتك ثم اعلم: أنك قَطُّ لا يصفو لك المُلْكُ في مَحَلَّتِكَ فضلاً عن قريتك وبلدك ثم يفوتُك به المُلْكُ المقيم والنعيمُ الدائم في جوار رب العالمين.........

(لِيُعَلِّمَكَ ما تَظُنُّ) بظنك الفاسد (أنه يُوصِلُك إلىٰ بُغْيتك)، فإن تعليم أهل الحق فيك لا يُجدي؛ حيث لم ينفع فيك ما أسلفناه في البداية، وأودعناه في الإحياء الذي هو النهاية.

(ثم اعلم) مع هذا (أنك قَطُّ) أي: أبداً (لا يصفو لك المُلْكُ) أي: منهلُه لو فرضنا أنك مَلِك (في مَحَلَّتِكَ فضلاً عن قريتك[1] وبلدك)، والمحلة كالحَارَة والسَّاحة ذات الدُّور المتقاربة، والقرية أكبر منها، والبلد أكبر من القرية، والمِصْر أكبر من الكُلِّ، والقُطْر أكبر منه، (ثم يفوتُك به) بذلك المُلك مُلكُ المحلة أو القرية أو البلد (المُلْكُ المقيم) في الدار الآخرة، (والنعيمُ الدائم في جوار رب العالمين) نعيم الجنة والشهود والخلود وما أحسن هذا الختام بهذا الخطاب.

---

(١) في نسخة (م) أو بلدك.

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلَّم تَسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين.

وفي نسخة زيادة (والحمد لله رب العالمين[1]) قال بعض المتأخرين: وهي أكمل صيغ الحمد (وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلَّمَ تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين) كذا في بعض نسخ البداية الختام بالحمد والتصلية والسلام علىٰ خير الأنام صلىٰ الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(١) (الحمد لله) ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية، فمن قالها عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة. (من قول شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير في كتابه نهاية المحتاج إلىٰ شرح منهاج النووي – رحمهما الله- ١/ ٢٧). فيارب نسألك الفردوس الأعلىٰ من الجنة إنك أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- أبجد العلوم لصديق حسن القنوجي – دار ابن حزم بيروت – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣/٢٠٠٢.

- أبو حامد الغزالي في الذكرىٰ المئوية التاسعة لميلاده – مطبوعات المجلس الأعلىٰ لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ١٣٨٢/١٩٦٢.

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة الزبيدي دار إحياء التراث العربي ١٤١٤/١٩٩٤.

- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي – دار الوعي بحلب تحقيق هيئة التحقيق بالدار – الطبعة الأولىٰ ١٤١٩/١٩٩٨.

- أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق د. محمد الدالي مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤١٧/١٩٩٦.

- الأدب المفرد للبخاري بعناية صالح أحمد الشامي – دار القلم دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢/٢٠٠١.

- إرشاد القاصد إلىٰ أسنىٰ المقاصد للمعروف بابن الأكفاني بعناية حسن عبجي ومراجعة الشيخ محمد عوامة – دار القبلة للثقافة الإسلامية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٤/١٩٩٤.

- الأشباه والنظائر للسيوطي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي –

دار الكتاب العربي- الطبعة الثانية ١٤١٤/١٩٩٣.

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني بعناية خليل مأمون شيحا – دار المعرفة بيروت- الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥/٢٠٠٤.

- إصلاح خطأ المحدثين للخطابي البستي بتحقيق د. محمد علي الرديني – دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧ / ١٩٨٧

- أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي – دار الفكر دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦/١٩٨٦.

- الأعلام لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين بيروت – الطبعة العاشرة ١٩٩٢.

- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لأبي اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي - مكتبة المحتسب عمَّان ١٩٧٣.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة تحقيق عمر أحمد الراوي – دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية ١٤٢٦/٢٠٠٥.

- البحر المورود في المواثيق والعهود للإمام الشعراني بعناية محمد أديب الجادر- دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤/٢٠٠٣.

بداية الهداية للإمام الغزالي بعناية جماعة في دار المنهاج – جدة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥-٢٠٠٤.

- البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف –بيروت ومكتبة النصر الرياض- الطبعة الأولىٰ ١٩٦٦.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني- مطبعة

السعادة بمصر – الطبعة الأولىٰ ١٣٤٨.

– بستان العارفين للإمام النووي بعناية محمد الحجار – دار البشائر الإسلامية- الطبعة الثالثة ١٤١٤/١٩٩٤.

– بغية المسترشدين للسيد عبد الرحمن بن محمد المشهور با علوي – دار الفكر بيروت ١٤١٤/١٩٩٤.

– البلابل الصادحة علىٰ أغصان سورة الفاتحة لعبد الله بن أبي بكر باشعيب – دار المنهاج بعناية لجنة في الدار – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤/٢٠٠٣.

– البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات بن الأنباري تحقيق د.رمضان عبد التواب –مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٠.

– تاج العروس شرح القاموس للزبيدي – وزارة الإعلام في الكويت تحقيق جماعة.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧/١٩٨٧.

– تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر للشيخ عبد القادر العيدروسي.

– التبر المسبوك في نصيحة الملوك للإمام الغزالي – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولىٰ ١٣٧٨/١٩٦٨.

– التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة للقرطبي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤٠٥/١٩٨٥.

- الترغيب والترهيب للمنذري بعناية مصطفىٰ محمد عمارة - دار الريان للتراث القاهرة - ١٤٠٧/١٩٨٧.

- تفسير البغوي المسمىٰ معالم التنزيل تحقيق عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي بيروت - الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ /٢٠٠٠.

- تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين الشيرازي - مؤسسة الأعلمي بيروت - الطبعة الأولىٰ ١٤١٠/١٩٩٠.

- تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي بعناية شركة العلماء - طبعة إدارة الطباعة المنيرية.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر ١٣٨٤/١٩٦٥.

- الجباه العالية لأنور الجندي- مطبعة الرسالة مصر ١٩٥٨.

- الحاوي للفتاوي للسيوطي دار الكتب العلمية ١٤٠٨/١٩٨٨.

- الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو - دار الكتاب العربي ١٤٠٤/١٩٨٤.

- حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري بعناية د.عبد الفتاح البزم - دار ابن كثير - الطبعة الثامنة ١٤٢٢/٢٠٠٢.

- الخلاصة في أوراد وأدعية واردة ومأثورة جمع الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ - دار الفقيه حضر موت.

- الدر المصون للسمين الحلبي - تحقيق الدكتور أحمد الخراط - دار القلم دمشق الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨/ ١٩٨٧.

- دليل جموع التكسير لجماعة من المدرسين – دار الرضا للنشر دمشق – الطبعة الأولىٰ تموز ٢٠٠٣.

- ديوان ابن الرومي بتحقيق د. حسين نصار- الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٩٣.

- ديوان ابن الفارض بعناية هيثم هلال – دار المعرفة بيروت – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤/٢٠٠٣.

- ديوان الشافعي بشرح نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – الطبعة الثالثة ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

- ديوان شعر الأخطل تحقيق د. فخر الدين عباوة –دار الفكر دمشق د الطبعة الرابعة ١٤١٦/١٩٩٦.

- ديوان كثير عزة شرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة العاشرة ١٤١٣/١٩٩٣.

- ديوان مجنون ليلىٰ شرح عدنان درويش – دار صادر – ١٤١٤/١٩٩٤.

- رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن علي الحسني الندوي – دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠/١٩٩٩.

- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري شرح نواف الجراح- دار صادر بيروت- الطبعة الأولىٰ ٢٠٠١.

- رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للإمام القطب عبد الله بن علوي الحداد – دار الحاوي- الطبعة الثانية ١٤١٤/١٩٩٤.

- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي – دار المعرفة بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.

- سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد للإمام الصالحي الشامي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٤/١٩٩٣.

- السنة والبدعة لعبد الله محفوظ محمد الحداد باعلوي -دار القلم دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤١٣/١٩٩٢.

- سنن ابن ماجه بعناية محمد بربر – المكتبة العصرية الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦/٢٠٠٦.

- سيدنا محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم للشيخ عبد الله سراج مطبعة الأصيل حلب – الطبعة الرابعة ١٤٠٥/١٩٨٥.

- سير أعلام النبلاء للذهبي بإشراف شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٢/١٩٨٢.

- شخصيات استوقفتني للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – دار الفكر دمشق – الطبعة الثانية ١٤٢٠.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد بعناية عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط – دار ابن كثير دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤١٣/١٩٩٢.

- شرح الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد للإمام أحمد الصاوي تحقيق د. عبد الفتاح البزم – دار ابن كثير دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤١٨/١٩٩٧.

- شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور للسيوطي تحقيق يوسف

علي بدوي- دار ابن كثير دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٢٠/١٩٩٩.

- شرح العينية نظم سيدنا الحبيب القطب عبد الله بن علوي الحداد للسيد الشريف أحمد بن زين الحبشي باعلوي – مكتبة دار الفقيه تريم – الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧/١٩٨٧ في سنغافورة.

- شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري بعناية د. عبد المجيد دياب – دار المعارف مصر-الطبعة الثانية ١٤١٣/١٩٩٢.

- شرح شذور الذهب لابن هشام بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرىٰ مصر – الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٨.

- شعب الإيمان للبيهقي تحقيق محمد السعيد زغلول – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٠/ ١٩٩٠.

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي بعناية د.محمد كشّاش – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٨/١٩٩٨.

- الشّيب لسعيد كامل الكوسا – دار الفكر دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦/١٩٨٥.

- الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي ترجمة حياته من كلامه للأستاذ محمود محمود غراب – الطبعة الثانية ١٤١١/١٩٩١ مطبعة نضر.

- صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق خليل مأمون شيحا – دار المعرفة بيروت الطبعة السادسة ١٤٢٠ / ١٩٩٩.

- الصلاة في الإسلام للشيخ عبد الله سراج الدين – مكتبة دار الفلاح – حلب.

- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة بعناية د. الحافظ عبد العليم خان و د. عبد الله أنيس الطباع - عالم الكتب بيروت-الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧/١٩٨٧.

- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي - الطبعة الأولىٰ ١٣٨٣/١٩٦٤.

- طبقات الشافعية للأسنوي بعناية كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧/١٩٨٧.

- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي تحقيق نور الدين شريبه - دار الكتاب النفيس حلب - الطبعة الثانية ١٤٠٦/١٩٨٦.

- طبقات الصوفية للمناوي تحقيق محمد أديب الجادر - دار صادر - الطبعة الأولىٰ ١٩٩٩.

- طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح تحقيق محيي الدين نجيب - دار الشائر الإسلامية بيروت - الطبعة الأولىٰ ١٤١٣/١٩٩٢.

- الطبقات الكبرىٰ للإمام الشعراني - دار الفكر بيروت - الطبعة الأولىٰ ١٤١٩/١٩٩٩.

- العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر للسيد عبد الرحمن العيدروس بعناية منير سالم بازهير - دار الفقيه بحضرموت - الطبعة الأولىٰ ١٤٢١/٢٠٠٠.

- الفاخر لأبي طالب المفضل تحقيق عبد العليم الطحاوي - عيسىٰ البابي الحلبي - الطبعة الأولىٰ ١٣٨٠/١٩٦٠.

- الفتاوىٰ الحديثية لابن حجر الهيثمي – دار إحياء التراث العربي بيروت بعناية مكتب التحقيق في الدار. دون سنة الطبع.

- الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل علىٰ الجلالين) طبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه بمصر.

- القاموس المحيط للفيروز آبادي – بإشراف محمد ، يم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣/١٩٩٣.

- القواعد الفقهية علىٰ المذاهب الحنفي والشافعي للدكتور محمد مصطفىٰ الزحيلي – جامعة الكويت – الطبعة الأولىٰ ١٩٩٩.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب للشيخ أبي طاب المكي – دار الفكر بيروت.

- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر للإمام الشعراني شرح نواف الجراح – دار صادر – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤/٢٠٠٣.

- كتاب الأفعال لابن القطاع حيدر آباد الركن الهند ١٣٦١.

- كتاب العين للفراهيدي بتحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال – دون سنة الطبع.

- كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لابن قتيبة تحقيق مروان العطية وحسن خرابة – دار ابن كثير دمشق- الطبعة الأولىٰ ١٤١٠/١٩٩٠.

- كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي للعلامة الحبيب محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي – الطبعة الأولىٰ بالمطبعة العامرة

الشرفية ١٣١٩.

- كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي باعتناء هلموت ريتر – دار النشر بفيسبادن ١٣٨١/١٩٦٣.

- كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني بعناية الشيخ أحمد القلاش مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للمعروف بحاجي خليفة – دار الفكر بيروت بإشراف هيئة البحوث والدراسات في الدار – ١٤١٤/ ١٩٩٤.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزي حققه د. جبرائيل جبور - منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٩.

- لب اللباب للسيوطي – تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز - دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولىٰ ١٤١١/١٩٩١.

- لسان العرب لابن منظور – دار صادر بيروت – دون سنة الطبع.

- لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي بتحقيق ياسين محمد السواس – دار ابن كثير دمشق – الطبعة الأولىٰ ١٤١٣/١٩٩٢.

- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام الشعراني- دار إحياء التراث العربي بيروت – الطبعة الأولىٰ ١٤١٨/١٩٩٧ فهرسها رياض عبد الهادي.

- مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي- وكالة المطبوعات الكويت –

الطبعة الثانية ١٩٧٧.

- متن الشاطبية المسمىٰ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للشاطبي بعناية محمد تميم الزعبي - مكتبة دار الهدىٰ المدينة المنورة الطبعة الثالثة ١٤١٧/١٩٩٦.

- مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب للشريف الواسطي - دار المنهاج - بعناية لجنة في الدار - الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣/٢٠٠٣.

- مجمع الأمثال للميداني بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٩/١٩٥٩.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - دار الكتاب العربي بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٧.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية الطبعة الأولىٰ ١٤١٣/١٩٩٣.

- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي بعناية د. مصطفىٰ ديب البغا - دار اليمامة دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

- المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني تحقيق د. صالح الضامن - دار الفكر دمشق - الطبعة الأولىٰ ١٤١٨_١٩٩٧.

- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر دمشق - الطبعة الأولىٰ ١٤١٧/١٩٩٦.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل أشرف علىٰ التحقيق شعيب الأرناؤوط

مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولىٰ ١٤٢١/٢٠٠١.

- المصباح المنير للفيومي – مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٧.

- معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد – عالم الكتب بيروت ١٣٦٧/١٩٤٧.

- معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني – مكتبة لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٣.

- معجم الألفاظ الفارسية المعربة للسيد أدي شير مكتبة لبنان ١٩٩٠.

- المعجم الأوسط للطبراني تحقيق د. محمود الطحان – مكتبة المعارف الرياض – الطبعة الأولىٰ ١٤١٥/١٩٩٥.

- معجم البلدان لياقوت الحموي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – دون سنة الطبع.

- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد عيسىٰ صالحية – القاهرة ١٩٩٣.

- المعجم الفارسي الكبير للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا – مكتبة مدبولي القاهرة.

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولىٰ ١٤١٤/١٩٩٣.

- المعجم الوسيط – إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة – طبعة المكتبة الإسلامية استانبول تركية.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق د. عبد اللطيف الخطيب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- الطبعة الأولىٰ ١٤٢١/٢٠٠٠.

- مفتاح الجنة للسيد أحمد مشهور الحداد بعناية د. مصطفىٰ حسن البدوي – دار الحاوي- الطبعة الثانية ١٤٢١/٢٠٠٠.

- المنتظم لابن الجوزي بعناية جماعة - دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٢/١٩٩٢.

- المنثور في القواعد للزركشي تحقيق د. تيسير فائق محمود – إصدار وزارة الأوقاف الكويتية – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠/١٩٨٢.

- المنن الكبرىٰ للإمام الشعراني بعناية سالم مصطفىٰ البدري – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠/١٩٩٩.

- منهاج العابدين للإمام الغزالي بعناية بو جمعة عبد القادر مكري – دار المنهاج بيروت- الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.

- المنهج السَّوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي للعلامة السيد زين إبراهيم بن سميط باعلوي – دار العلم والدعوة- الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦/٢٠٠٥.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة محد علي التهانوي بعناية مجموعة من الأساتذة -مكتبة لبنان- الطبعة الأولىٰ ١٩٩٦.

- ميزان العمل للإمام الغزالي تحقيق د. سليمان دنيا – دار المعارف مصر – الطبعة الثانية.

- النجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري - دار المنهاج بيروت

بعناية لجنة علمية في الدار – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥/٢٠٠٤.

- نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج للرملي – مصطفىٰ البابي الحلبي – ١٣٨٦/١٩٦٧.

- النهاية لابن الأثير – تحقيق د. عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية بيروت- الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦/٢٠٠٥.

- نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام لأبي عبد المعطي محمد الجاوي – دار الحاوي – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦/٢٠٠٥ بعناية مجموعة من طلاب العلم بالدار.

* * * * *

الفهرست

شرح بداية الهداية

* * * * *